

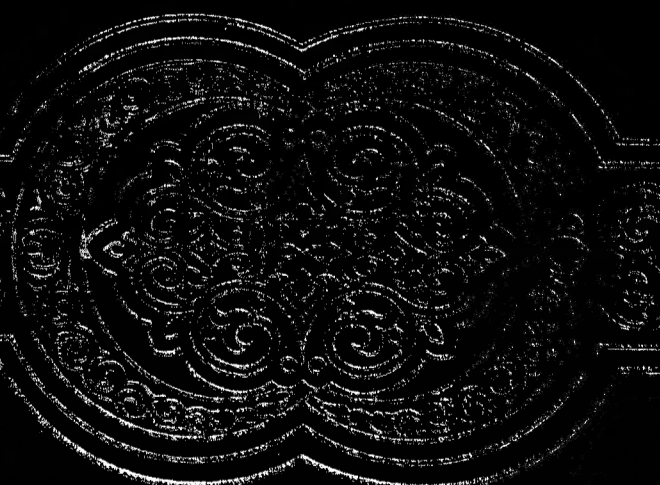
سَعِيدُ حَوَي

الْأَكْبَرُ فِي السِّيَرِ

وَقِيَّتُهَا

الْمَكْتُبُ الْإِسْلَامِيَّةُ

لِلْجَمْعِيَّةِ



بِإِذْنِ الْمَوْلَانِ

أَعْلَانَةُ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَنَحْوِهِ

الاستيعاب في السنة

وفيهما

العقائد الإسلامية

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للمنشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبدنادر محمود الكار

120 شارع الأزهر - ص.ب 161 العفوية
ت : 2741750 - 2704280 - 932820 فاكس : 2741750

الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1996 م

سَعِيدُ حَوَي

الْأَسْبَابُ فِي السُّنَنِ

وَفَقْهَهَا

المجلد الثالث

القسم الثاني

العقائد الإسلامية

دار السَّيِّدِ الْأَمْرِ

الطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ
رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

راجع لهذا القسم ورقم
فضيلة أخينا الشيخ
عبد الحميد الأصب
حفظه الله

الفقرة العشرون

في :

صفة المسيح ابن مريم عليه السلام ونزوله

مقدمة

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ ﴾ ^(١) والتوفّي هو : القبض ، أي قابضك من الدنيا ورافعك إليّ ، وقد رفعه الله إلى السماء الثانية وهناك رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، وقد غلط غلطاً كبيراً من فسر الوفاة بالآية بالموت لأنّ ذلك يتعارض مع فكرة نزوله مرّة ثانية إلى الأرض كما هو متواتر ، فالمراد بالوفاة التنويم أو القبض أو أن الآية تشير إلى أنه معصوم من القتل فهو سيرفع إلى السماء ثم سينزل إلى الأرض ويتوفّي وفاة لا كما زعم أنه قتل وصلب .

قال تعالى : ﴿ وَمَاقْتُلُوهُ وَمَاصْلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَاقْتُلُوهُ يَقِينًا ﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ ^(٢) . فالذي قتل رجل ألقى عليه شبهه ، ومن تأمل الروايات النصرانية التي تذكر القتل والصلب يعرف أنه يستحيل أن تصدر من المسيح عليه السلام التصرفات التي ظهرت من القتل المصلوب يوم ذاك ، وفي قوله تعالى : ﴿ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ . دليل على أن المسيح لم يميت وأنه سينزل في آخر الزمان ، وأن النصارى سيؤمنون به وقتذاك .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ ^(٣) . وفي قراءة : (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) . وقد فسر أكثر العلماء الآية بأن نزول المسيح من أعلام الساعة ، وجاءت النصوص المتواترة بنزوله وقد جمعت أكثر هذه النصوص في كتاب : (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشيخ محمد أنور الكشميري ، وقد حققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، وأضاف إليه وعلّق

(٢) النساء : ١٥٧ - ١٥٩ .

(١) آل عمران : ٥٥ .

(٣) الزخرف : ٦١ .

عليه ما زاد به الكتاب قيمة على قيمته وفضلاً على فضله ، وقد ذكر في الكتاب حوالي خمسة
وثمانين حديثاً عن رسول الله ﷺ وأثاراً كثيرة عن الصحابة ، فنزل المسيح عليه السلام
قضية متواترة يكفر منكرها ، وهو عليه السلام ينزل حاكماً بشريعة رسولنا عليه الصلاة
والسلام ، فلا يتناقض نزوله مع فكرة ختم النبوة ، فهو عليه السلام ينزل تابعاً لمحمد ﷺ ،
أخرج أحمد ^(١) عن رسول الله ﷺ : « لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتباعي » .

وأحاديث نزول المسيح عليه السلام مرتبطة بأحاديث ظهور الدجال وأحاديث خروج
يأجوج ومأجوج وقد ذكرنا الكثير عنها في هاتين الفقرتين ، ومع ذلك خصصنا هذه الفقرة
لها .

(١) مستد أحمد (٢ / ٢٨٧) .

نصوص

١٠٧٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » .

زاد في رواية (١) : « وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » . ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ... ﴾ الآية . [النساء : ١٥٩] .

وفي أخرى (٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم ، وإمامكم منكم ؟ » .

وفي رواية (٣) : « فأممكم » . وفي أخرى (٤) : « فأممكم منكم » . قال ابن أبي ذئب : تدري . ما أممكم منكم ؟ قلت : تخبرني . قال : فأممكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ .

وفي أخرى (٥) قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص فلا يسقى عليها ، ولتذهبن الشخاء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » .

١٠٧٨ - البخاري (٤ / ٤١٤) ٣٤ - كتاب البيوع ، ١٠٢ - باب قتل الخنزير ... إلخ .

مسلم (١ / ١٣٥) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى ابن مريم ... إلخ .

(١) البخاري (٦ / ٤٩٠ ، ٤٩١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ابن مريم ... إلخ .

مسلم (١ / ١٣٥ ، ١٣٦) في اللوضع السابق .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩١ ، ٦٠) - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ... إلخ .

مسلم (١ / ١٣٦) في اللوضع السابق .

(٣) مسلم : في اللوضع السابق .

(٤) مسلم (١ / ١٣٧) في اللوضع السابق .

(٥) مسلم (١ / ١٣٦) ، في اللوضع السابق .

وفي رواية أبي داود ^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « ليس بيني وبينه » - يعني عيسى - « نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربوع ، إلى الحمرة والبياض ، وينزل بين مَمَصَّرتين ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ ، فيقاتلُ الناسَ على الإسلام ، فيدقُّ الصليب ، ويقتلُ الخنزير ، ويضعُ الجزيةَ ويهلكُ الله في زمانه المِلَلَ كُلَّهَا إلا الإسلامَ ، ويهلكُ المسيحَ الدجال ، ثم يكثرُ في الأرض أربعين سنةً ثم يَتَوَفَّى ، ويصلي عليه المسلمون » .

(الحكم) : الحاكم الذي يقضي بين الناس ، والأمير الذي يلي أمورهم .

(مقسطاً) : المقسط : العادل ، والقاسط : الجائر .

(فيكسر الصليب) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« قال الحافظ ابن حجر : أي يُبْطِلُ دينَ النصرانية ، بأن يَكْسِرَ الصليبَ حقيقةً ، وَيُطِيلَ مآثرَ النصرانية من تعظيمه » ا . هـ (التصريح) .

(ويقتل الخنزير) : قال الشيخ عبد الفتاح :

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري : ٤ / ٣٤٣ » : أي يأمرُ بإعدام الخنزير ، مُبالغةً في تحريم أكله . وفيه توبيخٌ عظيمٌ للنصارى الذين يدَّعون أنهم على طريقة عيسى عليه السلام ، ثم يَسْتَحِلُّونَ أكلَ الخنزير ، وَيُبَالِغُونَ في محبته . اهـ (التصريح) .

(وضع الجزية) هو إسقاطها عن أهل الكتاب ، وإلزامهم بالإسلام ، ولا يقبل منهم غيره ، فذلك معنى وَضَعِهَا .

(حكماً عادلاً) : قال الشيخ عبد الفتاح :

أي حاكماً عادلاً . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٦ « والمعنى أنه عليه السلام يَنْزِلُ حاكماً بهذه الشريعة ، فإنَّ هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكماً من حُكَّام هذه الأمة . وعند الإمام أحمد من حديث عائشة : « وَيَمَكْتُتُ

(١) أبو داود (١١٧ / ٤ ، ١١٨) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

عيسى في الأرض أربعين سنة . وللطبراني من حديث عبد الله بن مُقفل : « ينزل عيسى ابن مريم مُصدقًا بِمحمدٍ على مِلّته » . انتهى .

وقال القرطبي في « التذكرة بأحوال الآخرة » ص ٦٧٨ عند ذكره لنزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان :

قال العلماء رضي الله عنهم : وإذا نَزَلَ عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، يكون مقرّرًا لشرعية محمد ﷺ ومجدّدًا لها ، لأنّه لا نبي بعد رسول الله ﷺ يحكم بشرية غير شرعية محمد ﷺ ، لأنها أخيرُ الشرائع ، ونبيها خاتم النبيين . فيكون عيسى حَكَمًا مُسْطَطًا ، لأنّه لا سلطان يومئذ للمسلمين ، ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي لهم ، وقد قَبَضَ الله العلمَ وخلّا النَّاسَ منه .

فَيَنزِلُ وقد عَلِمَ بِأمر الله تعالى له في السماء قبل أن يَنزَلَ ، ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة ، لِيَحْكُمَ به بين الناس . وليعمل به في نفسه فيجتمع للمؤمنون عند ذلك ويحكمونه على أنفسهم ، إذ لا أَحَدَ يَصْلُحُ لذلك غيره ، ولأن تعطيلَ الحكم غير جائز ، وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بالتكليف ، فلا يزال التكليف قائمًا إلى أن لا يَبْقَى على وجه الأرض من يقول : الله ، الله . انتهى من « مختصر تذكرة القرطبي » للشُّرَّافِي ص ١٧٩ - ١٨٠ من طبعة القاهرة سنة ١٣٠٨ .

وجاء في « صحيح مسلم » ١٥ : ١٧٤ : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

قال الإمام النووي في شرحه ١٥ : ١٧٤ « قال العلماء : في هذا الحديث دليل على أن عيسى ابن مريم ﷺ ، إذا نزل في آخر الزمان نَزَلَ حَكَمًا من حُكَّام هذه الأمة ، يحكم بشرية نبينا محمد ﷺ ، ولا يَنزِلُ نبيًا ... » . اهـ (التصريح) .

(القلاص) : جمع قلوص ، وهي الناقة .

(الشحنةاء : العداوة .

(مَمَّصَرَتَيْنِ) ثوب مَمَّصَر : إذا كان فيه صَفْرَة خفيفة يسيرة .

(ويهلك الله في زمانه المِلَّلَ كلها إلا الإسلام) :

قال الشيخ عبد الفتاح « يعلق على قوله : (فَيَهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ) بما يلي :

... هذا النص في الحديث ، يفيد شمولَ طهارة الأرض من الشرك والكفر ، وانبساط الإسلام عليها ، وهو يخالف ماذهب إليه المؤلف الكشميري في كتابه « فيض الباري » ٣ : ١٩٥ ، وأتقَّله لِيَنْظُرَ فيه .

قال رحمه الله تعالى : « ما اشتهر على الألسنة أن دين الإسلام يُبَسِّطُ في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام على البسيطة كلها ، ليس في الأحاديث ، والذي فيها أنه لا يَقْبَلُ اليهودية والنصرانية بعد نزوله ، فَيَتَّقِدُ نفسه من أسلم ، وَيَقْتُلُ من أبى . وهذا أيضاً حيث يغزوني الله عيسى عليه الصلاة والسلام .

وملخص الأحاديث : أن اليوم تجري الأديان الثلاثة ، فإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لا يَقْبَلُ إلا الإسلام ، وحينئذ يكون الدين كله لله .

فهذا بيانٌ للمسألة ، لا إخبارٌ بما يكون في الخارج ، فيجوز أن يَبْقَى الكُفْرُ والكُفَّارُ أيضاً ، لكن إنْ يَبْلُغْ إليهم عيسى عليه الصلاة والسلام ، لا يقبل منهم إلا دين الإسلام ، لا الجزية ، كما هو اليوم .

ويُستفاد من الأحاديث أن الغلبة للمعهودة ، إنما تكون في الشام ونواحيه ، حيث ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفسادُ يأجوج ومأجوج في هذه الأطراف ، والجزيرة طَبَرِيَّةٌ : أيضاً نحو الشام .

وبالجملة : لم نجد في حديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام أيضاً يدور في الأرض كدور الدجال ، فلا تكون غلبة موعودة إلا في موضع نزوله ، أما سائر البلاد فسكوت عنها ، والله تعالى أعلم بما يكون فيها . انتهى .

١٠٩٧

وقال المؤلف الكشميري أيضًا في كتابه « فيض الباري » ١ : ١٧٢ ، عند حديث « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » : « أي لا يخلو زمان إلا وتوجد فيه تلك الطائفة القائمة على الحق ، لا أنهم يكثرون في كل زمان ، ولا أنهم يغلبون على من سواهم ، كما سبق إلى بعض الأفهام .

حتى إنَّ غلبة الدِّين في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام عندي ليس كما اشتهر على الألسنة ، بل للموعود هو الغلبة ، حيث يَظْهَرُ عليه الصلاة والسلام فيما حَوَّالِيهِ ، أما فيما وراء ذلك فلم يتعرضْ إليه الحديثُ ، والعموماتُ كلها واردةٌ في البلاد التي يظهر فيها ، ولا تتجاوز فيما وراءها ، وإِنا هو من بداة الوم والسبق إلى ما اشتهر بين الأنام . انتهى كلام الشيخ الكشميري ، فتأمل . اهـ . (التصريح) .

أقول :

إذا صحَّ ما ذكره الشيخ الكشميري في تفسيره هلاك الملل فهذا يرجح مذهبنا إليه أنَّ بيننا وبين نزول المسيح عليه الصلاة والسلام أمدًا تقوم به دولة عالمية للإسلام كما ورد في مضمون بعض النصوص التي وردت معنا ، ثم يحدث انحسار بالإسلام لدرجة أن القسطنطينية نفسها يحكمها النصارى من جديد ويفتحها المسلمون مرة أخرى ، وبعد الفتح الثاني يظهر الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، ولاشك أن ما ذكره الكشميري في عدم وجود نصوص تدل على تحرك عالمي للمسيح حق ، ولكن إذا عرفنا أن بأجوج ومأجوج وهم الذين يسيطرون على العالم وقتذاك يهلكون في زمن المسيح عليه السلام ، وأن المسيح عليه السلام يقتل اليهود الذين يكونون مع الدجال ، ولا يقبل من يهودي أو نصراني جزية فإن هذا يدل على هلاك للملل التي تكون في دائرة وجوده وسلطانه ، وهل يعم ذلك العالم كله أو لا ؟ الأمر محتمل وتفسيره وقوعه .

(ثم يمكث في الأرض أربعين سنة) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« يعلق على قوله : (ثم يمكث عيسى عليه السلام أربعين سنة) بما يلي :

هذه الأداة العاطفة (ثم) للترتيب الذكري لا الزمني ، إذ مكثه عليه السلام في الأرض

كله أربعون سنة منذ نزوله حتى وفاته ، وليس ابتداءها بعد قتله الدجال ، كما هو ظاهر العبارة . قاله العلامة الشيخ ناجي أبو صالح حفظه الله تعالى . اهـ (التصريح) .

١٠٧٩ - * روى أحمد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل ويذهب حمة كل ذات حمة . وينزل من السماء رزقها ، وتخرج من الأرض بركتها ، حتى يلعب الصبي بالشئبان ولا يضربه ، وترعى الغنم والذئب ولا يضرها ، ويرعى الأسد والبقر ولا يضرها » .

١٠٨٠ - * روى الترمذي عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لُد » .

١٠٨١ - * روى الطبراني ، عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال : « ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء في دمشق » .

١٠٨٢ - * روى مسلم ، عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - وجاءه رجل - فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث به الناس ؟ تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ، فقال : سبحان الله ! - أو لا إله إلا الله ، أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً ، إنما قلت : إنكم سرون بعد قليل أمراً عظيماً ؛ يحرق البيت ، ويكون ويكون . ثم سمعته يقول : قال رسول الله ﷺ :

١٠٧٩ - مسند أحمد (٢ / ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

قال ابن كثير في النهاية : تفرد به أحد وإسناده جيد قوي صالح .

١٠٨٠ - الترمذي (٤ / ٥١٥) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٦٢ - باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وقال : هذا حديث صحيح .

وأحد (٣ / ٤٢٠) . وفي بعض طرقه : « إلى جانب باب لُد » .

(لُد) : بلدة في فلسطين قريبة من بيت المقدس .

١٠٨١ - المعجم الكبير (١ / ٢١٧) .

جمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٠٨٢ - مسلم (٤ / ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٢ - باب في خروج الدجال ومكته ... إلخ .

مسند أحمد (٢ / ١٦٦) .

« يخرج الدجال في أمّتي ، فيمكث أربعين » . لا أدري - وفي رواية قال ابن عمرو : لا أدري أربعين يوماً ، أو شهراً ، أو عاماً - « فيبعث الله عيسى بن مريم ، كأنه غروة ابن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمانٍ إلا قبضته ، حتى لو أن أحداً دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه » . قال : سمعتها من رسول الله ﷺ . قال : « فيبقى شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستجيبيون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتها ، ورفق ليتها ، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله » قال : « فيصعق ، ويضعق الناس » . قال : « ثم يرسل الله » - أو قال : « ينزل الله مطراً كأنه الطل ، أو الظل » - نعمان [أحد رواة الحديث] يشك - « فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم ﴿ وقفوه لهم مسؤولون ﴾ » ثم يقال لهم : أخرجوا بعث النار ، فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » قال : « فذاك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق » .

أقول : كثيراً ما يحدث أثناء الكلام عن الساعة وأشراطها وما يكون بعدها أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد ، أو يفهم بعض الرواة عن الحديثين فهما فيصوغه بعبارة ، فيحدث لبساً أو وهم ، فمثلاً : ورد في هذا النص قول ابن عمرو : (ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى

= (كبد جبَل) : كبد الجبل : استعارة ، وللراد : ما غرض من بواطنه .

(أصغى ليتها) : اللّيت : صفحة العنق ، وإصفاؤه : إمالة .

(يصعق) : يثني عليه ويموت .

(الطل) : الندى الذي ينزل من السماء في الصحو .

على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته) فهذه الرواية تفهم :
أن بعد سبع سنين من قتل الدجال يبعث الله هذه الريح ويصفها أنها تأتي من قبل
الشام مع أن المعروف المشهور : أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة ، وبعد
وفاته يبقى الناس على فترة من الزمان على خير ، ثم تأتي ريح من قبل اليمن فتقبض روح
أهل الإيمان . فالحديث يحتاج إلى توجيه ومن ثم قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله معقباً
على رواية عبد الله بن عمرو : (ثم يمكث الناس سبع سنين) بما يلي :

« هكذا جاء في جميع نسخ « صحيح مسلم » التي رجعت إليها وهي مختلفة الطبعات ،
وهكذا جاء في « المسند » و « الدر المنثور » و « المستدرک » في جميعها بلفظ (ثم يمكث
الناس سبع سنين) برفع (الناس) على الفاعلية ، وهي رواية صحيحة واضحة ، ومعناها
عندي - والله أعلم - أن الناس يعيشون متحابين ليس بينهم عداوة ولا بغضاء سنين طويلة ،
وهي أربعون سنة كما يثبتها رواية أبي داود وأحمد المتقدم في ص ٩٦ ، ونصها : « فيمكث -
أي سيدنا عيسى - في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » . ويكون ذكر
(سبع سنين) هنا رمزاً للكثرة لا للحصر كقوله تعالى : ﴿ كَثُلَ حَبَّةِ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي
كُلِّ سَبْعَةِ مِائَةٍ حَبَّةٍ ﴾ إذ التمثيل فيها للتكثير لا للحصر ، وكقوله سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ
يَمِينَهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ﴾ . قال الألويسي في « تفسيره » ٦ : ٤٨٦ عند هذه الآية « المراد
بالسبعة الكثرة بحيث تشمل المائة والألف مثلاً ، لا خصوص العدد المعروف ، كما في قوله
عليه الصلاة والسلام : « المؤمن يأكل في مِعى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » .
انتهى .

أما الرواية التي وقعت قديماً في بعض نسخ « صحيح مسلم » بلفظ « ثم يمكث في الناس
سبع سنين » كما جاء منقولاً عن « صحيح مسلم » بهذا اللفظ في « مشكاة المصابيح » من
طبعة الهند ص ٤٨١ ومن طبعة دمشق ٣ : ٥١ وفي نسخة « المرقاة شرح المشكاة » للعلامة
على القاري ٥ : ٢٢٧ فتحتاج إلى تأويل ، إذ الضمير فيها في « يمكث سبع سنين » عائداً إلى
سيدنا عيسى ، فلماذا علّق عليها كل من الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر رحمهما الله
تعالى .

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في « تفسيره » ١ : ٥٨٢ « جاء في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يَكُثُّ في الأرض بعد نزوله أربعين سنة . رواه الإمام أحمد ، وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم أنه يَكُثُّ سَبْعَ سنين . فيَحْتَمِلُ والله أعلم أن يكون المرادُ بَلَيْثِهِ في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قَبْلَ رفعه وبعْدَ نزوله ، فإنه رَفَعَ وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح » . انتهى .

قلتُ : لكنَّ الحافظَ ابن حجر لم يَرْتَضِ هذا الجمع ، فلذا حَطَّ كلامه على أن مدة إقامته بعد نزوله عليه السلام أربعين سنة إذ ذَكَرَ رواية « سبع سنين » ثم أعقبها بروايات صحيحة فيها ذَكَرُ « أربعين سنة » وسكت عليها مرتضياً لها ، وهذه عبارته في « فتح الباري » ٦ : ٢٥٧ « روى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سَبْعُ سنين . وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يَتَزَوَّجُ في الأرض وَيَقِمُ بها تِسْعَ عشرة سنة ، وإسناد فيه راوٍ مُبْهَمٌ عن أبي هريرة يَقِمُ بها أربعين سنة ، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : فَيَمُكُثُ - أي عيسى - في الأرض أربعين سنة » . انتهى . فليكن هو المعولُ عليه ، والله تعالى أعلم . « اهـ (من التصريح) .

١٠٨٣ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزَالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ، يَقَاتِلُونَ على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة » . قال : « فَيَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام فيَقُولُ أَمِيرُهُم : تَعَالَ فَصَلِّ فيقول : لا ، إِنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء ، تَكْرِمَةَ الله هذه الأمة » .

فسر بعضهم أحاديث الطائفة بأنهم أهل الشام ومن فسرها بذلك قتادة ، وعلق الشيخ عبد الفتاح على تفسير قتادة بقوله :

« هذا التفسير من قتادة لـ (العصابة) هو أخذ أقوال عشرة لحصّها شيخنا عبد الله الغفاري في « إقامة البرهان » ص ٢٠ ، وحكى أن الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم »

١٠٨٣ - مسلم (١ / ١٣٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى بن مريم ... إلخ .
وأحمد (٢ / ٢٨٤) .

١٢ : ٦٣ ارتاح إلى أن هذه العصاة عامة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، فمنهم علماء محدثون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم زهاد ، ومنهم مجاهدون مقاتلون ، ومنهم قائلون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد أو قطر واحد « اهـ (التصريح) .

١٠٨٤ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟ » وفي رواية لمسلم (١) : « فأمامكم » . وفي رواية أخرى (٢) : « فأمامكم منكم » .

ورواه أحمد (٣) ؛ قال : « كيف بكم إذا نزل ... ؟ » .

قال الشيخ عبد الفتاح :

« قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٢٥٨ « وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى : « وإذا هم بعيسى ، فيقال : تقدم ياروح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فيوصل بكم » . ولابن ماجه في حديث أبي أمامة :

« وكلهم - أي المسلمون - يبيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، قد تقدم ليصلي بهم ، إذ نزل عيسى ، فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أقيمت » . وعند مسلم من حديث جابر : « فيقال له : صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكريمة لهذه الأمة » .

قال الحافظ ابن حجر بعد هذه الأحاديث : « وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه

١٠٨٤ - البخاري (٦ / ٤٩١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ... إلخ .

مسلم (١ / ١٣٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى ... إلخ .

(١) مسلم (١ / ١٣٦) في اللوغ السابق .

(٢) مسلم (١ / ١٣٧) ، في اللوغ السابق .

(٣) مسند أحمد (٢ / ٢٧٢) .

وذكره البيهقي في كتاب « الأنساب والصفات » ، وعزاه البخاري ومسلم ، ولفظه : « إذا نزل ابن مريم من السماء فيكم ، وإمامكم منكم » .

الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة : دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة ، والله أعلم . انتهى . وقيل . في معنى (وإمامكم منكم) : وهو منكم أي عيسى ، فوضع الاسم المظهر موضع الاسم المضمّر تعظيماً له وتريّة للمهابة في النفوس . اهـ (التصريح) .

١٠٨٥ - * روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده : ليهلن ابن مريم بفجّ الرّوحاء حاجاً أو معتمراً ، أو ليشتنّنها » .

وأخرجه أحمد في مسنده ^(١) ولفظه : « ينزل عيسى ابن مريم ، فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطي المال حتى لا يقبل ، ويضع الحراج ، وتنزل الرّوحاء ، فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها » . وتلا أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ . فرغم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موت عيسى ، فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ ؟ أو شيء قاله أبو هريرة ؟

وأخرجه الحاكم ^(٢) وصححه كما في الدر المنثور ولفظه : « ليهبطنّ ابن مريم حكماً عدلاً ، وإماماً مقسطاً ، وليسلكنّ قجاً حاجاً أو معتمراً ، وليأتينّ قبري حتى يسلم علي ، ولأردنّ عليه » . يقول أبو هريرة : أي بني أخي ! إن رأيتوه فقولوا : أبو هريرة يقرئك السلام .

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

« معنى (ليهلن) : ليرفعنّ صوته بالتلبية قائلاً : لبّيك اللهم لبّيك ، مخرمًا بحجر أو بعثرة . ومعنى (أو ليشتنّنها) : أو ليجمعنّ بين الحجّ والعمرة . وفجّ الرّوحاء : مكان في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بئر . قيل يبعد عن المدينة ستة أميال .

١٠٨٥ - مسلم (٢ / ١١٥) ١٥ - كتاب الحج ، ٢٤ - باب إهلال النبي ﷺ وهديه .

(١) مسند أحمد (٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١) .

(٢) المستدرک (٢ / ٥٩٥) ، وقال صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(وتجمع له الصلاة) : أي يصير هو الإمام في الصلاة مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى . وإمامته بالصلاة إنما تكون بعد صلاته الصبح فور نزوله مؤتمناً بإمام المسلمين إظهاراً لكرامة هذه الأمة وفضلها .

(فزعم حنظلة) : هو حنظلة الأسلمي المدني ، تابعي روى هذا الحديث عن أبي هريرة . ومعنى (زعم) : قال صادقاً . فإن الزعم كما يطلق على القول الكذب أو المشكوك فيه ، يطلق أيضاً على القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه . اهـ (التصريح) .

١٠٨٦ - * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : لا والله ما قال النبي ﷺ : « أحمر » ولكن قال : « بينا أنا نائم أطوف بالبيت ، فإذا رجل آدم سبط الشعر ، يهادى بين رجلين ، ينطف رأسه ماء » أو « يهراق رأسه ماء » ، « فقلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، فذهبت ألتفت ، فإذا رجل أحمر جسم جعد الرأس ، أغور عينه اليمنى ، كأن عينه اليمنى عنب طافية ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا الدجال ، وأقرب الناس به شبها ابن قطن » . قال الزهري : رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ، ليس عند مسلم قول الزهري .

وفي رواية ^(١) قال : ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال ، فقال : « إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنب طافية » . قال : وقال رسول الله ﷺ « أراي الليلة في المنام عند الكعبة ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما ترى من أدم الرجال ، تضرب ليمته بين منكبيه ، رجل الشعر ، يقطر رأسه ماء ، واضعاً يديه على منكبي رجلين ، هو بينهما ، يطوف بالبيت . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم ، ورأيت

١٠٨٦ - البخاري (١٢ / ٤١٧) ٩١ - كتاب التعبير ، ٣٣ - باب الطواف بالكمية في المنام .

مسلم (١ / ١٥٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٥ - باب في ذكر المسيح ابن مريم ... إلخ .

واللوطاً (٢ / ٩٢٠) ٤٩ - كتاب صفة النبي ﷺ ، ٢ - باب ماجاء في صفة عيسى ... إلخ .

(١) البخاري (٦ / ٤٧٧) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ... ﴾ .

مسلم (١ / ١٥٥) في الموضع السابق .

واللوطاً : في الموضع السابق .

ورآه رجلاً جَعْدًا قَطَطًا ، أَعْوَزَ عَيْنَ الْيَمْنَى ، كَأَشْبَهَ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِأَيْنِ قَطْنٍ ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبِي رَجُلَيْنِ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فقالوا : هذا المسيحُ الدَّجَالُ » .

وفي رواية ^(١) قال : قال النبي ﷺ : « رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَأَمَّا عِيسَى : فَأَحْمَرُ جَعْدٌ ، غَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى : فَأَادَمُ جَسِيمٌ سَبُطٌ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ » .

(آدَمُ) : رجلٌ آدم : شديدُ السُّمرة .

(يَهَادَى) : تَهَادَى الرجل في مِشِيته : إذا تَمَآيَل ، ورَأَيْتُ فَلَانًا يَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ : إذا كان يَمْشِي مُتَكَبِّئًا [عليهما] من ضَعْفٍ وَتَهَائُلٍ .
(يَنْطِفُ) : أَي : يَقْطُرُ .

(عَيْنَبَةُ طَافِيَّةٌ) : إذا كانت خَارِجَةُ الْقَدِّ وَالسُّمْتُ عَنْ أَخَوَاتِهَا فِي الْعَنْقُودِ .

(لِمَتُهُ) : اللَّمَّةُ : شعرُ الرَّأْسِ .

(رَجُلُ الشَّعْرِ) : شَعْرُ رَجُلٍ ، أَي : مُسَرَّحٌ غَيْرُ شَعَثٍ .

(قَطَطًا) : شَعْرٌ قَطَطٌ : مُتَنَاهِي الْجَعْوَدَةِ .

(الزُّطُّ) : جَبِيلٌ مِنَ الْهِنْدِ وَالسُّودَانِ ، مُعَرَّبٌ « جَت » .

قال محقق الجامع :

« قال الحافظ في الفتح : اللام في قوله : « لعيسى » بمعنى « عن » وهي كقوله تعالى :

(١) البخاري (٦ / ٤٧٧) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٨ - باب قول الله : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ... ﴾ .

هكذا في كتاب البخاري ، وليس فيه ذِكْرُ إِبْرَاهِيمَ .

وقد ذكره البرقانيُّ فيما حكاه الحميديُّ ، فقليلٌ له : فإِبْرَاهِيمُ ؟ قال : « شبيهه صاحبكم » . قال الحميديُّ : قال أبو مسعود [الدمشقيُّ] : كذا في البخاري في سائر النسخ ، عن مجاهد عن ابن عمر ، وإِنَّمَا رَوَاهُ النَّاسُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ ، فقالوا : مجاهد عن ابن عباس ، وعلى روايتهم اعتد أبو بكر البرقانيُّ ، فأخرجه في مسند ابن عباس .

﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ قال : وفيه جواز اليقين على غلبة الظن ، لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوي ، وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال ، لا عيسى ، وقرب ذلك أن كلا منهما يقال له : المسيح ، وهي صفة مدح لعيسى ، وصفة ذم للدجال ، قال : وكان ابن عمر قد سمع سماعاً جزماً في وصف عيسى أنه آدم ، فسأغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر واهم . اهـ .

أقول :

لقد مرت معنا رواية تصف المسيح عليه الصلاة والسلام بالحمرة والبياض ، فليس مارده ابن عمر في وصف المسيح صحيحاً ، بل هو الحق ، ولذلك استعمل ابن حجر تعبير الوهم أثناء الكلام عن موقف ابن عمر في وصفه المسيح بالسمره ونفيه الحمرة عنه .

قال محقق الجامع :

« ابن قطن : رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ، قال الحافظ في « الفتح » : اسمه : عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن المصطلق ، وأمه هالة بنت خويلد ، أفاده الدمياطي ، قال : وقال ذلك أيضاً عن أكثم بن أبي الجون ، وأنه قال : يارسول الله هل يضربني شبهه ؟ قال : « لا ، أنت مسلم وهو كافر » . حكاه عن ابن سعد ، والمعروف في الذي شبه به ﷺ أكثم بن عمرو بن لحي جد خزاعة ، لا الدجال ، كذلك أخرجه أحمد وغيره ، وفيه دلالة على أن قوله ﷺ : « إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة » . أي في زمن خروجه ، ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي ، والله أعلم » . ١ . هـ .

١٠٨٧ - * روى أحمد ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إني لأرجو إن طال بي عمراً أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئته مني السلام » .

١٠٨٧ - مسند أحمد (٢ / ٢٩٨) .

جمع الزوائد : (٨ / ٥) وقال رواه أحمد بإسنادين ، مرفوع وهو هذا ، وموقوف ، ورجالها رجال الصحيح .

١٠٨٨ - * روى أبو سعيد النقاش ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ ، يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ ، وَيُؤْذَنُ لِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ ، حَتَّى لَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ ، وَيَطَأُ عَلَى الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ ، وَلَا تَشَاحُّ ، وَلَا تَحَاسَدُ ، وَلَا تَبَاغُضُ » .

أقول :

هذا دليل على أن بعد وفاة عيسى عليه السلام يبقى الخير ويستمر السلام والبركة ، وأن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين كما سيمر معنا تكون بعد ذلك ، وهذا النص يؤكد أن النص المروي عن ابن عمرو الذي علقنا عليه وعلق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قد حصل فيه وهم أو لبس أو اختصار مخل من أحد الرواة .

١٠٨٨ - فوائد العراقيين .

ورواه عنه أبو نعيم كما في « كنز العمال » . ورمز السيوطي إلى حسنه ، وقوى الفاري إسناده .
وقال المناوي (فيض القدير ٤ / ٢٧٥) : ظاهر عدول المصنف للنقاش أنه لم يره مخرجا لأحد من المشاهير ، وهو غفلة فقد خرج أبو نعيم والدليلي وغيرهما .
(ملوي) : طوبى من الطيب ، ومعناها هنا : فَرَحَ وَقَرَّةَ عَيْنٍ وقد يُطلق لفظ (طوبى) ويراد به الجنة أو شجرة فيها .
(الصفا) : أي الحجر الأملس الأصم .

مسائل وفوائد

(١)

من أعظم الكتب التي ألفت في نزول المسيح عليه السلام كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » الذي حققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله ، فقد ذكر فيه مؤلف الكتاب الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ستة وسبعين حديثاً في نزول المسيح ، وأضاف إليها الشيخ عبد الفتاح حفظه الله عشرة أحاديث استدرکها على الشيخ فأصبحت الأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام ستة وثمانين ، ثم ذكر الشيخ أنور من الآثار عن الصحابة والتابعين خمسة وعشرين أثراً ، واستدرک عليه الشيخ عشرة آثار فبلغت الآثار عن الصحابة والتابعين خمسة وثلاثين ، فيكون مجموع الوارد في نزول المسيح مابين خبر وأثر (١٢١) ، فدل ذلك على أن هذه المسألة من القطعيات في الشريعة من أنكرها فقد كفر .

وفي سياق هذه الآثار والأخبار تمرّ نصوص كثيرة لها علاقة بالرجال ويأجوج ومأجوج والمهدي عليه السلام وأشراف الساعة ، مما يضاف على ماورد من أحاديث مفردة في بعض هذه الشؤون ليقومها ، ومن هنا كانت أحاديث الرجال متواترة وكذلك أحاديث المهدي عليه السلام . وفي الكتاب من الفوائد مالو وزن الكتاب بالذهب لكان قليلاً في حقه .

(٢)

ورد في القرآن الكريم أربع آيات تشير إلى نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان وهي :

١ - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ إِتَمَّ إِلَهُكِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

٢ - ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أُتِدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ (٢) .

٣ - ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

٤ - ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٢) . ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٣) . ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمُتْرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) .

أشارت الآية الأولى والثانية إلى نزوله بتكليمه الناس كهلًا والصحيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين والكهولة فوق هذه السن .

وأشارت الآية الثالثة إلى نزوله بإيمان أهل الكتاب به إيمانًا صحيحًا قبل أن يموت وذلك بعد نزوله .

وأشارت الآية الرابعة إلى أن المسيح عَلَّمَ للساعة على قراءة : أي علامة ، و (عَلَّمَ) في قراءة ، فهو في كل الأحوال يدلّ بنزوله على أن الساعة أصبحت قريبة .

روى ابن حبان (٥) ، عن أبي يحيى مولى ابن عفراء ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : « نَزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وعن ابن عباس (٦) رضي الله عنه في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) قال : خروج عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة) .

(١) النساء : ١٥٧ - ١٥٩ .

(٢) الزخرف : ٥٧ .

(٣) الزخرف : ٥٩ .

(٤) الإحسان بترتيب ابن حبان (٢٨٨ / ٨) .

(٥) مجمع الزوائد (١٠٤ / ٧) وقال : رواه أحمد والطبراني بنحوه .

وأخرجه ابن جرير .

قال الشيخ عبد الفتاح :

« أي إن سيدنا عيسى عليه السلام - والمراد نزوله - أمانة وعلمة على قرب وقوع الساعة . والآية المذكورة من سورة الزخرف : ٦١ . وهذه قراءة ابن عباس وأبي هريرة وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم كما في « تفسير ابن كثير » ٤ : ١٢٢ ، وهي قراءة الأعمش من القراء أصحاب القراءات كما في « إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر » للدمياطي ص ٢٨٦ . وقراءة الجمهور : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ . وفي هذه القراءة أيضاً الضمير عائد إلى عيسى عليه السلام . والمراد أن عيسى عليه السلام بمُحدوثة من غير أب وبإحيائه الموتى : يكفي دليلاً على صحة البعث وإعادة الخلق يوم القيامة ، وهو عليه السلام أيضاً عِلْمٌ للسَّاعَةِ أي تُعْلَمُ بنزوله ، فهو أمانة وعلمة عليها ، قال الزعزعي في « الكشف » ٣ : ٤٢٤ ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ أي إن عيسى عليه السلام شرط - علامة - من أشرافها تُعْلَمُ به ، فسُيَّ الشَّرْطُ علماً لحصول العلم به . انتهى وهكذا فسر الآية أبو حيان الأندلسي في تفسيره « البحر » ٨ : ٢٦ وابن قتيبة في « غريب القرآن » ص ٤٠٠ وغيرهم من المفسرين ، وتكون الآية بقرائنها ناطقة أن عيسى عليه السلام عِلْمٌ وعلامة على الساعة بنزوله من السماء قبل قيامها . اهـ (التصريح) .

وروى ابن جرير^(١) ، عن ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ يَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . قال : قد كلمهم عيسى عليه السلام في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم^(٢) ، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قال : قبل موت عيسى .

(١) الدر المنثور : تفسير آل عمران (٢ / ٢٥) .

(٢) الدر المنثور : تفسير النساء (٢ / ٢٤١) .

وأشار إليه ابن حجر وصححه إسناده في الفتح : ٦ / ٤٩٢ . ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤١٠ - باب نزول عيسى .

(٣)

صرّح جماعة من الراسخين في العلم أن الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام متواترة ، فقال العلامة السيد محمود الألوسي في تفسيره : « رُوح المعاني » : « ولا يَقْدَحُ في ذلك - أي في ختم النبوة - ما أَجْمَعَتُ الأُمَّةُ عليه ، واشتهرت فيه الأخبار - ولعلها بَلَّغَتْ مبلغَ التواترِ للمعنوي - ونطق به الكتابُ - على قولٍ - ووجبَ الإيمانُ به . وأكفَرَ مُنْكَرَهُ كالفلاسفة : من نَزَلَ عيسى عليه السلام آخرَ الزمان ، لأنه كان نَبِيًّا قَبْلَ تحلي نبينا ﷺ بالنبوة في هذه النشأة » . اهـ .

وقال العلامة الألوسي في تفسيره بعد هذا : « ثم إنَّ عيسى عليه السلام حين يَنْزِلُ باقٍ على نبوته السابقة لم يَعَزَلْ عنها بحال ، لكنه لا يَتَعَبَّدُ بها لِنسخها في حَقِّه وحقِّ غيره ، وتكليفه بأحكام هذه الشريعة أصلاً وفرعاً ، فلا يكون إليه عليه السلام وحي ولا نَصْبُ أحكام ، بل يكون خليفة لرسول الله ﷺ ، وحاكماً من حُكَّامِ مِلَّتِهِ بين أُمَّتِهِ بما عَلَّمَهُ في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار » . ا . هـ .

وبه صرّح الحافظ عياد الدين ابن كثير ، حيث قال في « تفسيره » في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ : « وقد تواترت الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ أنه أَخْبَرَ بِنزولِ عيسى عليه السلام قبلَ يومِ القيامةِ « إماماً عادلاً ، وحَكَمًا مُقْسِطًا » . ا . هـ . وصرّح به في تفسير سورة النساء أيضاً .

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

« [ومنهم] : الإمام ابن جرير الطبري في « تفسيره » عند قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ٣ : ٢٠٣ ، فقد قال بعد أن ذَكَرَ الأقوالَ في معنى التَّوَفِّي : « وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ من قال معنى ذلك : أتَى قَابِضُكَ من الأرض وَرَافِعُكَ إِلَيَّ . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريمَ قَيِّقَتُلُ الدَّجَالِ ... » .

قال شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه : « نظرة عابرة في مزامن من يُنْكَرُ

نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة « ص ٣١ : « وليس في قول الإمام ابن جرير الطبري : (وأولى الأقوال بالصحة) ما يحتج به أن تلك الأقوال مشتركة في أصل الصحة ، وكيف وقد ذكر بينها ما هو مغزوء إلى النصارى ؟ ولا يتصور أن يصح ذلك في نظره ، بل كلامه هذا من قبيل ما يقال : فلان أذكي من حمار ، وأفقه من جدار ، كما يظهر من عادة ابن جرير في « تفسيره » عند نقله لروايات مختلفة ، كائنة ما كانت قيمتها العلمية ، وقد يكون بينها ما هو باطل حتماً ، فلا يكون لأحد إمكان التمسك بمثل تلك العبارة في تقوية الروايات المردودة . »

قلت : وهذه قاعدة وفائدة تستفاد لفهم كلام ابن جرير في « تفسيره » فاعلموها واشدّد عليها بيدك ، فإنها من العلم المكنون .

ومنهم : الإمام المفسر ابن عطية القرطبي الأندلسي ، فقد قال في « تفسيره » : « وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الحنزيير ، ويكسر الصليب ، ويقتل الدجال ، ويفيض العدل ، وتظهر به ملة محمد ﷺ ، ويحج البيت ، ويعتبر » . انتهى .

ومنهم : العلامة الشوكاني اليمنى ، قال في كتابه : « التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح » بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك : « فتقرّر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة ، والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة » . كما نقله عنه أستاذنا العلامة الشيخ عبد الله ابن الصديق الغماري فرج الله عنه في كتابه : « عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام » ص

ومنهم : شيخ شيوخنا العلامة المحدث الشريف سيدي محمد بن جعفر الكتّاني رحمه الله تعالى في كتابه : « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » : ص ١٤٧ حيث قال : « وقد ذكرنا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . ثم قال : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجال وفي نزول عيسى ابن مريم عليه السلام . » اهـ (التصريح) .

(٤)

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله:

(تواردت النصوص المتواترة على نزول سيدنا عيسى عليه السلام ، ولكن لا توقيت فيها لزمان نزوله بالتحديد والتعيين ، وإنما التوقيت فيها بالأمارات والعلامات الدالة على نزوله .

قال الإمام ابن جرير الطبري في مقدمة « تفسيره » : ١ : ٧٤ و ٩٢ : « تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة : أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحجب علمه عن جميع خلقه ، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزول عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وما أشبه ذلك .

فإن تلك أوقات لا يعلم أحدٌ حدودها ، ولا يعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبر بأشراتها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه ، وبذلك أنزل ربنا حكم كتابه ، فقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْحَتُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وكان نبينا محمد ﷺ إذا ذكر شيئاً من ذلك ، لم يدل عليه إلا بأشراطه ، دون تحديده بوقته ، كالذي روي عنه ﷺ أنه قال لأصحابه ، إذ ذكر الدجال : « إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه ، وإن يخرج بعدي ، فالله خليفتي عليكم » . ومما شبه ذلك من الأخبار الدالة على أنه ﷺ ، لم يكن عنده علم أوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرفه بحبيته بأشراطه ، ووقته بأدلتها » (اهـ) (التصريح) .

(١) الأعراف : ١٨٧ .

(٥)

جدول ماثبت بالقرآن والسنة من أمارات المسيح عيسى عليه السلام
تأليف العلامة المحقق الجليل الشيخ محمد شفيع
مفتي باكستان حفظه الله تعالى

لنقلها مع شيء من الحذف :

- اسمه السامي : عيسى ، يدل عليه ما لا يحصى من الآيات والأحاديث .
- كنيته : ابن مريم ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ مريم : ٣٤ .
- لقبه : المسيح .
- و : كلمة الله .
- و : روح منه ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ النساء : ١٧١ .
- والدته : مريم ، يدل عليه ما لا يحصى من الآيات والأحاديث .
- نقي الوالد : ولد عيسى من غير أب بمحض قدرة الله تعالى .
- والد أمه : عمران عليه السلام ﴿ ومريم ابنة عمران ﴾ التحريم : ١٢ .
- خاله : هارون ﴿ ياأخت هارون ﴾ مريم : ٢٨ .
- والدته أمه : امرأة عمران - حنة - ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾ آل عمران : ٣٥ .
- نذر جدته حملها للوقف على بيت المقدس : ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ آل عمران : ٣٥ .
- ولادة حملها أنثى : ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ آل عمران : ٣٦ .
- اعتذارها في حضرة الله بأنها وضعتها أنثى وهي لا تليق أن تخدم بيت المقدس :

﴿ قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ آل عمران : ٣٦ .

- تسميتها مريم : ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ آل عمران : ٣٦ .

بعض ماورد من أحوال أمه عليها السلام

- استعاذتها : من مس الشيطان : ﴿ أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ آل عمران : ٣٦ . وقد نص الحديث النبوي بأن هذا مما خص الله به مريم عليها السلام كما في صحيح البخاري ومسلم .

- اختصاص مجاوري بيت المقدس في تربية مريم وكفالة زكريا عليه السلام لها : ﴿ وماكنت لديهم إذ يُلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون ﴾ آل عمران : ٤٤ .

- إقامتها بالحراب ورزقها من الغيب : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أتى لك هذا ﴾ آل عمران : ٣٧ .

- سؤال زكريا عن الرزق وجوابها أنه من عند الله : ﴿ قالت هو من عند الله ﴾ آل عمران : ٣٧ .

- مخاطبة الملائكة إياها : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله ﴾ آل عمران : ٤٢ .

- كونها مقبولة عند الله : ﴿ واصطفاك ﴾ آل عمران : ٤٢ .

- كونها طاهرة من الحيض : ﴿ وطهرتك ﴾ آل عمران : ٤٢ .

- كونها أفضل نساء زمنها : ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ آل عمران : ٤٢ .

- ذهابها إلى زاوية : ﴿ إذ انتبذت من أهلها ﴾ مريم : ١٦ .

- كون الزاوية في جانب شرقي : ﴿ مكانا شرقيا ﴾ مريم : ١٦ .

- اتخاذها حجابا : ﴿ فاتخذت من دونهم حجابا ﴾ مريم : ١٧ .

- وجاءها ملك بشكل إنسان ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا مويًا ﴾ مريم : ١٧ .

- استعازتها : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك ﴾ مريم : ١٨ .
- ثم بشرها الملك بولادة عيسى عليه السلام : ﴿ لأهب لك غلامًا زكياً ﴾ مريم : ١٩ .
- تعجبها بهذا الخبر ﴿ ألي يكون لي غلام ﴾ مريم : ٢٠ .
- إخبار الملك بأن ذلك ليس بصعب على الله ﴿ قال ربك هو عليّ هين ﴾ مريم : ٢١ .
- حملها عيسى بحض قدرة الله من غير أن يمسه رجل : ﴿ فحملته ﴾ مريم : ٢٢ .
- ذهابها إلى جذع نخلة وقت الخاض : ﴿ فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة ﴾ مريم : ٢٣ .
- وقال العلماء : إن كل ما حصل لمريم عليها السلام من خوارق العادة كان في الأصل إرهاصات تبشر بنبوّة عيسى عليه السلام .

محل ولادته عليه السلام وكيفية ذلك

- ولد في زاوية بستان بعيد من العمارة : ﴿ فانتبذت به مكانًا قصياً ﴾ مريم : ٢٢ .
- كانت متكئة إلى جذع نخلة : ﴿ فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة ﴾ مريم : ٢٣ .

أحوال مريم بعد ولادته عليه السلام

- اضطرابها حياءً وخوفاً من تهمة الناس : ﴿ قالت ياليتني مت قبل هذا ﴾ مريم : ٢٣ .
- نداء الملك من تحت الشجرة أن لا تحزني فقد منحك الله ابناً من سادة الناس : ﴿ ألا تحزني قد جعل ربك تحتك مرياً ﴾ مريم : ٢٤ .
- رزقها الله تعالى رطباً جنياً ، ﴿ تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ مريم : ٢٥ .
- إتيانها قومها بعيسى عليه السلام في حجرها : ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ مريم : ٢٧ .
- تهمة القوم للسيدة مريم : ﴿ يا مريم لقد جئت شيئاً فريراً ﴾ مريم : ٢٧ .
- كلام سيدنا عيسى عليه السلام في حجرها : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب ﴾ : مريم : ٣٠ .

وجاهة عيسى عليه السلام

- ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾ آل عمران : ٤٥ .
- قامته معتدلة .
- لونه أبيض مشرب بالحمرة .
- شعر رأسه ممتد إلى منكبيه .
- شعره أسود كأنه يقطر وإن لم يصبه بلل .
- شعره جعد ، في بعض الروايات أنه سبط ، ويمكن أن هذا الاختلاف باختلاف الأوقات .

- نظيره في الحلية : يشابه من الصحابة عروة بن مسعود رضي الله عنه .

خصائص عيسى المسيح عليه السلام

- إحيائه للموتى بإذن الله ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ آل عمران : ٤٩ .
- إبراء الأكمه بإذن الله : ﴿وأبرئ الأكمه﴾ آل عمران : ٤٩ .
- إبراء الأبصر بإذن الله : ﴿وأبرئ الأبصر﴾ آل عمران : ٤٩ .
- النفخ في تراب حتى يصير طيراً ﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ آل عمران : ٤٩ .
- الإخبار بما أكله الناس وما ادخروه في بيوتهم : ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ آل عمران : ٤٩ .
- عزم بني إسرائيل على قتله ، وحفظ الله تعالى له : ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ آل عمران : ٥٤ .
- رفع الله تعالى له إلى السماء حياً : ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ آل عمران : ٥٥ .
- نزوله عليه السلام من السماء إلى الدنيا ثانياً في قرب من يوم القيامة .

حليته عليه السلام وقت نزوله

- يلبس ثوبين أصفرين .
- على رأسه قلنسوة طويلة .
- يلبس درعاً .

بعض أحواله عليه السلام وقت نزوله

- ينزل واضعاً يديه على أجنحة ملكين .
- في يده حربة يقتل بها الدجال .
- لا يجد كافر ريح نفسه إلا ويموت .
- يبلغ نفسه إلى ما يبلغ طرفه .

محل نزوله عليه السلام ووقت نزوله

- ينزل في الشام .
- ينزل في الجانب الشرقي من دمشق .
- ينزل عند المنارة البيضاء .
- وقت نزوله : عند صلاة الفجر .

أحوال الحاضرين في المسجد وقت نزوله عليه السلام

- جماعة من المسلمين يقودهم المهدي يجتمعون لقتال الدجال .
- يؤمهم الإمام المهدي .

بعض أحواله بعد نزوله عليه السلام

- يدعو الإمام المهدي لإمامة الصلاة بالناس فيأبى .

- حينما يريد الإمام المهدي أن يتخلف يضع عيسى عليه السلام يده على ظهره ولا يرضى إلا أن يكون المهدي إمامًا .

- ثم يتقدم الإمام المهدي ويصلي بهم .

- إقامته في الدنيا بعد نزوله أربعين سنة .

- نكاحه بعد النزول وأولاده : يتزوج عيسى عليه السلام بعد النزول .

- يتزوج عيسى بامرأة من قوم شعيب عليهما السلام .

- يولد له بعد نزوله أولاد .

المشروعات التي يقوم بها بعد نزوله عليه السلام

- يكسر الصليب ويستأصل عبادته ولا يَبْقَى في الدنيا من النصرانية شيئًا .

- يقتل الخنازير .

- يفتح باب المسجد بعد الفراغ من الصلاة فيرى وراءه الدجال وقومًا من اليهود .

- يقاتل عليه السلام الدجال وأعوانه من اليهود .

- يقتل الدجال .

- يقتل عليه السلام الدجال في أرض فلسطين عند باب لد .

- ثم يقتل عليه السلام مابقي من اليهود .

- ولا يجد يهودي ملجأ .

- حتى تشهد الحجارة والأشجار على أن وراءها يهوديًا .

- ومن أجل ذلك لا يبقى حكم الجزية .

- ويعم عليه السلام الناس بالمال حتى لا يبقى من يقبل الصدقات .

- ويؤم عليه السلام الناس بعد صلاة الفجر الأولى التي صلاها مقتدياً بالإمام المهدي .
- يسافر إلى موضع فج الروحاء .
- يحج أو يعتمر أو يؤدي كلا النسكين .
- يسافر إلى روضة سيد الأنبياء ﷺ .
- ويرد على سلامه سيّد الأنبياء ﷺ .
- مذهبه الذي يدعو إليه الناس : يعمل بالقرآن والسنة ويحث الناس عليه .

البركات الظاهرة والباطنة في زمنه عليه السلام

- تنزل في زمنه بركات دينية ودنيوية من كل نوع .
- ويخرج الحقد والضغينة من أفئدة الناس .
- يكون الرمان في زمانه كبيراً حتى تكفي الرمانة الواحدة لجماعة من الناس .
- ويكفي لبن ناقة واحدة لجماعة من الناس .
- ويكفي لبن شاة واحدة لقبيلة واحدة .
- وتنزع الحمة من كل ذيّ حمة حتى يدخل الوليد يده في فم الحية فلا تضره .
- وتكشف الوليدة عن أسنان الأسد فلا يضرها .
- ويكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها .
- وتمتلئ الأرض من السلم كما يمتلئ الإناء من الماء .
- ولا يوجد فقير وترك الصدقة .

أحوال العرب في ذلك الزمان

- العرب يومئذ قليل وأكثرهم ببيت المقدس .

- يجتمع المسلمون ببجل أفيق حذرًا من الدجال .
- ويصيب المسلمين بؤس ومجاعة شديدة حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه ويأكله .
- ثم ينادي مناد : يا أيها الناس أتاكم الغوث .
- فيتعجب منه الناس ويقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شيعان .
- وفاته عليه السلام وبعض الأحوال قبل وفاته**
- ويأمر المسيح عليه السلام بأن يستخلفوا بعده رجلاً من بني تميم اسمه : المقعد .
- ثم يتوفاه الله تعالى .
- قبره عليه السلام : ويدفن في روضة النبي ﷺ بجانب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .
- أحوال المسلمين بعد وفاته عليه السلام**
- ويستخلف الناس (المقعد) كما أمرهم المسيح عليه السلام .
- اهد من (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

الفقرة الحادية والعشرون

في :

يأجوج ومأجوج

مقدمة

- ذكر الله عز وجل يأجوج ومأجوج في موضعين من كتابه ، مرة في سياق بناء السد الذي بناه ذو القرنين ليحمي به أقوامًا من إفسادهم : ﴿ قَالُوا يَاذَا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾ قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ﴾ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴾ فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً ... ﴿^(١) .

وذكرهم القرآن مرة أخرى في سورة الأنبياء^(٢) :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ واقترب الوعد الحق ﴿ .

وقد أخذ الكلام عن يأجوج ومأجوج وعن ذي القرنين وعن السد الذي بناه كل ما أخذ وتشتت بالمفسرين المذاهب والافتراضات والحد الذي لا خلاف عليه هو أن مجيء يأجوج ومأجوج إلى بلاد الشام زمن عيسى ابن مريم وما يحدث لهم هو من اشرط الساعة الكبرى .

- ونقطة البداية الصحيحة في البحث هو أن الذي توجه بالسؤال عن ذي القرنين هم اليهود أو قريش بإحياء من اليهود وكان السؤال امتحاناً لنبوة رسول الله ﷺ فيكون الجواب الصحيح من أعلام النبوة ومعجزاتها ، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الجواب معروفاً عند السائلين أو الدافعين للسؤال ، وبالجواب الصحيح تقوم الحجة عليهم وتثبت بذلك الحجية برسالة محمد ﷺ على أهل السؤال وغيرهم ، وقد انطلق من هذا العلامة الهندي الكبير أبو الكلام

١) الكهف : ٩٤ - ٩٧ .

٢) الأيتان ٩٦ ، ٩٧ .

أزاد في بحثه الذي نشر تحت عنوان (يسألونك عن ذي القرنين) فأقن به بما يثبت المعجزة ويقم الحجّة ، وقد استغرق البحث مائة وثلاث صفحات تحدّث فيه عن شخصيّة ذي القرنين كما ذكرها القرآن ثمّ تحدّث فيه عن حيرة المفسّرين في تعيين شخصه ثمّ وصل إلى أنّ المفروض أن تكون نقطة البداية في البحث هي في كتب العهد القديم على اعتبار أنّ السائلين أو الدافعين للسؤال هم اليهود فعثر على نقطة البداية في سفر دانيال وهذه هي :

« في السنة الثالثة لجلوس بيلش فر الملك كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال عيلام على شاطئ النهر أولائي ، فرأيت الرؤيا للمرة الثانية ، رأيت كبشاً واقفاً على شاطئ النهر له قرنان عاليان . وكان الواحد منها منحرفاً إلى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غرباً وشرقاً وجنوباً لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيراً جداً وبينما أنا أفكر في هذه الظاهرة إذ رأيت تيساً أقبل من جهة الغرب وغشي وجه الأرض كلها ، وكان بأسارزا بين عَيْنَيِ التيس قرن عجيب . ثم إن التيس اقترب من الكبش ذي القرنين ونفر منه مفضباً ثم عمد إليه فكسر قرنيه وصرعه وداسه فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزاً عن مقاومة ، محروماً من ناصر ينصره عليه . » سفر دانيال ٨ : ١ .

ثم ذكر الكتاب على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح رؤياه قائلاً : إن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين ، مادا وفارس، فيملكها ملك قوي لا تقدر دولة على مواجهته . أما التيس ذو القرن الواحد الذي رآه بعد الكبش ، فالمراد منه ملك اليونان ، والقرن البارز بين عَيْنَيِ التيس ، يدل على أول ملك من اليونان (٨ : ١٥) . اهـ رسالة (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ومظهر هذه النبوءة المتفق عليه هو الملك (قورش) أو (غورش) والذي يسميه اليونان (سائرس) واليهود (خورس) وهو الذي وحد مملكتي مادا وفارس واستولى على بابل وكانت له ثلاثة توجهات في حروبه : توجّه نحو الغرب حارب فيه اليونان وقهرهم ، وتوجه نحو الشرق حارب فيه قبائل رحلا ، وتوجه نحو الشمال سيطر فيه على القبائل الجبلية ، وكان من صفاته الرحمة والعدل والحرص على الرعيّة ، وكان على الدين الصحيح لزرادشت الذي قام دينه على التوحيد ثمّ حرّفه الديانة المجوسية التي كانت سابقة على دين

زرادشت ، ويرجّح أبو الكلام أنّ (قورش) كان معاصرًا لزرادشت ، وأنّ هذه المملكة التي أقامها قورش أنهاها بعد فترة الإسكندر المقدوني وهو الذي ذكرته رؤيا دانيال بأنّه ذو القرن ، ومن نبوات أشعيا في (قورش) مايلي :

« وإني أقول في حق خورس (غورش) بأنّه راع لي وهو يتم مرضاتي كلها ... يقول الرب في شأن مسيحه خورس ، أنا أخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم في حوزته وأنزع القوة من سواعد الملوك وأفتح له الأبواب تلو الأبواب . أجل ، إني أمشي بين يديك وأقوم ما اعوج من سبلك ، وأكسر الأبواب النحاسية ، وأمنحك الخزائن المدفونة والكنوز التي في البيوت المغيبة . أفعل كل ذلك لتعلم أنني أنا الرب ، إله إسرائيل الذي ناداك باسمك صراحة لأجل إسرائيل ، شعبه المختار » (٤٥ : ١) .

وشبه غورش بعقاب الشرق في مكان آخر من الكتاب فقال : « ها ! انظروا ، إني أدعو عقابًا من الشرق أدعو ذلك الرجل الذي يأتي من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتي » (٤٦ : ١١) هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

فسفر أشعيا يشبه قورش بالعقاب ، وسفر دانيال يصفه أنّه ذو القرنين ، وقد عثر على تمثال لقورش يعتبر من أعظم الآثار الفارسيّة القديمة لقورش فيه جناحا عقاب وقرنان ، ومن المعروف أنّ قورش هو الذي أتقذ اليهود من أسر بابل ، ولذلك فإنّ له مقامًا كبيرًا عندهم .

كان ظهور أمر قورش في سنة (٥٥٩) ق . م . في ظروف لم تكن مقدّماتها لتؤهل إلى أن يصل قورش إلى الملك ولم يكد يستقرّ له الملك حتّى دانت له مادا وفارس تلقائيًا ثمّ خضعت له ولايات ومهدّ لخضوع ولايات لخلفائه فكانت مجموع الولايات التي خضعت له ولخلفائه ثمانية وعشرين ولاية حتّى انتهى هذا الوضع للإسكندر المقدوني ، وكانت حملته الأولى نحو الغرب إلى بلاد الأناضول التي كانت يونانيّة وقتذاك وهي التي بدأت الحرب فانتصر عليها وعاملها برحمة ووصل بحربه هذه إلى شاطئ البحر وكان هجومه الثاني نحو الشرق ففتح مايسمى الآن بـكران وبلوخستان وبلخ ، والغالب أنّه فتح بلاد السند في حملته هذه .

وكانت في هذه المناطق قبائل هجينة يغلب على معظمها الترحل ، ثم فتح بعد ذلك بابل وأتخذ اليهود من الأسر ، ثم كان هجومه الثالث نحو الشمال أي نحو البلاد التي سميت فيما بعد بالقوقاز ، وقد وصل غوروش في حربه هذه إلى نهر أطلق عليه ولا يزال يطلق عليه اسم (نهر سائرس) أي نهر غوروش ، وهناك بنى سداً حديدياً في الممر الجبلي الوحيد الذي يمكن أن يعبر منه سكان شرقي تلك البلاد إلى أرض القوقاز وكانت وفاته سنة (٥٢٩) قبل الميلاد ومن المجمع عليه عند كل من كتب عنه من صديق وعدو أنه كان عادلاً رحيماً حكيمًا ، وأسفار العهد القديم تصفه بالتوحيد والعبودية الخالصة لله عز وجل ، وتعليل ذلك أنه كان من أتباع زرادشت نبي الفرس على القول الراجح وذلك قبل أن يحرف دين زرادشت .

- وبعد أن يعرض أبو الكلام أزداد هذا العرض يأتي بالنص القرآني الوارد في حق ذي القرنين ويبرهن على أنه ينطبق على قورش ، وبالنسبة للعين الحمة التي وقف عندها ذو القرنين يقول أبو الكلام :

« لنضع خريطة الساحل الغربي لآسيا الصغرى أمامنا . نرى فيها معظم الساحل قد تقطع في خليج صغيرة ، لا سيما على مقربة من أزمير ، حيث اتخذ الخليج صورة عين . كانت سارديز على مقربة الساحل الغربي ، ولا تبعد كثيراً عن أزمير الحاضرة . فلنا أن تقول إن غوروش لما تقدم بعد استيلائه على سارديز ، وصل من ساحل بحر أيجة إلى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل ، فرأى الشمس تغرب مساء في هذه العين ، هذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ ^(١) . أي أنه تراءى له كأن الشمس تغرب في بقعة كدرة من الماء .

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب في مكان ما ، ولكنك إن وقفت على ساحل بحري ، رأيت الشمس كأنها تغرب رويداً رويداً في البحر » . ا.هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ثم يتحدث أبو الكلام أزداد عن المهمة الشرقية ويذكر أن كلاً من المؤرخين اليونانيين

(١) الكهف : ٨٦ .

هيرودوتس وفي سياز يذكرانها ويقولان :

« إن طفيان بعض القبائل الممجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة » .

يقول أبو الكلام : (وهذا يطابق ما قاله القرآن : ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴾ ^(١) . أي أنه لما وصل إلى نهاية الشرق ، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يستترون به عن قيظها ، يعني أنهم كانوا من القبائل الرحالة التي لا تسكن المدن ولا تبني لها البيوت) ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ثم يتحدث أبو الكلام عن المهمة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج . قال أبو الكلام :

كانت هذه مهمته الثالثة ، وصل بها ، تاركاً على يمينه بحر الخزر ، إلى جبال القوقاز Caucasus حيث وجد مضيقاً بين جبلين منها .

ذكر القرآن هذا الخبر قائلًا : ﴿ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ ^(٢) . أي أنهم كانوا جبليين متوحشين ، حرموا من المدنية والعقل والفهم .

والمقصود بسدين ، مضيق في جبال القوقاز . وإنك تجد على يمين القوقاز ، بحر الخزر الذي يسد طريق الحافة الشرقية منها ، وعلى اليسار البحر الأسود الذي يسد طريق الحافة الغربية ، وترى في الوسط سلسلة جبالها الشاهقة التي صارت جداراً طبيعياً ، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجرين من الشمال إلا مضيق وسطى في هذه الجبال ، يجتازه المهاجرون ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه . فبنى غوروش في هذا المضيق سداً حديدياً ، أخذ به الطريق على المغيرين . ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد باباً مقفلاً منيعاً لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطنة في آسيا الغربية وفي مصر من جهة الشمال . اهـ .

(١) الكهف : ٩٠ .

(٢) الكهف : ٩٣ .

وقال أبو الكلام :

« أما القوم الذين وجدتم ذو القرنين هنالك ، وكانوا خلوا من العقل ، فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم « كولشي » وذكروا في لوحة دارايوش باسم « كوشيا » . هؤلاء الذين شكوا إلى غوروش هجمات يأجوج ومأجوج ، ولما كانوا مجردين من الحضارة ، وصفهم القرآن بقوله : ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ﴾ ^(١) . أي لا يفهمون الكلام » . اهـ .

وبعد أن يبرهن أبو الكلام على أن كل ماوصف به القرآن ذا القرنين ينطبق على قورش ينقل عن مؤرخين يونانيين هما في الأصل من أمة معادية للفرس ماقالاه في قورش :

ويقول هيرودوتس : « كان (غوروش) ملكا كريما ، جوادا سمحا للغاية ، لم يكن حريصا على جمع المال كغيره من الملوك ، بل كان حرصه على الكرم والعطاء . يبذل العدل للمظلومين ، ويحب كل مافيه خير البشر » .

ويقول زينوفن : « كان ملكا عاقلا رحيما ، اجتمعت فيه مع نبل الملوك فضائل الحكماء ، همته تفوق عظمتهم ، وجوده يغلب جلالته ، خدمة الإنسانية شعاره ، وبذل العدل للمظلومين ديدنه . حل فيه - مكان الكبر والعجب - التواضع والسماحة » . اهـ .

وبعد كلام طويل ينتقل إلى الحديث عن سد يأجوج ومأجوج . فيقول أبو الكلام :

(علينا أن نتذكر في معالجة هذا البحث أن القرآن ذكر أمرين عن السد بخصوصية ، وهما أنه ، أي السد ، بُني في مكان ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه ، أي كان المكان مضيقا جبليا ، وأن السد الذي أقيم به ، استخدمت فيه زبر الحديد ، وأفرغ عليها النحاس المذاب ، وعلى ذلك يجب أن نجد السد في مضيق جبلي ، ويجب أن يكون هو جدارا حديديا ، لا جدارا من الحجر والآجر ، ويكون قد سد طريق المضيق الجبلي) . اهـ .

ثم يتحدث عن يأجوج ومأجوج فيقول :

(إن كلمتي « يأجوج » و « مأجوج » تبدوان كأنهما عبريتان ، ولكنها في أصلها قد لا تكونان عبريتين . إنها كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية ، فهما تنطقان باليونانية « غاغ » (Gog) و « ماغاغ » (Magog) وقد ذكرنا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة ، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الأوربية .

وقد ورد هذا الاسم لأول مرة في التوراة في كتاب الخلق عند ذكره خروج أمم العالم من ذرية نوح ، فقال : « ولد ليفاث بن نوح ، جمر ، ومأجوج ، ومادي ، ويونان ، وتوبال ، ومسك ، وتيراس » (١٠ : ٣) ثم تكرر ذكرهم في الصحف الأخرى ، وقد ذكروا بصراحة وتعيين واضحين في صحيفة حزقيال كما ستراه . وكذلك جاءت نبوءة بظهورهم في مكاشفات يوحنا من العهد الجديد .

فمن كان هؤلاء القوم ياترى ؟ لقد تضافرت الشواهد التاريخية على أنهم لم يكونوا إلا قبائل هجبة بدوية من السهول الشمالية الشرقية ، تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخي إلى القرن التاسع الميلادي نحو البلاد الغربية والجنوبية . وقد سميت هي بأسماء مختلفة في عصور مختلفة ، وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم « ميغر » في أوروبا ، وباسم التتار في آسيا . ولا شك أن فرعا لهؤلاء القوم ، كان قد انتشر على سواحل البحر الأسود في سنة ٦٠٠ ق . م . وأغار على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز . وقد سماه اليونان باسم « سي تين » (Sythians) وذكر بنفس هذا الاسم في كتابة دارايوش باستخر . ولنا أن نجزم بأن هؤلاء هم الذين شكت غاراتهم الشعوب الجبلية إلى غوروش ، فبنى السد الحديدي لمنعها .

القبائل المنغولية واليواشية :

تسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية من الأرض « منغوليا » وقبائلها الرحالة « منغول » وتقول لنا المصادر الصينية إن أصل كلمة منغول ، هو « منكوك » (بالكاف الفارسية بعد النون) أو « منجوك » (بالجم الفارسية) وفي الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبري « ماكوك » (بالكافين الفارسيين) والنطق اليوناني « ميكاك » (بالكافين الفارسيين) .

ويخبرنا تاريخ الصين عن قبيلة أخرى من هذه البقعة ، كانت تعرف باسم « يواشي » والظاهر أن هذه الكلمة مازالت تحرف عند الأمم حتى أصبحت « ياجوج » في العبرية .

منغوليا ، مهد الشعوب القديمة :

إن الجزء المرتفع من الكرة الأرضية الواقع في الشمال الشرقي الذي يسمى الآن بمنغوليا وتركستان الصينية ، كان مهداً لشعوب قديمة لا تحصى . إنه كان معيناً بشريا ، تتدفق مياهه وتتجمع ، حتى إذا بلغت النهاية طغت وانصبت إلى الغرب والجنوب ، وجدت الصين في الشرق منه ، وآسيا الغربية والجنوبية في غربه وجنوبه ، وأوروبا في الشمال الغربي منه ، فما زالت سيول القبائل والشعوب تتدفق ، فيستوطن بعض القبائل آسيا الوسطى والبعض الآخر يتقدم فيصل إلى أوروبا ، أو ينزل بآسيا الغربية والجنوبية . وكانت هذه القبائل بعد خروجها من مسقط رأسها ، وحط رحالها في البلاد الجديدة ، تفقد خصائصها الأولى وتصطبغ بصبغة أوطانها الجديدة ، فتصير على مرور الأيام شعوباً بنفسها . ولما كان موطنها القديم لا تتغير أحواله ، لم تزل تنشأ فيه قبائل جديدة ، وتتدفق في دورها إلى الخارج كأخواتها السابقة ، دون أن تتغير هذه البقعة بل تظل على هجيتها القديمة ، ولكن الذين كانوا ينسحبون منها ويسكنون البلاد الأخرى ، كانوا يتحضرون مع مر الزمن ، فتختلف حالتهم الجديدة عن الحالة القديمة ، فبينما المدنية تهذبهم وتزيل بربريتهم ، فيشتغلون بالزراعة والصناعات ، ويعيشون عيشة سهلة هنية ، يبقى إخوانهم في مسقط رأسهم على حالتهم الأولى من الهمجية والخشونة والقسوة ، ولذلك يظنون شعباً خيفاً للمتحضرين) . اهـ .

ثم يتحدث أبو الكلام عما عرف تاريخياً من موجات متعاقبة لخروج ياجوج ومأجوج ، فوجة كانت نحو آسيا الوسطى ، وموجة نحو آسيا الغربية ، وموجة أخرى نحو آسيا الغربية التي أوقفها (قورش) وموجة نحو الصين اقتضت من إمبراطور الصين (شين هوانغ تي) أن يبني جدار الصين العظيم ، وموجة نحو أوروبا بقيادة أتيلأ أنهت الإمبراطورية الرومانية ، وموجة نحو الشرق العربي بقيادة جنكيز خان كان من آثارها تدمير أكثر البلدان الإسلامية ومنها بغداد (أقول : ولعلها المشار إليها بالحديث : « ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتّح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج كذا » . وحلق الرسول ﷺ بين أصبعيه) .

« ويذكر أبو الكلام نبوءة لحزقيال عن يأجوج ومأجوج تذكر جوج بأنه رئيس منسك وتوبال فيقول ليس منسك إلا مانسميه الآن موسكو ، أما توبال فهي بلاد البحر الأسود المرتفعة » ، ومن كلام أبي الكلام نفهم أن يأجوج ومأجوج يشكلون الشعوب التي تعتبر وراء جبال القوقاز كما يشكلون بالموجات التي انساحوا فيها في البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وسيطروا عليها وامتزجوا بها بشعوب أخرى ، إنهم يشكلون أكثرية سكان هذا العالم ، وهذا الذي يشير إليه الحديث الصحيح الذي يذكر أن الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وأن سبب كثرة بعث النار وجود أمتين يأجوج ومأجوج ماكانتا في شيء إلا كثرتا ، فسكان أوروبا وآسيا الشرقية بما في ذلك الصين وسيبيريا ومنغوليا وحتى الجنس الآري كله مظنة أن يكون لهم صلة بيأجوج ومأجوج ، أما من هم الذين انصبت عليهم النصوص بأن خروجهم ومجيئهم إلى بلاد الشام قبيل يوم القيامة ، فأمر غيبي يعرف ساعة وقوعه ولنعد إلى كلام أبي الكلام آزاد : يخصص أبو الكلام آخر بحثه عن سد يأجوج ومأجوج ومن كلامه :

(توجد في البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال قوقاز كأنها جدار طبيعي ، وقد سد هذا الجدار الجبلي الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب ، إلا طريقاً واحداً بقي مفتوحاً ، وهو مضيق في وسط سلسلة الجبال ، يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق في أيامنا هذه بمضيق داريال ، ويشار إلى موضعه في الأطالس الحاضرة بين ولادي كيوكز Vladi Koukas وطفليس ، حيث يوجد إلى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان ، ولا ريب أن هذا هو الجدار الذي بناه غوروش إذ تنطبق عليه الأوصاف التي وصف بها القرآن سد ذي القرنين قائلاً إنه استخدمت في بنائه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس بعد أن أذابوه لتتصل مفاصله ، فلا يبقى به خلل ، وقال إنه بني بين جدارين جبليين . وهذا هو مانراه في مضيق داريال جدارين جبليين شاهقين أقيم بينهما هذا السد الحديدي الذي قفل باتصاله بالجدارين الطريق الذي كان مفتوحاً بينهما .

وإن الكتابات الأرمنية لها أهمية كبيرة في المسألة ، لأنها لقرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية ، قد سمي هذا السد أو الجدار الحديدي في اللغة الأرمنية من الدهور السالفة

بـ « بهاك غورائي » و « كابان غورائي » ومعنى الكلمتين واحد وهو « مضيق غوروش » أو « ممر غوروش » . ولا يخفى أن « غور » جزء لاسم غوروش بلا ريب . أفلا يثبت هذا أن غوروش هو الذي بنى الجدار وإليه نسبوه من قديم الزمان ؟

وهناك شهادة أخرى لا تقل في أهميتها عن الأولى ، وهي شهادة لغة بلاد جورجيا التي هي القوقاز بعينها ، فقد سمي هذا المضيق باللغة الجورجية من الدهور الغابرة « الباب الحديدي » وترجمه الأتراك إلى لغتهم « دامركبو » وهو مشهور إلى الآن عندهم .

ألف الكاتب التركي وأستاذ التركية والفارسية في سنت بتربورغ ، كاظم بك في سنة ١٨٤٥ تاريخاً لهذه الجهات باسم « دربند نامه » وترجم الكتاب إلى الإنكليزية باسم تاريخ دربند ، فراجعته ، ص ٢١ .

أما المؤرخون القدماء ، فأول من ذكره منهم ، هو الرحالة اليهودي الشهير ، يوسف الذي كان عائشاً في القرن الأول الميلادي ثم ذكره بعد أن عاينه بنفسه المؤرخ بروكوبيس Procopius في القرن السادس الميلادي ، وذلك أن القائد الروماني ، بلي ساريس Bolisarius لما أغار على هذه الجهة في سنة ٥٢٨ م كان الرجل معه فشاهد الأرض وما عليها .

سبق لنا أن أشرنا إلى « نهر سائرس » الذي يثبت وصول غوروش إلى هذه البقعة ، فهناك في القوقاز أنهار ، ينبع كلها من هذه الجبال . وقد سمي واحد منها بنهر سائرس أي غوروش . وقد وثقت المصادر الأرمنية والكرجية هذا الاسم . وذكره كذلك بعض السياح الأوربيين من القرن السادس عشر ، فهذا أنتوني جن كنسن Anthonie Jenkinson الذي أرسلته شركة تجارية في لندرة إلى إيران من طريق روسيا سنة ١٥٥٧ م ، يذكر هذا النهر في رحلته قائلاً بأنه يسمى بنهر سائرس ، ثم إن جميع الخرائط التي وضعت لهذه الجهات في القرن الثامن عشر ، ذكرت « نهر سائرس » هذا بصراحة تامة (. اهـ .

ثم يتحدث أبو الكلام عن خطأ شائع سببه وجود سد آخر على ساحل بحر الخزر تسمى دربند وستأما العرب باب الأبواب فاختلط على بعضهم الأمر فظنوا أن سد دربند هو سد ذي القرنين مع أن هذا السد بني بالحجارة ولا يوجد بين جبلين ، فيؤكد أن سد ذي القرنين

هو الأول ويرجح أن هذا السد بني متأخراً وأن الذي بناه هو كسرى أنوشروان لضرورات دفاعية ، ومن كلام أبي الكلام عن سد دربند :

« توجد على ساحل بحر الخزر الغربي بلدة ، اشتهرت من العصر الساساني باسم « دربند » وسمتها العرب « باب الأبواب » وهي واقعة في نفس المكان الذي انتهت إليه سلسلة جبال القوقاز واتصلت بساحل بحر الخزر . وقد وجد هاهنا جدار حجري من الزمن القديم ، يبتدئ من ساحل البحر ويرتفع على منحدرات الجبل صاعداً إلى مرتفعاته ، حتى يبلغ طوله نحو ثلاثين ميلاً .

وتفصيل ذلك أنك تجد قبل وصولك بلدة دربند ، جداراً يسد الطريق كله من الساحل إلى مرتفعات الجبل ، فلا يمكنك الدخول في البلدة إلا من باب في الجدار نفسه ، وكذلك إذا خرجت من البلدة ، وجدت جداراً آخر مثل الأول يسد الطريق ، إلا أن به كذلك باباً يمكنك من التقدم . ويمتد الجداران جنباً لجنب إلى مرتفعات الجبل ، وينقص الفصل بينهما كلما تقدما ، حتى يصبح عند الساحل خمسمائة ياردة . وفي هذا الفصل تقع البلدة ثم ينقص الفصل بعد ميلين كذلك ، فلا يجاوز مائة ياردة . وهنا تنتهي سلسلة الجدارين ، فيصيران جداراً واحداً . ويمتد هذا الجدار إلى ثمانية وعشرين ميلاً ، وينتهي على المرتفعات العالية من الجبل . وكانت قد اشتهرت سلسلة الجدارين عند الفرس باسم « دويارة » والمكان الذي انتهت إليه هذه السلسلة أقيمت فيه قلعة .

وقد سدت هذه السلسلة جميع الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب سداً محكماً ، لأنها توغلت إلى داخل البحر ، فسدت طريق الساحل كلية ، ثم امتدت فوق الجبل إلى ثلاثين ميلاً ، فسدت سائر الطرق التي وجدت في منحدرات الجبل سداً تاماً ، وليس لأحد أن يخترق من الشمال إلى الجنوب إلا بطريق واحد وهو الطريق الذي يفتحه البابان في سلسلة الجدار نفسه .

ومن المحقق أن هذا الجدار العظيم وجد قبل الإسلام وسمي المكان في العصر الساساني « دربند » لوجود الجدار به أي باب المملكة المقفل . وقد ذكر الإصطخري ، والمسعودي ، والمقدسي ، وياقوت الحموي ، والقزويني وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين العرب هذا المكان

١١٣٣

باسم « دريند » قائلين إنه كان يعد أهم مكان في العصر الساساني . لأن للمغيرين ماكانوا يستطيعون مهاجمة إيران الشمالية إلا من هذا الطريق ، فكان المكان مفتوحاً للمملكة الإيرانية ، يملكها من يملكه .

ولما فتح العرب هذه الجهات في القرن الأول من الهجرة ، أدركوا أهمية المكان كالساسانيين ، فدعوه « باب الأبواب » عوضاً من « دريند » وسماه البعض « باب الخزر » أو « باب الترك » لأنه كان الطريق لغارات هذه الشعوب . والاسم ترجمة حرفية لاسمه الرومي « كاسبين يورتا » أي باب الخزر . اهـ .

ويختتم أبو الكلام حديثه بقوله :

« لقد كان في عصر غوروش أكبر خطر على آسيا الغربية من جهة قبائل سي تهن ، وكان طريق غاراتهم من مضيق داريال ، ولكن الوضع الجغرافي تغير بعد ألف عام ، فلم يبق خطر من قبل سي تهن ، ولكن حلت محله أخطار أخرى ، كان أكبرها من جهة الإمبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة التي كانت تنافس الإمبراطورية الفارسية ، وتحاول القضاء عليها . وهي لم تكتف بطرق آسيا الصغرى المطروقة في حروبها ، بل كانت تطرق هذا الطريق كذلك . ثم كانت هناك القبائل التركية في سهول بحيرة يورال وبحر الخزر التي انتشرت جماهيرها في الشمال ، وكانت هي تهاجم الجهات الشمالية من الإمبراطورية الفارسية ، فكان لزاماً أن يحصن هذا المكان باهتمام كبير ، وعلى ذلك شيد أنوشروان جدار دريند وسد به هذا الطريق في وجه المهاجمين » . اهـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

أقول :

إنّ هذا التوجّه الذي اتّجه إليه أبو الكلام هو الذي يناسب سبب النزول وهو الذي تقوم به الحجّة ، وهو الذي تتحقّق به المعجزة فيكون ذلك علماً من أعلام نبوة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي ينسجم مع الواقع الحالي للمعرفة البشرية ، كما أنّه ينسجم مع حديث : « ويل للعرب من شرّ قد اقترب » . وينسجم مع حديث : « أخرج بعث النار » . ولا يتعارض مع نصّ قرآني إذ يمكن أن تفهم النصوص على ضوءه فقوله

تعالى على لسان ذي القرنين : ﴿ فإذا جاء وعد ربّي جعله دكاءً وكان وعد ربّي حقاً ﴾ ^(١) لا يشترط في فهمه أن يكون الوعد هو يوم القيامة بل هو اليوم الموعود لخراجه ، وقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ ^(٢) . لا يشترط أن يكون خروجهم بين يدي الساعة منوطاً بوجود السدّ بل المراد خروجهم من مواطنهم غازين هذا العالم ومنه بلاد الشام ، ويحتمل أن يكونوا هم شيوعيّ هذا العالم - إن بقوا - ، ويحتمل أن يكونوا شعوب الاتحاد السوفياتي خاصّة ، ويحتمل أن يكونوا الصينيين خاصّة ، ويحتمل أن يكونوا غيرهم ولا يتحدّدون إلا بظهورهم بين يدي الساعة .

- إنّ تحقيقات العلماء كلّها منصبّة على أنّ يأجوج ومأجوج من ذريّة آدم من ولد يافث ابن نوح ويدخل في ذريّة يافث الروم والترك والجنس الآري والجنس الصيني ، وعلى ذلك فسكان الهند والصين وشعوب شرقي آسيا وشعوب أوربّا أكثرتهم من ولد يافث بن نوح ، فمن هم الذين يعتبر خروجهم ومجيئهم بكثرتهم الكاثرة إلى بلاد الشام ؟ هم يأجوج ومأجوج الذين يعتبر خروجهم من أشراف الساعة ؟ الاحتمالات متعددة ، والظاهر أنهم يأتون من الشرق .

- لقد غزا في عصرنا الاتحاد السوفياتي أفغانستان وأصبح بينه وبين بلدان الخليج أقلّ من أربعائة كيلو متر وهذا نموذج على ما يمكن أن يفعله شيوعيّو الاتحاد السوفياتي - إن بقوا - في يوم ما تجاه منطقتنا ، والصينيّون يبلغون اليوم ملياراً ، ولا يبعد أن يجتاحوا آسيا في يوم من الأيام وهذا نموذج على ما يمكن أن يحدث .

وقد وجدت روايات كاذبة حول السدّ ويأجوج ومأجوج ، ووجدت روايات ضعيفة ، فإذا ما وجد تحقيق قوى يمكن أن تفهم على ضوءه النصوص القرآنيّة والنصوص الحديّثيّة الصحيحة والحسنة فإنّه يكون مقدّمًا حتّى يأتي تحقيق آخر أقوى منه .

- ومع ذلك كلّه فالأسلم التسليم والتفويض .

- وقد مرّت معنا بمناسبة الكلام عن عيسى ابن مريم وفي أحاديث الدجّال أحاديث كثيرة لها علاقة بيأجوج ومأجوج ومع ذلك أفردنا لها هذه الفقرة .

نصوص

١٠٨٩ - * روى أحمد عن ابنِ حُرْمَلَةَ وهو خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُرْمَلَةَ عن خالته قال خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال : « إنكم تقولون لا عدو وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف ومن كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » .

١٠٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرعا يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بأصبعه : الإبهام والتي تليها - » فقالت زينب بنت جحش : فقلت : يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » .

هذه رواية البخاري ومسلم .

وفي رواية الترمذي ^(١) قالت : استيقظ رسول الله ﷺ من النوم مخمرا وجهه ، يقول : « لا إله إلا الله ... » وذكر نحوه . وفيه : وعقد عشرين .

قوله : « ويل للعرب » إنما خص الويل بهم ، لأن معظم مفسداتهم راجع إليهم ، وقد وقع بعض ما أخبر به ﷺ حيث قال : « إن يأجوج ومأجوج هم الترك » وقد أهلكوا الخليفة المستعصم ، وجرى ماجرى ببغداد ، قاله الكرمانى .

قال النووي : « الخبث » هو بفتح الحاء والباء . وفسره الجمهور : بالفسوق والفجور . وقيل : المراد به : الزنا خاصة . وقيل أولاد الزنا . والظاهر : أنه المعاصي مطلقا .

١٠٨٩ - أحمد (٢٧١ / ٥) .

جمع الزوائد (٦ / ٨) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

(صهب الشعاف) : صهب الشهور ، والصهب : الشقرة .

١٠٩٠ - البخاري (١٠٦ / ١٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٨ - باب يأجوج ومأجوج .

مسلم (٢٢٠٨ / ٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(١) الترمذي (٤٨٠ / ٤) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢٢ - باب ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج .

« ونهلك » بكسر اللام ، على اللغة الفصيحة المشهورة ، وحكي فتحها ، وهو ضعيف أو فاسد . ومعنى الحديث : أن الخبث إذا كثر ، فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون .

١٠٩١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ، وَعَقْدَ يَدَيْهِ تَسْعِينَ » .

قال النووي : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وعقد سفيان بيده عشرة ، هكذا وقع في رواية سفيان عن الزهري . ووقع بعده في رواية يونس « وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها » .

وفي حديث أبي هريرة بعده « وعقد وهب بيده تسعين » فأما روايتا سفيان ويوسف ، فتفتقتان في المعنى ، وأما رواية أبي هريرة فمخالفة لها ؛ لأن عقد التسعين أضيّق من العشرة . قال القاضي : لعل حديث أبي هريرة متقدم ، فزاد قدر الفتح بعد هذا القدر ، قال : أو يكون المراد : التقريب للتشيل ، لا حقيقة التحديد ، و« يأجوج ومأجوج » غير مهموزين ومهموزان ، قرئ في السبع بالوجهين ، والجمهور بترك الهمزة .

١٠٩١ - البخاري (١٢ / ١٠٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٨ - باب يأجوج ومأجوج .

مسلم (٤ / ٢٢٠٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(رَذْمٌ) : ردمتُ الثَّلَّةَ ردمًا ؛ إذا سدتها ، والاسم والمصدر سواء : الردم .

(حَلَقٌ وَعَقْدٌ عَفْرًا) : حَلَقٌ : أي جعل أصبعه كالحلقة ، وعقد عشرًا : هي من مَوَاضِعَاتِ الْحِسَابِ ، وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط أصبعك الإبهام من باطنها شبه الحلقة ، وعقد التسعين مثلها ، إلا أنها أضيّق منها حتى لا يبين في الحلقة إلا خلل يسير .

مسائل وفوائد

(١)

قد مر معنا من قبل حديث النواس بن سمعان وفيه :

« فبينما هو كذلك (أي عيسى عليه السلام) إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم فخرّ عبادي إلى الطور . وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيرأوا ثلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويخضر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النفث في رقابهم فيصبحون فرس كوت نفس واحدة . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم وتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرخهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطراً لا يكل منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ... » (١) .

(لا يتدان) : أي لا قدرة ولا طاقة لأحد بمقاتلتهم .

(فخرّ عبادي إلى الطور) : أي ضمهم إلى الطور واجمله لهم حرّاً . والطور هو الجبل الذي ناجى عليه سيدنا موسى عليه السلام ربه ، وهو بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين كما قاله ياقوت في معجم البلدان .

(الحدب) : المرتفع من الأرض .

(ينسلون) : يسرعون .

(يخضر نبي الله عيسى وأصحابه) : أي يحاصرون ويحصبون في جبل الطور .

(فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله) : أي يدعون الله ويرغبون إليه في إهلاكهم .

(النفث) : دود يكون في أنوف الإبل والعنم .

(فرس) : أي موق .

(يهبط نبي الله عيسى وأصحابه) : أي ينزلون من جبل الطور .

(تنتهم) : رائحتهم الكريهة .

(البخت) : الإبل ذات الأعناق الطويلة القوية .

(لا يكل) : أي لا يحفظ منه بيت تراب أو حجر أو صوف أو شعر .

(كالزلفة) : أي كالرلة في صفائها ونظافتها .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(٢)

قال ابن كثير في النهاية :

« يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيح ، يقول الله تعالى يوم القيامة :

« يَا آدَمُ يَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيَنَادِي بِصَوْتٍ : ائْبِثْ ائْبِثْ النَّارِ فَيَقُولُ كَمْ ؟ فَيَقُولُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمَائَةٍ وَتَسْعٌ وَتَسْقُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدَةً إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَوْمُئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ؛ فَيَقَالُ : أَبْشِرُوا ؛ فَإِنْ فِي يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَكُمْ فِدَاءٌ ؛ وَفِي رِوَايَةٍ فَيَقَالُ : إِنْ فِيكُمْ أَمْتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتَا ، يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ » .

« وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك المخرومة عيونهم الزلف أنوفهم الصهب شعورهم على أشكالهم وألوانهم ، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول ، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير ، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحدهما ويتوسطى بالأخرى ، فقد تكلف ما لا علم له به ، وقال ما لا دليل عليه » . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

أقول : تطلق كلمة الأتراك على الأقوام القاطنة وراء جبال تركستان ، فلا ينبغي أن ترتبط كلمة الترك بما هو مشهور ومعروف الآن : أن الأتراك هم سكان آسيا الصغرى في شمال بلاد الشام ، فهناك أتراك مسلمون كانت لهم أدوار كبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين ، فهؤلاء من الأمة الإسلامية ولا يدخلون فيما ورد من كلام للعلماء في كفار الترك .

(٣)

قال الشيخ عبد الفتاح :

« ويأجوج ومأجوج كل واحد من هذين اللفظين : اسم لقبيل وأمة من الناس ، مسكنهم في أقصى الشرق ، وما يقال في خلقهم وصفاتهم مما يُخَيَّلُ إلى سامعه أنهم ليسوا من طبيعة البشر ولا على خلقه الناس فكذب لا أصل له . قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » في تفسير سورة الكهف ٢ : ١٠٣ - ١٠٤ : « هُمُ مِنْ سَلَالَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ » : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ - أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَا آدَمُ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ،

فيقول : اَبْعَثْ بُعْثَ النَّارِ - أَي مَيِّزْ أَهْلَ النَّارِ مِنْ غَيْرِهِمْ - فيقول : وما بُعِثَ النَّارُ ؟ - أي وما مِقْدَارُهم ؟ - فيقول : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ إِلَى النَّارِ ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ! وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ! فَقَالَ - أَي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : إِنَّ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ مَا كُنَّا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثَرْتَاهُ : يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ . انتهى .

قال العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره « محاسن التأويل » عند ذكرهم في سورة الكهف ١١ : ٤١١٦ : « قال بعض المحققين : كان يوجد من وراء جبل من جبال القوقاز المعروف عند العرب بجبل قاف في إقليم داغستان : قبيلتان ، تسمى إحداهما : (آقوق) ، والثانية : (ماقوق) ، فعربها العرب باسم (يأجوج) و (مأجوج) ، وهما معروفان عند كثير من الأمم ، وورد ذكرهما في كتب أهل الكتاب ، ومنها تناسل كثير من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا » .

ثم قال الحافظ ابن كثير : « وما يَذْكُرُ في الأثر عن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ في أَشْكَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَأَذَانِهِمْ وَطُولِهِمْ وَقِصَرِ بَعْضِهِمْ فِيهِ غَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ . وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ غَرِيبَةً لَا تَصِحُّ أَسَانِيدُهَا » . انتهى . وقال الشيخ أبو حيان الأندلسي في تفسيره : « البحر » ٦ : ١٦٣ « وقد اختلف في عَدَدِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ ، ولم يصح في ذلك شيء » . ونقله عنه العلامة الألوسي في تفسيره « رُوحُ الْمَعَانِي » ٥ : ١٤٢ مُرْتَضِيًا لَهُ . ويعني أبو حيان أن الأخبار التي تروى في ذلك ضعيفة لا تثبت على محك النقد .

وقد اتفقت كلمة القرآن الكريم والحديث الشريف على كثرة يأجوج ومأجوج ، وشدة إفسادهم كما هو صريح في ... [حديث النواس بن سمعان] ، وكما هو صريح في حديث « الصحيحين » الذي نقلناه عن الحافظ ابن كثير ... ، وكما جاء ذلك في أحاديث كثيرة لا تحصى .

وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا أيضًا فقال تعالى في سورة الكهف مُخْبِرًا عن ذي القرنين وعنهم : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

على أن تجعلَ بيننا وبينهم سدا ﴿^(١)﴾ ثم قال سبحانه : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ ^(٢) .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٣ : ١٠٥ « وقال السُّدِّيُّ في قوله تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ ^(٣) قال : ذاك حين يخرجون على الناس . وهذا كله قَبْلَ يوم القيامة وَبَعْدَ الدَّجَالِ ، كما سيأتي بيانه عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿وَحَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ واقترب الوَعْدُ الْحَقُّ ^(٤) . وقال عند هذه الآية في سورة الأنبياء ٣ : ١٩٥ : « وهذه صِفَتُهُمْ في حال خروجهم » . اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

(١) الكهف : ٩٩ .
(٤) الأنبياء ٩٦ - ٩٧ .

(١) الكهف : ٩٣ - ٩٤ .
(٢) الكهف : ٩٩ .

الفقرة الثانية والعشرون

في :

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

مقدمة

بعد وفاة المسيح عليه السلام بفترة ما يرسل الله ريحاً تقبض روح كل مؤمن كما مر معنا من قبل ، وأصل هذا الموضوع وهو أن ريحاً تكون بعد المسيح عليه السلام بزمان ما تقبض روح كل مؤمن فلا يبقى إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة ، هذا القدر فيه نصوص كثيرة منها حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرناه من قبل وناقشنا بعض أجزائه ، والذي فيه (١) :

« ... ثم يرسل الله ريحاً فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحداً دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبيون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان . وفي رواية لأحمد ومسلم وغيرهما (٢) » ... فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة . فتأخذهم تحت آباطهم . فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمير ، فعليهم تقوم الساعة .

(يتهارجون تهارج الحمير) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« أي يتسافدون في الأرض تسافد الحمير ، أي يجامع الرجال علانية النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ، ولا يكثرثون لذلك . والمهرج : الجماع . وهذا نموذج لشيوع الفساد والفواحش حينذاك » اهـ (التصريح) .

(١) انظر الحديث وتخرجه ص ١٠٩٨ .

(٢) انظر الحديث وتخرجه ص ١٠٢٨ ، ١٠٣١ .

وهذه نصوص أخرى تؤكد هذا الشأن :

١٠٩٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبعثُ رجلاً من الين ، أَلَيْنَ من الحرير ، فلا تدعُ أحداً في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من إيمانٍ إلا قبضته » .

وفي رواية ^(١) : « مثقالُ ذَرَّةٍ » .

١٠٩٣ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ إلا على شرارِ الناسِ » .

١٠٩٤ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ على أحدٍ يقول : الله الله » .

وفي رواية ^(٢) « حتى لا يُقال في الأرض : الله الله » .

١٠٩٥ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يأخذَ الله شَريطته من أهل الأرض فيبقى فيها عَجَاجٌ لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون مُنكراً » .

١٠٩٢ - مسلم (١ / ١٠٩) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٠ - باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان .

(١) مسلم : الموضع نفسه .

١٠٩٣ - مسلم (٤ / ٢٣٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأُشراط الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

١٠٩٤ - مسلم (١ / ١٢٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٦ - باب ذهاب الإيمان آخر الزمان .

(٢) مسلم : للموضع السابق .

والترمذي (٤ / ٤٩٢) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب حدثنا محمد بن بشار .

وقال الترمذي : وروي عنه غير مرفوع ، وهو أصح .

١٠٩٥ - أحمد (٢ / ٢١٠) .

جمع الزوائد (٨ / ١٢) ، وقال الهيثمي : رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ، رجالها رجال الصحيح .

(العجَاج) : الغواء والأراذل ومن لا خير فيه .

١٠٩٦ - * روى أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله » .

١٠٩٧ - * روى أحمد عن علباء السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تقوم الساعة إلا على حثالة من الناس » .

١٠٩٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليآت نساء دؤس على ذي الخلصة » وذو الخلصة : طاغية دؤس التي كانوا يعبدون في الجاهلية .

وفي رواية : (١) وذو الخلصة : صنم كان يعبد دؤس في الجاهلية بتبالة .

١٠٩٩ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يذهب الليل والنهار ، حتى تُعبد اللات والعزى » قلت : يا رسول الله ، إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كفر المشركون ﴾ الصف : ٩ . أن ذلك تام ، قال : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله رجلاً طيباً ، فتتوفى كل من كان في قلبه مثقال

١٠٩٦ - أحمد (١٠٧ / ٢) .

جمع الزوائد (١٢ / ٨) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٩٧ - أحمد (٤٩٩ / ٣) .

والمعجم الكبير (١٨ / ٨٤) .

جمع الزوائد (١٢ / ٨) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجاله ثقات .

١٠٩٨ - البخاري (١٣ / ٧٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب تفهد الزمان حتى تعبد الأوثان .

مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٧ - لا تقوم الساعة حتى تعبد دؤس ذا الخلصة .

(١) مسلم : للوضع السابق .

(أليآت نساء دؤس على ذي الخلصة) : ذو الخلصة : بيت أصنام كان لدؤس وخشم وتيجيلة ، ومن كان يبلادهم من العرب ، وقيل : هو صنم ، وكان عمرو بن لحي نصبه بأسفل مكة ، حين نصب الأصنام في مواضع شق ، فكانوا يلبسونه الثلايد ، ويعلقون عليه نيش النعام ، ويدبحون عنده ، فكان معنهم في تسميتهم بذلك : أن عبادة خلصة ، وقيل : هو الكعبة البانية ، والمعنى : أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان ، فتمل نساء دؤس طلائف حوله فترنج أردافهن .

١٠٩٩ - مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ١٧ - باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دؤس ذا الخلصة .

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَيَبْقَى مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ » .

١١٠٠ - * روى مسلم عن عبد الرحمن بن شماس رحمه الله ، قال : كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ ابْنِ مَخْلَدٍ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ ، هُمْ شَرُّ مَنْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ : يَا عَقْبَةُ ، اسْمِعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ عَقْبَةُ : هُوَ أَعْلَمُ ، وَأَمَّا أَنَا ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يِقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ » ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَجَلٌ ، « ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمَسْكِ ، مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ ، فَلَا تَتْرَكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ » ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » .

* * *

الفقرة الثالثة والعشرون

في :

نار عدن

مقدمة

إن آخر الآيات التي تكون بين يدي الساعة هي خروج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر ، وقد حاول بعض العلماء أن يحمل الأحاديث الواردة في ذلك على ماظهر في أرض العرب من بترول استعمل في السيارات وغيرها بحيث يستطيع الإنسان أن يسافر من اليمن إلى الشام على راحته فيطفئ محرك السيارة حيث شاء ويمشي حيث شاء وذلك فهم خاطئ للنصوص ، فالنار الواردة في النصوص حادثة خارقة تكون بين يدي الساعة تحشر الناس بشكل خارق حتى تلحقهم إلى الشام مركز المحشر ثم تقوم الساعة على الناس ، ولا تقوم الساعة إلا على كافر كما رأينا في الفقرة السابقة .

وهذه بعض النصوص الواردة في هذا الشأن وقد مر معنا بعضها من قبل :

النصوص

١١٠١ - * روى مسلم عن حَذِيفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَفَعَهُ : « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ الدَّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنَزُولَ عِيسَى وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفَ ، خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخُسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخُسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ » .

وفي رواية (١) : « وَرِيحٌ تَلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ » .

وفي أخرى (٢) : « وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَسُوقُ النَّاسَ فَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا » .

١١٠٢ - * روى الطبراني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشَرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ تَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا يَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ وَتَخْلَفُ وَتَسُوقُهُمْ سَوْقَ الْجَمَلِ الْكَاسِرِ » .

١١٠٣ - * روى الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَخَّرَ نَارَ مَنْ حَضَرَمُوتَ - أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضَرَمُوتَ - قَبْلَ الْقِيَامَةِ تَحْشَرُ النَّاسَ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ » .

١١٠١ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة ، ١٢ - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

وأبو داود (٤ / ١١٤) كتاب اللامح ، باب أمارات الساعة .

والترمذي (٤ / ٤٧٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الحسف . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : للموضع السابق .

(٢) الترمذي : للموضع السابق .

١١٠٢ - جمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات .

١١٠٣ - الترمذي (٤ / ٤٩٨) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٤٢ - باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز .

وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

١١٠٤ - * روى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ أنه سئل عن أول أشرار الساعة فقال النبي ﷺ : « إن أول أشرار الساعة نارٌ تخرج من المشرق وتحترق إلى المغرب » .

١١٠٥ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أول أشرار الساعة : نار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب » .

(قال الحافظ في « الفتح » : وصله المصنف في باب الهجرة في قصة إسلام عبد الله بن سلام موصولاً من طريق حميد عن أنس بلفظ : « وأما أول أشرار الساعة ، فنار تحترق من المشرق إلى المغرب » ووصله أيضاً في الأنبياء من وجه آخر عن حميد بلفظ : « نار تحترق الناس ... ») .

أقول : الأولية هنا نسبية فهي آخر الأشرار من ناحية وهي الأولى بالنسبة لما بعدها من ناحية أخرى .

١١٠٦ - * روى أحمد عن رافع بن بشير السلمي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك أن تخرج نارٌ من حبس سيلٍ تسير بسير بطيئة الإبل تسير النهار وتقيم الليل تغدو وتروح يقال : غدت النار أيها الناس فاغدوا ، قالت النار أيها الناس قبلوا ، راحت النار أيها الناس روحوا ، من أدركته أكلته » .

١١٠٤ - مجمع الزوائد (١٢ / ٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .
١١٠٥ - البخاري (٧٨ / ١٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٤ - باب خروج النار . وقد رواه تعليقاً .
١١٠٦ - أحمد (٤٤٣ / ٢) .

والمعجم الكبير (٤٢ / ٢) .

مجمع الزوائد (١٢ / ٨) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجاله أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة .

مسائل وفوائد

(١)

قال ابن كثير بمناسبة الكلام عن نار عدن :

« فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا ، من أقطار [إلى] علة الحشر ، وهي أرض الشام ، ... ، وهي [أي : هذه النار] التي تخرج من قعر عدن ، فتحيط بالناس ، من ورائهم ، تسوقهم من كل جانب ، إلى أرض الحشر ، ومن تخلف منهم أكلته النار ، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا ، ... ، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث ، لم يبق موت ... ولا أكل ولا شرب ، ولا لبس في العرصات » . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

(٢)

علق الشيخ عبد الفتاح حفظه الله على الأحاديث التي تذكر أن النار تخرج من عدن أو من المشرق بما يلي :

(قال الحافظ ابن حجر : ووجه الجمع بين هذه الأخبار أن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها . والمقصود بقوله ﷺ : « تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » : إرادة تعميم الحشر ، لا خصوص المشرق والمغرب ، وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق : مغرب » . انتهى بزيادة وتصرف .

وقد تضمنت هذه الأحاديث بيان مكان خروج النار ، وبيان وقت خروجها ، وكيفية سوقها للناس ، ومنتهاهيهم . وجاء في حديث آخر بيان حال الناس حين يساقون إلى الحشر في الشام :

روى البخاري في « صحيحه » ١١ : ٣٢٦ ومسلم في « صحيحه » أيضًا ١٧ : ١٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يحشر الناس - أي إلى الشام قبل قيام الساعة

وهم أحياء - على ثلاث طرائق - أي على ثلاث أحوال - راغبين وراغبين ، واثنان على بعير - هذا معطوف على محذوف تقديره : واحد على بعير ، واثنان على بعير - وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير - أي أنهم يتعاقبون على ركوب البعير الواحد ، فيركب بعضهم ويمشي بعضهم - ، وتحشُر بقيتهم النار ، تقيّل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتُمسي معهم حيث أمسوا ، أي تُلَازمهم كلّ الملازمة إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر ، نسأل الله السلامة والعون . اهـ (التصريح) .

* * *

الوصل الثاني
في:
الموت والحياة البرزخية
وفيه:
مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد

المقدمة

في الموت جانب محسوس وهو محل الرؤية والتعليل الطبي ، وفي الموت جانب غيبي ، فقد أخبرنا الكتاب والسنة عن مفارقة الروح للجسد ، وعن قبض الروح بواسطة ملك الموت وأعوانه فهذا القدر داخل في الاعتقاد :

﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ ^(١) .

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ ^(٢) .

﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ ^(٣) .

وتحدث عند الموت معانٍ كان كشف شيء غيبي للإنسان ، ويرافق الموت معانٍ ، ويحدث للروح بعد الموت معانٍ ، وهناك نوع تعلق للروح في جسدها بعد الوفاة ، ومن هنا يأتي نعم القبر وعذابه وهي قضايا غيبية ، ثم إن لروح المؤمن والشهيد أوضاعاً خاصة في عالم البرزخ ولروح الكافر أوضاع أخرى ، فهناك حياة برزخية فيما بعد وفاة الإنسان حتى النفخة الأولى إذ تقوم القيامة الكبرى فعندئذ تبدأ مرحلة جديدة في رحلة الإنسان ، وكل هذه قضايا غيبية يجب الإيمان بها وهي مرتبطة بالإيمان باليوم الآخر فالموت هو القيامة الصغرى وبالنفخة الأولى تقوم القيامة الكبرى .

ويتوضع حول الموت أكثر من موضوع فهناك أدب التعامل مع الموت وهناك الصلاة على الميت وهناك الجانب الغيبي في الموت ، فأما أدب التعامل مع الموت فسنذكره في القسم الرابع في (الأخلاقيات وأحكام الحياتيات والعاديات) ، والجانب الغيبي محله هنا في قسم (العقائد) وهو محل بحثنا هنا ، والقرآن فيه تفصيل كل شيء ومن جملة ذلك الجانب الغيبي في أمر الحياة والموت :

﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ ^(٤) .

(١) السجدة : ١١ .

(٢) تبارك : ٢ .

(٣) الزمر : ٤٢ .

(٤) الأنعام : ٦١ .

﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ ^(١) .

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ^(٢) .

﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ ^(٣) .

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ^(٤) .

﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ ^(٥) .

﴿ يا أيها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ ^(٦) .

ونصوص السنة توضح وتبين وتزيد التفصيل تفصيلاً .

* * *

والملاحدون والماديون وبعض أهل الفلسفة ينكرون الروح وذلك كفر ، كيف والروح تعبر عن نفسها بحركة الجنين بعد أن يمر عليه أربعة أشهر ونيف وتدل على ذاتها بالنوم وبالتنويم المغناطيسي وتعبر عن نفسها وتطلعاتها الأصلية أو الملابس بأنواع التطلعات .

وبعض الماديين ينكرون ماورد في بعض النصوص من ذكر أن عذاب القبر يحس به ماسوى الإنسان والجن مع أن ذلك مشاهد عند بعض الحيوان فكثيراً ماتصفي الخيل إذا مرت بالقبور ، ثم إنه من الثابت أن أذن الإنسان إنما تسمع الأصوات التي تكون ذبذباتها ضمن حد معين بينما الخلوقات الأخرى لها عتبات أخرى ، وإنما نذكر هذا من باب التقريب ، وإلا فحيث ثبت النص فواجبنا التسليم :

(٢) إبراهيم : ٢٧ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ .

(٦) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(١) الأنعام : ٦١ .

(٣) غافر : ٤٦ .

(٥) الأعراف : ٤٠ .

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ^(١) .

* * *

لقد أعطانا الله صورة مصفرة عن الموت بالنوم ولذلك ورد في حديث صحيح : « النوم أخو الموت » وفي الآية ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ ^(٢) . وكما أن النائم يفرح ويتألم ويتلذذ ويتعذب ولا يحس بما يحدث له من يراقبه فكذلك شأن الميت مع الفارق بين الجالين .

وهاك عرضاً إجمالياً لموضوع الموت والحياة البرزخية :

- الأمم لها آجال والحيوانات لها آجال وأفراد الإنس والجن لهم آجال فلا يموت أحد حتى يستوفي أجله الذي قدره الله له ، قال تعالى :

﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ ^(٣) .

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ ^(٤) .

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ ^(٥) .

﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ ^(٦) .

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ^(٧) .

﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ ^(٨) .

﴿ ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ ^(٩) .

(٢) الزمر : ٤٢ .

(٤) الأنعام : ٣٨ .

(٦) الزمر : ٣٠ .

(٨) المنافقون : ١١ .

(١) الكهف : ٢٩ .

(٣) الأعراف : ٣٤ .

(٥) آل عمران : ١٥٤ .

(٧) آل عمران : ١٨٥ .

(٩) آل عمران : ١٥٨ .

- ﴿ كل من عليها فان * ويمضى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (١) .
- وإذا كان الموت قادمًا بالنسبة للإنسان فعليه أن يستعد له ، قال تعالى :
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ (٢) .
- ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (٣) .
- وإنا يتم الموت بقبض روح الإنسان من قبل الملك الموكل بذلك وأعوانه ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ (٤) .
- وللملائكة تبشر أهل الاستقامة عند قبض أرواحهم وتبكت الكافرين :
- ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾ (٥) .
- ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (٦) .
- وعند الموت وبعده تنكشف للإنسان الكثير من الغيوب فيستبشر المؤمن ويتحسر الكافر ويتمنى الرجوع ويندم ولات حين مندم :
- ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تجهيد ﴾ (٧) .
- ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني * لعلني أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (٨) .

(٢) الحشر : ١٨ .
(٤) الأنعام : ٦١ .
(٦) الأنعام : ٩٣ .
(٨) المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠ .

(١) الرحمن : ٢٦ - ٢٧ .
(٣) البقرة : ١٩٧ .
(٥) فصلت : ٣٠ - ٣١ .
(٧) ق : ١٩ .

- ومن قوله تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ ^(١) سمي العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعالم البرزخ فالبرزخ هو الواقع بين الشيئين فالبرزخ هو العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت ويبقى فيه إلى يوم البعث فجميع الأموات يصيرون إلى عالم البرزخ قُبُوراً أو لم يقبِروا .

- فإذا قبضت روح الإنسان ذهب بها إلى السماء فإن كان صاحبها مؤمناً دخلت السماء لتلقى ربها راضية مرضية على الوجه الذي يشاؤه ربنا ﴿ تحييتهم يوم يلقونه سلام ﴾ ^(٢) ثم ترجع إلى الأرض ليكون لها نوع لقاء بجسمها سواء كان مقبوراً أو مذروراً فتكون ضمة قبر وسؤال ونعيم برزخي وإن كان صاحبها كافراً أو منافقاً لا تفتح لها أبواب السماء وترد نوع رد إلى جسمها لتسأل وتعذب :

﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴾ ^(٣) .

- وأرواح الأنبياء والشهداء وبعض المؤمنين لها نفحاتها الخاصة في الجنة :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ^(٤) .

- ولعالم الروح في البرزخ أحوال على حسب وضع صاحبها ، وللأرواح لقاءات وزيارات وصلات فعالم البرزخ أوسع بما لا يقاس من عالم الدنيا بل هو بالنسبة لعالم الدنيا كعالم الدنيا بالنسبة لعالم البطن .

ومن المتفق عليه بين أهل السنة والجماعة : أن الميت منعم أو معذب على حسب وضعه وحاله ، ولكن هل هذا النعيم أو العذاب للروح فقط أو للجسد صلة بشكل ما مع الروح في النعيم والعذاب ؟ الذي عليه جماهير أهل السنة والجماعة : أن هذا النعيم أو العذاب للروح وللجسد بكيفية علمها عند الله ؛ قال تعالى :

﴿ فأمّا إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب

(٢) الأحزاب : ٤٤ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ .

(١) المؤمنون : ١٠٠ .

(٣) الأعراف : ٤٠ .

اليمن * فسلام لك من أصحاب اليمن * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم *
وتصلية جحيم ﴿^(١)﴾ .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * أرجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي *
وادخلي جنتي ﴾ ﴿^(٢)﴾ .

﴿ وحق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم
الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ﴿^(٣)﴾ .

- والأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم وبما يعتبر استرازا لخير قدموه قال تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ ﴿^(٤)﴾ .

﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ ﴿^(٥)﴾ .

- وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة حول الموت والحياة البرزخية وألفت في ذلك الكتب الكثيرة ، ولو أردنا أن نتعرض لكل ماورد لطال بنا المقام ولذلك فإننا سنقتصر على ذكر بعض نصوص السنة النبوية هنا ، وهناك نصوص تأتي في سياقات أخرى كالكلام عن الشهداء والكلام عن أدب التعامل مع الموت والكلام عن صلاة الجنازة .

- ومن العناوين التي ذكرها الشيخ عبد الله سراج الدين في كتابه (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) نعرف سعة هذا الموضوع فقد ذكر العناوين الآتية :

الموت وحقيقته - كلمات حول الروح الإنساني - بشارة الملائكة عليهم السلام عند الموت - إنذار الملائكة عليهم السلام للكافر عند موته بالعذاب - حشرات الكافرين والعصاة حين ينزل بهم الموت وتمنيهم العودة إلى الدنيا - عالم البرزخ - الناس على مراتب في لقاء

(٢) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٤) الحشر : ١٠ .

(١) الواقعة : ٨٨ - ٩٤ .

(٣) غافر : ٤٥ - ٤٦ .

(٥) يس : ١٢ .

رهم - السؤال في البرزخ - نعم القبر وعذابه - تعوذه ﷺ من عذاب القبر وأمره بذلك - أسباب عذاب القبر - نعم القبر على مراتب متعددة - تكليم الله سبحانه وتعالى أولياءه ونظرهم إليه سبحانه في عالم البرزخ - اطلاع أهل البرزخ وسماعهم - انتفاع الأموات بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة التي يهديها إليهم الأحياء - عرض الأعمال على سيدنا محمد ﷺ - عرض الأعمال على الأقارب والعشيرة في البرزخ - حال أهل البرزخ من حيث الأعمال التبعية - تلاقي الأموات في عالم البرزخ وتساؤلهم وتزاورهم - التقاء أهل الدنيا بأهل البرزخ واتصالهم بهم .

فالموضوع واسع وما لا يدرك كله لا يترك جله . وسنذكر هنا من النصوص ما هو الأقص بموضوعنا :

بعض النصوص القرآنية

التي تتحدث عن الموت والحياة البرزخية

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّفْتُّ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلَى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ : أي إذا بلغت الروح أعالي الصدر ، فالترافي جمع ترقوة ، وللإنسان ترقوتان ، وهما أعلى عظمين في الصدر يكتنفان العنق من جهة الأمام .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ من الرقية ، أي من يرقيه ليشفيه ، والرقية : تكون بتلاوة قرآن أو دعاء . وفسرها بعضهم بأن المراد بذلك : من يرقى بروحه : ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ وَالتَّفْتُّ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ : قد يراد بها التصاق الساقين وقد يراد بها اجتماع الشدة بالشدة ، فقد اجتمعت عليه شدة النزع في الدنيا وشدة ماسيلقى بعد الموت . وقال السدي : المراد بذلك : لف الساقين بالكفن .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ : أي المرجع والمآب ، وذلك أن الروح بعد الموت يصعد بها إلى السماء ، فإن كانت مؤمنة فتحت لها أبواب السماء ثم ردت إلى الأرض مكرمة ، وإن كانت غير مؤمنة لا تفتح لها أبواب السماء ، وردت إلى الأرض مسخوطة عليها .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(١) القيامة : ٢٦ - ٣٣ .

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نُزِّلَ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿١١﴾ .

قوله تعالى : ﴿ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ : أي عند الموت قائلين : ﴿ أَلَا تَخَافُوا ﴾ : أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : على ما خلفتوه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال ودين ، فإننا نخلفكم فيه .

ورجح ابن كثير : أن المراد بتزل الملائكة : تنزلهم عند الموت وفي القبر وحين البعث .

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينُودٌ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَרוْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَعِيمٍ ﴾ (١٢) .

قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ : أي الروح ، ﴿ الْحُلُقُومَ ﴾ : أي الحلق .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينُودٌ تَنْظُرُونَ ﴾ : أي إلى المحتضر وما يكابده دون أن تستطيعوا أن تفعلوا له شيئاً .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : أي مقهورين بالموت ومجزيين على أعمالكم . ﴿ تُرْجِعُونَهَا ﴾ : أي فارجموا هذه الروح إلى جسدها وامنعوا عنها الموت .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ : أي المحتضر حاله واحداً من أحوال ثلاثة ، فلكل حالة جزاؤها بعد الموت ، فالمقرب وصاحب اليمين : مبشران ، والآخر : فإنه مؤنب معذب .
الرُّوحُ : الرحمة . « الرُّيحَان » : الرزق . « النُّزْل » : الضيافة .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فيها خالدون * فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوَفَّوَنهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿١﴾ .

قوله تعالى : ﴿ ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ : أي ينالهم ما كتب عليهم جزاء على أعمالهم ، وفي الآية دليل على أن الملائكة تقرُّع الكافر عند نزع روحه ، وأن الكافر يعرف حقيقة ما كان عليه من الضلال عند نزع الروح .

النصوص الحديثية

١١٠٧ - * روى الترمذي عن أبي عزة ، يسار بن عبد ، رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى الله لعبدي أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة ، [أو بها حاجة] » .

١١٠٨ - * روى النسائي عن عبد الله بن عمرو : مات رجل بالمدينة من ولد بها فصرى عليه رسول الله ﷺ ثم قال : « ياليتته مات بغير مولده » قالوا ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس من مولده إلى منقطع أثره في الجنة » .

١١٠٩ - * روى رزين عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها » .

١١١٠ - * روى أبو يعلى عن يحيى بن طلحة قال : رأى عمر طلحة بن عبيد الله حزيناً فقال مالك ؟ قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمات لا يقولهن عبد عند الموت إلا نفّس الله عنه وأشرق له لونه مايسره » ، قال فما يعني أن أسأله

١١٠٧ - الترمذي (٤ / ٤٥٣) ٣٣ - كتاب القدر ، ١١ - باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتبت لها . وقال : هذا حديث صحيح .

١١٠٨ - النسائي (٤ / ٧) كتاب الجنائز ، ٨ - باب للوت بغير مولده . وإسناده حسن . وابن ماجه (١ / ٥١٥) ٦ - كتاب الجنائز ، ٦١ - باب ما جاء فيمن مات غريباً .

١١٠٩ - أخرجه رزين ، كما في الجامع . وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » من حديث أبي أمامة ، وابن حبان والحاكم وابن ماجه من حديث جابر ، والحاكم من حديث ابن مسعود ، والبخاري من حديث حذيفة ، وابن حبان والبخاري والطبراني عن أبي الدرداء ، وأبو يعلى عن أبي هريرة ، وابن ماجه عن أبي حميد الساعدي مطولاً ومختصراً ، وهو حديث صحيح ، وانظر فيض القدير (٢ / ٤٠٥) .

(روح القدس) : القدس : الطهارة ، وروح القدس : اسم جبريل عليه السلام أي : الروح للقدسة الطاهرة . (نفث في روعي) : النفث : النفخ بالنفث ، والروح : النفس ، يقول : نفث في روعي ، أي : ألقى في قلبي ، وأوقع في نفسي ، ولمدني .

١١١٠ - مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٤) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

عنها إلا القدرة عليها ، فقال عمر : إني لأعلم ماهي ، قال طلحة : ماهي ؟ قال : هل تعلم كلمة هي أفضل من كلمة دعا إليها رسول الله ﷺ عمه عند الموت ؟ قال طلحة : هي والله هي : لا إله إلا الله .

١١١١ - * روى ابن ماجه عن عائشة أن رسول الله ﷺ دخلَ عليها وعندها حميمٌ لها يَخْنُقُ الموتُ فلما رأى النبي ﷺ ما بها قال لها : « لا تَبْتِئِي عَلَى حَمِيمِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ » .

١١١٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رفعه قال : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فَإِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا وَنَفْسَ الْكَافِرِ تَخْرُجُ مِنْ شِدْقِهِ كَمَا تَخْرُجُ نَفْسُ الْحَيَّارِ » .

١١١٣ - * روى البزار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تبارك وتعالى للنفس اخرجي قالت لا أخرج إلا كارهة قال اخرجي وإن كرهت » .

١١١٤ - * روى الطبراني عن سودة زوج النبي ﷺ قالت : قلت : يا رسول الله إذا أمّتنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا فقال لها رسول الله ﷺ : « لو تعلمين ما أعلم عن الموت يابنت زمعة علمت أنه أشد مما تُقَدِّرين » .

١١١١ - ابن ماجه (١ / ٤٦٧) ٦ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب ماجاء في المؤمن يؤجر في النزاع .

وفي الزوائد : هنا إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(حميم) : قريب ، عزيز .

١١١٢ - للمعجم الكبير (١٠ / ٢٢٣) .

مجمع الزوائد (٢ / ٢٢٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

١١١٣ - كشف الأستار (١ / ٢٧١) .

مجمع الزوائد (٢ / ٢٢٥) وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

١١١٤ - للمعجم الكبير (٢٤ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٢١٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

أقول : لقد مات عثمان بن مظعون مبكراً بالنسبة لسودة ولذلك قالت هذا الكلام .

١١٦٥

١١١٥ - * روى أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يلقَ ابنُ آدمَ شيئاً قطُّ منذَ خلقه الله أشدَّ عليه من الموتِ » قال : « ثم إن الموتَ لأهونُ مما بعده » .

١١١٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مامنٌ مسلمٌ يموتُ يومَ الجمعةِ ، أو ليلةَ الجمعةِ إلا وقاهُ الله فتنةَ القبرِ » .

١١١٧ - * روى الترمذي عن بُرَيْدَةَ بن الحَصِيبِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمنُ يموتُ بعَرَقِ الجبينِ » .

وفي أخرى ^(١) للنسائي : « موتُ المؤمنِ بعَرَقِ الجبينِ » .

١١١٨ - * روى رزين عن عبيد بن خالد السلمي - رجل من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « موتُ الفجاءةِ : أخذةٌ أسفٍ للكافر ورحمةٌ للمؤمن » .

وفي رواية ^(٢) عن عبيد قال مرة : عن النبي ﷺ ، وقال مرة : عن عبيد « موت

١١١٥ - أحمد (١٥٤ / ٣) .

مجمع الزوائد (٣١٩ / ٢) وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون .

١١١٦ - الترمذي (٢٨٦ / ٣) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٢ - باب ماجاء فيه مات يوم الجمعة . وقال : هذا حديث غريب .

وأحمد (١٦٩ / ٢) .

١١١٧ - الترمذي (٣١٠ / ٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ١٠ - ماجاء أن للمؤمن يموت بعرق الجبين . وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

والنسائي (٥ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب علامة موت المؤمن .

(١) النسائي (٦ / ٤) للوضع السابق .

وأحمد (٣٥٧ / ٥) .

وابن ماجه (٤٦٧ / ١) ٦ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب ماجاء في المؤمن يؤجر في النزع .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٦ / ٥) .

والحاكم (٣٦١ / ١) وقال حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وواقعه الذهبي .

١١١٨ - رواه رزين : انظر جامع الأصول بتحقيق محمد حامد الفقي (١١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨) .

وأحمد نحوه في المسند (١٣٦ / ٦) عن عائشة وإسناده ضعيف .

ورواه أيضاً البيهقي في سننه . وذكره الحافظ في الفتح ونسبه لابن أبي شيبة في مصنفه من حديث عائشة وابن مسعود ، فالرجو أن ترتقي إلى رتبة الحسن عند ابن حجر إن شاء الله .

(٢) أحمد (٤٢٤ / ٣) .

الفَجَاءَة : أَخَذَهُ أَسْفٌ .

١١١٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَثِي ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

١١٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » زاد البخاري في رواية ^(١) من طريق همام عن قَتَادَةَ : فَقَالَتْ عَائِشَةُ - أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ - : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبُّ لِقَاءَ اللَّهِ ، فَأَحَبُّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

= وأبو داود (١٨٨ / ٣) كتاب الجنائز ، باب موت الفجاءة . وإسناده صحيح .
(أسفاً) : الأَسْفُ : الغضبان .

١١١٩ - البخاري (٢٤٢ / ٣) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٩ - باب الميت يعرض عليه مقعده بالعداة والعشي .
مسلم (٢١٩٩ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .
والنسائي (١٠٧ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٦ - باب وضع الجريدة على القبر .
وابن ماجه (١٤٢٧ / ٢) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٢٢ - باب ذكر القبر والبلوى .
١١٢٠ - البخاري (٣٥٧ / ١١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤١ - باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه .
مسلم (٢٠٦٥ / ٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٥ - باب من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن ... إلخ .
والترمذي (٣٧٩ / ٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٦٧ - باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب لقاءه .
وقال : حديث حسن صحيح .
والنسائي (١٠ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١٠ - باب فيمن أحب لقاء الله .
(١) البخاري (٣٥٧ / ١١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤١ - باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه .
(حُضِرَ) : الإنسان ، « واحتَضِرَ : إذا نزل به الموت » .

١١٢١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » . فقلتُ : يانبي الله ، أَكْرَاهِيَةَ الْمَوْتِ ، فَكَلْنَا نَكْرَةَ الْمَوْتِ ؟ قال : « لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ : أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ الْكَافِرُ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، فَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

ولمسلم^(١) قالتُ : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللَّهِ » .

وفي رواية^(٢) : قال شريح بن هانئ : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » قال شريح : فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا ، إِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَقَدْ هَلَكْنَا ، فَقَالَتْ : إِنْ هَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، فَقَالَتْ : قَدْ قَالَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَيْسَ الَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَّصَ الْبَصَرَ ، وَخَشَرَجَ الصَّدْرَ ، وَاقْشَعَرَ الْجِلْدَ ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ .

١١٢٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَمْ

١١٢١ - البخاري (١١ / ٢٥٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤١ - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

مسلم (٤ / ٢٠٦٥) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٥ - باب من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن ... إلخ .

(١) مسلم : للموضع السابق .

(٢) مسلم : للموضع السابق .

(شخص) : شخوص البصر : امتداده إلى السماء ، ولليت إذا أشرف على مفارقة الدنيا شَخَّصَ بصره إلى السماء .

(حَفَرَجَ) : الحَشْرَجَةُ : الفراغَةُ عند الموت وتردُّد النَّفْسِ .

(تَشَنَّجَتِ) : تَشَنُّجُ الْأَصَابِعِ : اجْتِنَاعُهَا وَانْقِبَاضُهَا مُتَقَلِّصَةً .

١١٢٢ - مسلم (٢ / ٦٢٥) ١١ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب في شخوص بصر الليت يتبع نفسه .

تَرَوْا إِلَى الْإِنْسَانِ : إِذَا مَاتَ شَخْصَ بَصَرَهُ « ؟ قالوا : بلى ، قال : « فذلك حين يَتَّبِعَ بَصَرُهُ نَفْسَهُ » .

١١٢٣ - * روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ - وَقَدْ شَقَّ بَصَرَهُ - فَأَغْمَضَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قَبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ » فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَقَالَ : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُقْ لَهُ عَقَبَةً فِي الْغَابِرِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَأَفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ » .

وفي رواية ^(١) « وَاخْلُقْ لَهُ فِي تَرْكِتِهِ » وقال : « اللَّهُمَّ أَوْسِعْ لَهُ فِي قَبْرِهِ » ودعوة أخرى سابعة نَسَبَتْهَا .

وفي أخرى ^(٢) قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا حَضَرَكَ الْمَرِيضُ - أَوِ الْمَيِّتَ - فَقُولُوا خَيْرًا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » قالت : فلما مات أبو سلمة ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ ، قَالَ : « قُولِي : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عَقَبًا حَسَنَةً » قالت : فَقُلْتُ ، فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ : مُحَمَّدٌ ﷺ .

١١٢٤ - * روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا حَضَرَ الْمُؤْمِنُ ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيَاضَ ، فيقولون : اخْرِجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رَوْحٍ مِنَ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ ، وَرَبُّ غَيْرِ غَضَبَانٍ ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ . حتى إِنَّهُ لَيَنَاقِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حتى يَأْتُوا بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، فيقولون : مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، فيأتون به أرواحَ

١١٢٣ - مسلم (٢ / ٦٣٤) ١١ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب في إغماض الميت والدعاء له ، إذا حضر .

(١) مسلم : للوضع السابق .

(٢) مسلم (٢ / ٦٣٣) للوضع السابق .

١١٢٤ - النسائي (٤ / ٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ٩ - باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه .

المؤمنين ، فلهم أشدُّ قَرَحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دَعَوْه ، فإنه كان في غَمِّ الدنيا ، فيقول : قد مات ، أما أتاكم ؟ قالوا : ذهبَ به إلى أمِّه الهاوية ، وإن الكافر إذا حُضِرَ أَتَتْهُ ملائكة العذاب بمسحٍ ، فيقولون : اخرجي ساخطةً مَسْخُوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل ، فتخرجُ كَأَنَّ رِيحَ جيفةٍ ، حتى يأتون به باب الأرض فيقولون : ماأتت هذه الريح ، حتى يأتون به أرواح الكفار .

١١٢٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا » قال حماد في روايته : فذكر من طيب ريحها ، وذكر المسك . قال : « فيقول أهل السماء : رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرُنِيهِ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ » قال : « وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ » قال حماد : وذكر من تنهيا . فرد رسول الله ﷺ رِيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ . هكذا - وذكر لُغْنًا « ويقول أهل السماء : رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ ، فيقال : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ » .

١١٢٦ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الميت تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ . فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا ، قَالُوا : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ! كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضَبَانَ . فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ، حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ . فَيُفْتَحُ لَهَا . فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ فَلَانٌ . فَيَقَالُ : مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ . ادْخُلِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضَبَانَ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءَ قَالَ : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ! كَانَتْ فِي

١١٢٥ - مسلم (٤ / ٢٢٠٢) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار... إلخ .

(الرِيْطَةُ) : كل ملاءة لا تكون لفقنين .

١١٢٦ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٣) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣١ - باب ذكر الموت والاستعداد له . وإسناده صحيح .

الجسد الخبيث . اخْرِجِي دَمِيمَةً ، وَأُبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ . وَآخِرَ مَنْ شَكَلِهِ أَزْوَاجٌ . فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ . ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ . فَلَا يُفْتَحُ لَهَا . فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيَقَالُ : فُلَانٌ . فَيَقَالُ : لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اِرْجِعِي دَمِيمَةً . فَإِنَّهَا لَا تَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ . فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ .

١١٢٧ - * روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا قَرَعَ من دفن الميت وَقَفَ عليه ، وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل » .

١١٢٨ - * روى النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « هذا [يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه] الذي تَحَرَّكَ له العرشُ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السماءِ ، وشَهِدَهُ سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضَمَّ ضَمَّةً ، ثم فَرَجَ عنه » .

١١٢٩ - * روى الطبراني عن أبي أيوب أن صبيًا دَفِنَ فقال رسول الله ﷺ : « لو أَقْلَيْتَ أحد من ضمة القبر لأَقْلَيْتَ هذا الصبي » .

١١٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وتَوَلَّى عنه أصحابه ، إِنَّهُ لَيَسْتَعِ قَرَعَ نِعَالِهِمْ ، إِذَا انصَرَفُوا : أَتَاهُ الْمَلَكَانِ ، فَيَقْعَدَانِهِ ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، محمد ؟ فأما المؤمن ، فيقول : أشهدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فيقال له : انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، أَبْذَلِكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ » قال النبي ﷺ : « فإِذَا جِئَا ، قال قتادة : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ - ثم رجع إلى حديث أنس : « وَأَمَّا الْكَافِرُ - أو - الْمُنَافِقُ » وفي رواية « وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ » فيقول : لا أدري ، كنتُ

١١٢٧ - أبو داود (٢ / ٢١٥) كتاب الجنائز ، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف . وإسناده حسن .

١١٢٨ - النسائي (٤ / ١٠٠) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٣ - باب ضمة القبر وضغطته .

١١٢٩ - مجمع الزوائد (٢ / ٤٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٠ - البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ماجاء في عذاب القبر ، ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت ... إلخ .

أقول ما يقول الناس فيه - فيقال لا دريت ، ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعا من يليه إلا الثقلين .

ولسلم ^(١) أن النبي ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع في قبره ثم ذكر نحو ماتقدم إلى قوله : وذكر لنا أنه » يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون » لم يزد على هذا .

وفي رواية أبي داود ^(٢) : أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك ، فيقول له : ما كنت تعبداً ؟ فإن الله هداه ، قال : كنت أعبد الله ، فيقول : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شيء بعدها ، فينطلق به إلى بيت كان له في النار ، فيقال له : هذا كان لك ، ولكن الله عصمك ، فأبذل بك به بيتاً في الجنة ، فيراه ، فيقول : دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي ، فيقال له : اسكن .

قال : « وإن الكافر ، أو المنافق إذا وضع في قبره : أتاه ملك فينهضه ، فيقول له : ما كنت تعبداً ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : كنت أقول ما يقول الناس ، فيضربه بمطراق بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعا الخلق غير الثقلين .

وفي رواية أبي داود ^(٣) : أن نبي الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتاً ، ففزع ، فقال : « من أصحاب هذه » ؟ قالوا : يا رسول الله ، ناس ماتوا في الجاهلية ، قال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال » قالوا : وميم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « إن

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ٣٢٨) كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر ، وعذاب القبر .

(ولا تليت) : يقال : لا دريت ولا تليت ، أي : لا تبعت الناس بأن تقول شيئاً يقولونه ، وقيل : هو من قولهم : تلا فلان تلو غير عاقل : إذا غلب عقل الجهال ، يعني : هلكت فخرجت من القبيلتين ، وقيل : معناه : ولا قرأت ، وقلبت الواو ياءً للازدواج .

(٣) أبو داود : الموضع السابق .

المؤمن إذا وُضِعَ في قبره» وذكر نحو ما تقدّم أولاً .

١١٣١ - * روى أحمد عن أم مبشر قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا في حائطٍ من حوائط بني النجار فيه قبورٌ منهم قد ماتوا في الجاهلية ، فسمِعهم يُعَذَّبون فخرج وهو يقول : « استعينوا بالله من عذاب القبر » قالت : قلت : يا رسول الله وإنهم ليعذبون في قبورهم ؟ قال : « نعم عذاباً تسمعه البهائم » .

١١٣٢ - * روى أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : أخبرني من لا أتهم من أصحاب النبي ﷺ قال : بينا رسول الله ﷺ وبلال يمشيان بالبقيع إذ قال رسول الله ﷺ : « يا بلال هل تسمع ما أسمع ؟ قال : والله يا رسول الله ما أسمع ، قال : « ألا تسمع أهل هذه القبور يعذبون » يعني قبور أهل الجاهلية .

١١٣٣ - * روى أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ في نخلٍ لأبي طلحة يبرز لحاجته قال وبلال يمشي وراءه يكرّم نبي الله ﷺ أن يمشي إلى جنبه ، فرنيّ الله ﷺ يقبر فقام حتى تم إليه بلال فقال : « ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع ؟ قال : ما أسمع شيئاً ؛ قال : « صاحب القبر يعذب » فسأل عنه فوجده يهودياً .

١١٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ بعد ما غرّبت الشمس ، فسمع صوتاً ، فقال : « يهودٌ تُعَذَّبُ في قبورها » .

١١٣١ - أحمد (٦ / ٣٦٢) .

مجمع الزوائد (٢ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٢ - أحمد (٢ / ٢٥٩) .

مجمع الزوائد (٢ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٣ - أحمد (٢ / ١٥١) .

مجمع الزوائد (٢ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٤ - البخاري (٣ / ٢٤١) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٧ - باب التعوذ من عذاب القبر .

مسلم (٤ / ٢٢٠) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

والنسائي (٤ / ١٠٢) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٤ - باب عذاب القبر .

١١٣٥ - * روى مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بَغْلَةٍ له ، ونحن معه ، إذ حادَتْ به ، فكادت تُلقِيه ، وإذا أَقْبَرُ ستة ، أو خمسة ، فقال : « مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ ؟ » قال رجل : أنا ، قال : « فمَن ماتوا ؟ » قال : في الشُّرْكِ ، فقال : « إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لِدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ » ثم أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوجهه ، فقال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » قالوا : نعوذُ بالله من عذاب القبر ، قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ » قالوا : نعوذُ بالله من عذاب النار ، قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَظْهَرٍ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ » قالوا : نعوذُ بالله من الفتن مَظْهَرٍ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ » قالوا : نعوذُ بالله من فتنة الدجال .

أقول :

لقد مرر معنا من قبل أن أهل الجاهلية إذا بلغهم شيء من الدين الحق عن طريق صحيح كان بلغهم شيء من دين إبراهيم عن طريق صحيح فإن الحجة قائمة عليهم ويستأهلون العذاب ، واليهود مكلفون بالشريعة الحقة ، ومكلفون بالإيمان بعبثى عليه السلام ثم بحمد عليه الصلاة والسلام بعد بلوغهم بعثته فإذا لم يؤمنوا استحقوا العذاب ، وهذا وهذا في فهمنا هو السر الذي استحق به العذاب مَنْ ذكرهم رسول الله ﷺ في الروايات الآتفة الذكر ، وهذا التخريج يمشی على مذهب الأشاعرة الذين يرون أنه لا تكليف بأصول وفروع إلا بعد التبليغ من رسول مرسل ، أما على قول الماتريدية الذين هم من أهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإنس والجن مكلفون بمعرفة الله بمحض العقل وعلى قدر استطاعتهم فإن كل إنسان لم يعرف وجود الله وصفاته التي يتوصل إليها بمحض العقل فإنه معذب ولو لم تبلغه دعوة رسول ، وعلى هذا فلا إشكال في تعذيب بعض أهل الجاهلية ، ويشهد لاتجاه الماتريدية الحديث الصحيح الذي يخبر فيه رسول الله ﷺ أن « الله تعالى يقول لآدم : أخرج »

١١٣٥ - مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار

عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

(حادَتْ) : حاذَ عن الطريق : إذا مال عنه ، حادَتْ به : أي مالت به .

بعث النار . فيُخْرِجُ من كل ألفِ تسعمائة وتسعة وتسعين .

١١٣٦ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قَبِرَ الميتُ » أو قال : « أحْدُمُ أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المُنْكَرُ ، وللآخر : النَكِيرُ ، فيقولان : ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقولُ ، هو عبدُ الله ورسولُهُ ، أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ ، فيقولان : قد كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هذا ، ثم يُفْسَخُ له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم يُنَوَّرُ له فيه ، ثم يقال له : نَمْ . فيقول : أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهلِهِ إليه ، حتى يبعثَهُ الله من مَضْجَعِهِ ذلك ، وإن كان منافقًا قال : سمعتُ الناسَ يقولون قولًا ، فقلتُ مثله ، لا أدري ، فيقولان : قد كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذلك ، فيقال للأرض : التَّمِّي عليه ، فتلتئمُ عليه ، فتختلفُ أضلاعُهُ ، فلا يزالُ فيها معذبًا حتى يبعثَهُ الله من مَضْجَعِهِ ذلك . »

١١٣٧ - * روى الترمذي عن مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقفَ على قبرٍ بكى ، حتى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ ، فقليل له : تذكُرُ الجنةَ والنارَ فلا تبكي ، وتذكر القبرَ فتبكي ؟ فقال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « القبرُ أولُ منزلٍ من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسرُ منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه » قال : وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما رأيتُ مَنْظَرًا قطَّ إلا القبرُ أفظعُ منه . »

١١٣٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ

١١٣٦ - الترمذي (٢ / ٢٨٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٠ - باب ما جاء في عذاب القبر .

وقال : حسن غريب . وهو كما قال .

١١٣٧ - الترمذي (٤ / ٥٥٢) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٥ - باب حدثنا هناد وحدثنا يحيى بن معين .

وقال : حديث حسن غريب ، وإسناده حسن .

(أفظع) : الفظيع الشديد الشنيع .

١١٣٨ - البخاري (١ / ٣٣٢) ٤ - كتاب الوضوء ، ٥٦ - باب جاء في غسل البول .

مسلم (١ / ٢٤٠) ٢ - كتاب الطهارة ، ٢٤ - باب الدليل على نجاسة البول ، ووجوب الاستبراء منه .

رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : « أَمَا إِنَّهَا لِيَعَذَّبَانِ ، وَمَا يَعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ » ثم قال : « بلى ، أَمَا أَحَدُهُمَا : فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ : فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ » قال : فدعا بَعْسِيبَ رَطْبٍ ، فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا ، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ، ثُمَّ قَالَ : « لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا » .

وفي رواية ^(١) « لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ » .

وفي أخرى ^(٢) « لَا يَسْتَنْتَرُهُ عَنِ الْبَوْلِ » .

أقول : في الحديث إشارة إلى أهمية وجود النبات على القبر ومن ذلك نأخذ أن من آداب المسلمين مع المقابر أن يجعلوها خضرة بل لو جعلوها كالحدائق لكان لذلك وجه .

١١٣٩ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مرَّ رسول الله ﷺ على قبر فقال : « اتَّوْنِي بِجَرِيدَتَيْنِ » فجعلَ إحداها عند رأسه والأخرى عند رجله فقبل : يا رسول الله أينفعه ذلك ؟ قال « لَنْ يَزَالَ يُخَفَّفُ عَنْهُ بَعْضُ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا دَامَ فِيهَا نَدْوٌ » .

١١٤٠ - * روى النسائي عن عبد الله بن دينار ، قال : كُنْتُ جَالِسًا وَسُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ وَخَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ ، فَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا تَوَقَّى ، مَاتَ بِبَطْنِهِ ، فَإِذَا هِيَ يَشْتَهِيَانِ أَنْ يَكُونَا شَهِدَا جَنَازَتِهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ لَمْ

(وما يعذبان في كبير) : أي : لم يعذبَا في أمر كان يكبر عليهما ، أو يشق عليهما فله لو أراد أن يفعلاه ، وهو

التنزه عن البول وترك النية ، ولم يُرَدْ أن المصيبة في هاتين الحصلتين ليست بكبيرة .

(بعسب) : العسب من سَفَف النخل : ما بين الكرب ومنبت الخوص وما عليه الخوص ، فهو سَفَف ، والجريد : السَفَف أيضًا .

(١) البسائي (١٠٦ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١٦٦ - باب وضع الجريدة على القبر .

(٢) مسلم (٢٤٠ / ١) ٢ - كتاب الطهارة ، ٢٤ - باب الدليل على نجاسة البول ... إلخ .

١١٣٩ - أحمد (٤٤١ / ٢) .

جمع الزوائد (٥٧ / ٣) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(نَدْوٌ) : يريد نداؤه .

١١٤٠ - النسائي (٩٨ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١١ - كتاب من قتله بطنه .

يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ ؟ » فقال الآخر : بلى .

واختصره الترمذي ^(١) : أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ صَرْدٍ قَالَ لِحَالِدِ بْنِ عَرْفُطَةَ - أَوْ خَالِدِ لِسَلِيمَانَ -
أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ » ؟ فقال أحدهما
لصاحبه : نعم .

١١٤١ - * رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
« نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يَقْضَى عَنْهُ » .

١١٤٢ - * رَوَى الْبَزَارُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُبْتَلَى هَذِهِ
الْأُمَّةُ فِي قُبُورِهَا فَكَيْفَ بِي وَأَنَا امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ ؟ قَالَ : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ .

١١٤٣ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِحَدِيثٍ أَنْبَيْتُكُمْ بِتَصْدِيقِي ذَلِكَ :
إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ جَلَسَ فِي قَبْرِهِ فَيَقَالُ : مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِي
الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَيُوسَّعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَيُفْرَجُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

١١٤٤ - * رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) الترمذي (٣ / ٣٧٧) ٨ - كتاب الجنائز ، ٦٥ - باب ما جاء في الشهداء من م .

وقال : حديث حسن . غريب . وهو حديث صحيح .

١١٤١ - الترمذي (٣ / ٢٨٩) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٦ - باب ما جاء عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « نَفْسُ الْمُؤْمِنِ ... » .

وقال : هذا حديث حسن . وإسناده حسن .

١١٤٢ - كشف الاستار (١ / ٤١٠) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٣) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

١١٤٣ - المعجم الكبير (٩ / ٢٦٦) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

١١٤٤ - البخاري (٣ / ٢٢٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ

مسلم (٤ / ٢٢٠١) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار
عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

وأبو داود (٤ / ٢٣٨) كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر .

قرأ : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ ^(١) قال : « نزلت في عذاب القبر » .
وفي رواية ^(٢) : أن النبي ﷺ قال : « المسلم إذا سُئِلَ في القبر يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ » .

وفي أخرى ^(٣) قال : « ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ » . نزلت في عذاب القبر ، يقال له : مَنْ ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيي محمد ﷺ » .

١١٤٥ - * روى البخاري عن أم خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنها : أنها سمعت رسول الله ﷺ : يتعوذ من عذاب القبر .

١١٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أن يهودية دخلت عليها ، فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ، قالت عائشة : فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال : « نعم ، عذاب القبر حق » ، قالت : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلي صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر .

وفي رواية ^(٤) لها قالت : دخلت علي عجزان من عجز يهود المدينة ، فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، قالت : فكذبتهما ، ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ، ودخل علي رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا رسول الله إن عجزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، فقال : « صدقنا ، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه » .

= والترمذي (٢٩٥ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ١٥ - باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام .
وقال : حديث حسن .

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) البخاري : الموضع السابق .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

١١٤٥ - البخاري (٢ / ٢٤١) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٧ - باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٦ - البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ .

مسلم (١ / ٤١٠) ٥ - كتاب للساجد ومواضع الصلاة ، ٢٤ - باب استحباب التعوذ من عذاب القبر .

(٤) - مسلم : الموضع السابق .

البهائم» ، ثم مارأيتُه بعدُ في صلاته إلا يتعوذُ من عذاب القبر .

وفي رواية النسائي^(١) : أنها سألتُ رسولَ الله ﷺ عن عذاب القبر فقال : « نعم ، عذابُ القبر حقٌّ » ، قالت عائشةُ : فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصلي صلاةً بعدُ إلا تعوذُ من عذاب القبر .

وفي أخرى^(٢) له قالت : دخلتُ عليَّ امرأةٌ من اليهودِ ، فقالت : إن عذابَ القبرِ من البولِ ، قلت : كَذَبَتْ ، فقالتُ : بلى ، إنا لنقرضُ منه الجلدَ والثوبَ ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعتُ أصواتنا ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرتُها بما قالت ، فقال : « صدقتُ » ، قالت : فما صلى بعدُ يومئذٍ إلا قال في دبر الصلاة : « رَبُّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، أعذني من حرِّ النار ، وعذابِ القبرِ » .

وفي أخرى^(٣) قالت : دخلتُ يهوديةً عليها ، فاستوهبتُها شيئاً ، فوهبتَ لها عائشةُ ، فقالت : أجازك الله من عذاب القبر ، قالت عائشةُ : فوقع في نفسي من ذلك ، حتى جاء رسولُ الله ﷺ ، فذكرتُ ذلك له فقال : « إنهم ليعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائمُ » .

١١٤٧ - * روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قام رسول الله ﷺ خطيباً ، فذكر فتنة القبر التي يُفتَنُ فيها المرءُ ، فلما ذكر ذلك صَجَّ المسلمون صَجَّةً .

وزاد النسائي^(٤) : حالتُ بيني وبين أن أفهم كلامَ رسول الله ﷺ ، فلما سكنتُ صَجَّتْهُمْ ، قلتُ لرجل قريبٍ مني : أيُّ بَارَكَ اللهُ لك ، ماذا قال رسول الله ﷺ آخرَ قوله ؟ قال : « قد أُوحِيَ إليَّ ، أنكم تُفتَنون في القبورِ قريباً من فتنة الدجال » .

(١) النسائي (٥٦ / ٢) ١٣ - كتاب السهو ، ٦٣ - باب التعوذ في الصلاة .

(٢) النسائي (٧٢ / ٢) ١٣ - كتاب السهو ، ٨٨ - باب نوع آخر من الذكر والدعاء بعد التسليم .

(٣) النسائي (١٠٥ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٥ - باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٧ - البخاري (٣٣٢ / ٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ .

(٤) النسائي (١٠٣ / ٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٥ - باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٨ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ . فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ ، غَيْرَ فَرَجٍ وَلَا مَشْعُوفٍ . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ . فَيَقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ ، فَيَقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ ؟ فَيَقُولُ : مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ ؛ فَيُفَرَّجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيَقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَكَأَكَ اللَّهُ . ثُمَّ يُفَرَّجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيَقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ . وَيَقَالُ لَهُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مَتٌّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَرَجًا مَشْعُوفًا . فَيَقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَذْرِي . فَيَقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ . فَيُفَرَّجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا ، فَيَقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ . ثُمَّ يُفَرَّجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيَقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ . عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مَتٌّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . »

١١٤٩ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة فقال

١١٤٨ - ابن ماجه (٢ / ١٤٣٦) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر القبر واليلى . وفي الزوائد : إسناده صحيح .

(ولا مشعوف) : الشفعة شدة الفزع حتى يذهب بالقلب .

(فم كنت) : أي في أي دين .

(ما هذا الرجل) : أي الرجل المشهور بين أظهركم . ولا يلزم منه الحضور . وترك ما يشعر بالتمظيم لكلا يصير

تلقينا . وهو لا يناسب موضع الاختبار .

(يحطم بعضها بعضاً) : من شدة المزاجية .

(على اليقين كنت) : يدل على أن من كان على اليقين في الدنيا ، يموت عليه عادة وكذا في جانب الشك .

(إن شاء الله) : للتبرك لا للشك .

(سمعت الناس) : يريد أنه كان مقلداً في دينه للناس ، ولم يكن منفرداً عنهم بذهب .

(على الشك) : أي خلاف اليقين اللاتق بالإنسان .

١١٤٩ - أحمد (٢ / ٢) .

وكشف الأستار (١ / ٤١٢) .

رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس إن هذه الأمة تُبْتَلَى في قبورها فإذا الإنسان دُفِنَ ففترَّق عنه أصحابه جَاءَهُ مَلَكٌ في يده مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ قَالَ : ماتَ قَوْلُ في هذا الرجل ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فيقول له : صَدَقْتَ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ فيَقُولُ هذا كَانَ مَنْزِلُكَ لو كَفَرْتَ بِرَبِّكَ فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ فهذا مَنْزِلُكَ فيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فيريد أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ فيقول له اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ . وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ له ماتَ قَوْلُ في هذا الرجل ؟ فيقول : لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا . فيقول : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَلَا اهْتَدَيْتَ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فيقول : هذا مَنْزِلُكَ لو آمَنْتَ بِرَبِّكَ فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَدَلَكَ هذا وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ثُمَّ يَمْلَأُهُ مَقْمَعَةً بِالمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » فقال بعضُ القوم : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ في يده مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ « وزاد البزار : ﴿ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ » .

١١٥٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « إن الموقى لَيَعْتَذِرُونَ في قبورهم حتى إن البهائم تسمع أصواتهم » .

١١٥١ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ قَتَانَ الْقَبْرِ فقال عمر أترؤ عقولنا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم كهيئتكم اليوم » فقال عمر : بفيه الحجر .

١١٥٢ - * روى أبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله

= مجمع الزوائد (٤٧ / ٣) . وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٠ - للمعجم الكبير (٢٤٧ / ١٠) .

مجمع الزوائد (٥٦ / ٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

١١٥١ - أحمد (١٧٢ / ٢) .

مجمع الزوائد (٤٧ / ٢) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٢ - أبو داود (٢٣٦ / ٤) كتاب الجنائز ، باب في المسألة في القبر ، وعذاب القبر . وإسناده حسن .

ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَاتَّهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ بَعْدُ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ ، وَيَدُهُ غَوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا .

زاد في رواية (١) : « إِنْ الْمَيِّتَ لَيْسَمَعَ خَفَقَ نَعَالُهُمْ إِذَا وَلَّوْا مَدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ : يَا هَذَا ، مَنْ رُبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ » .

وفي رواية (٢) : « وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيَجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رُبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا يَدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَمَنْتُ بِهِ ، وَصَدَّقْتُ » .

زاد في رواية (٣) « فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ثُمَّ اتَّفَقَا : « فَيَنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَّقَ عَبْدِي ، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطَيِّبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدُّ بَصَرِهِ ، وَإِنْ الْكَافِرَ ... » فَذَكَرَ مَوْتَهُ ، قَالَ : « فَتَعَادَ رَوْحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيَجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رُبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ ، لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ ، لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ ، لَا أَدْرِي ، فَيَنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ ، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ » .

= (يَنْكُتُ) : نَكَتَ فِي الْأَرْضِ يَدُهُ وَيَقْضِبُ : إِذَا أَثَرُ فِيهَا بَذْلُكَ .

(١) أَبُو دَاوُدَ : لِلْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

(٢) أَبُو دَاوُدَ : لِلْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

(٣) أَبُو دَاوُدَ : لِلْمَوْضِعِ السَّابِقِ .

(هَاهُ هَاهُ) : مِنْ عَادَةِ الشَّدْوَةِ الْحَاضِرِ إِذَا خُوِطِبَ أَنْ يَقُولَ : هَاهُ هَاهُ ، كَأَنَّهُ يَسْتَفْهَمُ عَمَّا يَسَالُ عَنْهُ .

زاد في رواية (١) : « ثم يَقِيضُ له أَعْمَى أَبْكُمْ ، معه مِرْزَبَةٌ من حديدٍ لو ضُرِبَ بها جَبَلٌ لَصَارَ تَرَابًا ، فَيَضْرِبُهُ بها ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ، فَيَصِيرُ تَرَابًا ، ثم تعاد فيه الروحُ » .

١١٥٣ - * روى أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يُلْحَدُ فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير وفي يده عودٌ يَنْكُتُ به في الأرض فرفع رأسه فقال : « استعينوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ اللَّهُ مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ بِيضَ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وَجُوهُهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنَ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنَوطٌ مِنَ حَنَوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَذَّ الْبَصَرِ وَيَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ آيَتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ : فَتَخْرُجُ فَيَقُولُ آيَتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ : « فَتَخْرُجُ عَيْنٌ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنَوطِ وَيَخْرِجُ مِنْهَا كَاطِيبٍ نَفْثَةٍ مِسْكٍ وَجِدَّتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ » قَالَ « فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يَسْمُونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُمْ فَيُشَفِّعُهُمْ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِيهِ فَيَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ رَبِّي اللَّهُ فَيَقُولَانِ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ . فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : رَسُولُ اللَّهِ . فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا عَمَلُكَ ؟ فَيَقُولُ :

(١) أبو داود : للوضع السابق .

(أبكم) : الأبكم : الذي خلق أخرس .

١١٥٣ - أحمد (٢٨٧ / ٤) .

جمع الزوائد (٤٩ / ٢) وقال : هو في الصحيح وغيره باختصار ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . =

قرأتُ كتابَ اللهِ وآمنتُ به وصدقته فينادي مناد من السماء : أن صدقَ عبدي فأفرشوا له من الجنةِ والبُسُوه من الجنةِ وافتحوا له بابًا إلى الجنةِ قال : « فيأتيه من رُوحِها وطيبها ويُفسَحُ له في قبره مدُّ بصره » قال : « ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيبُ الريح فيقول أبشِرْ بالذي بَشَّرَكَ هذا يومُكَ الذي كنتَ توعِدُ فيقول : من أنت فوجهُكَ الوجهُ يبيءُ بالخيرِ فيقول : أنا عملُكَ الصالح فيقول : رب أقم الساعةَ حتى أُرْجِعَ إلى أهلي ومالي . وإن العبدَ الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل ملائكةُ سوّدَ الوجوه معهم المَسُوحُ فيجلسون منه مدُّ البصر ثم يبيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يجلسَ عند رأسِهِ فيقول : أيتها النفسُ الخبيثةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من الله وَعَظَبٍ فَتَفَرَّقِي في جَسَدِهِ فَيَنْزِعُهَا كما يَنْزِعُ السَّقُودُ من الصوفِ المبلولِ فيأخذُها فإذا أخذها لم يَدْعوها في يدهِ طرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلكِ المسوحِ وَيَخْرُجُ منها كَأَنَّ جيفةً وَجِدَتْ على وجه الأرضِ فَيَصْعَدُونَ بها فلا يَمْرُونَ بها على مَلَأ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذه الريحُ الخبيثةُ فيقولون : فلانُ بنُ فلانٍ بأقبحِ أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماءِ الدنيا فيستفتحُ له فلا يُفْتَحُ » ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : « لا تفتح لهم أبوابَ السماءِ ولا يدخلون الجنةَ حتى يلجِ الجملُ في مم الخياط » فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجينٍ في الأرضِ السُّفلى ثم تُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ، ثم تلا : « ومن يشرِكْ باللهِ فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكانٍ سحيقٍ » فيُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ويأتيه ملكانِ فيجلِسانِهِ فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء : أن كَذَبَ فأفرشوه من النارِ وافتحوا له بابًا إلى النارِ فيأتيه من حرِّها وسمومها ويَضَيِّقُ عليه قَبْرُهُ حتى تَخْتَلِفَ فيه أضلاعُهُ ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثيابِ مُنْتِنُ الريحِ فيقول أبشِرْ بالذي يسوؤُكَ هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعِدُ فيقول : من أنت ؟ فوجهُكَ الذي يأتي بالشرِّ فيقول : أنا عملُكَ الخبيثُ فيقول : رب لا تقم الساعةَ .

== (السَّقُودُ) : الحديدة التي يشوى بها اللحم .

وفي رواية عنه ^(١) أيضاً نحو هذا وزاد فيه « فيأتيه آتٍ قبيحُ الوجهِ قبيحُ الشبابِ منتنُ الريحِ فيقولُ : أبشر بهوانٍ من الله وعذابٍ مقيمٍ فيقول : فَبَشِّرْكَ اللهُ بالشرِّ من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيثُ كنتَ بطيئاً عن طاعةِ الله سريعاً في معصيته فجزاك الله شراً ثم يَقِيضُ له أعمى أصم أبكم في يده مِرْزَبَةٌ لو ضُربَ بها جبلٌ كان تَرَابًا فيضربه ضَرْبَةً فيصيرُ تَرَابًا ثم يَعِيدُهُ اللهُ كما كان فيضربه ضَرْبَةً أخرى فيصيحُ صيحةً يَسْمَعُهُ كلُّ شيءٍ إلا الثقلين » . قال البراءُ ثم يَفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ وَيَمَهِّدُ له من فرش النارِ .

١١٥٤ - * روى أحمد عن أسماء ، أنها كانت تُحَدِّثُ عن النبي ﷺ قالتُ : « إذا دخلَ الإنسانُ قَبْرَهُ فَإِنْ كانَ مؤمناً أَحْفَ به عملُه الصلاةُ والصيامُ » قال : « فيأتيه المَلَكُ من نحو الصلاة فيردُّه ومن نحو الصيام فيردُّه فيناديه اجلس » قال : « فيجلسُ فيقولُ له : ماتقولُ في هذا الرجل » ؟ يعني النبي ﷺ « قال من ؟ قال : محمد ، قال : أشهد أنه رسول الله » قال : « يقول : على ذلك عشت وعليه مَتٌ وعليه تَبَعَتْ » . قال : « وإن كان فاجراً أو كافراً » قال : « جاءه مَلَكٌ ليس بينه وبينه شيءٌ يَرُدُّهُ » . قال : « فأجْلَسَهُ قال : اجلسُ ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أيُّ رجلٍ ؟ قال : محمد ، يقول : ما أدري والله سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلته . قال له المَلَكُ : على ذلك عِشْتَ وعليه مَتٌ وعليه تَبَعَتْ وتَسَلَّطَ عليه دابةٌ في قبره معها سوطٌ ثَمَرَتُهُ جَمْرَةٌ مثلُ البعيرِ تَضْرِبُهُ ما شاء اللهُ ضَمَاءٌ لا تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَتَرْحَمُهُ » .

١١٥٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإذا كان مؤمناً »

(١) أحمد : للوضع السابق .

مجمع الزوائد (٤٩ / ٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٤ - أحمد (٢٥٢ / ٦) .

والمعجم الكبير (١٠٥ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٥١ / ٢) وقال : رواه أحمد وروى الطبراني منه طرفاً في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٥ - مجمع الزوائد (٥١ / ٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ، ولأبي هريرة في الأوسط أيضاً رفعه =

كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجله ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ليس قبلي مدخل ، فيؤتى عن يمينه ، فتقول الزكاة : ليس قبلي مدخل ، ويؤتى من قبل شماله فيقول الصوم : ليس قبلي مدخل ثم يؤتى من قبل رجله : فيقول فعل الخيرات إلى الناس : ليس من قبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس للغروب فيقال له : ماتقول في هذا الرجل الذي كان قبلكم يعني النبي ﷺ فقال : أشهد أنه رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقناه واتبعناه ، فيقال له : صدقت وعلى هذا حييت وعلى هذا مت وعليه تبعث إن شاء الله ويفسخ له قبره مد بصره فذلك قول الله عز وجل : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ . ويقال : افتحوا له باباً إلى النار فيقال : هذا كان منزلك لو عصيت الله عز وجل فيزداد غبطة وسروراً . ويقال : افتحوا له باباً إلى الجنة فيفتح له فيقال : هذا منزلك وما أعد الله لك فيزداد غبطة وسروراً ، فيعاد الجلد إلى مابدا منه ، ويجعل روحه في نسمة طير يعلق في شجر الجنة ، وأما الكافر فيؤتى من قبل رأسه فلا يوجد شيء ، فيؤتى من قبل رجله فلا يوجد شيء ، فيجلس خائفاً مرعوباً فيقال له : ماتقول في هذا الرجل كان فيكم وما تشهد به ؟ فلا يهتدي لاسمه فيقال : محمد ﷺ فيقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا فيقال له : صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلعه فذلك قول الله عز وجل ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ . فيقال : افتحوا له باباً إلى الجنة فيقال له : هذا كان منزلك وما أعد الله لك لو أطعته ، فيزداد حسرة وثبوراً ثم يقال : افتحوا له باباً إلى النار فيفتح له إليها فيقال : هذا

= قال : يؤتى الرجل في قبره فإذا أتى من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن وإذا أتى من قبل يديه دفعته الصدقة وإذا أتى من قبل رجله دفعه مشيه إلى المساجد والصبر حجرة فقال : أما إني لو رأيت خليلاً كنت صاحبه .
وروى البزار طرفاً منه . (كشف الأستار ١ / ٤١٢) .
(ويجعل روحه) : الروح تذكر وتؤنث .

منزلك وما أعدَّ الله لك فيزدادُ حَسْرَةً وثبورًا . قال أبو عمر يعني الضير قلت لحماة ابن سَلَمَةَ كان هذا من أهل القبلة ؟ قال : نعم : قال أبو عمر كأنه يشهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه كان يسمع الناس يقولون شيئًا فيقول .

١١٥٦ - * روى ابن ماجه عن سالم عن أبيه ، قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنْ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ وَكَانَ وَكَانَ ، فَأَيُّنَ هُوَ ؟ قَالَ : « فِي النَّارِ » قَالَ فَكَأَنَّهُ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيُّنَ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ » قَالَ فَاسْأَلُمُ الْأَعْرَابِيَّ بَعْدَ وَقَالَ : لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَبًا مَازَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ .

١١٥٧ - * روى الطبراني عن قتادة أن أنسًا ذَفَنَ ابْنًا لَهُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنْبِيهِ وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ .

١١٥٨ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ » قِيلَ : وَمَا مِثْلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مِثْلُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْهُ تَنْبُتُونَ » .

١١٥٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » .

١١٥٦ - ابن ماجه (١ / ٥٠١) ٦ - كتاب الجنائز ، ٤٨ - باب ماجاء في زيارة قبور المشركين .

وقال في الزوائد : إسناده هذا الحديث صحيح .

١١٥٧ - للمجم الكبير (١ / ٢٤٤)

مجم الزوائد (٣ / ٤٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات .

١١٥٨ - أحمد (٢ / ٢٨) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) وقال رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١١٥٩ - مسلم (٢ / ١٢٥٥) ٢٥ - كتاب الوصية ، ٣ - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

وأبو داود (٢ / ١١٧) كتاب الصيد ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت .

والترمذي (٢ / ٦٦٠) ١٣ - كتاب الأحكام ، ٣٦ - باب في الوقف . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٦ / ٢٥١) ٣٠ - كتاب الوصايا ، ٨ - فضل الصدقة عن الميت .

(صدقة جارية) : الصدقة الجارية : هي الدَّارَةُ المتصلة ، كالوقف وما يجري مجراه .

١١٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ : أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ ، فَيُرْجَعُ اثْنَانِ ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » .

١١٦١ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب ، قال : لما حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَتَتْهُ أُمُّ مَبْشَرٍ فَقَالَتْ أَقْرَأْ عَلَى النَّبِيِّ السَّلَامَ . فَقَالَ لَهَا : أَوْ مَاسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « رُوحُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قَالَتْ : بَلَى وَلَكِنْ ذُهِلْتُ .

١١٦٢ - * روى مالك عن كعب بن مالك رضي الله عنه ، كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » .

أقول : الظاهر أن هذا ليس عامًا في كل مؤمن بل هو خاص بالشهداء ويمن يكرمه الله عز وجل من أهل خاصته .

١١٦٣ - * روى مسلم عن مشروق رحمه الله قال : سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(١) فَقَالَ : أَمَّا إِنَّمَا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : « أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَصِرٍ ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى

١١٦٠ - البخاري (١١ / ٣٦٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٢ - باب سكرات اللوت .

مسلم (٤ / ٢٢٧٣) ٥٢ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث (٥) .

والترمذي (٤ / ٥٨٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٤٦ - باب ما جاء مثل ابن آدم وأهله وولده وماله وعمله .

وقال : حديث حسن صحيح .

١١٦١ - مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٦٢ - الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .

(النَسَمَةُ) : الرُّوحُ والنَّفْسُ ، وَ « يَغْلُقُ » أَي يَأْكُلُ .

١١٦٣ - مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ - كتاب الإمامة ، ٣٣ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

(١) آل عمران : ١٦١ .

تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتَهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نَشْتَهِي ونُحِبُّ نَسْرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب ، نريد أن ترد علينا أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا .

وفي رواية الترمذي ^(١) : أنه سئل عن قوله : ﴿ وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك ؟ فأخبرنا أن : « أرواحهم في طير خضر ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءت ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، فاطلع ربك اطلاعة ، فقال : هل تستزيدون شيئا ، فأزيدكم ؟ قالوا : ربنا ، وما نستزيد ونحِبُّ نَسْرح في الجنة حيث شئنا ؟ ! ثم أطلع إليهم الثانية ، فقال : هل تستزيدون شيئا ، فأزيدكم ؟ فلما رأوا أنهم لا يتركون ، قالوا : تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى . »

وللترمذي ^(٢) في رواية أخرى - مثله - وزاد : « وتقرئ نبينا السلام ، وتخبره أن قد رضيينا ، ورضينا عنا . »

١١٦٤ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا . »

(١) الترمذي (٣٣١ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٤ - باب ومن سورة آل عمران . وقال : حديث حسن صحيح .

(مَرَحَت) : اللاتية : إذا ذهب للرعي ، فاستعاره للطير .

(٢) الترمذي للموضع السابق . وقال : حديث حسن .

١١٦٤ - أحمد (٣٦٦ / ١) .

والمعجم الكبير (٤٠٥ / ١٠) .

مجمع الزوائد (٢٩٤ / ٥) وقال : رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات ، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط .

١١٨٩

١١٦٥ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على باب بارق
نهر يباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » .

* * *

١١٦٥ - أحمد (١ / ٢٦٦)

والمعجم الكبير (١٠ / ٤٠٥) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٨) وقال : رواه أحمد ، والطبراني ورجال أحمد ثقات .

مسائل وفوائد

ذكر أخونا الشيخ الشهيد أديب كيلاني في شرحه لعقائد أهل السنة والجماعة عن الموت والحياة البرزخية مانأخذ منه هذه المقتطفات :

- « ولا بد من سؤال الميت ، ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها ؛ إذ لا يبعد أن الله تعالى يعيد له الروح في أعضائه ولو كانت متفرقة ، لأن قدرته تعالى صالحة لذلك . وإن مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة ، فقد ذهب القرطبي إلى جواز أن الملكين يعظمان فيسألان الجميع بوقت واحد أو أن ملائكة السؤال عديدون ، كما ذهب إليه الحافظ السيوطي ووافقه عليه الحلبي .

- والأنبياء لا يسألون ، وقيل يسألون عن الوحي وجبريل ، وكذلك الصديقون والشهداء والمرابطون والملازمون لقراءة سورة الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر إليهم ولا يضر الترك مرة بعذر ، وذكر بعضهم سورة السجدة كذلك ، وكذلك من قرأ بمرض موته سورة الإخلاص ، ومريض البطن ، والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابراً محتسباً ، والميت ليلة الجمعة أو يومها . والراجح أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يسألون سؤالاً خفيفاً . والظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره اختصاص السؤال بالملكفين بخلاف الأطفال ...

- مما يجب اعتقاده عذاب القبر ، وإنما أضيف العذاب للقبر لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب ، قبر أو لم يقبر ، ولو غرق أو صلب أو التهمته الضواري أو حرق ثم ذرته الرياح ، وتفتت الأعضاء لا يمنع من وجود العذاب .

- والعذاب للكافر والمنافق دائماً ديمومة البرزخ . وينقطع عن المؤمن العاصي إن خفت جرائمه ، كما يرفع بالدعاء أو الصدقة ، أو غير ذلك ، كما قاله ابن القيم وكل من لا يسأل في القبر لا يعذب . وضغطة القبر من عذابه ، وهي التقاء حافتيه التقاء برزخياً يتناسب مع عالم البرزخ ، وما يحكه من قوانين ، فتضمه الأرض حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو من الضمة أحد حتى الصالحاء ، ما خلا الأنبياء .

- وأما المؤمنون الصالحون الذين قدر الله لهم ألا يعذبوا فهم في نعيم القبر . وقد بلغت النصوص في نعيمه مبلغ التواتر . وكأ أن العذاب لا يختص بالقبر فكذلك النعيم ، فهو يشمل كل ميت قدر له ، قبر أو لم يقبر ، ولا يختص بالمؤمنين من هذه الأمة ، ولا بالملكفين ومن النعيم توسيع القبر ، وفتح طاقة فيه من الجنة ، وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر ، وكل هذا بما يتناسب مع عالم البرزخ .

- والأنبياء - وإن كانوا جميعهم أحياء حياة برزخية - أكل حياة من الشهداء ، والشهداء أكل حياة من بقية الأموات .

- وعلى كل فهي أمور خارقة للعادة فلا يقاس عليها غيرها ، ويجب اعتقاد أن الله تعالى يرزق شهيد الحرب من محبوب نعيم الجنات ، إلا أنه يتناولون الأكل والشرب للتلذذ ، لا للاحتياج .

- وإنما سمي الشهيد شهيداً لشهادة الله وملائكته له بالجنة والرضا عنه .

- ولأن روحه شهدت دار السلام بخلاف غيره ، فإنه لا يشهدا إلا يوم القيامة . وقد قال النسفي : بأن أرواح المسلمين - إن دخلت الجنة الآن ، كما دلت عليه الأحاديث - لا تكون كالشهيد في الحياة والرزق بل لا تأكل فيها ولا تمتنع ، اهـ .

أقول : وكخاتمة لهذا الوصل ، وكجسر للكلام عن الوصل اللاحق نذكر لك ما قاله صاحب الإحياء وهو يوصيك عما ينبغي أن يكون عليه عقلك وقلبك بالنسبة للنصوص التي تتحدث عن اليوم الآخر :

قال الإمام الغزالي في الإحياء :

« إيَّاكَ أن تُنْكِرَ شيئاً من عجائب يوم القيامة لخالفته قياس ما في الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ، ثم عُرِضَتْ عليك قبل المشاهدة لكنت أشدَّ إنكاراً لها ، وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به !

ولو لم يشاهد الإنسان الحيَّة وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكرَ تصوُّر المشي على غير رجلٍ والمشْي بالرجل أيضاً مُستبعدٌ عند من لم يشاهد ذلك . وَلَوْ لَمْ يَشَاهِدِ

الإنسان توالّد الحيوان ، وقيل له : إنّ له صانعاً يصنّع من النطفة القذرة مثل هذا
الآدمي : المصور ، العاقل ، المتكلم ، المتصرف ... لاشتدّ نفور باطنه عن التصديق به .

ففي خلق آدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه : أعاجيب تزيد على
الأعاجيب في بعثه وإعادته ، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته : مَنْ يُشاهد
ذلك في صنعته وقدرته ؟ ! فإن كان في إيمانك ضعف ففوّ الإيمان بالنظر في النشأة الأولى :
﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ
فَسَوًى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
الْمَوْتَى ﴾ ^(١) بلى إنّ الله على كل شيء قدير » . اهـ .

* * *

١١٩٣

الوصل الثالث
في:
الساعة وما يأتي بعدها
وفيه:
مقدمات وفقرات وخاتمة

المقدمة

هذا الموضوع من أهم قضايا العقيدة ، لأنه يصف أخطر شيء وأعظم حقيقة يغفل عنها الإنسان ، وهو من أهم الأمور في التربية وأهمها في التعليم ، ومن أهمها فيما ينبغي أن يكون الإنسان منه على تذكر دائم ، ومن ههنا كان التأمل فيه وتذكره يومياً من أساسيات السير إلى الله عز وجل ، وهو زاد الوعظ وزاد جلسات المذاكرة وهو طريق المسلم للوصول إلى مقام المخلص (بفتح اللام) .

فالحسن البصري رحمه الله يقول : « الناس هلكي إلا العالمين ، والعالمون هلكي إلا العاملين ، والعالمون هلكي إلا المخلصين ، والمخلصون على خطر عظيم » .

فإذا كان المخلصون على خطر فمن هم الناجون ؟ يذكر الله عز وجل سياسة إبليس عليه اللعنة : ﴿ لأغوينهم أجمعين ﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿ ^(١) فالمخلص هو الذي سار في طريق النجاة ، وطريق الوصول إلى مقامه هو تذكر الآخرة ، قال تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ إذا أخلصناهم بمخالصة ذكرى الدار ﴿ ^(٢) فلقد وصلوا إلى مقام المخلص بعمل خالص هو تذكر الدار الآخرة .

وما أكثر الكفر بالآخرة والشك في شأنها والغفلة عنها ، فياويل الكافرين والغافلين بماذا يكفرون ولماذا يغفلون ؟ أيغفلون عن الجنة والنار ؟

* * *

وقضية الآخرة منوطة بالإيمان بالله فمن عرف قدرة الله الذي خلق كل شيء وعرف علم الله الذي لا يغيب عنه شيء وعرف عدله وفضله وكرمه آمن بالآخرة ، وقضية الآخرة كذلك منوطة بالإيمان بالرسول ﷺ فمن آمن به عرف الآخرة لأن عليها مدار البعثة فالبعثة يترتب عليها تكليف ومسؤولية وجزاء .

ومن عرف أن القرآن كتاب الله وعرف معجزاته وإعجازه لا يشك في اليوم الآخر .

وأمر اليوم الآخر مداره على الإيمان والتسليم فتلك عوالم نحن مقبلون عليها لا نعرف عنها إلا ما أخبرنا عنه الله عز وجل ورسوله ، وواجبنا في الأخبار : الإيمان والتسليم دون الاعتراض والتشكك : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ^(١) .

ولذلك فنحن سنقلل من التعليق على أحاديث هذا الوصل حتى لا نفسد على القارئ تفاعله مع النص وتأثره فيه وسنقسم أبحاث هذا الوصل إلى فقرات مع ملاحظة أن كثيرًا من النصوص تتعلق بأكثر من فقرة .

الفِقرات

الفقرة الأولى : في عرض إجمالي .

الفقرة الثانية : في النفختين وفي يوم القيامة .

الفقرة الثالثة : في الحشر .

الفقرة الرابعة : في مشاهد من القرآن الكريم فيما يجري في اليوم الآخر من حوار .

الفقرة الخامسة : في أحاديث جامعة تصف بعض ما في الموقف وما بعده .

الفقرة السادسة : في الخوض .

الفقرة السابعة : في الحساب والميزان .

الفقرة الثامنة : في الصراط .

الفقرة التاسعة : في الشفاعات .

الفقرة العاشرة : في الجنة والنار .

الفقرة الحادية عشر : في ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ .

الفقرة الأولى

عرض إجمالي

تحكم الإنسان وهو في بطن أمه أسباب تختلف نوعاً ما عن الأسباب التي تحكمه بعد ولادته ، ولهذا العالم أسبابه وقوانينه ، ولعالم البرزخ أسبابه وقوانينه ، وللقيامة وما يكون بعدها أسباب وقوانين ، وكل ذلك بعلم الله وإرادته وقدرته ، فإذا ما جاءت النصوص القرآنية أو النصوص الحديثية الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فلا يصح أن يستغرب شيء منها لأن ذلك كفر بوجود الله وصفاته أصلاً ، ومن رأى عظمة هذا الكون وامتداده ملايين السنين الضوئية وأنه كله بقدره الله كيف يستغرب شيئاً على هذه القدرة أخبر الله عز وجل عنه أو أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أن الله فاعله .

- قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

- لقد خلق الله عز وجل الماء والعرش ، ثم من الماء خلق مجرات هذا الكون ﴿ وَالْمَاءِ بَنِينَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٢) ثم خلق الأرض بعد السماء ثم خلق السماوات السبع بعد الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَآأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاهها ﴿ (٣) ، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ مَعَاوَاتٍ ﴾ (٤) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ مَعَاوَاتٍ وَمَنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ (٥) ﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ مَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ (٦) .
والسماوات السبع والعرشي ومغيبه عنا في فهمي بدليل أن رسول الله ﷺ قال في حديث صحيح : « والله لقد رأيت ما أنتم لاقون في دنياكم وأخرتكم » (٧) قال الشيخ

(١) الرعد : ٥ .

(٢) الناريات : ٤٧ .

(٣) النازعات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) البقرة : ٢٩ .

(٥) الطلاق : ١٢ .

(٦) فصلت : ١٢ .

(٧) للمستدرك (١ / ٢٣٠) وصححه ، وواقفه الذهبي ، وقد ورد قريباً من هذا المعنى في سياقات عند البخاري ومسلم .

عبد الفتاح أبو غدة في كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح عليه السلام) :

وظاهر الحديث في رؤية الجنة والنار أنه ﷺ رآها رؤية عين ، فمن العلماء من حمل ذلك على أن الحجب كُشِفَتْ له ﷺ دونها ، فرآها على حقيقتها ، ومنهم من حمل ذلك على أنها مثلنا له في الحائط كما تنطبق الصورة في المرآة ، فرأى جميع ما فيها . ويشهد لكل من هذين القولين أحاديث ذكرها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٢ : ٤٤٨ . وقال القاضي عياض : القول الأول - وهو أنها رؤية عين حقيقة - أولى كما حكاه عنه النووي في « شرح صحيح مسلم » ٦ : ٢٠٧ ، وأقره . ١ هـ .

أقول : وجهور العلماء يذهبون أن الجنة الآن فوق السماء السابعة فهي كالجزء منها ، فإذا رآها الرسول ﷺ لم يرها غيره ، فذلك دليل على أنها مغيبة ، وهذا يجعلنا نستأنس أن السماوات السبع كلها مغيبة عنا .

- وجعل الكرسي سقفاً للسماوات السبع : ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ ^(١) . وجعل العرش سقفاً لهذا العالم : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ ^(٢) . وقد ورد في الحديث : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » ^(٣) .

- وخلق للملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات والجنة والنار .

- وكما أن الخلق كان بقدرة الله عز وجل ابتداءً فإنه يحتاج إلى إمداد الله باستمرار ، قال تعالى : ﴿ كلا عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ﴾ ^(٤) ، ولذلك شبه بعضهم هذا الكون بالنسبة للإمداد الإلهي كنور الكهرباء في احتياجه لإمداد المولد الكهربائي والله المثل الأعلى ، ولذلك فلا عمل لتساؤل من يتساءل أنه إذا مات الإنسان والحيوان وتفرقت أجزاؤهما فأصبحت في أجسام أخرى كيف تحشر هذه الأجسام نفسها فذرة الآن غير ذرة اللحظة السابقة واللاحقة ، ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ ^(٥) ، ولا عمل للتساؤل كيف تعرض الأعمال كلها وكيف تعرض الأيام والليالي وكيف تشهد الأرض والأعضاء مع

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) هود : ٧ .

(٣) الحديث رواه ابن جرير ، وهو صحيح .

(٤) الإسراء : ٢٠ .

(٥) يس : ١٢ .

أن بعض الأعضاء في الأحياء تتجدد .

تقول هذا بمناسبة أن علماء أهل السنة والجماعة يذكرون أن ما مر على الأجساد من أعراض وما مر من أزمنة يعرض كذلك على قول قوي لعلماء العقائد في الإسلام ، فالزمن وما حدث فيه والأعراض التي مر عليها الإنسان والأحوال كلها تعرض يوم القيامة على الإنسان ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله وهو يشرح عقائد أهل السنة والجماعة : فما كان من الأعراض الملازمة للذات من بياض وطول ونحوه فإنه يعاد متعلقاً بها ، وما كان من غير ذلك - كالكفر والمعاصي والإيمان والطاعة - فإنه يعاد مصوراً بصورة حية ، فتكون حسنة من الحسنات وقبيحة في السيئات ، هذا هو الظاهر . وهذه الإعادة ليست دفعة واحدة بل هي على التدرج حسبها كانت في الدنيا ، لكنها تمر كالمح البصر ، وريك على كل شيء قدير .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١) اهـ .

وقال : الأرجح أن جميع أزمنة الأجسام - التي مرت عليها في الدنيا - تعاد لتشهد للإنسان وعليه ، بما أوقع فيها من الطاعات والآثام ، لكنها إعادة على التدرج حسبها مرت في الدنيا وإن كانت في الآخرة أسرع اهـ .

ونعود للسياق الرئيسي في موضوعنا :

- هذا الكون بما فيه ماذا سيحدث له ؟

إنه سيكون هناك نفخة في الصور يحدث فيها ما يحدث وهي التي تسمى نفخة الصعق ثم تكون نفخة أخرى يكون فيها بعث كل من مات من الأحياء ، وبالنفخة الأولى تقوم القيامة وبالنفخة الثانية يبدأ اليوم الآخر على قول ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : إن أول اليوم الآخر من وقت الحشر إلى مالا يتناهى على الصحيح . وقيل حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . وإنما سمي آخرًا لأنه متصل بآخر أيام الدنيا لا أنه آخرها .

وسمي يوم القيامة لقيام الناس من قبورهم بين يدي خالقهم ، ولقيام الحجة لهم أو عليهم .
وله أسماء نحو الثلاثمائة اهـ .

ومنهم من يرى أن هناك نفخة قبل النفخة الأولى تسمى نفخة الفزع ، والقول الراجح
أنها نفختان فقط .

- فإذا يحدث في النفخة الأولى وما بعدها :

أما السموات السبع فتطوى ، والأرضون الست ما عدا أرضنا تجمع : ﴿ والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ ^(١) ، وعجرات هذا الكون كلها تطوى
فكما كانت كتلة واحدة ثم انفصلت ترجع كتلة واحدة : ﴿ يوم نطوي السماء كطوي السجل
للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ ^(٢) أما البشر والجن والحيوانات الموجودة وقتذاك فتصعق
وتموت ، وأما الأرض فتؤجج بحارها نازاً وتذك جبالها وتنسف وتهد بعد أن كانت كروية
فتصبح كالسطح الواحد لا معلم فيها من جبال أو وديان أو أنهار أو غير ذلك .

أما الملائكة فيصعقون إلا بعضهم ، ثم هؤلاء المستثنون على قول ، وأما الأرواح التي
قبضت من قبل فتصعق إلا روح موسى عليه السلام - على قول - ، وأما الجنة وما فيها من
الخور العين فلا يحدث لها شيء والنار لا يحدث لها شيء والعرش والكرسي في الظاهر لا
يصيبها مما يحدث شيء وقد أخذ العلماء هذه الاستثناءات من قوله تعالى : ﴿ ونفخ في
الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ^(٣) ، ومن استقرأت
وتحقيقات كثيرة يرد معنا بعضها .

أما الشمس والقمر فيكوران ويجمعان مع بعضها كما ورد في نص صحيح ، ويحتمل أن
يدجا مع بقية العوالم والمجرات ليعود الكون كله كتلة واحدة وذلك كله مقدمة لتكوين
جديد ووضع جديد .

- وفي النفخة الثانية يتم البعث والنشر للمخلوقات جميعاً ، والنصوص تحدثنا بإجمال عن

(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(١) الزمر : ٦٧ .

(٣) الزمر : ٦٨ .

١٢٠٣

حشر الحيوانات لتحقيق العدل ثم إفنائها فتكون ترابًا ، وتحدثنا بشيء من التفصيل عن أوضاع للحيوانات لها ارتباط بقضايا الإنسان كالحیوانات التي تجب فيها الزكاة ولا يؤدي الإنسان زكاتها ، وعن الحيوانات التي يقتلها الإنسان عبثًا .

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله عن البعث والحشر :

البعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ، ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك ، كالظفر مثلاً ، والحشر عبارة عن سوقهم جميعاً إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء ، ووزن الأعمال ، ومنه إما إلى جنة أو إلى نار ، وهو أرض لم يعص الله عليها .

ولا فرق في الحشر بين من يجازى ومن لا يجازى ، كالبهائم والوحوش ، على ما ذهب إليه المحققون ، وصححه النووي . وذهبت طائفة إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى ، أما السقط - إن لم ينفخ فيه الروح - فكسائر الأجسام التي لا روح فيها ، وأما - إن نفخت فيه - فيحشر ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول . إ.هـ .

- ويوم القيامة مدته خمسون ألف سنة قال تعالى : ﴿ تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ ^(١) ، وقد ورد في نصوص حديثية صحيحة هذا التحديد ، ويختلف حال الناس في استشعار طوله وفي مكثهم في الموقف واستقرارهم في الجنة أو النار .

- وبعد البعث يحشر الناس إلى أرض الحشر ومركزها بلاد الشام ، وهناك يكون الموقف ، فن الخلق من يكون في ظل الرحمن ، ومنهم من يكون بالعراء ، ويخلق الله شمساً دانية من العباد وتكون شدة الحر أكثر من حر الدنيا بعشرة أمثال ، ويؤمر الناس بالاصطفاف والوقوف استعداداً كوقفة الجندي وصف العساكر « ويؤتى بالنار لها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك ويؤتى بالجنة فتكون ملاصقة للنار وعلى النار الصراط » .

(١) للمارج : ٤ .

- ويطول الوقوف ويفزع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم ليبدأ فصل القضاء إما إلى جنة وإما إلى نار فلا يشفع لفصل الخطاب إلا محمد ﷺ وعندئذ تبدأ مواقف جديدة متعددة ، فمن ذلك ما يصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ (١) . وتؤمر كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله ، وتميز الأمم عن بعضها بعضاً ، ويكون هناك جدال وعتاب ومعاذير وإقامة حجج ، ويكون هناك في موقف من المواقف عرض للأمم كلها على النار فتجتوا الأمم كلها باركة على ركبها حول النار ، وفي موقف من المواقف تشهد الأنبياء على أممها ، وتشهد أمتنا لصدق الرسول ﷺ ، ويكون هناك حوار بين الأتباع والمتبعين ، وفي موقف من المواقف يدعى أئمة الهدى وأئمة الضلالة ، فيرجع أئمة الهدى بالبشرى لمن تابعهم ، ويرجع أئمة الضلالة ببشارة السوء لمن تابعهم . وفي هذه الأجواء تكون براءة من المتبعين على الضلال ، ويتمنى الأتباع لو أنهم أعيدوا إلى الحياة الدنيا ليتبرأوا من اتبعوهم ، ثم تطير صحف أعمال العباد فأخذ يبينه وأخذ بشماله وأخذ وراء ظهره ، ويقال إن الآخذين وراء ظهورهم أصحاب الشمال أنفسهم ، ثم يبدأ الحساب وهو قبل الوزن والميزان .

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : والحساب حق : أي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وهو توقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أم شراً ، قولاً كان أو فعلاً ، بعد أخذهم كتبها ، ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن ، إلا من استثنى الله تعالى منهم اهـ .

والنصوص تدل على أن بعض أهل الجنة لا يحاسبون . ويذهب بعض الناس إلى أن بعض أهل الكفر لا يحاسبون ، ولكن الظاهر أن هذا القول مرجوح ، لأن إدخال أهل الجنة بدون حساب فضل ، أما أهل النار فمن سنة الله عز وجل أن يقيم عليهم الحجاج كاملة . قال الشيخ أديب : ولا يشغله سبحانه محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعاً معاً ، حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده وكيفية الحساب مختلفة ، فنه السير والعسير ، والسر والجهر ، والتوبيخ والفضل والعدل . اهـ .

١٢٠٥

وفي مقام الحساب وفي مقامات أخرى تكون شهادات ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة ، أما الأنبياء والأولياء وسائر الصلحاء فهم عن كل هذا مبعدون اهـ .

وبعد الحساب : يكون الوزن والميزان فتدعى الأمم كلها إلى الوزن والميزان ، فتحضر الأمم للوزن جائئة على ركبها . قال تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ ^(١) .

وهكذا يحضر الناس الوزن ويبد كل واحد منهم صحيفته ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : إن أخذ الصحف واجب لوروده بالكتاب والسنة ولانعقاد الإجماع عليه ، فن أنكره كفر ، والصحف هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا ، ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة ، وإن كانت متعددة في الدنيا اهـ .

فكل إنسان بيده صحيفته ، ولكل إنسان كتابه الذي ضم ما سجلته الملائكة عليه ، وهناك الكتاب الذي سجل فيه كل شيء على الأفراد والأمم .

ويبدأ الوزن والميزان ، أما الكافرون فلا قيمة لأعمالهم ولا وزن ، وأما المؤمنون فتوزن حسناتهم وسيئاتهم إلا من يستثنى من لا حساب عليهم أصلاً ، وفي هذا المقام يقول الشيخ أديب رحمه الله : والميزان : هو ميزان واحد على الراجح له قصة وعمود وكفتان ، كل منهما أوسع من أطباق السموات والأرض ، وجبريل أخذ بعموده ناظر إلى لسانه وميكائيل أمين عليه ، وعمله بعد الحساب ، وقيل لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله .

وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، فيجب الإيمان به ، ونمسك عن تعيين حقيقته .

وقال : أما الكفر فلا فائدة في وزنه ، لأن عذابه دائم ، وقد ورد في كلام القرطبي ما يدل على أنه يوزن حيث قال : فتجمع له هذه الأمور وتوضع في ميزان الكافر فيرجح الكفر بها .

وقال : اختلف العلماء في الموزون فذهب جمهور المفسرين ، إلى أن الموزون هي الكتب

المشتلة على أعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب ، والسيئات بآخر .

وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال ، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ، ثم تطرح في كفة النور ، وهي اليمنى ، فتثقل بفضل الله سبحانه . وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ، ثم تطرح في كفة الظلمة ، وهي الشمال ، فتخف وهذا في المؤمن . أما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه وتعالى . وقيل : قد يوزن الشخص نفسه .

وقال : يجازي الله على السيئات بعقاب يليق بها ، إن جازى عليها ، وله أن يعفو عنها إن لم تكن كفرًا ، وإلا خلد صاحبه في النار ، والسيئة ما يذم فاعلها عليها شرعًا ، صغيرة كانت أو كبيرة . وسميت سيئة لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة . والمراد بها التي عملها العبد حقيقة ، أو حكمًا بأن طرحت عليه لظلمة اجترحها بعد نفاذ حسناته ، فإنه يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم ، فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم ، ثم قذف بالظالم في النار .

أما الحسنات فيضاعفها الله تعالى بفضلها ، إذ لا يجب عليه ذلك . والحسنة بما يمدح عليها صاحبها شرعًا ، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة ، والمراد الحسنات المقبولة المعمولة للعبد أو ما في حكمها بأن عملها عنه غيره كما إذا تصدق غيره عنه بصدقة . أما الحسنات المأخوذة نظير ظلمة فلا تضاعف . والحسنات المردودة ما خالطها الرياء ، فهذه لا ثواب فيها أصلاً . والحسنة التي يهيم الإنسان بفعلها ولكنه لا يفعلها تكتب حسنة واحدة من غير تضعيف .. وأقل مراتب التضعيف عشر مراتب ، وقد تضاعف إلى سبعين ، إلى سبعمائة ، أو أكثر من غير انتهاء إلى حد تقف عنده . وتفاوت هذه المراتب إنما هو تبع لما يقترن بالحسنة من إخلاص ، وحسن نية اهـ .

ويعرف بالوزن والميزان كل إنسان نتيجة عمله والظاهر أنه قبل الوزن يحاول الناس أن يشربوا من أحواض أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام ، وتشرب هذه الأمة من حوض رسولها ﷺ ، فيَرَدُّ من يَرَدُّ ويشرب من يشرب ويحبس الناس في الظلمة دون الصراط ، وههنا

يحدث تبدل جديد للأرض ، فآل الأرض في النهاية إلى أن تكون خبزة يأكلها أهل الجنة وتوجد سموات جديدة ، والظاهر أنه في هذا الموقف يؤمر آدم بأن يخرج بعث النار فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، ويخرج عنق من النار فيأخذ أصنافاً من الناس ويبدأ أهل النار يردون على النار أفواجاً أفواجاً كل أمة مع أئمتها في الضلال وأئمة الضلال يدخلون النار قبل أتباعهم ، والسابقون من الأمم في الغواية يدخلون النار قبل اللاحقين ، فكل شيء في الآخرة على غاية من الترتيب والنظام والعدل والانضباط .

ومن كتب له المرور على الصراط لا ير إلا بعد شفاعة جديدة من رسولنا ﷺ ، فبعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مرة ثانية فيحيلون الأمر إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام فيشفع ويؤذن بالمرور على الصراط ، والظاهر أن المناققين يبقون مع المؤمنين طامعين في أن يعبروا معهم على الصراط ، فيضرب بينهم وبين المؤمنين بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، فبعض العلماء يقولون إن هذا السور يضرب في أول الصراط ، والظاهر أنه لا يعبر على الصراط إلا من له نور معها كان هذا النور ضعيفاً ، والذين يمرّون على الصراط بعضهم تكون سيئاتهم أكثر من حسناتهم فلا يعبرون بل يسقطون في النار ، وبعضهم تكون حسناتهم أكثر فيعبرون ، وبعضهم تتساوى حسناتهم وسيئاتهم فيعبرون ، وهؤلاء هم أهل الأعراف الذين يكونون في مكان بين الجنة والنار أمداً من الزمن ، ومألم إلى الجنة بإذن الله .

وعلى ضوء صحائف الأعمال التي تكون بيد المارين على الصراط تقتص الملائكة من بعض المؤمنين لبعض ، فينجو من نجا ، ويسقط في النار من لا تكفي حسناته الزائدة على سيئاته ليأخذها من له عليه حق ، حتى إذا تجاوز الناجون الصراط يبقى بعضهم على الأعراف ، ويحبس الآخرون فلا يؤذن لهم بدخول الجنة حتى يشفع بذلك رسول الله ﷺ ، فهذه شفاعة ثالثة تكون بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء فيحيلونهم على رسولنا عليه الصلاة والسلام .

وفي هذا المقام تنزع الأحقاد من القلوب ، وتبدأ شفاعات بين دخل النار من أهل الإيمان ، ثم يدخل أهل الجنة الجنة وتستمر الشفاعات ، ويخرج أهل الإيمان من النار ،

وعندئذ يذبح الموت بين الجنة والنار ، ويكتب الخلود لكل من أهل الجنة والنار ، وكل في موطنه ، وفي ذبح الموت أعظم بشارة لأهل الجنة وأعظم كآبة لأهل النار .

ومن كلام الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله عن الصراط والجنة والنار ما يلي :

كذا الصراط ... [أي] في وجوب الإيمان به ، لورود الدليل السمعي ، مثل أخذ العباد الصحف ومثل الوزن والميزان . ومعناه - لغة - الطريق الواضح ، لأنه يصرط المارة أي يتلعمهم ، وشرعاً : هو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار . إلا أن الخليبي ذهب إلى أنهم لا يمرون ، ويجوز أنه قصد بالكفار الذين لا يمرون من تلقي بهم الملائكة في النار من الموقف . وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء يقولون : « اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ »

وفي بعض الروايات « أَنَّهُ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ وَاحِدٌ مِنَ السَّيْفِ » ، وهو المشهور ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي ، وغيرها كالبدن الزركشي . قالوا : على فرض صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره ، بأن يؤول : بأنه كناية عن شدة المشقة ، وحينئذ فلا ينافي ما ورد في الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبه ، وكون الكلايب فيه . وزاد القرافي : والصحيح أنه عريض ، وفيه طريقان ينفى ويسرى ، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين ، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال ، وفيه طاقات ، كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم . وقال بعضهم : إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره ، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره . ومن هنا كان دقيقاً في حق قوم ، عريضاً في حق آخرين .

وتفاوتهم في المرور إنما هو بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمان الله تعالى ، فمن كان منهم أسرع إعراضاً عما حرم الله كان أسرع مروراً في ذلك اليوم .

النار التي هي دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة ، واتفاق علماء الأمة . أوجدها الله تعالى فيما مضى كالجنة التي هي دار الثواب . فالنار حق كالجنة ، وهما موجودتان الآن .

ولم يرد نص صريح في تعيين مكانها ، كما في شرح المقاصد . إلا أن الكثيرين على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش ، وأن النار تحت الأرضين السبع . والحق تفويض

علم ذلك إلى اللطيف الخبير .

واختلف في الجنة هل هي سبع جنات متجاورات ، أو أربع ، أو جنة واحدة ؟ فذهب ابن عباس إلى أنها سبع ، أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها ، والمجاورة لا تنافي العلو ، وفوقها عرش الرحمن ، ومنها تنفجر أنهار الجنة ، ويليهما في الأفضلية « عدن » ثم « الخلد » ثم « النعيم » ثم « المأوى » ثم « دار السلام » ثم « دار الجلال » .

وذهب الجمهور إلى أنها واحدة ، وهذه الأسماء كلها جارية عليها لتحقيق معانيها .

وأولاد المشركين في الجنة على الصحيح ، ولا فرق في السعادة والشقاوة بين إنسي وجني .
الناس في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها . ثم يدخل المؤمنون الجنة جردًا مردًا أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، طول كل واحد منهم ستون ذراعًا ، وعرضه سبعة أذرع ، ثم لا يزدون ولا ينقصون اهـ .

- وبما مر معنا نعرف أن لرسولنا ﷺ ثلاث شفاعات متميزة ، لا يشاركه فيها غيره ، وهذه الشفاعات الثلاث هي المقام المحمود ، يطلق على ثلاثتها المقام المحمود ، ويطلق على كل منها المقام المحمود ، وله شفاعات أخرى ، فالمقام المحمود يمثل بثلاث شفاعات :

الشفاعة الأولى : بعد طول المقام في الموقف وهي التي تسمى الشفاعة لفصل الخطاب وهي التي يكون بعدها الجدل والمعاذير والشهادات والحساب والميزان .

الشفاعة الثانية : للإذن لعبور الصراط وتكون بعد لجوء إلى الأنبياء وإحالة على رسول الله عليه صلوات الله وتسلياته .

الشفاعة الثالثة : تكون كذلك بعد لجوء إلى الأنبياء وإحالة إلى رسول الله ﷺ وهي الشفاعة للإذن بدخول الجنة .

- وكثيرًا ما يحدث أن رواة الأحاديث يتحدثون بمناسبة الكلام عن المقام المحمود عن شفاعة من هذه الشفاعات الثلاث ويطوون غيرها ، فيلتبس الفهم على القارئ ، والتحقيق أن الأمر كذلك .

- ونحن إذا تعرض نصوص السنة قد لا تقف لبيان هذه الحقيقة اكتفاءً بما ذكرناه هنا ، فليبق القارئ على ذكر لذلك .

- ومن عقائد أهل السنة والجماعة أنه في الموقف وفي الصراط وفي الجنة وفي النار يكون للملائكة وظائفهم .

- وفي الموقف يرى أهل الإيمان الله عز وجل نوع رؤية وإنما تكون الرؤية للجلال والجمال في الجنة وذلك أعظم نعم أهل الجنة .

- والنار على طبقات والجنة على درجات ومنازل وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أصناف الملذات والتعمم والبهجة والسرور والمتعة .

- والجن المؤمنون لهم ما للإنس المؤمنین ، والكافرون من الجن لهم ما للإنس الكافرين ، وكذلك شأن الفساق من الجن .

- ومشاهد القيامة ووصف النار والجنة يأخذ من الكتاب والسنة حيزاً كبيراً ؛ لأن ذلك هو المقصد الثاني من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد معرفة الله عز وجل ، وقد أعاد بعض المفسرين الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ﴾ ^(١) على القرآن ، فمن أعظم مقاصد القرآن تبيان أمر اليوم الآخر ، قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو فرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ^(٢) .

- ولكي تقوم الحجة على الخلق قياماً كاملاً جعل الله عز وجل كتابه القرآن معجزاً ، وجعل فيه من المعجزات الكثير ، وجعل أمر محمد ﷺ بيناً ، وأظهر على يديه وعلى لسانه من المعجزات الكثير ، وأرسل قبله الرسل وبعث الأنبياء مبشرين بما بشر به ، ومنذرين بما أنذر به ليكون ذلك توطئة وتمهيداً وتشبيهاً لصرح الإيمان .

- وقد رأينا في هذا القسم كيف أن الأديان السابقة فيها شواهد على صحة المعاني

(٢) الأعراف : ٥٣ .

(١) الزخرف : ٦١ .

الكبرى التي بعث بها محمد ﷺ ، ورأينا أنها حرفت وبدلت وطمست معالمها وأصبحت أحكامها ضائعة أو بحاجة إلى تغيير فجاءت الرسالة الخاتمة مصححة وناسخة ومبينة ومطالبة للإنس والجن باتباعها وحدها .

- ولا مطمع لمن يريد أن يعرف تفصيلات ما يجري في اليوم الآخر إلا بأن يستعرض نصوص الكتاب والسنة وفهوم الراسخين في العلم من علماء هذه الأمة .

- ونتم هذا العرض الإجمالي بالتذكير : أن الله عز وجل يجعل لرسولنا عليه الصلاة والسلام ولأمتنا من الكرامة والفضل ما يتازون به على غيرهم من الأمم يظهر ذلك في الموقف وفيما بعده وفي الجنة .

- وهذا لا ينفي أن يكون للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من كل الأمم ميزانهم ، وهناك تفصيلات ستر معنا ، وبعضه قد مر من قبل في القسم السابق عند الكلام عن فضل الأمة المحمدية .

- وما نحن سنعرض عليك نصوصاً من الكتاب والسنة في فقرات متعددة تجعلك على بيان في هذه الحقيقة العظمى التي غفل عنها أكثر الخلق .

فائدة :

من عقائد أهل السنة والجماعة ما ذكره الشيخ اللقاني :

وَوَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتِكَابِ كَبِيرَةٍ ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَنَّبٌ

وقد شرح هذا البيت أديب الكيلاني بقوله :

وواجب تعذيب بعض : إن تعذيب بعض غير معين من عصاة هذه الأمة ، ارتكبوا الكبيرة ، من غير تأويل ويعذبون به ، وماتوا بلا توبة ، ثابت وواقع شرعاً ، بخلاف من ارتكب صغيرة أو كبيرة بتأويل ، كما يقع من البغاة المتأولين ، أو ارتكبها من غير تأويل لكنه مات بعد التوبة . والمقصود هنا أمة الإجابة . والمراد ببعض طائفة ، ولو واحداً من كل صنف من أصناف العصاة كالزناة ، وقتلة الأنفس ، وشاربي الخمر . فلا بد من تقود

الوعيد في طائفة من كل صنف ، أقلها واحد . وهذه المسألة على طريقة الماتريدية ، من أنه لا يجوز تخلف الوعيد . وذهب الأشاعرة إلى جواز تخلفه ، لأنه على تقدير المشيئة ، فإن شاء عذب ، وإن شاء غفر . نعم ، قد ورد تعذيب بعض الموحدين ، والشفاعة فيهم ، لكن لا يعم الأنواع كلها . والحاصل : أن الناس قسمان مؤمن وكافر فالكافر غلد - إجماعاً - في النار . والمؤمن قسمان ، طائع وعاص ، فالطائع - إجماعاً - في الجنة ، والعاصي على قسمين ، تائب وغير تائب فالتائب - إجماعاً - في الجنة ، وغير التائب متروك للمشيئة ، وعلى تقدير عذابه لا يخلد في النار اهـ (شرح جوهرة التوحيد) .

* * *

الفقرة الثانية

في :

النفختين وفي : يوم القيامة

. بمناسبة الكلام عن يوم القيامة يمرّ علينا ذكر الصور الذي تم فيه النفختان : النفخة الأولى ، والنفخة الثانية ، نفخة الإمامة وما يعقبها ، ونفخة الإحياء وما يعقبها ، والصور أشبه بالقرن والنافخ فيه هو إسرئيل بإجماع العلماء .

- وبمناسبة الكلام عن النفخة الأولى يمر معنا أن هناك خلَقًا مستثنين من الإمامة قال تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ ^(١) ، وهناك تحقيقات للعلماء فيمن يستثنى من الصعق . والمطلوب منا الإيمان بالاستثناء إجمالاً دون الدخول في التفصيلات ، وكما أن بعض الأحياء مستثناءة من الصعق فهناك بعض المخلوقات لا يدخل عليها تغير بسبب النفخة الأولى كالعرش .

- وبمناسبة الكلام عن النفخة الثانية تمر معنا كلمة عَجَب الذنب وهو العظم اللطيف الذي هو في أسفل الصلب وهو رأس العَصَص وهو أول ما يجمع من الأرض في ابن آدم يوم القيامة ، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه والظاهر أن هذا الجزء من الإنسان إذا مات لا يدخل في تركيب أي جسم آخر ، وليس المراد ببقائه أنه لا يتحلل ، بل المشاهد أنه يحترق ويتحلل ، ولكن الله عز وجل يحفظ أجزائه فحيثما ذهبته فهي محفوظة ، وهي أول ما تجمع يوم القيامة ثم يُبْنَى عليها الإنسان من المطر الذي ينزله الله عز وجل ويتضمن أجزاء المخلوقات ليذهب كل جزء إلى صاحبه .

- وبمناسبة الكلام عن النفختين نذكر المدة بينهما ، ومجموع الروايات تفيد أنها أربعون سنة والله أعلم .

- وبمناسبة الكلام عن النفخة الأولى يذكر ما يحدث للأرض ، فالأرض لها تبدلات متعددة ، والتبدل الأول هو ما يحدث من تسجير البحار بأن تصبح نارا ، والجبال تندك فتكون كالصوف المندوف ثم تصبح كالهباء المنبث في الهواء ، ثم تسوى الأرض جميعاً فلا

(١) الزمر : ٦٨ .

يبقى فيها ارتفاع أو انخفاض ، ثم تمد مدًا بعد أن كانت كروية ، ثم تحدث لها تبدلات أخرى كما ذكرنا من قبل وكما سنرى من بعد ، فقد تقل الألوسي عن بعضهم أن الأرض تبدل صفتها ابتداءً ثم تبدل ذاتها بعد أن تحدث أخبارها قال : ولا مانع أن تكون هناك تبدلات على أنحاء شتى .

قال ابن كثير في النهاية :

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ : سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات ؟ فقال : « في الظلمة دون الجسر » .

وقد يكون المراد بذلك تبديلاً آخر غير هذا المذكور في هذا الحديث ، وهو أن تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين ، نفخة الصعق ، ونفخة البعث ، فتسير الجبال ، وتميد الأرض ، ويبقى الجميع صعيداً واحداً ، لا اعوجاج فيها ولا روابي ولا أودية قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ ﴾^(١) . أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع وقال تعالى : ﴿ وَسِيرَتِ الْجِبَالُ كَأَنَّ مَرَابًا ۗ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۗ ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَخِيلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّتَا ذُكَّةً وَاحِدَةً ۗ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَخَرَقْنَا هُمْ قُلُوبًا مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَغَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۗ ﴾^(٥) . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

- وبمناسبة النفخة الثانية تذكر بعض النصوص الصحيحة أن أول من تنشق عنه الأرض رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر .

والنصوص القرآنية والحديثية كثيرة وحسبنا أن نذكر ههنا بعضها مع ملاحظة أن النصوص كثيرًا ما تتحدث عن أكثر من مشهد من مشاهد يوم القيامة .

(٣) القارة : ٥ .

(٢) النبأ : ٢٠ .

(١) طه : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٥) الكهف : ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) الحاقة : ١٤ .

١ - النصوص القرآنية

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ فلما رأوه زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿ (١) .

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضعون ﴾ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ قالوا يا ويلتنا من بعثنا من مرقدين هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿ (٢) .

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ فيم أنت من ذكراها ﴾ إلى ربك منتهاها ﴾ إنما أنت منذر لمن يخشاها ﴾ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴿ (٣) .

﴿ يوم تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ ﴾ كَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعْيِدُهُ وَغَدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿ (٤) .

(١) تبارك : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(زلفة) : أي رأوا العذاب قريباً منهم .

(سيئت وجوه الذين كفروا) : كسبت واسودت غماً وذلاً .

(٢) يس : ٤٨ - ٥٤ .

(وهم يخضعون) : يخضعون في أمورهم غافلين .

(الأجداث) : القبور .

(ينسلون) : يسرعون في الخروج ٤٢ - ٤٦ .

(في الآيات نص على النفختين الأولى والثانية .

(٣) النازعات : ٤٢ - ٤٦ .

(مرساها) : إرساؤها أي إقامتها وإثباتها .

(منتهاها) : أي إلى ريك مردها ومرجعها ، فهو الذي يعلم وقتها على التمين .

(٤) الأنبياء : ١٠٤ .

(السجل) : هو ما تحفظ الأوراق بين دفتيه وهذا يفيد أن عجرات هذا الكون وسماواته كلها تصبح كتلة واحدة ، كما

أنها كتلة واحدة ثم انفصلت عن بعضها .

﴿ يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۖ وَتَرَى الْمَجْرَمِينَ يَوْمِئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَفْشَى وَجُوهُهُمْ النَّارُ ۖ ﴾^(١) .

التبدل يكون بالذات والصفات ، وأول تبدل للأرض يكون بالصفات يوم القيامة عند النفخة الأولى ، ثم يكون التبدل بالذات بعد انتهاء الحساب والناس محبوسون قبل الصراط ، وللسموات تبدلان كذلك ، تبدل في الصفات بأن يجمع الكون كله إلا ما شاء الله كتلة واحدة وذلك في النفخة الأولى ، ثم تبدل آخر مع التبدل الثاني للأرض .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ وَتُفْخَخُ فِي الصُّورِ فَصَيِّقْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۖ وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رِيحًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۖ ﴾^(٢) .

في الآيات دليل على طي السموات وقد رأينا ذلك من قبل فهي تطوى مع غيرها إلا ما شاء الله استثناءه .

وقوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ۖ ﴾ يحتل اللوح المحفوظ ويحتل صحف الأعمال وذلك يكون بعد الموقف الطويل والشفاعة لفصل الخطاب وبعد العرضتين الأولى والثانية وعندئذ يكون الحساب والميزان والظاهر أن شهادة الأنبياء وغيرهم إنما تكون في هذا المقام قبل بدء الحساب والله اعلم .

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمِئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ ۖ كَلَّا لَا وَزَرَ ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمِئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۖ يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمِئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۖ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۖ ﴾^(٣) .

(١) إبراهيم ٤٨: ٥٠ .

(٢) الأصفاد : القيود . (مقرنين في الأصفاد) : أي مجموعة أيديهم إلى أرجلهم أو أن كل كافر مقرون مع شيطانه بالأغلال .

(٣) الزمر : ٦٧ - ٧٠ .

(٣) القيامة : ٧ - ١٥ . وقوله تعالى : ﴿ لا وذر ﴾ : أي لا ملجأ .

والظاهر أن جمع الشمس مع القمر يكون مع طي السموات وغيرها وذلك في النفخة الأولى .

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سَوَّيَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أُخْفِرْتُ ﴾ (١) .

التكوير : اللف للرفع . والمراد هنا : ذهاب ضوئها بين يدي دمجها مع غيرها في كتلة واحدة . انكدار النجوم : انتضاؤها بدمجها مع بعضها ومع ما شاء الله . تسير الجبال : يكون بعد دكها حتى تكون هباءً فتسوى مع بقية الأرض ، تسجير البحار : جعلها نازلاً ، وذلك كله يكون بالنفخة الأولى . العشار : هي الإبل . وتعطيلها : عدم وجود مالك لها ، وحشر الوحوش : دليل على أن الحيوانات تبعث لإقامة العدل ثم تكون تراباً ، وهذا مع تزويج الأنفس للأجساد ، وما جاء بعد ذلك في الآيات يكون بعد النفخة الثانية ، والله أعلم .

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ تُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْفَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلَ يَوْمٍئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٢) .

﴿ طُمِسَتْ ﴾ : طمس النجوم : ذهاب ضوئها بين يدي دمجها مع غيرها ، وفسرها بعضهم بالانسحاق وما ذكرناه هو تفسيرها ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ : أي صدعت وانشقت بين يدي دمجها مع غيرها ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْفَتْ ﴾ : أي عين لها الوقت الذي تحضر فيه للشهادة على أممها وذلك - والله أعلم - بعد الشفاعة لفصل الخطاب وقبل الحساب والميزان

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا

(٢) المراتل : ٨ - ١٥ .

(١) التكوير : ١ - ١٤ .

وَتَخَلَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿^(١) .

ذكر البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ إِذَا الْمَاءُ انشَقَّت ﴾ عن علي رضي الله عنه أنها تنشق من الهجرة ، وهذا يكون مقدمة لدججها مع بعضها . وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّت ﴾ أي بسطت وزالت جبالها وأكامها وخرجت من الكروية إلى الانبساط ، وهذا يكون بالنفخة الأولى . وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّت ﴾ ألقت ما في جوفها من الكنوز والأموات وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها والظاهر أن هذه الأخيرة تكون في النفخة الثانية وما سبقتها يكون في النفخة الأولى .

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ﴾ ﴿^(٢) .

(الانفطار) : الانشقاق ، وهو وانتثار الكواكب مقدمة لجمعها كتلة واحدة ، وتفجير البحار : أي فتحها على بعضها وذلك مقدمة لتسجيرها ثم لجعل الأرض لا ارتفاع فيها ولا انخفاض وذلك في النفخة الأولى ، يحدث بهذه النفخة نوع من بعثرة القبور ، والظاهر أن مقدمة ذلك في النفخة الأولى حتى إذا كانت النفخة الثانية كان الإحياء والبعث .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ ﴿^(٣) .

الظاهر أن هذا المشهد يتحدث عن النفخة الثانية في أوله ، وفي آخره يتحدث عما يكون في النفخة الأولى .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَخِيلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ ﴿^(٤)

(٢) الانفطار : ١ - ٥ .

(١) الانشقاق : ١ - ٥ .

(٤) الحاقة : ١٢ - ١٨ .

(٣) عَم : ١٧ - ٢٠ .

بدأ هذا المشهد في الحديث عما يكون في النفخة الأولى ثم انتقل إلى الحديث عما يكون في النفخة الثانية ، وقد عرض النص مجريات الأمور بما أفاد أن ما يجري في النفخة الثانية استمرار لما يجري في النفخة الأولى .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تُزْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٢) .

للمفسرين أكثر من قول حول هذا المشهد متى يكون ، فبعضهم جعل هذه زلزلة هائلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها وبعضهم جعلها زلزلة تكون بعد النشور ، وبعض النصوص تشير إلى أنها زلزلة معنوية تكون في أحد مشاهد يوم القيامة ، وذلك يوم يقول الله لآدم عليه السلام أخرج بعث النار ، فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين .

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) .

المراد بالزلال : النفختان الأولى والثانية على رأي بعض المفسرين ، وإخراج الأرض أثقالها كقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ ، وتمة السورة تتحدث عما يكون بعد النفخة الثانية .

﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيئةُ * نَارٍ حَامِيَةٍ ﴾ (٣) .

المراد بالقارعة ما يحدث في النفخة الأولى ، ثم السورة تتحدث عن بعض آثار النفخة الأولى ، وعما يجري في النفخة الثانية .

(٢) الزلزلة : ١ - ٨ .

(١) الحج : ١ - ٢ .

(٣) القارعة : ١ - ١١ .

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ يدل على أَنَّ هناك خَلْقًا يثبت الله قلوبهم فلا يصيبهم الفزع ، وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ﴾ أي كل من المحشورين يأتون إلى المحشر طائعين خاضعين ، وقد يراد بقوله : ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ : الذلة فعندئذ يراد بها المحرمون والذين يصيبهم الفزع ، أما أولياؤه جل جلاله فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (٣) .

في هذا المشهد حديث عما يكون بعد النفخة الثانية وإجابة على سؤال له صلة بالنفخة الأولى .

وهذا للشهد يتحدث عن كون المجرمين يحشرون عميا زرق العيون لعمام ، وهناك نصوص تذكر أنهم يحشرون سود الوجوه ، ومن هول الموقف فإنهم يتناجون سرا ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ أي ملكا يدعوهم إلى مكان الحشر وقوله في وصفهم لاتباع الداعي : ﴿ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾ أي لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه . ومعنى : ﴿ عَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ :

(٢) النمل : ٨٧ .

(١) العاديات : ٩ - ١١ .

(٣) طه : ١٠٢ - ١١٢ .

الوجوه ﴿ أي ذلت وخضعت وذلك وصف لوجوه المجرمين يوم القيامة .

﴿ كلا إذا دُكَّت الأرضُ دُكًّا دُكًّا * وجاء ربُّك والملكُ صفًّا صفًّا * وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذٍ يتذكر الإنسانُ وأُنْذِي له الذكرى * يقول يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي * فيومئذٍ لا يعذبُ عذابه أحدٌ * ولا يوثقُ وثاقه أحدٌ ﴾ (١) .

دك الأرض يكون بالنفخة الأولى وعجاء الملائكة واصطفافهم يكون بعد أن يجمع الناس في الحشر وبعد ذلك يؤتى بجهنم تجرها الملائكة .

ويكون المال أن الكافرين يوثقون وثاقًا لا مثل له في الدنيا ويعذبون عذابًا لا مثل له في الدنيا .

﴿ فإذا جاءتِ الطَّامَةُ الكبرى * يومَ يتذكرُ الإنسانُ ما سَعَى * وَبَرَزَتِ الجحيمُ لِمَن يَرَى * فأما من طَغَى * وآثر الحياةَ الدنيا * فَإِنَّ الجحيمَ هِيَ المأوى * وأما مَن خاف مقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهوى * فَإِنَّ الجنةَ هِيَ المأوى ﴾ (٢) .

* * *

٢ - النصوص الحديثية

١١٦٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « ... وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرِّجْلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا ، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصرفت الرجلُ بِلَبَنِ لِقَحْتِهِ ، فَلَا يَطْعُمُهُ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيْطُ حَوْضَةً فَلَا يَسْقِي فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ زَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ ، فَلَا يَطْعُمُهَا » .

١١٦٧ - * روى الطبراني عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « ما هلك قومٌ لوطٍ إلا في الأَذَانِ ولا تقومُ السَّاعَةُ إلا في الأَذَانِ » . قال الطبراني معناه عندي والله أعلم في وقت أذانِ الفجرِ وهو وقتُ الاستغفارِ والدعاء .

١١٦٨ - * روى الطبراني عن أبي رَزِين قال قلتُ يا رسولَ الله كيف يُحيي الله الموتى ؟ قال : « أَوْ ما مررتَ بوادي قومِك مَحْلًا ثم يمر به خَصِرًا ثم تمر به مَحْلًا ثم تمر به خَصِرًا كذلك يحيي الله الموتى » .

١١٦٩ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَقْمِصَنَّ بِكُمْ قِيَاصَ الْبِكْرِ » يعني الأرض .

أقول : هل هذا يكون قبل النفخة الأولى أو أن المراد به النفخة الأولى ؟ قولان للعلماء .

١١٦٦ - البخاري (١١ / ٣٥٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٠ - باب حدثنا أبو الهيثم أخيرنا شعيب ... إلخ .

وروى نحوه أحمد (٢ / ٣٦٩) .

وروى نحوه مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

(يَلِيْطُ حَوْضَهُ) : يطينه ويصلحه .

١١٦٧ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٢) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن علي ، وهو ثقة .

١١٦٨ - مجمع الزوائد (١ / ٨٥) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

١١٦٩ - كشف الأستار (٤ / ١٥٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٢) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

(قِياسُ) : الحركة والاضطراب .

(الْبِكْرُ) : الناقة ، وفي رواية : البقر . (لَتَقْمِصَنَّ بِكُمْ الْأَرْضَ) : يريد الزلزال .

١١٧٠ - * روى الطبراني عن عقبة بن عامر : قال : قال رسول الله ﷺ : « يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوادء من قبل المغرب مثل الترس فلا تزال ترتفع في السماء وتنتشر حتى تملأ السماء ثم ينادي مناد أيها الناس أتي أمر الله فلا تستعجلوه » . قال رسول الله ﷺ : « فوالذي نفسي بيده إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجل ليمدّر حوضه فلا يسقي منه شيئاً أبداً والرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجل ليمدّر حوضه فلا يسقي منه شيئاً أبداً والرجل يحلب ناقته فلا يشربه أبداً » .

١١٧١ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنا جبهته ، وأصغى سمعه ، ينتظر أن يومر فينفخ ؟ » فكان ذلك ثقل على أصحابه ، فقالوا : فكيف نفعل يا رسول الله ، أو تقول ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » . وربما قال : « توكلنا على الله » . وفي رواية : « كيف أنتم ... » .

قال الحافظ في « الفتح » ١١ / ٢١٧ : بعد ذكر حديث أبي سعيد هذا : وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة ، ولأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس ، وفيه جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وهو صاحب الطور يعني إسرافيل ، وفي أسانيد كل منها مقال ، وللحاکم بسند حسن عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ورفعته : إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ، وينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان .

١١٧٢ - * روى البخاري (تعليقاً) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في قوله

١١٧٠ - للمجم الكبير (١٧ / ٢٢٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣١) . رواه الطبراني وقال : ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله مولى المغيرة ، وهوثقة . (يمدّر حوضه) : يطينه ويصلحه بالدر وهو الطين المتاسك ، لئلا يخرج الماء من الحوض .

١١٧١ - الترمذي (٤ / ٦٢٠) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٨ - باب ماجاء في شأن الصور . وقال : هذا حديث حسن .

١١٧٢ - البخاري (١١ / ٣٦٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٢ ، باب نفخ الصور . وقال الحافظ في الفتح : وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

تعالى : ﴿ فَإِذَا تَغَيَّرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] : الصور ، قال : والراجفة : النفخة الأولى ، والرادفة : الثانية .

١١٧٣ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال : ما الصور ؟ قال : « قَرْنٌ يَنْفَخُ فِيهِ » .

١١٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قيل : أربعون يوماً ؟ ، قال أبو هريرة : أئيت ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أئيت ، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أئيت . « ثُمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا بَلَى ، إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ ، مِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ولسلم^(١) طرف في ذكر عجب الذنب ، قال : « إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا ، فيه يركب يوم القيامة » قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال : « عجب الذنب » .

وفي رواية^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم تأكله الأرض ، إلا عجب »

١١٧٣ - أحمد (٢ / ١٢٦) .

وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في الشفاعة .

والترمذي (٥ / ٣٧٣) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤١ - باب ومن سورة الزمر . وقال : حديث حسن صحيح .

والدارمي (٢ / ٣٢٥) كتاب الرقائق ، باب في نفخ الصور .

وابن حبان (١ / ٢٠٩) .

وللمستدرک (٢ / ٥٠٢) .

١١٧٤ - البخاري (٨ / ٦٨٩) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب يوم ينفخ في الصور (سورة ٧٨) ثم يتساءلون .

مسلم (٤ / ٣٣٧٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأثرها الساعة ، ٢٨ - باب ما بين النفختين .

(١) مسلم (٤ / ٣٣٧١) للموضع السابق .

(٢) مسلم (٤ / ٣٣٧١) للموضع السابق .

وللوطأ (١ / ٣٣٦) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .

وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب ذكر البعث والصور .

والنسائي (٤ / ١١١) كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .

(عجب الذنب) : هو عظم الصلب المستدير الذي يكون في أصل العجز ، وأصل الذنب .

الذَّنْب ، منه خَلَقَ ، وفيه يُرَكَّبُ » .

أقول : الظاهر أن أجزاء عَجَب الذنب لا يدخل في تركيب أجزاء أخرى فليس المراد ألا تتحلَّل ، والمشاهد أنها تحترق وتحلل ، ولكن لهذا الجزء من الإنسان ميزة على غيره ، بحيث يحفظ الله أجزائه ثم تجمع يوم القيامة ويعاد بناء الإنسان عليها .

١١٧٥ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة : قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، بِسُوقِ الْمَدِينَةِ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَدَهُ فَلَطَمَهُ ، قَالَ : تَقُولُ هَذَا ؟ وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (١) فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ . فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنَ قَوَائِمِ الْعَرْشِ . فَلَا أُدْرِي أَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَمَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، كَذَبَ » .

أقول : لا يصح لأحد أن يُفَضَّلَ أحداً عند الله إلا بوحى ، وعلى هذا فلا يصح أن يُفَضَّلَ أحدٌ أحداً على يونس عليه السلام من عند نفسه ، وإلا فالتنصيص تذكر صراحة تفاضل النبيين وأن محمداً ﷺ أفضلهم . وقل مثل ذلك في أي تفضيل بين البشر ومن ذلك التفضيل بين الصحابة فمن فضل من عند نفسه فقد افترى ، ومن فضل بحق بناءً على نص فقد اهتدى ، وعلى ذلك يُحمل كلام بعض الدعاة إلى الله إذ ينهون عن التفضيل بين الصحابة ، فرادهم التفضيل بلا نص .

١١٧٦ - * روى مالك عن كعب بن مالك رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » .

١١٧٥ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر البعث . وفي الزوائد إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . (١) الزمر : ٦٨ .

١١٧٦ - للوطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين . ولم يذكر « يعلق » .

وابن ماجه (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر القبر والبلد .

(يعلق) : يأكل .

(النَسَمَةُ) : الرُّوح والنفس .

أقول : رزق الشهداء في الجنة واضح في النصوص ، وهذا الحديث يوسع الدائرة فيعمم ، والظاهر أنه مخصوص ببعض النصوص الأخرى ، فهو في الجملة يدل على أن بعض المؤمنين ولو كانوا غير شهداء فإن لهم عند ربهم كرامة الكينونة في الجنة في الحياة البرزخية ، ولا شك أن مقام الرسل والأنبياء أرقى من مقام الشهداء ويوم عَرِجَ برسول الله ﷺ رأى عددًا من الأنبياء في السموات فقد رأى في كل سماء رسولاً من الرسل كما ورد في قصة الإسراء .

* * *

٣ - بعض ما يكون بالنفخة الأولى

قال تعالى :

﴿ إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت ﴾ (١) .

﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت ﴾ (٢) .

﴿ إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت ﴾ (٣) .

﴿ إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجًا * وبست الجبال بسًا * فكانت هباءً منبثًا ﴾ .

(بست الجبال) : فتتت .

﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب * بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (٥) .

﴿ فإذا النجوم طلست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت ﴾ (٦) .

﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (٧) .

﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ (٨) .

﴿ فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ (٩) .

(٢) الانفطار : ١ - ٣ .

(٤) الواقعة : ١ - ٥ .

(٦) للرسلات : ٨ - ١٠ .

(٨) الحاقة : ١٢ - ١٦ .

(١) التكوير : ١ - ٦ .

(٣) الانشقاق : ١ - ٣ .

(٥) الأنبياء : ١٠٤ .

(٧) الزمر : ٦٨ .

(٩) القيامة : ٧ - ١٢ .

١١٧٧ - * روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر : قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : « يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَواتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدِهِ » وَقَبَضَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَنْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا الْجَبَّارُ . أَنَا الْمَلِكُ . أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » قَالَ وَيَتَمَازِلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ . حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَنِّي لَأَقُولُ : أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ .

(يأخذ الجبار) هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ .

أقول : لقد كان رسول الله ﷺ إذا تحدث عن يوم القيامة ومشاهدها ظهر التأثير البالغ عليه عليه الصلاة والسلام وهذا أدب ينبغي أن يفطن له كل مسلم وخاصة الدعاء إلى الله ، فلا يُمِرُّون بمشاهد يوم القيامة إلا وقلوبهم يقضى وتأثرهم بها بالغ مبلغه من أنفسهم ومن سامعيه .

١١٧٨ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قال ابن الأثير : (مَكْوَرَانِ) التَّكْوِيرُ : لَفٌّ الْعِمَامَةِ ، والمراد : أن السماء والأرض تَجُمَعَانِ وتُلْفَانِ كَمَا تُلْفُ الْعِمَامَةُ .

١١٨٧ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث .

وأخرج نحوه ٢ مسلم (٤ / ٢١٤٨) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، الحديث الرابع والعشرون .
وأحد (٢ / ٨٨) .

جمع الزوائد (١ / ٨٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وقال : هكذا رواه يحيى بن بكير فقال عن عبد الله ابن عمر . ورجاله رجال الصحيح .

١١٧٨ - البخاري (٦ / ٢٩٧) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٤ - باب صفة الشمس والقمر .

٤ - بعض ما يكون بالنفخة الثانية

قال تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ ^(١) .

﴿ وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت ﴾ ، ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ ^(٢) .

﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ ^(٣) .

﴿ يوم يكون الناس كالفرش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ ^(٤) .

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ^(٥) .

١١٧٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا ، مِثْلَ الأَسْطُوانِ مِنَ الذهبِ والفضة ، فيجِيءُ القاتِلُ ، فيقولُ : في هذا قُتِلْتُ ، ويجِيءُ القاطِعُ ، فيقولُ : في هذا قُطِعَتْ رَجَمِي ، ويجِيءُ السارقُ ، فيقولُ : في هذا قُطِعَتْ يَدِي ، ثم يَدْعُوْنَ فلا يأخذون منه شيئاً » .
وفي رواية الترمذي مثله ولم يذكر السارق وقطع يده ^(٦) .

قال ابن كثير في النهاية :

وذكرنا في التفسير : أن الكافر إذا قام من قبره أخذ بيده شيطانه ، فيلزمه ولا يفارقه حتى يُرمى بها إلى النار ، وقال تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطفئته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ ^(٧) اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

(٢) التكوير : ٥ ، ٤ ، ٧ .

(٤) القارة : ٤ - ٥ .

(١) الزمر : ٦٨ .

(٣) النمل : ٨٧ .

(٥) الأنعام : ٢٨ .

١١٧٩ - مسلم (٢ / ٧٠١) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١٨ - باب الترغيب في الصدقة قبل أن يوجد من لا يقبلها .

(٦) الترمذي (٤ / ٤٩٣) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٦ - باب (مَبْنُةٌ) حدثنا واصل بن عبد الأعلى ...

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(تَقِيءُ الأرض أَفْلاذَ كَبِدِهَا) : الأَفْلاذُ : القِطْعُ جمع فَلَذة ، والتَقِيءُ : مستعار لها في إخراج كنوزها ، كما يخرج

التقيء الطعام من الجوف .

(٧) ق : ٢٧ ، ٢٨ .

الفقرة الثالثة

في :

الحشر

- بعد البعث والنشر يكون الحشر ، ومركز الحشر بلاد الشام ، والحشر سَوْقُ الناس والجن ومن يبعثهم الله من الخلائق إلى مكان الحساب الذي تجتمع فيه الخلائق وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم ويعرف كل مصيره ؛ فالحشر جمع الخلائق كلهم إلى الموقف بعد بعثهم وإحيائهم قال تعالى : ﴿ وحشرناهم فلم نقادر منهم أحداً ﴾ ^(١) .

- وَكُذِّبَاتُ الحشر والموقف وما يكون فيه وما يكون بعده شيء هائل إلا على أهل هذا المقام ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ^(٢) .

- والناس يحشرون عراة حفاة مختونين ومن تحقيقات العلماء أخذاً من بعض النصوص أن رسولنا عليه الصلاة والسلام يبعث كاسياً وأن إبراهيم عليه السلام أول من يكسى في الموقف .

- ويجتمع الناس في الموقف ويخلق الله شمساً تدنو من رؤوس العباد فيصيب الناس من الحر عشرة أضعاف حر الدنيا إلا من يظله الله بظله وفي مرحلة يؤق بالنار إلى الحشر كما ورد في نصوص صحيحة ، ويؤق بالجنة فتكون قريبة ، قال تعالى ﴿ وإذا الجنة أزيلت ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وأزيلت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ ^(٤) ، وذلك لكي يبتهج للمتقون ويستبشروا ويحزن الآخرون ويخافوا ﴿ وأزيلت الجنة للمتقين * وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ ^(٥) .

وفوق النار الصراط والصراط طريق العبور إلى ما بعده ، ومن هناك إلى الجنة بعد الشفاعة الثالثة لرسول الله ﷺ .

(١) الأنعام : ٨٢ .

(٢) ق : ٣١ .

(٣) الكهف : ٤٧ .

(٤) التكوين : ١٣ .

(٥) الشعراء : ٩٠ ، ٩١ .

ويطول الموقف بعد الحشر على الناس وهم في الحر والعرق إلا من وردت النصوص أنهم في ظل الله يومذاك ومن الوقاين عند الحق ، والذين ينظرون المعسرين أو يضعون عنهم ، والواصلون الأرحام ، والأمهات اللواتي ترعى يتامى زوجها ، وللمطعمون الطعام ، والعارفون بالله والمتحابون بالله وأصحاب الأخلاق الحسنة والقائمون بحقوق الله ، ومنهم السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله الذين ورد فيهم الحديث الصحيح المعروف .

- وعلى طول يوم القيامة وهو خمسون ألف سنة فإنه يخفف على المؤمن فلا يحس بطوله بل هو عليه كوقت قصير من نهار .

- وبعض أهل الموقف يخصون بمزيد من العذاب .

- ويطول الموقف والناس صافون أقدامهم رافعو رؤوسهم ينتظرون فصل القضاء .

- وأهل الإيمان في الظل محشورون مع من يحبونه من أهل الفضل . ولواء الحمد بيد رسول الله ﷺ ، والكافرون محشورون مع من يحبونهم .

وبعد طول المقام يفرع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا في فصل القضاء فلا يستجيبيون إلا رسولنا عليه الصلاة والسلام فإنه يَشْفَعُ وَيُشَفِّعُ .

وبعد شفاعته عليه الصلاة والسلام لفصل الخطاب تحدث أحداث كبرى ، فتنبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله ، وتتميز الأمم عن بعضها ، وتكون هناك عرضتان فيها جدال ومعاذير ثم تطير الصحف أخذ يمينه وأخذ بشماله وأخذ وراء ظهره وفي هذه المقامات تكون هناك شهادات الأنبياء على أقوامهم وشهادات أخرى ، ويستدعى دعاة الضلالة ودعاة الهداية ليرجع أولئك ببشارة السوء لمن تابعتهم ، ويرجع هؤلاء ببشارة الخير لمن تابعتهم ، ويزداد عطش الناس فيردون على أحواض أنبيائهم ، فمنهم من يشرب ومنهم من يَرُدُّ ، ويكون الحساب والميزان ، وبعد الحساب والميزان يحبس الناس قبل الصراط ، وعندئذ يحدث تبدل جديد للسموات والأرض ثم يفرع الناس إلى الأنبياء ليؤذن لهم بالمرور على الصراط فيحيلون الأمر إلى رسول الله ﷺ فتكون الشفاعة الثانية ، ويؤذن بالمرور على الصراط .

وعند الحساب والميزان تكون شفاعات وبعد ذلك تكون شفاعات .

والحيوانات يقضى بينها ثم تكون ترابًا .

ومن الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار تكون هناك مظاهر الجلال الإلهي وتتجلى هيئة الملائكة من ربه وطاعتهم له ، وتظهر مظاهر من كثرة جند الله وضبطهم للأمور على مقتضى أمر الله وتظهر الجندية الكاملة للملائكة ويظهر من جلال الله ما تزداد به قلوب المؤمنين رهبة وتبلغ قلوب الكافرين الحناجر ، وكل وصف إلا وصف النصوص لما يرجى في عرصات اليوم الآخر قاصر عن تأدية المراد ، ومع دقة الوصف في النصوص ، فالنصوص تذكر أنه يوم يأتي تأويلها على أرض الواقع يظهر للكثيرين أكثر مما قدروه أو توقعوه ، قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ^(٢) ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب ، فقال : « عرضت عليّ الجنة والنار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » . قال فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه . قال : غطوا رؤوسهم ولهم خنين ^(٣) .

والنصوص في الحشر والموقف وما يكون في ذلك اليوم الطويل كثيرة .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل كرامته وولايته وهذه بعض نصوص من الكتاب والسنة في هذا الشأن وقد مرت وستر معنا نصوص كثيرة لها علاقة بهذا المقام .

(١) الزمر : ٦٧ .

(٢) الزمر : ٤٧ .

(٣) البخاري (٢٨٠ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١٢ - باب ﴿ لا تسألوا عن أشياء ... ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٨٣٢) ٤٢ - كتاب الفضائل ، ٣٧ - باب توقيفه ﷺ . ولها روايات أخرى .

١ - النصوص القرآنية

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَقَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ الْمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا * يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرَمِ * لَوْ يَفْقَدِي مِنَ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بَنِيهِ * وَمَصَاحِبَهُ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْفُسٌ * نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُو مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ (١) .

أقول : إن الحديث الصحيح الذي يتحدث عن عذاب من لا يؤدي زكاة الأنعام يذكر صراحة أن يوم القيامة مدته خمسون ألف سنة وذلك صريح في مدة يوم القيامة كما نصت عليه سورة المعارج .

﴿ فَذَرِهِمْ يَمْشُوا * وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ * يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا * كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

(١) للمارج : ١ - ١٨ .

(المعارج) : يساعد الملائكة .

(المهل) : للمعدن الذئاب .

(العهن) : الصوف للصبوغ ألواناً .

(الحميم) : الصديق أو القريب المشفق .

(الفصيلتة) : العشيرة .

(الشوى) : جلد الرأس .

(أوعى) : أمسك ماله في وعاء وربط عليه .

(٢) للمارج : ٤٢ - ٤٤ .

(نصب) : أحجار عظموها في الجاهلية .

(يوفضون) : يسرعون .

(ترهقهم ذلة) : تفشام مهانة شديدة .

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكَآ وَصَبَّآ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (١) .

أقول : وللمفسرين أكثر من اتجاه في فهم الآية فبعض المفسرين ذهب إلى أن هذا يحدث لهم بعد الموقف حيث يؤمر بهم إلى النار ، وبعضهم حملها على أنهم يحشرون بعد نشرهم إلى أرض المحشر هكذا ، وبعضهم حملها محامل أخرى والكلام يراد به الكافرون والظواهر أن الكافر يوم القيامة تكون له أكثر من حالة بالنسبة للعمى والصم والبكم ، ففي بعض المواقف يكون أعمى وأصم وأبكم وفي بعض المواقف يكون بصيرًا سميعًا متكلمًا وفي بعض المواقف قد يسلب منه السمع أو البصر أو الكلام ، والله أعلم .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا فَمَنْ تَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلَوْ كُلُ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ * وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢) .

أقول : وهذا الحوار يكون بين المشركين وبين ما كانوا يعبدون من دون الله أو بينهم وبين ما يصورون لهم من كانوا يعبدونهم من دون الله وهذا يكون بعد شفاعة فصل الخطاب إذ تؤمر كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

﴿ وَأَمَرُوا النَّدَامَةَ لَا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَيَوْمَ

(١) الإسراء : ٩٧ .

(البكم) : الحرس .

(٢) يونس : ٢٨ - ٣٠ .

(فزئلنا بينهم) : أي فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم .

(٤) يونس : ٥٤ .

(٣) يونس : ٤٥ .

يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾

﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ أي يُمْنِكُمْ ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾ أي : فتنبعثون للحاسبة والجزاء . وقوله ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ : حامدين الله على كمال قدرته ، والظاهر أن هذا يقوله الكافر والمؤمن بعد إذ انكشف الغطاء فليس أمام الكافر إلا إعلان الولاء والحمد لله ولا ينفعه ذلك .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ حتى إذا جاءوا قال أكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَادًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطَلِقُونَ ﴿١٢﴾ .

إن لكل نبي أمته وبعض الأمم الأنبياء منهم مسلمون ومنهم كافرون ، وبعض الأمم كلهم كافرون ، والمراد بالآية والله أعلم أن الكافرين من أمة كل رسول يحشرون مع بعضهم بعضاً ، وقوله تعالى ﴿ وَيُوزَعُونَ ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا جميعاً ، وتكون الخطابة والحاسبة والظاهر أن الخطاب يكون بعد الشفاعة لفصل الخطاب ، وتميز كل أمة كانت تعبد شيئاً سوى الله عن غيرها ، ومواقف القيامة متعددة وفي كل موقف قد توجد حال لا تكون في موقف آخر .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَاكُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ثم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ .

الظاهر أن هذا المشهد يكون بعد إذ يخاطب المشركون مجتمعين مع ما أشركوا به بعد شفاعة فصل الخطاب ، فيغيب عنهم شركاؤهم بعد إذ يجمعون بهم أو بما يُخَيَّلُ لهم أنهم شركاؤهم ، ويحدث الجدل فيما بينهم فيخاطبون بعد غياب الشركاء ، ويحلفون كاذبين أنهم لم يكونوا مشركين والمراد بالفتنة في الآية كذبهم الذي هو مظهر خبثهم كما أن النار تفتن الذهب فتخلص زيفه من جوهره .

(٢) النمل : ٨٢ - ٨٥ .

(١) الإسراء : ٥٢ .

(٣) الأنعام : ٢٢ - ٢٤ .

﴿ ولو ترى إذ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١﴾ .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢﴾ .

من مواقف يوم القيامة أن يعرض الكافرون على النار وحدهم ، ومن المواقف أن تجثو الأمم كلها حول النار كما سنرى ، ولكن الموقف الذي يتحدث عنه هذا النص خاص بعرض الكافرين وحدهم على النار ليندموا على ما فعلوا ثم يعرضون بعد ذلك على ربهم ليعترفوا بأن ما بعث به الرسل عليهم السلام كان حقاً .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ * وكذلك نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣﴾ .

يتحدث هذا المشهد عما يكون من تقريع وتوبيخ من الله عز وجل للشياطين ولأتباعهم من الإنس إذ استمتع الشياطين بطاعة الإنس واستمتع أتباعهم من الإنس بالملذات والشهوات التي دعاهم إليها الشياطين . والظاهر أن هذا الخطاب للفريقين يكون في إحدى العرضتين اللتين تكونان بعد الشفاعة لفصل الخطاب .

(٢) الأنعام : ٣٠ ، ٣١ .

(١) الأنعام : ٢٧ - ٢٩ .

(٣) الأنعام : ١٢٨ - ١٣٠ .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَيْقِنِينَ ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ فِيهِنَّ مَا وَعَدُوا بِمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُم أَخَذْتُمُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿ (١) .

بعد الموقف الطويل والشفاعة لفصل الخطاب والجدال والمعاذير وبعد تطاير الصحف فإن أحد مشاهد يوم القيامة أن تجثو الأمم على ركبها كل منهم معه صحيفته .

وهناك الكتاب الذي يجمع ما كتبه الملائكة عن فعل كل مكلف من الأمم ليكون ذلك بين يدي الحساب والميزان ، ومن المعلوم أنه من أنواع العذاب أن يجلس الإنسان على ركبته وأطراف أصابعه فذلك لا يتحملة الإنسان في الدنيا كثيرًا ، والظاهر أن هناك أكثر من موقف من مواقف القيامة يجثو الناس على ركبهم من الهول كما سرى .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ فَأَمَّا مَن أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِإِيمَانِهِ ﴿ فَسَوْفَ يُعْطَىٰ عُقَابًا حَسَابًا يُسِيرًا ﴿ وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿ وَأَمَّا مَن أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَمُوتَ ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿ (٢) .

قوله تعالى ﴿ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ : أي بشاله من وراء ظهره ، وذلك يكون عند تطاير الصحف وبعد الشفاعة لفصل الخطاب وبعد عرضتين من عرضات ثلاث يكون في كل منها إقامة حجة .

وقوله تعالى : ﴿ لن يحور ﴾ : لن يرجع أي كان غير مؤمن باليوم الآخر .

- ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ﴾ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ﴾ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ﴾ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلا ﴾ الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ﴾ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾ يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ : إشارة إلى رؤيتهم الملائكة عند الموت والضمير في قوله تعالى ﴿ ويقولون حجرا محجورا ﴾ قد يرجع إلى الكفار وقد يرجع إلى الملائكة فإن رجع إلى الكفار فالمراد أنهم يطلبون أن يحال بينهم وبين لقاء الله وإن رجع الضمير على الملائكة فالمراد أن الملائكة تقول لهم : حراما محرما عليكم الجنة والبشرى . وقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ أي أبطلنا أعمالهم فلا قيمة لها ولا وزن لأن شرط قبول العمل هو الإيمان ، وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ﴾ فيه إشارة إلى غمام يكون بعد شفاعة فصل الخطاب وعند تطاير صف الأعمال وعندئذ يكون نزول الملائكة مع أن للملائكة نزولا ووجودا قبل ذلك وهذه الآية تشبه قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴾ (٢) .

﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ﴾ هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقتوا الصراط فأتى يبصرون ﴾ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما

استطاعوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ المراد به على رأي بعض المفسرين الموقف الذي ينفصل فيه أهل الإيمان عن أهل الكفر وذلك يكون بعد شفاعة فصل الخطاب إذ يأمر الله عز وجل كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله ، وقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ هذا يكون يوم القيامة في أكثر من موقف يكون عند الحساب وعند الميزان ويكون قبل ذلك عندما ينكرون ما كانوا عليه من الشرك ، وهذا الموقف قد يتعدد والله أعلم بتفصيلاته وإنما استأنسنا لما ذكرناه استئناساً ببعض النصوص .

وفي تميز أهل الإيمان عن أهل الكفر قال ابن كثير في النهاية :

فإذا نصب كرسي فصل القضاء انماز الكافرون عن المؤمنين في الموقف إلى ناحية الشمال ، وبقي المؤمنون عن يمين العرش ، ومنهم من يكون بين يديه ، قال الله تعالى :

﴿ وَاْمْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١٢) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَيْلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ (١٣) .
 اهـ . (النهاية في الفتن والملاحم) .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين * وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴿ (١٤) .

قوله تعالى عن الكاذبين على الله بأن وصفوه بما هو منزّه عنه أو لم يعطوا الألوهية حقها وجوههم مسودة ذكر البيضاوي في تفسيرها : مسودة مما ينالهم من الشدة أو مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل . أقول ولا مانع من حملها على ظاهرها بأن يعاقبهم الله بأن تكون وجوههم سوداء مظلمة . والظاهر أن الكافرين تصيبهم تلونات قبيحة متعددة يوم القيامة فإنهم يحشرون زرقاً وإذا رأوا صحائفهم سوداء اسودت وجوههم ومن قبل ذلك تسود

(١٢) يس : ٥٩ .

(١٤) الزمر : ٦٠ - ٦١ .

(١) يس ٥٩ - ٦٧ .

(٢) يونس : ٢٨ .

وجوههم ، وهكذا سواد على سواد وظلمة على ظلمة ، ولعل الذين يفتخرون ببياض الألوان في هذه الدنيا وينتقصون من كانت خلقتهم سوداء يعاقبون بما عابوا عليه غيرهم في الدنيا إذا كانوا من أهل الإيمان ، والمعروف أن المسلم لا عبرة عنده للسواد الخُلقي وأن الكافرين وحدهم الذين يعطون لهذا الأمر وضعه المقيت في الدنيا . والمفاضة هي الفلاح .

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ سَفَاتًا لَقَدْ جِئْتُونَا بِمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتَ أَنَّكَ نَجْمٌ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَنَرَى الْجَرَمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿ (١) .

﴿ وَلَا حَسْبَنَ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ مُهْلَعِينَ مُقْنَمِي رَعُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءَ ﴾ وَأَنْذَرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرِّسْلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿ (٢) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ (٣) .

(١) الكهف : ٤٧ - ٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ سَفَاتًا ﴾ أي مصطفين كالجند في وقفة هيبة وخوف .

وقوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي عراة غير غتوتين لا شيء معكم .

وقوله تعالى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ أي صحائف الأعمال وذلك يكون قبل الحساب وبعد مواقف متعددة تكون يوم القيامة .

إبراهيم : ٤٢ - ٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ محلقين مقبلين بأبصارهم لا تطرف هيبة وخوفًا .

قوله تعالى : ﴿ مُهْلَعِينَ ﴾ مسرعين إلى الداعي . ﴿ مُقْنَمِي رَعُوسِهِمْ ﴾ : راقمها .

﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ تبقى شاخصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرم فينظرون إلى أنفسهم .

﴿ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءَ ﴾ : أي خالية عن الفهم لغرط الدهشة والحيرة أو هي من الخوف كأنها غير موجودة .

هود : ٦٨ .

(الأشهاد) : للملائكة والنبیین والجوارح .

قوله تعالى ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ أي في أحد مشاهد الموقف بعد شفاعة الخطاب بأن يحسبوا وتعرض أعمالهم .

﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١) .

هذا يدل على أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة ، وأنهم يكونون يوم القيامة في غاية الخوف .

﴿ وَيَأْقُومُ إِلَى أَخَافٍ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ (٢) .

﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْقُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ تَفْصِيلًا يَوْمَ الْيَوْمِ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٣) .

﴿ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾ عمله المقدر له . ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ﴾ أي كتاب أعماله وهذا يكون قبيل الحساب والميزان . وفي الآية دليل على أنه لا يدخل النار أحد إلا بحساب على خلاف من قال : كما أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة بلا حساب فبعض أهل النار يدخلون النار بلا حساب .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ (٤) .

أقول : إنما ينتفع الوالد بالولد والولد بالوالد يوم القيامة إذا كانا مؤمنين وأراد الله ذلك أما من سوى أهل الإيمان فلا ينتفع أحد بأحد .

(١) غافر : ١٨ .

(الآزفة) : يوم القيامة لتقربها . (كاطمين) مسكين على الغم الممتلئين منه (الحميم) : القريب للشفق أو الصديق القريب .

(٢) غافر : ٢٢ ، ٢٣ .

(يوم التناد) يوم القيامة للنساء فيه إلى الحشر . (يوم تولون مدبرين) : ذاهبين هاربين .

(٤) لقمان : ٣٣ .

(٣) الإسراء : ١٢ ، ١٤ .

﴿ قَالَ اضْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمًى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ ^(١) .

(المعيشة الضنك) : المعيشة الضيقة ، وحملها بعضهم على الشقاء النفسي والجسدي في الدنيا لغير أهل الإيمان ، وحملها بعضهم على الحياة البرزخية ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى ﴾ دليل لمن ذهب أن أول ما يحشر الكافر يوم القيامة يحشر وهو أعمى وهناك اتجاه يقول : إن هذا الحشر يكون بعد إذ يؤمر بالكافرين إلى النار فيحشرون عميًا بكًا صمًا ليدخلوا النار وهم كذلك .

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا * وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴾ هذه صفة للكيفية التي يذهب بها الكفار إلى النار وهي يساقون كما تساق البهائم وتدفع دفعًا ويدخلون النار وهم عطاش .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ ^(٣) .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ ^(٥) .

(٢) مريم : ٨٥ - ٨٧ .

(٤) الأحقاف : ٣٤ .

(١) طه : ١٢٣ - ١٢٦ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ .

(٥) النساء : ٦٩ .

١٢٤٣

في هذه الآية دليل على أن أهل الإيمان يحشرون مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين فهم معهم في الموقف وهم معهم في الجنة ، ولذلك فإن على أهل الإيمان أن يطيعوا الله والرسول وأن يحبوا الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين فإن المرء يحشر مع من أحب .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هم من المقبوحين ﴿ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ يدل على أن هناك أئمة ضلال كما أن هناك أئمة هداية وكما أن المؤمن يحشر مع أئمة فيان الكافر يحشر مع أئمة ويدخل النار معهم .

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسِيٍّ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ أي بنبيهم أو بمقدمهم في الدين ويحتل النص معاني أخرى وعلى المعنى المذكور فالآية تدل على أنه في موقف من مواقف يوم القيامة يدعى كل إمام لقوم فأئمة الهدى يكرمون ويرجعون إلى أتباعهم مبشرين وأئمة الضلال يهانون ويرجعون إلى أتباعهم يائسين موئسين بائسين مبئسين .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمُلْكِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ * وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْئِسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿ (٣) .

قوله تعالى : (يقدم قومه) : أي إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال وهذا دليل على أن إمام القوم في الهدى أو في الضلالة يكون معه أتباعه إما إلى جنة إن كان من

(١) القصص : ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الإسراء : ٧١ ، ٧٢ .

(الفتيل) . أدنى شيء وأقله .

(٣) هود : ٩٦ - ٩٩ .

أهل الهداية وإما إلى نار إن كان من أهل الضلال وهذا يجعلنا نؤكد على أن يحب الإنسان الصالحين وأن يكون له إمام في الخير ينتسب إليه ويتعاون معه على ما يرضي الله ويطيعه في المعروف .

﴿ ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد ﴾ وضل عنهم ما كانوا يذعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص ﴿ ^(١) .

﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴾ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴿ ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس أولهم على آخرهم . وشهادات الأعضاء على الإنسان من زيادة إقامة الحجة .

والشهادة تكون عند الحساب والميزان وتكون في مواقف أخرى ، ولا يدخل أحد النار إلا بعد أن تقوم عليه الحجة كاملة بشهادة الملائكة والأنبياء والأعضاء .

وقوله تعالى ﴿ يستعتبوا ﴾ أي يطلبوا العتب وهي الرجوع إلى ما يجبون .

﴿ وقيضنا لهم قرناءً فزَيَّنُوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقَّ عليهم القولُ في أممٍ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ وقال الذين كفروا لا تسمعُوا لهذا القرآنِ وَالْفَوَا فيه لعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ذلك جزاء أعداء الله النارُ لهم فيها دارُ الخلد جزاءً

(١) فصلت : ٤٧ ، ٤٨ .

(آذناك) : أخبرناك وأعلمناك .

(محيص) : مهرب ومفر من العذاب .

(٢) فصلت : ١١ - ٢٤ .

يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
نَجْمِلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَفَقِضْنَا ﴾ : أي وقدرنا .

﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَرٌ * حكمةً بالغةً فما تَقْنِ النُّذُرَ * فتولّ عنهم
يوم يَذْعُ الذَّاعِرُ إلى شيء نُكِّرَ * خَشَعًا أَبْصَارَهُمْ يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ مُنْتَشِرٌ *
مُهْطِعِينَ إلى الداعِ يقول الكافرون هذا يومٌ غَيْرُ ﴾ (٢) .

قوله تعالى ﴿ يوم يدع الداع ﴾ : الداع هنا : إسرافيل إذ ينفخ في الصور . ﴿ إلى شيء
نكر ﴾ : فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة ، ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾
مسرعين مادين أعناقهم إليه أو ناظرين إليه ، ويحتمل أن يكون الداعي هنا إسرافيل ويحتمل
أن يكون ملكًا آخر يدعو الناس إلى مركز الحشر .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّفَاقُّبِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) .

﴿ ليوم الجمع ﴾ هو اليوم الذي يجمع الله عز وجل فيه الملائكة والإنس والجن والوحوش
والأنعام ، ﴿ ذلك يوم التفابن ﴾ أي اليوم الذي يغبن فيه ناس بأن يأخذ المؤمنون منازلهم
في الجنة ويأخذ الكافرون منازل المؤمنين في النار لو كانوا كفارًا .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرِّسْلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٤) .

في الآية دليل على أن موقفًا من مواقف يوم القيامة يكون للرسل عليهم الصلاة والسلام
اجتماع بأمر الله فيسألهم ربهم عما أجابتهم به أقوامهم ثوبينًا لهذه الأقسام فينفون العلم إما
لهول الموقف أو ينفون العلم المحيط قال البيضاوي : أي لا علم لنا بما كنت تعلمه إنك أنت
علام الغيوب فتعلم ما تعلمه مما أجابونا وأظهرنا لنا وما لا نعلم مما أضمرنا في قلوبهم .

(٢) القمر : ٤ - ٨ .

(٤) المائدة : ١٠٩ .

(١) فصلت : ٢٥ - ٢٩ .

(٣) التغابن : ٩ ، ١٠ .

وقيل : لا علم لنا إلى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة اهـ .
(تفسير البضاوي) .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ إِنْ هَؤُلَاءِ يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ ^(٢) .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ يومئذ يودُّ الذين كفروا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لو تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهُ حَقِيقًا ﴾ ^(٣) .

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ المراد بالشهيد هنا : نبي الأمة فهو يشهد على إجابة أمته ، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد بكلمة هؤلاء إما أمته وإما الأنبياء جميعًا وإما المؤمنون بمن استجاب له فإنه يشهد لهم وإما الكفرة . والآية تدل على أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام شهادة على أقوامهم أنهم بلغوهم رسالات الله .

﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْتَظِرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ ﴾ ^(٥) .

قوله تعالى ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي على النار ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ﴿ يَنْتَظِرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ ﴾ أي يبتدئ نظرم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف ، وقد رأينا وسرى أن النار يؤتى بها إلى المحشر كما رأينا أن الكافرين يعرضون على النار في أحد مواقف يوم القيامة والآيات التي تدل على أن هناك حالات يبصر بها الكافرون يوم القيامة تشير إلى أن للكافرين بالنسبة للإبصار والصم البكم حالات يوم القيامة فتارة ينطقون ويسمعون ويبصرون وأخرى لا يكون لهم ذلك ، ويوم

(٢) الإنسان : ٢٧ .

(٤) الشورى : ٤٤ .

(١) المجادلة : ١٨ .

(٣) النساء : ٤١ ، ٤٢ .

(٥) الشورى : ٤٥ .

القيامة طويل وأحواله كثيرة .

﴿ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مُقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يُضلل الله فما له من سبيل * استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مَرَدُّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ ^(١) .

قوله تعالى ﴿ وما لكم من نكير ﴾ إنكار لما اقترفتوه لأنه مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليه جوارحكم .

﴿ يومَ تبيضُ وجوهٌ وتَسْوَدُ وجوهٌ فأما الذين اسودَّت وجوههم أكفرتم بعدَ إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ ^(٢) .

هناك بياض وسواد خَلْقِيَان في الدنيا فهذا وهذا لا يقربان من الله أو يبعدان بل العبرة في الدنيا والآخرة للتقوى ، وأما السواد الذي يصيب الكافرين يوم القيامة فإنه عقوبة لهم والبياض إكرام لأهل الإيمان وجعل بعضهم النص على ظاهره لكن البياض في تفسيره قال : البياض والسواد كنايةتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبينه وأهل الباطل بأضداد ذلك ا . هـ (تفسير البياض) .

﴿ يومَ تجد كلُّ نفسٍ ما عملت من خير مُحَضَّرًا وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ ^(٣) .

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم يُنصرون * بل تأتيهم بغتة فتبهِتُهُمْ فلا يستطيعون ردّها ولا هم يُنظرون ﴾ ^(٤) .

(٢) ن. عمران : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) الأنبياء : ٢٨ - ٤٠ .

(١) الشورى : ٤٥ - ٤٧ .

(٣) آل عمران : ٣٠ .

﴿ واقترَبَ الوعدُ الحقُّ فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا يا ويلَنا قد كنّا في غفلةٍ من هذا بل كنّا ظالمين * إنكم وما تعبدون من دون الله خصبٌ جهنّم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهةً ما وُردّوها وكلٌّ فيها خالدون * لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله خصبٌ جهنّم ﴾ : دليل على أن من عبد من دون الله ماله النار إلا من عبد وهو كاره فهذا تحدثت عنه الآية اللاحقة ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ ، و ﴿ خصبٌ جهنّم ﴾ هو ما يرمى به إليها وتهجج به وهذه الآية تشبه الآية ﴿ فالتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ (٢) .

﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيستها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ (٣) .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قال الذين حَقَّ عليهمُ القولُ ربّنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تَبَرَّأنا إليك ما كانوا إيانا يَعْبُدُونَ * وقيل ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فلم يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٤) .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٥) .

في هذا المشهد ثلاثة خطابات للكافرين من الله تعالى خطاب يسألهم فيه عما أشركوا وخطاب يسألهم فيه عما أجابوا المرسلين وخطاب يسألهم فيه مرة أخرى عما أشركوا وفي الخطاب الأول يتبرأ الشياطين والمعبودون من أشرك بهم وفي الخطاب الثاني يتحير الكافرون بماذا يجيبون وفي الخطاب الثالث يطلب من الأنبياء أن يشهدوا على أقوامهم وعلى تبليغهم رسالات الله وهذه الخطابات تكون بعد شفاعة نبينا ﷺ لفصل الخطاب وبعد أن تميز

(٢) البقرة : ٢٤ .

(١) الأنبياء : ٩٧ - ١٠٠ .

(٤) القصص : ٦٢ - ٦٦ .

(٣) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٣ .

(٥) القصص : ٧٤ ، ٧٥ .

الأمم عن بعضها بعضاً والله أعلم .

﴿ إِنَّهُ مِنْ يَاتِ رَبِّهِ مُجَرَّمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتٌ عَذْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿ (١) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿ (٢) .

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ * وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ آيِنْ مَا كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهْمٌ فِيهَا يُخْتَمِمْونَ * تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُرْمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٣) .

قوله تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي قربت بحيث يرونها ﴿ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ أي أظهرت حتى يروها والمعروف أن النار يؤتى بها إلى الحشر وكذلك الجنة ولكن الجنة تكون بعد النار والعبور إليها يكون على الصراط ، والجنة والنار مرئيتان لأهل الموقف .

وقوله تعالى ﴿ فَكَبَّكُوا فِيهَا ﴾ أي في النار ﴿ هُمُ وَالْغَاوُونَ ﴾ أي الضالون والمراد بالكبكة تكرير الكب حتى يستقروا في قعرها . والضير ﴿ هُم ﴾ يعود على الآلهة المعبودة من دون الله فهم وعبادهم يككبون في النار هذه الكبكة الهائلة .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابَتِي ﴾ * ولم أدر ما حسابية * يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةِ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ * خَذُوهُ فَعُْلُوهُ * ثُمَّ

(٢) البروج : ١٠ ، ١١ .

(١) طه : ٧٤ - ٧٦ .

(٣) الشعراء : ٩٠ - ١٠٢ .

الجحيم صلّوه * ثم في سلسلة ذرّعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحضّ على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حيم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون *^(١) . من المعلوم أنه بعد الشفاعة بفصل الخطاب وبعد العرضتين اللتين يكون فيها جدال ومعاذير تطير صفح الأعمال فالمؤمنون يأخذونها بأيامهم والكافرون يأخذونها بشألم وقوله تعالى ﴿ خذوه فغلوه ﴾ أي اجعلوا الأغلال في عنقه ويديه ﴿ ثم الجحيم صلّوه ﴾ أي أدخلوه أو أحرّقه فيها ، ﴿ ثم في سلسلة ذرّعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ قال البيضاوي : « أي أدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيها بينها مرهق لا يقدر على حركة » ، والغسلين : صديد أهل النار .

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزّون إلا ما كنتم تعملون ﴾^(٢) .

الآية الأولى تدل على أن أهل الإيمان آمنون مما يصيب الكافرين من هلع وفزع وجزع وإهانة وسوء مصير .

﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظلٍّ ثلاث شُعَبٍ * لا ظلّيل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرّاً كالقنبر * كأنه جمالت صفر * ويل يومئذ للمكذّبين ﴾^(٣) .

قوله تعالى ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ أي إلى النار ﴿ انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب ﴾ أي إلى ظل دخان جهنم وهو يتشعب لعظمته وهو كقوله تعالى : ﴿ وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم ﴾^(٤) ، وللتأكيد على أن ظل الدخان فيه مزيد من العذاب قال ﴿ لا ظلّيل ولا يغني من اللهب ﴾ ، وقوله تعالى عن النار ﴿ إنها ترمي بشرّاً كالقنبر ﴾ الشر هو ما تطاير من النار متفرقاً ، كالقصر : كالبناء المشيد في العظم والارتفاع ﴿ كأنه جمالت صفر ﴾ كأن الشرر إبل سود في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة واللون .

- وتطلق العرب على الجمل الأسود الأصفر . (الجمالة) جمع جمل .

(٢) النمل : ٨٩ - ٩٠ .

(٤) الواقعة : ٤٣ ، ٤٤ .

(١) الحاقة : ٢٥ - ٣٧ .

(٣) المراتل : ٢٩ - ٣٤ .

﴿ هذا يومٌ لا يَنْطِقُونَ * ولا يُؤْذَنُ لهم فيَعْتَذِرُونَ * ويلٌ يومئذٍ للكذَّابِينَ ﴾^(١) .

قوله تعالى ﴿ هذا يومٌ لا يَنْطِقُونَ ﴾ معناه أي بما لا ينفع أو لا ينطقون أصلاً ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ لأنه لا محل لاعتذارهم بعد ما فعلوه . والظاهر أن عدم النطق وعدم السماح بالاعتذار يكون في بعض المواقف وإلا فقد أخبرنا الله عز وجل أن كل نفس تجادل عن نفسها : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾^(٢) ، ولكن هناك مرحلة في الموقف لا محل فيها لنطق أو اعتذار لهيبة الموقف وهناك مرحلة ينتهي فيها النطق والاعتذار لأن الحجج قد قامت على أهل النار من جهات متعددة فلا فائدة في نطق ولا اعتذار .

﴿ هذا يومُ الفصلِ جمعناكم والأوليين * فإن كان لكم كيدٌ فكيدون * ويلٌ يومئذٍ للكذَّابِينَ ﴾^(٣) .

﴿ هذا يوم الفصل ﴾ أي بين الحق والمبطل .

﴿ كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة * وجوه يومئذٍ ناضرة * إلى ربها ناظرة * وجوه يومئذٍ باسرة * تظن أن يُفعلَ بها فاقرة ﴾^(٤) .

يرى المؤمنون الله عز وجل في عرصات القيامة كما يرونه في الجنة والظاهر أن الآية تحدث عن رؤيته في عرصات القيامة بدليل ما بعد ذلك وقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة ﴾ أي بهية متلهلة ، ﴿ وجوه يومئذٍ باسرة ﴾ أي شديدة العبوس . ﴿ تظن أن يُفعلَ بها فاقرة ﴾ أي تتوقع داهية تكسر فقار الظهور .

﴿ فإذا جاءت الصاخة * يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنِيه * وجوه يومئذٍ مُسْفرة * ضاحكة مُسْتبشرة * وجوه يومئذٍ عليها غبرة * ترهقها قتره * أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾^(٥) .

﴿ الصاخة ﴾ أي النفخة ، ﴿ مسفرة ﴾ أي مضيئة ﴿ وجوه يومئذٍ عليها غبرة ﴾ أي

(٢) النحل : ١١١ .

(٤) القيامة : ٢٠ - ٢٥ .

(١) المرسلات : ٢٥ - ٢٧ .

(٣) المرسلات : ٢٨ - ٤٠ .

(٥) عبس : ٣٣ - ٤٢ .

غبار وكدورة ﴿ ترهقها قتره ﴾ أي يفشاها سواد وظلمة .

﴿ الذين يُحْشَرُونَ على وجوههم إلى جهنم أولئك شرُّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً ﴾ (١) .

﴿ فوربك لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحضرنهم حول جهنم جثیاً ﴾ ثم لننزعن من كل شیعة أیهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ ثم لنحن أعلم بالذین هم أولى بها صلیاً ﴾ وإن منكم إلا واردھا كان على ربك حتماً مقضیاً ﴾ ثم نُنَجِّي الذین اتقوا ونذرُ الظالمین فیها جثیاً ﴾ (٢) .

وقوله تعالى ﴿ فوربك لنحشرنهم والشیاطین ﴾ أي لنحشرن كل كافر مع شیطانه مقرّناً به . ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثیاً ﴾ الظاهر أن هذا يكون لجميع الخلق لیزداد السعید سعادة بأن أنجی من هذه النار ویزداد الکافر هولاً بما یرى من مآل ﴿ ثم لننزعن من كل شیعة ﴾ أي من كل أمة ﴿ أیهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ أي أكثر عصياناً فنطرحهم فیها ﴿ ثم لنحن أعلم بالذین هم أولى بها صلیاً ﴾ أي أولى بالمعذاب بالنار ﴿ وإن منكم إلا واردھا ﴾ الکافرون یردونها مسجونین فیها أبداً وعصاة المؤمنین یسجنون فیها مؤقتاً والمؤمنون یردون علیها فوق الصراط فی طریقهم إلى الجنة ، ﴿ كان على ربك حتماً مقضیاً ﴾ کان ورودهم واجباً أوجبہ الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعداً لا یکن خلفه وقیل أقسم علیه . ﴿ ثم نُنَجِّي الذین اتقوا ﴾ بأن یعبروا إلى الجنة ﴿ ونذرُ الظالمین فیها جثیاً ﴾ أي بارکین على الركب كما كانوا جائئین حولها والظاهر أن الآیات تتحدث عن مشهد من مشاهد یوم القیامة وذلك بعد الحساب والمیزان فإن الجميع یؤخذ بهم حتی یجثوا حول النار فیشاهدوها عن قرب .

﴿ یومَ یُکْشَفُ عن ساق ویُدْعَوْنَ إلى السجود لها یستطیعون ﴾ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة وقد كانوا یُدْعَوْنَ إلى السجود وهم سالمون ﴿ (٣) .

هذا المشهد یرى بعد أن تمیز الأمم عن بعضها بعضاً ویرى المؤمنون ربهم ویتعرفون علیه فعندئذ یسجد أهل الإیمان ویرید أهل النفاق أن یسجدوا فلا یستطیعون وذلك بعد

(٢) مريم : ٦٨ - ٧٢ .

(١) الفرقان : ٣٤ .

(٣) ن : ٤٢ ، ٤٣ .

١٢٥٣

الشفاعة لفصل الخطاب .

﴿ ولو تَرَى إِذَ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا
نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ ﴾ أي من الخياء والخزي قائلين : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ أي
أبصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك والظاهر أن هذا المشهد يكون بعد أن تقوم
عليهم الحجة بشهادة الملائكة والنبیین والأعضاء .

(١) السجدة : ١٢ .

٢ - نصوص حديثية

١١٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ : رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَتَحْشَرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ ، ثَقِيلٌ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبَيْتَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَصَبَّحَ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتَمَسَّى مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا » .

أقول : هذه النار التي تحشر الناس إلى الموقف غير النار التي مر ذكرها معنا على أنها آخر أشراف الساعة فتلك تكون قبل قيام الساعة .

١١٨١ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ : صِنْفًا مَشَاءً ، وَصِنْفًا رُكْبَانًا ، وَصِنْفًا عَلَى وَجُوهِهِمْ » ، قيل : يارسول الله ، وكيف يَمْشُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ ؟ قال : « إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوَجُوهِهِمْ كُلَّ حَذَبٍ وَشَوْكٍ » .

١١٨٢ - * روى الترمذي عن هز بن حكيم رحمه الله عن أبيه عن جده قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا ، وَتَجْرُونَ عَلَى وَجُوهِكُمْ » .

١١٨٠ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

مسلم (٤ / ٢١١٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

والنسائي (٤ / ١١٥) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٨ - باب البعث .

(طرائق) : جمع طريقة : وهي الحالة .

(ثَقِيلٌ) : من القائلة ، والتثبوت : كسر الحُرْ .

١١٨١ - الترمذي (٥ / ٣٠٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل . وقال : حديث حسن .

١١٨٢ - الترمذي (٥ / ٣٠٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل . وقال : حديث حسن .

وهو حسن بشواهد .

١٢٥٥

١١٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْقِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ ^(١) أَيَحْشُرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ؟ قال رسول الله ﷺ : « أَلَيْسَ الَّذِي أُمِّشَاهُ عَلَىٰ رَجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » قال قتادة حين بلغه : بلى ، وعِزَّةُ رَبَّنَا .

١١٨٤ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ » .

١١٨٥ - * روى الطبراني عن جرير عن النبي ﷺ قال : « مَنْ يَتَزَوَّدُ مِنَ الدُّنْيَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ » .

١١٨٦ - * روى أبو يعلى عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحْجَلُونَ » .

١١٨٧ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : كنت عند رسول الله ﷺ يوماً وطلعت الشمس فقال : « يَأْتِي قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَوْرُهُمْ كَنَوْرِ الشَّمْسِ » قال أبو بكر : نحن هم يا رسول الله ؟ قال : « لَا وَلَكُم خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّهُمْ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يَحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ » .

١١٨٣ - البخاري (٤٩٢ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة (٢٥) ، ١ - باب الذين يحشرون على وجوههم .. إلخ .
مسلم (٢١٦١ / ٤) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١١ - باب يحشر الكافر على وجهه .
(١) الفرقان : ٢٤ .

١١٨٤ - مسلم (٢٢٠٦ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٩ - باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .
١١٨٥ - المعجم الكبير (٣٠٥ / ٢) .

مجمع الزوائد (٣١١ / ١٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١١٨٦ - مجمع الزوائد (٢٤٤ / ١٠) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١١٨٧ - أحمد (٢٢٢ / ٢) .

مجمع الزوائد (٢٥٨ / ١٠) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير وزاد في الكبير : (ثم قال : طوبى للغرباء طوبى للغرباء . قيل : من الغرباء ؟ قال : ناسٌ صالحون قليلٌ في ناسٍ سوءٍ كثيرٍ من يعصيهم أكثر من يطيعهم) . وفي رواية : فقال أبو بكر وعمر : نحن هم . وله في الكبير أسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح .

أقول : الخصوصية لا تقتضي الأفضلية ، فالذين ذكروا ليسوا أفضل من أبي بكر ولكن لهم خصوصية .

١١٨٨ - * روى الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة قامت ثلثة من الناس يسدّون الأفق ، نورهم كالشمس ، فيقال : النبي الأمي فيتخشّش لها كل نبي فيقال محمد وأمتة ، ثم تقوم ثلثة أخرى تسدّما بين الأفق ، نورهم مثل كل كوكب في السماء فيقال النبي الأمي فيتخشّش لها كل نبي ثم يحثي حثيتين فيقال : هذا لك يا محمد وهذا مني لك يا محمد ثم يوضع الميزان ويؤخذ في الحساب » .

١١٨٩ - * روى أبو يعلى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ الناس جَمِعُوا للحساب » .

١١٩٠ - * روى الطبراني عن ابن مسعود قال : « إنكم مجموعون بصعيد واحد يُنفذُكم البصر وتسمعون الداعي » .

١١٩١ - * روى البزار عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول لنا : « إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة » .

أقول : من المعلوم أن نار عدن التي تخرج قبيل الساعة تحشر الناس إلى الشام فالنص يحتمل الإشارة إلى هذا ويحتمل الإشارة إلى ما يحدث من اجتماع المؤمنين في مرحلة نزول المسيح عليه السلام ويحتمل الحشر بعد البعث وفي كل الأحوال فإن مركز الحشر بلاد الشام ومركز بلاد الشام بيت المقدس .

١١٨٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٨) . وقال : رواه الطبراني ، ورجاله وثقوا .
التخفّض : التحرك للنهوض .

١١٨٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٥) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١١٩٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٢) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رياح النخعي وهو ثقة .

١١٩١ - كشف الأستار (٤ / ١٥٣) .

والمعجم الكبير (٧ / ٣٦٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٢) . وقال : رواه البزار والطبراني ، وإسناده الطبراني حسن .

١١٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءَ ، كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ » .

وفي رواية ^(١) إلى قوله : « كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ » ثم قال : قال سهل ، أو غيره « ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ » .

١١٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا » قالت عائشة ، فقلتُ : الرجال والنساء جميعاً ينظرُ بعضهم إلى بعض ؟ قال : « الأمرُ أشدُّ من أن يُهمَّهُم ذلك » .

وفي رواية ^(٢) : « من أن ينظر بعضهم إلى بعض » .

وللنسائي ^(٣) في أخرى قال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه » .

١١٩٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : « إِنَّكُمْ مَلَاقُوا اللَّهَ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا » زاد في رواية ^(٤) في أوله : « مشاة » وزاد في رواية ^(٥) : قال سفيان هذا مما يُقَدُّ أن ابن عباس

١١٩٢ - البخاري (١١ / ٣٧٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٤ - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة .

مسلم (٤ / ٢١٥٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٢ - باب في البعث والنشور ... إلخ .

(عفراء) : أرض عفراء : بيضاء ، والعفرة : البياض .

(النققي) : أراد به الحيز الأبيض الحواري .

(١) البخاري (١١ / ٣٧٢) : للموضع السابق .

١١٩٣ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

مسلم (٤ / ٢١٩٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

والنسائي (٤ / ١١٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٨ - باب البعث .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٩٤) : للموضع السابق .

(٣) النسائي (٤ / ١١٤) : للموضع السابق .

١١٩٤ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

(٤) البخاري (١١ / ٣٧٧) : للموضع السابق .

(٥) البخاري (١١ / ٣٧٧) : للموضع السابق .

سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ .

وفي أخرى ^(١) قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ محشورون إلى الله خِفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا ﴿١﴾ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعلين ﴿٢﴾ أَلَا إِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْتَسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشَّامِلِ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَصْحَابِي ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿٣﴾ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ » ^(٢) قال : « فَيَقَالُ لِي : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ » .

زاد في رواية ^(٤) : « فَأَقُولُ : فَسَحَقًا ، فَسَحَقًا » .

أقول : هذا النص محمول على من ارتد من أصحابه بعد وفاته وقتل وهو مرتد وهؤلاء الذين حدث لهم ذلك ناس قليلون من جفاة الأعراب الذين لم يتأثروا بالتربية النبوية وسير معنا هذا الموضوع بمناسبة الكلام عن الحوض وننقل هناك بعض ما ذكره ابن حجر حوله .

١١٩٥ - * روى البخاري ومسلم عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) قال : « يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أذُنَيْهِ » .

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٥) : للوضع السابق .

(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) المائدة : ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض .

١١٩٥ - البخاري (١١ / ٣٩٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٧ - باب قول الله تعالى ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ... ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعانتنا الله على أهوالها .

والترمذي (٤ / ٦١٥) ٧٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) اللطيفين : ٦ .

١١٩٦ - * روى مسلم عن المقداد الأسدي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 « تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَقَدَارِ مِيلٍ » زاد
 الترمذي « أو اثنين » قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل : أمسافة الأرض ،
 أو الميل الذي تُكْحَلُ بِهِ العين ؟ - قال : « فيكون الناسُ على قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ ،
 فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى
 حَقْوِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمَةُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا » وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه .
 وفي رواية الترمذي ^(١) قال : « فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدَرِ
 أَعْمَالِهِمْ » ... الحديث .

أقول : مر معنا من قبل أن الشمس والقمر يكوران يوم القيامة وهذا يفيد أن شمسنا
 الحالية لا تبقى فالشمس المذكورة في الحديث شمس أخرى والله أعلم فأمر القيامة غيب .

١١٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
 « يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَذْهَبَ فِي الْأَرْضِ عَرَقُهُمْ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَإِنَّهُ
 يُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ » .

١١٩٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن عبد العزيز القطار عن أنس بن مالك لا أعلمه
 إلا رفعة قال « لم يلقَ ابنُ آدمَ شيئًا منذ خَلَقَهُ اللهُ عز وجل أشدَّ عليه من الموتِ

١١٩٦ - مسلم (٢١٩٦ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على
 أهوالها .

والترمذي (٦١٤ / ٤) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .
 وقال : حديث حسن صحيح .

(١) الترمذي (٦١٤ / ٤) : نفس للوضع .

(حقويه) : الحقو : مشد الإزار عند الحصر .

١١٩٧ - البخاري (٣٩٢ / ١١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ... ﴾ .
 مسلم (٢١٩٦ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على
 أهوالها .

١١٩٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .
 ورواه أحمد (٣ / ١٥٤) باختصار عنه ولم يشك في رفعه ، وإسناده جيد .

أهونُ مما بعده وإنهم لَيَلْقَوْنَ من هول ذلك اليومَ شِدَّةً حتى يُلْجِمَهُم العرقُ حتى إن السفن لو أُجْرِيتُ فيه لَجَرَّتْ .

١١٩٩ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالنار يومئذ لها سبعون ألفَ زِمَام ، مع كل زِمَام سبعون ألفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا » .

١٢٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يَجْمَعُ الله الناسَ يومَ القيامة ، فيهمون لذلك » وفي رواية : « فَيُلْهَمُونَ لذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربِّنا ، حتى يُرِيحَنَا من مكاننا هذا ؟ » قال : « فيأتون آدم فيقولون : أنتَ آدمُ أبو الخلق ، خلَقَكَ الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمرَ الملائكة فسجدوا لك . اشْفَعْ لنا عند ربك حتى يُرِيحَنَا من مكاننا هذا ، فيقول : لستُ هُنَاكُم ، فيذكر خطيئته التي أصاب . فيستحي ربُّه منها ، ولكن ائتوا نوحاً أولَ رسول بعثه الله إلى أهل الأرض » قال : « فيأتون نوحاً ، فيقول : لستُ هُنَاكُم ، فيذكر خطيئته التي أصاب . فيستحي ربُّه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذهُ الله خليلاً ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لستُ هُنَاكُم ، وذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي ربُّه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلمهُ الله وأعطاه التوراة » قال : « فيأتون موسى ، فيقول : لستُ هُنَاكُم ويذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي ربُّه منها ، ولكن ائتوا عيسى رُوحَ الله وكلمته فيأتون عيسى رُوحَ الله وكلمته ، فيقول : لستُ هُنَاكُم ، ولكن ائتوا محمداً ، عبداً غَفَرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » قال : قال رسول الله ﷺ : « فيأتونني ، فأستأذن علي ربي ، فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وَقَعْتُ ساجداً ، فيدعني ما شاء الله ، فيقال : يا محمدُ ، ارفع ، قُلْ يَسْمَع ، سَلْ تُعْطَهُ اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأجيد ربي

١١٩٩ - مسلم (٢١٨٤ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم ، ... إلخ .
١٢٠٠ - البخاري (١٦٠ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة البقرة ، ١ - باب قول الله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .
مسلم (١٨٠ / ١) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

بتحميد يُعَلِّمْنِيهِ رَبِّي ، ثم أَشْفَعُ ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُوذُ فَأَقْعُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ، ثُمَّ يَقَالُ لِي : ارْفَعْ يَاعْمَدُ ، قُلْ يَسْمَعُ ، سَلْ تُعْطَهُ ، اشفَعْ تُشْفَعْ ، فأرفعُ رَأْسِي ، فأحمدُ ربي بتحميد يُعَلِّمْنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ » قال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة « فأقول : ياربُّ ، ما بقي في النار إلا من حَبَسَهُ الْقُرْآنُ » أي وجبَ عليه الخلودُ .

أقول : بدأ الحديث يذكر طلب الشفاعة لفصل القضاء ، ثم ذكر الشفاعة للإخراج من النار ودخول الجنة ، فالحديث طوى ما حدث من شفاعة لفصل الخطاب لأنها قد حصلت وذكر شفاعات أخرى لأن السامع يفهم ذلك من سياق الخطاب . قال ابن كثير في توضيح هذا المعنى في كتابه النهاية :

والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى في أن يأتي الرب لفصل القضاء كما ورد هذا في حديث الصور كما تقدم وهو المقصود في هذا المقام ، ومقتضى سياق أول الحديث أن الناس إنما يستغيثون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء طمعًا في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ذلك كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه فإذا وصلوا إلى المحشر فإنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار ، وكان مقصود السلف في الاختصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها يذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث . اهـ .

١٢٠١ - * روى البزار موقوفًا عن حذيفة قال : يجمعُ الله النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ ولا تَكَلِّمُ نَفْسٌ فَأُولَ مَنْ - أَحَبَّهُ قَالَ - يَتَكَلَّمُ مُحَمَّدٌ ﷺ فيقول : « لبيك وسعديك والخيرُ في يديك والشرُّ ليس إليك والمهديُّ من هَدَيْتَ وعبدك بين يديك

١٢٠١ - كشف الأستار (٤ / ١٦٧) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣٧٧) وقال : رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح .

ومنك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت » فهذا قوله ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .

١٢٠٢ - * روى أحمد عن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمِّي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رِي حُلَّةَ خَضْرَاءَ ثُمَّ يُؤَدَّنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْحَمْدُ » .

أقول : المقام المحمود هو الذي يشفع فيه رسول الله ﷺ لأهل الموقف بعد طول الوقوف ليفصل الله عز وجل في شأنهم وهذه الشفاعة هي التي تسمى شفاعة فصل الخطاب ولسول الله ﷺ شفاعتان بعدها تكونان بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء ، فيحال الأمر عليه ، وهي الشفاعة لجواز الصراط ، والشفاعة لدخول الجنة وله مع ذلك ست شفاعات أخرى سنها والشفاعات الثلاثة الأولى كلها تدخل تحت ما يُسَمَّى المقام المحمود .

١٢٠٣ - * روى الطبراني عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ شَتَمَ أَنْبَاؤُكُمْ بِأُولِ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِأُولِ مَا يَقُولُونَ » . قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ : هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ يَا رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : لَمْ ؟ فَيَقُولُونَ : رَجَوْنَا رَحْمَتَكَ وَعَفْوَكَ . فَيَقُولُ : فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ رَحْمَتِي » .

١٢٠٤ - * روى الترمذي عن عمرو بن شعيب رحمه الله عن أبيه عن جده : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يُخْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ ، يُقَالُ

١٢٠٢ - أحمد (٤٥٦ / ٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٥١) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٠٣ - للمعجم الكبير (٢٠ / ١٢٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٨) . وقال : رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن .

١٢٠٤ - الترمذي (٤ / ٦٥٥) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٤٧ - باب حدثنا سفيان بن نصر .

وقال : حديث حسن صحيح .

له : بُولس ، تعلوم نارُ الأنيار ، يُسقُون من عَصارة أهل النارِ طينةِ الحَبالِ .

١٢٠٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أولُ مَنْ يُدعى يوم القيامة : آدمُ عليه السلام ، فترأى ذرَّيته ، فيقال لهم : هذا أبوك آدم ؟ فيقول : لبَّيكَ وسَعْدَيْكَ ، فيقول : أخرجْ بعثَ جهنم من ذرَّيتك ، فيقول : ياربُّ ، كم أخرج ؟ فيقول : أخرجْ من كُلِّ مائةِ تسعة وتسعين ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إذا أُخذَ مِنَّا من كُلِّ مائةِ تسعة وتسعون فاذا يبقى مِنَّا ؟ قال : « إِنَّ أُمَّتي في الأمم كالشَّعْرةِ البيضاء في الثور الأسود . »

١٢٠٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يقولُ الله عز وجل يوم القيامة : يا آدمُ ، فيقول : لبَّيك وسعديك » زاد في رواية : « والخير في يدك فينبأدى بصوت : إن الله يأمرُك أن تخرجَ من ذرَّيتك بعثًا إلى النار ، قال : ياربُّ ، وما بعثَ النار ؟ قال : من كل ألفِ تسعمائة وتسعة وتسعون ، فحينئذٍ تضعُ الحامل حملها ، ويشيبُ الوليدُ وترى الناس مَكَارَى ومَهمم بَسْكَارَى ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ » (١) فشقَّ ذلك على الناسِ حتى تغيَّرت وجوههم .

زاد بعضُ الرواة (٢) : قالوا : يا رسول الله ، أئنا ذلك الرجلُ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ، ومنكم واحد - ثم أنتم في الناس كالشَّعْرة السوداء في جَنْبِ الثورِ الأبيض ، أو كالشَّعْرة البيضاء في

(طينة الحبال) : جاء تفسيرها في بعض الحديث : قيل : يا رسول الله ، وما طينة الحبال ؟ قال : « هي صديد أهل النار » .

١٢٠٥ - البخاري (١١ / ٣٧٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

١٢٠٦ - البخاري (٨ / ٤٤١) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة الحج ، ١ - باب ﴿ وترى الناس يسكرون ﴾ .

مسلم (١ / ٢٠١) ١ - كتاب الإيمان ، ١٦ - باب قوله : « يقول الله لآدم أخرج بعث النار » .

(١) الحج : ٢ .

(٢) البخاري (٨ / ٤٤١) للموضع السابق .

جنب الثور الأسود .

وفي رواية ^(١) : « أو كالرُقْمَةِ في ذِرَاعِ الْحِجَارِ - وإني لأرجو أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنة » ، فكَبَّرْنَا ، ثم قال : « ثَلَاثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » فكَبَّرْنَا ، ثم قال : « شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ، فكَبَّرْنَا .

١٢٠٧ - * روى البخاري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : يا آدَمُ ، فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ » . قال : « يقول : أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ ، قال : وما بعثُ النار ؟ قال : من كل ألف تسعائة وتسعة وتسعين ، فذلك حين يثيبُ الصغير ، وتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا ، وتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وما هم بسُكَرَى ولكن عذابُ الله شديد » . فاشتد ذلك عليهم فقالوا : يا رسول الله أئنا ذلك الرجل ؟ قال : « أبشروا ، فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، إني لأطمعُ أن تكونوا ثَلَاثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قال فحمدنا الله وكَبَّرْنَا . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، إني لأطمعُ أن تكونوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أو كالرُقْمَةِ في ذِرَاعِ الْحِجَارِ » .

قال ابن حجر في فتح الباري :

قوله (أخرج بعث النار) ... معناها هنا مَيَّزَ أَهْلَ النَّارِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وإنما خص بذلك آدَمَ لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء ، فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودة ... وعن شماله أسودة الحديث كما تقدم في حديث الإسراء ، وقد أخرج ابن أبي الدنيا من مرسل الحسن قال : يقول الله لآدَمَ : يا آدَمُ أنت اليوم عدل بيني وبين ذريتك ، قم فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم ... وفي التوفيق بين العددين من كل ألف واحد ومن كل مائة واحد قال الكرمانى : والمقصود

(١) مسلم (١ / ٢٠٢) للوضع السابق .

١٢٠٧ - البخاري (١١ / ٢٨٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٦ - باب قوله عز وجل : ﴿ إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ .

من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين اهـ . قلت : ومقتضى كلامه الأول تقديم حديث أبي هريرة على حديث أبي سعيد فإنه يشتمل على زيادة ، فإن حديث أبي سعيد يدل على أن نصيب أهل الجنة من كل ألف واحد ، وحديث أبي هريرة يدل على عشرة فالحكم للزائد ، ومقتضى كلامه الأخير أن لا ينظر إلى العدد أصلاً بل القدر المشترك بينهما ما ذكره من تقليل العدد ، وقد فتح الله تعالى في ذلك بأجوبة أخر وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد ، وحمل حديث أبي هريرة ومن وافقه على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة ، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة ، ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق والثاني بخصوص هذه الأمة ، ويقربه قوله في حديث أبي هريرة « إذا أخذ منا » لكن في حديث ابن عباس « وإنما أمتي جزء من ألف جزء » ويحتمل أن تقع القصة مرتين مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمة فيكون من كل ألف واحد ومرة من هذه الأمة فقط فيكون من كل ألف عشرة ، ويحتمل أن يكون المراد بيعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعون كافراً ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً والعلم عند الله تعالى . قوله (فذاك حين يشيب الصغير وتضع ، وساق إلى قوله شديد) ظاهره : أن ذلك يقع في الموقف ، وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب ، ومن ثم قال بعض المفسرين : إن ذلك قبل يوم القيامة ، لكن الحديث يرد عليه ، وأجاب الكرمانى بأن ذلك وقع على سبيل التثليل والتحويل ، وسبق إلى ذلك النووي فقال : فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال : التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت : كما تقول العرب : وأصابنا أمر يشيب منه الوليد ، وأقول : يحتمل أن يحمل على حقيقته ، فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملاً والمرضع مرضعة والطفل طفلاً ، فإذا وقعت زلزلة الساعة ، وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجع ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة (اهـ . (الفتح) .

أقول : وقع في رواية أبي هريرة (أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام) :
 هذه الأولية هنا تحتل الأولية المطلقة وتحتل الأولية النسبية فإن كان المراد الأولية المطلقة
 فذلك يكون حين يميز أهل النار من أهل الجنة في الموقف قبل الحساب والميزان وإقامة
 الحجج ، وإن كان المراد الأولية النسبية وهي ما تدل عليه النصوص التي تذكر خطاب الله
 لرسولنا عليه الصلاة والسلام آذنا له بالشفاعة لفصل الخطاب ، فذلك يكون في موقف من
 مواقف يوم القيامة وذلك بعد أن يتم الحساب والميزان وعندئذ يُنَادَى آدم ليخرج بعث
 النار ، وهذا الذي أرجحه في هذا المقام ، وهذه النصوص الواردة في بعث النار تدل على
 كثرة يأجوج ومأجوج بالنسبة لسكان الأرض ، وهذا يرجح ما ذكرناه أثناء الكلام عن
 يأجوج ومأجوج ويرد على من يزعم أن سد يأجوج ومأجوج لازال موجودا يحجزهم عن
 الخروج وأنهم وإياه في مكان ما على الأرض لا زال مجهولا ، فهذا يتعارض تعارضا صريحا مع
 الواقع المعروف ومع هذه النصوص ، ثم إن النصوص القرآنية الواردة في يأجوج ومأجوج لا
 تفيد ما يذكره هؤلاء بل هي عمولة على ما اتجهنا إليه دون تكلف .

١٢٠٨ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول
 يوم القيامة لآدم عليه السلام : قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى
 النار ، وواحدًا إلى الجنة » ، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعوا
 رؤوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور
 الأسود » فخفف ذلك عنهم .

١٢٠٩ - * روى أبو يعلى عن أنس قال : نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ ﴾ إلى قوله
 ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ على النبي ﷺ في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه
 أصحابه ، فقال : « أتدرون أي يوم هذا ؟ يوم يقول الله لآدم : قم فابعث بعثا إلى
 النار من كل ألف تسعمائة وتسعون إلى النار ، وواحدًا إلى الجنة » فكبر ذلك

١٢٠٨ - أحمد (٤٤١ / ٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) وقال : رواه أحمد والطبراني وإسناده جيد .

١٢٠٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي ، وهو ثقة .

على المسلمين فقال النبي ﷺ : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأُبْشِرُوا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشَّامَةِ في جَنْبِ البعير أو كالرَّقَّة في ذِرَاعِ الدَّابَّة . إن معكم خَلِيقَتَيْنِ ما كانتا في شيء قط إلا كَثُرَتْاه : يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ومن هَلَكَ من كَفَرَةِ الجِنَّ والإِنْسِ » .

١٢١٠ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ،
وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ ، بَيْنَ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ
جَبَّارٍ غَنِيْدٍ ، وَبِالْمَصُورِينَ » .

أقول : الظاهر أن هذا العنق يخرج بعد أن تقام الحجة على الناس قيامًا كاملاً بالشهادات
وبالصحف وبالوزن والميزان .

١٢١١ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ ، فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ
وَأَمَّا الْعَرْضَةُ الثَّالِثَةُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي ، فَأَخِذْ بِيَمِينِهِ وَأَخِذْ
بِشِمَالِهِ » .

أقول : وقد تعجَّب ابن كثير في كتابه النهاية من تضعيف الترمذي للحديث وناقش ذلك .

الظاهر أنه بعد الوقوف الطويل والإذن بالشفاعة لفصل القضاء تكون العرضة الأولى
ويكون السؤال عن الشرك وعن الاستجابة للرسول ويكون تنصل وعتاب ، وفي العرضة
الثانية تشهد الرسول وينكر الكافرون ويشهد محمد ﷺ وأُمته على صدق شهادة الرسول وتقوم

١٢١٠ - الترمذي (٤ / ٧٠١) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١ - باب ما جاء في صفة النار .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(عنق) : العنق : طائفة من الناس ، والمراد به : طائفة من النار كالعنق .

(جبار غنيْد) : الجبار : القهار المتكبر ، والغنيْد : الجائر عن الحق ، كالماند له .

١٢١١ - الترمذي (٤ / ٦١٧) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٤ - باب ما جاء في العرض . وقال : لا يصح هذا الحديث من

قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى .

وإسناده ضعيف فإن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة ولا من أبي موسى الأشعري ، قال الحافظ في « الفتح »

بعد نقل كلام الترمذي هذا : وأخرجه البيهقي في « البعث » بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا .

الحجة على الخلق ، ثم تطير الصحف فيعرف كل إنسان ذنوبه ثم يكون الحساب والميزان وقد ذهب ابن كثير في كتابه النهاية إلى أن الحساب يكون قبل الميزان ، قال رحمه الله :

قال أبو عبد الله القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب ، كان بعده وزن الأعمال ؛ لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لنفس الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ، فيكون الجزاء بحسبها قال : وقوله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ يحتل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ، ويحتل أن يكون المراد الموزونات ، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ .
(النهاية في الفتن والملاحم) .

وبمناسبة الكلام عن حديث العرصات الثلاث نقل ابن حجر في فتح الباري ما يلي :
قال الترمذي الحكيم : الجدال للكفار يجادلون لأنهم لا يعرفون ربه فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا ، والمعاذير اعتذار الله لآدم وأنبيائه بإقامته الحجة على أعدائه ، والثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر . اهـ .

أقول : أمّا ما ذكره الترمذي الحكيم في الجدال فسلم ، أما ما بعده فغير مسلم ؛ فكيف يعتذر الله عز وجل والموقف موقف جلال ، وتخصيص العرصة الثالثة بالمؤمنين يتنافى مع النص : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ ^(١) .

١٢١٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لَتُؤَدَّنَ الحقوقُ إلى أهلها يومَ القيامةِ ، حتى يُقَازَ للشاةِ الجَلحاءُ من الشاةِ القَرناءِ » .

١٢١٣ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يُقْتَصَّ »

(١) الإبراء : ١٣ .

١٢١٢ - مسلم (٤ / ١٩٩) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ١٥ - باب تحريم الظلم .

والترمذي (٤ / ٦١٤) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(الجلهاء) شاة جلهاء : لا قرن لها .

١٢١٣ - أحمد (٢ / ٣٦٣) .

للخلق بعضهم من بعض حتى للجَمَاء من القَرَنَاء وحتى للذَّرَّة مِنَ الذَّرَّة .

أقول : الظاهر أن الاقتصاص للحيوانات من بعضها بعضاً يتقدم على حساب المكلفين لأنه بعد أن يقتصر منها يقال لها كوني تراباً فتكون تراباً فيمتنى الكافر لو أنه كان معها ، قال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴿^(١)﴾ ، غير أن هناك الحيوانات التي لم تؤدَّ زكاتها ، فهذه يعذب أهلها بها ، فهذه قد تؤخر ، على أن النصوص لم تحدد المقام الذي يقال فيه للحيوانات كوني تراباً ، فتكون تراباً .

١٢١٤ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم ، أن يُقال له : ألم نصِّحْ لك جِسْمَكَ ؟ وتروك من الماء البارد ؟ »

١٢١٥ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيقول له : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ؟ وسخرتُ لك الأنعام والحِثَّ ؟ وتركتك ترأساً وتربعاً ؟ فكذلك تظنُّ أنك مَلَأَتيَّ يَوْمَكَ هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني » .

وقال : معنى قوله : « اليوم أنساك كما نسيتني » : اليوم أَتْرَكْتُكَ في العذاب .

= جمع الزوائد (١٠ / ٢٥٢) وقال : رواه أحد ، ورجاله رجال الصحيح .
(١) النبأ : ٣٨ - ٤٠ .

١٢١٤ - الترمذي (٥ / ٤٤٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٨٩ - باب ومن سورة التكاثر . وقال : حديث غريب . وإسناده قوي ، وصححه ابن حبان .

١٢١٥ - الترمذي (٤ / ٦١٩) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٦ - باب (مئة) حدثنا عبد الله بن محمد ... إلخ . وقال : حديث صحيح غريب . وإسناده حسن .

(ترأس) : التروؤس : التقدم على القوم وأن يصير رئيسهم .

(وتربع) : أي : تأخذ للمربع ، وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من المغنم وهو ربعها ، وقد روي « ترع » بقاء من التتم والترع ، يقال : رتمت الإبل ، وأرتمتها صاحبها : إذا كانت في موضع خصب .

الفقرة الرابعة

في :

مشاهد من القرآن الكريم فيما يجري في اليوم الآخر من حوار

إن الإنسان في الدنيا عندما يجد نفسه في خطر فإنه يبذل غاية وسعه للخلاص من الخطر ، وعندما يكون للإنسان حق يجادله فيه الآخرون ، ثم يظهر حقه فإن له مقالاً ، وعندما يَقْهَرُ الظالمون يعتذرون ، فالإنسان له طبيعته ومواقفه ، واليوم الآخر هو يوم الفصل فيما كان الناس يختلفون فيه ، وهو اليوم الذي تظهر فيه الأمور على حقائقها ، وينكشف فيه صدق الرسل ، ويرى الناس تحقق الوعد والوعيد . وفي هذا كله تجد الإنسان يجادل عن نفسه أقصى الجدل لعل ذلك ينفعه ، وترى أهل الباطل يعتذرون أشد الاعتذار لعل ذلك ينفعهم ، وترى الحوار بين أهل الباطل فيما بينهم ، وترى الحوار بين أهل الحق فيما بينهم ، وترى الحوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وترى مناشدة أهل النار للملائكة وأهل الجنة ، وترى الكلمة الطيبة من الملائكة لأهل الجنة ، وكل ذلك تجد تفصيلاته في القرآن . وفي هذه الفقرة سنعرض نماذج على ذلك للتذكير كي لا يخلو الكتاب من هذا الجانب المهم من مشاهد اليوم الآخر :

﴿ وجاءت مَكْرَةُ الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ ونُفِخَ في الصورِ ذلك يومَ الوعيدِ . وجاءتُ كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ لقد كنتُ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . وقال قرينه هذا ما لديّ عتيذٌ * ألقيا في جهنم كلَّ كفّارٍ عنيدٍ * منّاعٍ للخير مُعْتَدٍ مريبٍ * الذي جعل مع الله إلهاً آخرَ فآلِقِيَاهُ في العذاب الشديد * قال قرينه ربّنا ما أطغيته ولكنّ كان في ضلالٍ بعيدٍ * قال لا تختصموا لديّ وقد قَدِمْتُ إليكم بالوعيدِ * ما يُبَدِّلُ القولَ لدىّ وما أنا بظّلامٍ للعبيد * يوم تقولُ لجهنم هل امتلأتِ وتقولُ هل من مزيدٍ * وأُزْلِفَتِ الجنةُ للمتّقين غير بعيدٍ * هذا ما توعّدون لكلّ أوّابٍ حفيظٍ * من خشيةِ الرحمنِ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ منيبٍ * ادخلوها بسلامٍ ذلك يومُ الخلودِ

• هُم ما يشاعون فيها ولدينا مزيد • (١) .

قوله تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق شهيد ﴾ السائق والشهيد ملكان ، وقيل : السائق كاتب السيئات ، والشهيد كاتب الحسنات . وقوله تعالى : ﴿ وقال قرينه هذا ما لدي عتيدي ﴾ : المراد بالقرين الملك الموكل عليه ، والعتيد الحاضر ، أي يقول الملك هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي . ﴿ ألقيا ﴾ هذا خطاب للملكين السائق والشهيد . قوله تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴾ القرين هنا هو الشيطان المقيض له والمقيد معه ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ أي ما أضلته ، وكأن هذا جواب على شكوى من الإنسان باتهام الشيطان ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿ لا تختصموا لدي ﴾ ، وهذا يفيد أن حوارًا يجري بين الشيطان وبين قرينه من الإنس يُحْمَلُ كُلُّ منهما الآخر مسؤولية الضلال . والظاهر أن هذا الحوار بين الشيطان وقرينه في موقف الحساب .

﴿ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنتُ قلته فقد عَلِمْتَته تَعْلَمُ ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب • ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربِّي وربَّكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما تَوَفَّيتني كنتُ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيد • إن تعدَّبتهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم • قال الله هذا يومٌ ينفع الصادقين صدقُهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ فلننْصَلِّنَّ الذين أُزِيلَ إليهم ولننْصَلِّنَّ المرسلين ﴾ (٣) هذان السؤالان قائمان في موقف الحساب : يُسألُ الذين أُرسِلَ إليهم عن قبول الرسالة وإجابة الرسل ، ويُسألُ المرسلون عن البلاغ وعمَّا أجابتهم به أقوامهم ، وفي هذه الآيات نموذج على سؤال المرسلين ، والمرسل إليهم ينكرون عادة أن رسلهم بلغتهم ويتبرؤون ، فيشهد محمد ﷺ وأُمته أن الرسل قد بلغت ومن خلال هذا النص الذي معنا نفهم أن النصارى الذين أشركوا

(١) ق : ١٩ - ٢٥ .

(٢) الأعراف : ٦ .

(٣) المائدة : ١١٦ - ١١٩ .

يزعمون أن دعوة عيسى كانت أمراً لهم بأن يتخذوه وأمه إلهين ، وعيسى عليه الصلاة والسلام ينفي ويرد .

﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يُسجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين ﴾ (١) .

الظاهر أن القائلين للمجرمين في النار هم الملائكة . والمشركون عندئذ يعرفون أنهم ما كانوا يدعون جهة يعتد بها ، والظاهر أن هذا السؤال يكون في مرحلة تسبق المرحلة التي يقرن فيها مع المشركين ما كانوا أشركوا به .

﴿ يومَ قرى المؤمنين والمؤمنات يَسْمَى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليومَ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنة فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتننهم أنفسكم وتربصنهم وارتبتم وغرركم الأماني حق جاء أمر الله وقرآنه بالله القُرْآن * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ يسمى نورهم بين أيديهم ﴾ : الظاهر أن هذا على الصراط ، وذكر الأيمان لأن فيها صحائف الأعمال المنيرة ، وقوله تعالى : ﴿ قيل ارجعوا وراءكم ﴾ القائل للمنافقين هذا القول هو المؤمنون أو الملائكة ﴿ فالتمسوا نورا ﴾ أي اطلبوا النور إما من الموقف أو من الدنيا إشعاراً لهم بأن النور إما يكون من العقائد الصالحة والأعمال الطيبة في الدنيا . وقوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ أي بجائط له باب يدخل منه المؤمنون فيؤول بهم إلى الجنة ، ولذلك قال : ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ وذلك لئلا يقرب هذا الباب للمنافقون . ويبدو أن هذا كائن إما في أول الصراط

أو في آخر الصراط أو في مكان ما على الصراط .

﴿ وَمَنْ يَفْعَشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ . وإنيهم لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . حتى إذا جاءنا قال يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴿ ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَشْ ﴾ أي يتعام عن القرآن ويعرض عنه ﴿ تَقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾ نسلط ﴿ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ أي مصاحب ﴿ وَإِنْهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ الضير في الكلمتين يعود على الإنسان الضال وقريته : فإن هؤلاء يتعاونون على صد الخلق عن سبيل الله ، وهم يتصورون أنهم مهتدون بذلك كما نرى حال الكافرين في عصرنا دعاة ومدعويين ، فكل صاحب دعوة يتوهم أنه يدعو الناس إلى هداية ، ﴿ حتى إذا جاءنا ﴾ أي ذلك الإنسان الذي أضله الشيطان ﴿ قال يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾ بعد المشركين فبئس القرين ﴿ ، وذلك أن الكفار يحشرون مقرونين مع شياطينهم .

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرْهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿ ^(٢) .

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ أي الْمُتَّبِعُونَ مَنْ كانوا يتبعونهم ، ويدخل في الْمُتَّبِعِينَ هنا أئمة الضلال وَمَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، والظاهر أن هذا يكون بعد شفاعة فصل الخطاب . وقوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ أي الوَصَل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وهذا نموذج على الحوار بين الأتباع والمتبعين عندما تؤمر كل طائفة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله أو عندما يُدْعَى كل أناس بإمامهم وذلك بعد شفاعة فصل الخطاب .

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

وهي تَقُورُ * تَكَادُ تَمَيِّزُ من الغَيْظِ كُلِّهَا أَلْقِي فِيهَا فَوْجَ سَأْلِهِمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ *
قالوا بلى قد جاءنا نَذِيرٌ فَكُنْزُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ *
وقالوا لو كنا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فاعترفوا بذنبهم فَسَحَقْنَا لِأَصْحَابِ
السَّعِيرِ إِنْ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١﴾ .

هذا نموذج على ما تتلقى به الملائكة أصحاب النار من سؤال ، وهو سؤال يأتي بعد أن
قامت عليهم الحجة ، وهم يجيبون على هذا السؤال معترفين مقرين بعد إذ رأوا أن إنكارهم
من قبل لم يقدم لكثرة الشهود ولقطعية الشهادات .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *
تَلْفَحُ وَجوههم النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلُو عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ *
قالوا رَبُّنَا غَلَبَ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبُّنَا أَخْرَجَنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبُّنَا آمَنَّا
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتَهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ
تَضْحَكُونَ * إِنْ يَجْزِيكَمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ * قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَّةَ
سِنِينَ * قالوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ ﴿٢﴾ .

هذا نموذج على نوع ما يحدث من خطاب لأهل النار من الله عز وجل ، ومن دعاء
وجواب من أهل النار ، وظاهر النص أن الخطاب مباشر من الله عز وجل لأهل النار ،
وبعض المفسرين ذهب إلى أنه بالواسطة .

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ * وقالوا يَا أُولَئِنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ * هذا
يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ * احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ *
مَنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ *
بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قالوا إنا كنتم تأتوننا

عن اليمين * قالوا بل لَمْ تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطانٍ بل كنتم قومًا طاعين * فحقَّ علينا قولُ ربِّنا إِنَّا لَنَاقِثُونَ * فأغويناكم إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فإنهم يومئذٍ في العذاب مشترِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إنهم كانوا إِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * ويقولون أَنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بل جاءَ بالحقِّ وَصَدَقَ المرسلين * إنكم لَنَاقِثُوا العذابِ الأليم * وما تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كنتم تعملون * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أولئك لهم رِزْقٌ معلومٌ * فواكِهَ وهم مُكْرَمُونَ * في جَنَّاتِ النَّعِيمِ * على سُرُرٍ متقابلين * يُطَافُ عليهم بِكأسٍ مِنْ مَّعِينٍ * بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وعندهم قاصراتُ الطرفِ عَيْنٍ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٍ * فأقبلَ بعضهم على بعضٍ يتساعلون * قال قائلٌ منهم إِنِّي كَانِ لِي فَرِيقٌ * يقولُ أَنُّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَأُنْذِرُ مِتْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّا لَمَدِينُونَ * قال هلْ أُنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قال تَاللَّهِ إِن كِدْتُ لَتُرْدِينَ * ولولا نعمةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمَعْدِينَ * إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْغَوْرِ الْعَظِيمِ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّاقِمِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رَعُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَايَئُثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿١﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴾ . هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴿ يحتل هذا النص أن يكون من إجابة بعضهم لبعض ، أو من إجابة الملائكة لهم ، ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي وأشباههم ، والخطاب من الله عز وجل ، وهذا يفيد أن عباد الأصنام أو عباد صنم ما أو عباد الكواكب أو عباد كوكب ما ، وهكذا قل في سائر المشركين أنهم يحشرون مع بعضهم بعضاً ، والأمر بحشر الأصناف بعضها مع بعض من الله عز وجل . والظاهر كما أنه تحشر الأصناف مع بعضها فإنها تدخل النار مع بعضها وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ كلما ألقى فيها فوج ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الحليم ﴾ أي فمرفوهم طريقها ليسلكوها ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم ، ومعنى قوله ﴿ وقفوهم ﴾ أي واحبسوهم يوم الموقف . ﴿ ما لكم لا تنصرون ﴾ هذا سؤال يوجه إليهم تبكيها

وتوبيخًا ، والسائل إما الله تعالى ، وإما الملائكة ، وفي السؤال إشارة إلى أن سر اشتراكهم في الكفر هو التناصر ، ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء ﴿ قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي بأقوى ما تستطيعون أن تأتوننا به من الشبه لتضلونا ، فيجيب المتبوعون ما يجيبون به ، وفي النص غودج على حوار متعدد بين أكثر من متكلم .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكُنَّا مؤمنين ﴾ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا ﴾ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يُجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم ﴾ أي محبسون عند ربهم وذلك يكون في موقف الحساب قبل الوزن والميزان وبعد الشفاعة لفصل الخطاب . ﴿ يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾ أي يتحاورون وهذا الحوار بين المتبوعين من الإنس من السادة والكبراء وأئمة الضلالة وبين أتباعهم ، وقوله تعالى على لسان المستضعفين : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ أي بل مكرهم في الليل والنهار حتى فتننونا وأمرتهم علينا ضلالكم فأضللتونا ، ومن يشهد في عصرنا سهر الدوائر الكافرة ودأبها على الإضلال يرى ما ذكرته الآية واقعا حيا وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ المراد بذلك ما يقيدون به في النار بعد إذ يدخلونها .

﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ فالיום لا يملك بعضهم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ ^(٢) .

هذا نموذج على سؤال الله للملائكة وجوابهم فهناك ناس عبدوا الملائكة من دون الله وأظهر ما يظهر ذلك في ديانة الصابئة الموجودين في العراق حالياً إذ يعبدون الأرواح العلوية .

﴿ وإذا يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ﴾ قال للذين استكبروا إنا كُلُّ فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يَخَفُفْ عَنَّا يَوْمًا من العذاب * قالوا أولم تك تأتكم رُسُلكم بالبيناتِ قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال * إنا لننصرُ رُسُلَنَا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿ (١) .

هذا نموذج للحوار بين أئمة الضلالة وأتباعهم في النار ، كما أنه نموذج على حوار أهل النار للملائكة وطلبهم منهم تخفيف العذاب ولو يوماً واحداً ورد الملائكة عليهم ، وأمثال هذه النصوص التي تتحدث عن الحوار بين الأتباع والمتبعين تؤكد أن على المسلم أن يختار للاقتداء والاتباع من يطمئن إلى ربانيته وولايته ، وأن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وذلك بحبهم وطاعتهم .

﴿ الذين كذبوا بالكتاب وما أرسلنا به رُسُلُنَا فسوف يعلمون ﴾ (٢) .

﴿ ويومَ نبعثُ من كل أمة شهيداً ثم لا يُؤْذَنُ للذين كفروا ولا هم يُسْتَمْتَبُونَ ﴾ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يُخَفَّفْ عنهم ولا هم يُنظَرُونَ * وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فآلقوا إليهم القول إنكم لكاذبون * وألقوا إلى الله يومئذ السَّلمَ وصلَّ عنهم ما كانوا يفترون ﴿ (٣) .

قوله تعالى : ﴿ ويومَ نبعثُ من كل أمة شهيداً ﴾ أي نبيا يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر ، وفي هذا المقام مقام شهادة الأنبياء على الأمم ﴿ لا يُؤْذَنُ للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴾ أي ولا هم يسترضون . وبعد هذا المقام يشكو المشركون متبعيهم إما من باب

(٢) غافر : ٧٠ .

(١) غافر : ٤٧ - ٥٢ .

(٣) النحل : ٨٤ - ٨٧ .

الطلب أن يضاعف لهم العذاب ، وإما من باب الاعتراف بأنهم كانوا مخطئين ، ويكذبهم المتبوعون ويستسلم الجميع لحكم الله رب العالمين حين لا ينفعهم الاستسلام الذي كان مطلوباً منهم في الدنيا بأن يدخلوا الإسلام ويستسلموا لله فيه .

وتمة المشهد هو : ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾ ^(١) وقد مر معنا من قبل .

﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوَفَّى كل نفس ما عملت وهم لا يُظلمون ﴾ ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ أي عن ذاتها وتسعى في خلاصها لايها غيرها فتقول نفسي نفسي ولكن النفس الكافرة لا بد أن توفى أعمالها أما النفس المؤمنة فله فيها مشيئة وهناك شفاعات تصيها وتنفعها .

﴿ ثم يوم القيامة يُخزهم . ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الحزى اليوم والسوء على الكافرين * الذين تتوَقَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنّا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين * وقيل للذين اتَّقُوا ماذا أنزل ربُّكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولَدَارُ الآخرة خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جناتٌ عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهارُ لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوَقَّاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ ^(٣) .

وهذا نموذج آخر على ما يكون من سؤال وجواب وحوار يوم القيامة وفيه دعوة للكينونة من أهل التقوى والبعد عن الشرك ومظاهره .

﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم مَوْبِقاً * ورأى المجرمون النارَ فظنوا أنهم مَوَاقِعُها ولم يجدوا عنها مَصْرَفاً ﴾ ^(٤) .

(٢) النحل : ١١١ .

(٤) الكهف : ٥٢ - ٥٣ .

(١) النحل : ٨٩ .

(٣) النحل : ٢٧ - ٣٢ .

﴿ ويوم يقول ﴾ أي الله تعالى للكافرين : ﴿ نادوا شركائي الذين زعمتم ﴾ أي زعمتم أنهم شركائي أو شفعاؤكم يمنعونكم من عذابي والمراد ما عبد من دونه ، وقيل إبليس وذريته ﴿ فدعوه ﴾ أي فنادوهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ أي بين الكافرين وألهمهم ﴿ موبقاً ﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في شدتها هلاك .

﴿ وبَرَزُوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فهل أنتم مُنْفُونَ عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صَبَرْنَا ما لَنَا من مَحِيصٍ . وقال الشيطان لما قَضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فلا تُلْمُونِي ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كُفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قَضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي لما أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فإن الشيطان يقوم خطيباً في الأشقياء من الثقلين ، وفي النص نموذج على الحوار بين الأتباع والمتبعين في النار ومحاولة الشيطان أن يخرج من لوم اللائمين على إغوائهم وقوله ﴿ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ﴾ أي ما أنا بغيثكم ولا أنتم تغيثوني .

﴿ وهذا وإن للطاغين لشر مآب ﴾ جهنم يصلونها فبئس المهاد . هذا فليذوقوه حميمً وغَسَّاقٌ . وآخرٌ من شكله أزواج ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ حميم وغساق ﴾ أي شراب يغلي ، والغساق صديد أهل النار ﴿ وآخر ﴾ أي وعذاب آخر ﴿ من شكله أزواج ﴾ من مثله أجناس .

﴿ هذا فوجٌ مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صَالُوا النَّارَ ﴾ قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار . قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴾ (٣) .

(٢) ص : ٥٥ - ٥٨ .

(١) إبراهيم : ٢١ - ٢٢ .

(٣) ص : ٥٩ - ٦١ .

النص يدل على أن أئمة الضلال يدخلون النار قبل أتباعهم فيكون بين الأتباع والمتبوعين هذا التخاصم الذي ذكره النص الكريم .

﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار ﴾ اتخذناهم سيخرياً أم زأغت عنهم الأبصار ﴾ إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار ﴿ (١) .

﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ﴾ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً ﴿ (٢) .

﴿ ويوم يحشرهم ﴾ أي للجزاء ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ أي كل معبود سواه ﴿ فيقول ﴾ أي الله تعالى للمعبودين ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ . ﴿ قالوا ﴾ الظاهر من السياق أن المراد بذلك أن من عبّد فلم يرّض أو عبّد ولم يشعر يقولون ﴿ سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ﴾ أي هالكين ﴿ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ﴾ أي دفعا للعذاب عنكم ﴿ ولا نصراً ﴾ يعينكم أحد عليه ، وفي النص دليل على أن كثيراً من عبّد من دون الله لا مسؤولية عليهم .

﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلّت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمّة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوها فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربّنا هؤلاء أضلّونا فاتهم عذاباً نيفاً من النار قال لكلّ نيف ولكن لا تغفلون ﴾ وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴿ (٣) .

في النص دليل على أن الأمم المتقدمة في الزمن تدخل النار قبل الأمم المتأخرة في الزمن ، ومن سبق في الضلال فتابعه عليه لاحقون يلومون السابقين ، والسابقون يشتمون

(٢) الفرقان : ١٧ - ١٩ .

(١) ص : ٦٢ - ٦٤ .

(٣) الأعراف : ٣٨ - ٣٩ .

هم ؛ لأنّ اللاحقين يدعون فضلاً على المتقدمين كما نرى في عصرنا ؛ إذ يرى اللاحقون أنهم قد سبقوا المتقدمين في العلم والتقدم ، وبعد استكمال النار أهلها يدعو اللاحقون أن يضاعف الله للسابقين العذاب فيعرفهم أن العذاب المضاعف للجميع لمن ضل وأضل بسبب ضلاله وإضلاله ، ولمن ضل متابعاً للأولين بسبب ضلاله وتقوية الضلال وأهله بتقليد الضالين .

﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبنفونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون * وبينها حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يَدْخُلُوهَا وهم يطمعون * وإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظَّالِمِينَ * ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جنتكم وما كنتم تستكبرون * أولاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ (١) .

(أهل الأعراف) : قوم تساوت سيئاتهم وحسناتهم فلا هم استحقوا النار فيدخلونها ، ولا استحقوا الجنة فيدخلونها لكنهم يطمعون أن يدخلوها بفضل الله وهم داخلون في المآل ، ويكونون قبل دخولهم الجنة بين أهل الجنة والنار ، والنص يدل على أن حواراً يجري بين أهل الجنة والنار ، وبين أهل الأعراف وأهل النار وهذا يفيد أن أهل الجنة يطلعون على أهل النار وذلك من تمام النعمة والاعتبار ليذكروا .

﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فالיום ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يمجدون ﴾ (٢) .

﴿ فإذا نُفِثَ فِي السَّاقُورِ * فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ * على الكافرين غيرُ يسيرٍ * ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنَيْنَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ

أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوباً * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سألبيه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقني ولا تذر * لواحاً للبشر * عليها تسعة عشر * وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يُضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر * كلا والقمر * والليل إذا أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لإحدى الكبر * نذيراً للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر * كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * قرئت من قصورة ^(١) .

هذا غودج آخر على حوار بين أهل الجنة وأهل النار .

﴿ الناقور ﴾ الصور ﴿ نقر ﴾ نفخ ﴿ لآياتنا عنيداً ﴾ أي معانداً جاحداً للحق . ﴿ سأرهقه صعوباً ﴾ سأكلفه عذاباً شاقاً لا يطاق . ﴿ وبسر ﴾ اشتد في العبوس وكلوح وجهه ﴿ سألبيه سقر ﴾ سأدخله جهنم ﴿ لواحاً للبشر ﴾ مسودة للجلود محرقة لها ﴿ الكبر ﴾ الدواهي العظيمة ﴿ رهينة ﴾ أي رهونة عنده تعالى بعملها ﴿ ما سلككم ﴾ ما أدخلكم ﴿ حمر مستنفرة ﴾ حر وحشية شديدة النفار ﴿ قصورة ﴾ أسد .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِي كَآنَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمُتَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ * فَأَطْلَعَ قَرَاءٌ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْلُ

الْعَظِيمِ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيُعْمَلِ الْعَامِلُونَ * (١) .

هذا نموذج على حوار بين أهل الجنة فيما بينهم ونموذج على أن أهل الجنة يطلعون على أهل النار .

والمراد بالقرين في الآيات صاحب الكافر في الدنيا ، والذي يجمعه مع المؤمن سبب من عمل مشترك أو جوار أو غير ذلك من الأسباب التي تجعل المؤمن يجالس الكافر ، وكيف أن الكافر كان ينكر على المؤمن إيمانه . فهنا المؤمن يخاطب الكافر هذا الخطاب المذكور في الآية وقد جاءت هذه الآيات بعد الكلام عن اجتماع أهل الجنة على شرايهم فهم يتحدثون ويجرم الحديث إلى هذا الموقف .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ أي خيارا أو عدولا مزكّين بالعلم والعمل ﴿ شهداء على الناس ﴾ أي على معاصريكم وعلى من قبلكم وبعدهم ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ فيشهد لكم بالعدالة ، وشهادته لكم بالعدالة في الموقف تأكيد لشهادتكم على الأمم ، وهذا يكون عندما تنكر الأمم أن رسلها قد بلغتها وذلك في موقف من مواقف القيامة .

* * *

وبعد :

فلقد حرصنا ألا يخلو الكلام عن اليوم الآخر من الإكثار من النصوص القرآنية ليزداد المسلم فهما وبصيرة بما يجري في اليوم الآخر ، وحرصنا أن نبين ما استطعنا تسلسل الأحداث في اليوم الآخر لأن الكتابة في هذا الشأن قليلة فاقترضنا هذا منا الإكثار من النصوص والنقول والتعليقات .

الفقرة الخامسة

في :

أحاديث تصف بعض ما في الموقف وما بعده

١٢١٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تُضَارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة » ؟ قالوا : لا ، قال : « فهل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة » ؟ قالوا : لا . قال : « فوالذي نفسي بيده ، لا تُضَارُّون في رؤية ربكم إلا كما تُضَارُّون في رؤية أحدهما ، فيلقى العبدُ ربَّه ، فيقول : أيُّ قل ، ألم أُكْرِمَكَ وأسودك وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذكرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يارب . فيقول : أظننت أنك مُلَاقِيٌّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي قل : ألم أُكْرِمَكَ وأسودك وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ؟ وأذكرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أظننت أنك مُلَاقِيٌّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث ، فيقول : أي قل ، ألم أُكْرِمَكَ وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذكرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أظننت أنك مُلَاقِيٌّ ؟ فيقول : أي رب : آمنت بك وبكتابك وبرسلك ، وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع ، فيقول ها هنا إذن ، ثم يقول : الآن نبعث شاهداً عليك ، فيتفكر في نفسه : من ذا الذي يشهد عليه ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفيذه : انطقي ، فتنتطق فخذ له ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ذلك الذي يسخط الله عليه . »

أقول : في الحديث عن الرؤية وهي خاصة بأهل الإيمان ، وكلام عن الحاسبة والمحاسبة في موقف من مواقف القيامة وهي عامة كما هو ظاهر من الحديث .

١٢١٦ - مسلم (٤ / ٢٢٧٩) ٥٢ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (١٦) .

(تضارون) : روي بتخفيف الراء من الضير ، يقال : ضاره يضره .

١٢١٧ - * روى البخاري عن سعيد بن المسيّب ، وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرها : أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تبارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب » ؟ قالوا : لا ، قال : « فإنكم ترونه كذلك ، يحشر الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبّع ، فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ؟ فيدعوهم ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمتة ، ولا يتكلّم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلّم سلّم ، وفي جهنم كلاب ، مثل شك السعدان ، هل رأيتم شك السعدان » ؟ قالوا : نعم ، قال : « فإنها مثل شك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظيمها إلا الله تعالى ، تحطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ، ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار » وفي رواية : « فمنهم المؤمن بقي بعمله ، ومنهم المجازي حتى ينجى - حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، فكل ابن آدم تأكله النار ، إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل ،

١٢١٧ - البخاري (٢ / ٢٩٢) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٢٦ - باب فضل السجود .

(السعدان) : نبت ذو شوك معقف من مراعي الإبل .

(يوبق) : أوبقته الذنوب ، أي : أهلكته .

(يخردل) : الخردل : الرمي للصروع ، وقيل : هو اللقطع ، والمعنى أنه تقطعه كلاب الصراط ، حتى يقع في النار .

(امتحشوا) : الامتحاش : الاحتراق ، وقيل : هو أن تذهب النار الجلد ، وتبدي العظم .

(الحبة) : بكسر الحاء : البزورات ، وبفتحة ، كالحنطة والشعير .

(حميل السيل) : الزبد وما يلقيه على شاطئه ، وهو فعيل بمعنى مفعول .

ثم يَفْرَعُ اللهُ من القِصاص بين العِبَادِ ، ويبقى رجل بين الجنة والنار - وهو آخر أهل النار دخولا الجنة - مقبلٌ بوجهه قِبَلَ النار ، فيقولُ : يارب ، اصرف وجهي عن النار ، قد قَشَبَنِي رِيحُهَا وأحرقني ذُكَاها ، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ، فيقول : هل عَسَيْتَ إنْ أِفْعَلُ ذلك تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا وَعِزَّتِكَ ، فيُعْطِي اللهُ ما شاء من عهدٍ وميثاقٍ ، فيُصْرِفُ اللهُ وجهَهُ عن النار ، فإذا أُقْبِلَ بوجهه على الجنة ، ورأى يَهْجَتَهَا ، سَكَتَ ما شاء الله أن يَسْكُتَ ، ثم قال : يارب ، قَدَّمَنِي عند باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيتَ العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألتَ ؟ فيقول : يارب لا أكون أشقى خلقك ، فيقول : فما عَسَيْتَ إنْ أُعْطِيتَ ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وَعِزَّتِكَ ، لا أسألك غيرَ هذا ، فيُعْطِي رَبُّهُ ما شاء من عهدٍ وميثاقٍ ، فيقدِّمُهُ إلى بابِ الجنة فإذا بلغ بابها ، رأى زهرتها وما فيها من النُّصرة والسُّرور .

- وفي رواية (١) : « فإذا قام إلى باب الجنة انفتحت له الجنة : فرأى ما فيها من الحيرة والسُّرور ، فسكت ما شاء الله أن يسكتَ فيقول : يارب أدخلني الجنة ، فيقول الله : ويحك ! يا ابنَ آدم ما أَعْدَرَكَ ؟ أليس قد أعطيتَ العهود أن لا تسأل غير الذي قد أعطيتَ ؟ فيقول : يارب ، لا تجعلني أشقى خَلْقِكَ ، فيضحكُ الله منه ، ثم يَأْذَنُ له في دخول الجنة ، فيقول : تَمَنُّ . فيتمنى ، حتى إذا انقطع أُمْنِيَّتُهُ ، قال الله تعالى : تَمَنُّ من كذا وكذا - يَذْكُرُهُ رَبُّهُ - حتى إذا انتهت به الأمانِيُّ قال الله : لك ذلك ومِثْلُهُ معه . »

قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما : إن رسولَ الله ﷺ قال : « قال الله : لَكَ ذَلِكَ وعشرة أمثاله . » قال أبو هريرة : لم أَحَقِّظْ من رسولِ الله ﷺ ، إلا

= (قَفَّيْ رِيحَهَا) : آذاني ، والقشِب ، التَّم ، والقشيب : المسموم ، فكانه قال : قد تَبَّي رِيحُهَا .

(١٤٥) : ذُكَا النار ، مفتوح الأول مقصورًا : اشتعلها ولبها .

(الزهرة) : الحسن والنضارة والبهجة .

(١) البخاري (١٢ / ٤١٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

(انفتحت) : أي انفتحت واتسعت . (الحيرة) : السُّرور والنعمة .

قوله : « لك ذلك ومثله معه » قال أبو سعيد : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لك ذلك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخرُ أهل النار دخولا الجنة .

وفي رواية مسلم ^(١) عن عطاء وابن المسيب ، وقال : قال أبو هريرة : إنَّ الناس قالوا للنبي ﷺ : يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنَا يوم القيامة ؟ ... وساق الحديث بمثله . هكذا قال مسلم ، ولم يذكر لفظه ، وأخرجه البخاري عن عطاء وحده بنحوه .

ورواه الترمذي ^(٢) عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أخصر من هذا : أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فيقول : أَلَا لِيَتَّبِعَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانَ يَتَّبِعُ ، فيمثلُ لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النارِ ناره ، فيتَّبِعُونَ ما كانوا يعبدون ، ويبقى المسلمون ، فيطْلُعُ عليهم رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فيقول : أَلَا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك ، الله ربَّنَا وهذا مكاننا حتى نرى ربَّنَا ، وهو يأمرهم ويُثَبِّتَهُمْ » . قالوا : وهل نراه يا رسولَ الله ؟ قال : « وهل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قالوا : لا ، يا رسولَ الله ، قال : « فإنكم لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةِ ، ثُمَّ يَتَوَارَى ، ثُمَّ يَطْلُعُ ، فيعرفهم نفسه ، ثُمَّ يقول : أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي ، فيقوم المسلمون ، ويوضع الصراط ، فيمرُّ عليه مثل جياذ الخيل والركاب وقولهم عليه : سَلَامٌ سَلَامٌ ، ويبقى أهل النار ، فيطرح منهم فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ حتى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا ، وَأُزْوِيَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَطِ ، قالت : قَطِ قَطِ ، فإذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ : أَتَى بِالْمَوْتِ مُلَبَّيًّا فيوقف

(١) مسلم (١ / ١٦٣ - ١٦٧) - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٩١) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٠ - باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار .

(زويت) : الشيء إلى الشيء : ضمت بعضه إلى بعض ، وجمعت إليه .

(قَطِ قَطِ) : بمعنى حسي وكفائي .

(مُلَبَّيًّا) : كأنه أخذ بتلاييه ، وهو استمارة ، والأخذ بالتلايب : أن يجمع على الإنسان ثوبه ، ويأخذ

بمقدمه فيجرُّ به .

على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين ، يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون - هؤلاء وهؤلاء - قد عرفناه ، هو الموت الذي وَكَّلَ بنا ، فيُضَجَّع ، فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال لهم : يا أهل الجنة ، خلودٌ لا موت ، ويا أهل النار ، خلودٌ لا موت .

وروى النسائي ^(١) منه طرفاً من وسطه ، وهو قوله : « فتأتي الملائكة فتشفع ويشفع الرسل » ، وذكر الصراط ، فقال رسول الله ﷺ : « فأكون أول من يخرج ، فإذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، وأخرج من النار مَنْ يريد أن يخرج ، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع ، فيشفعون بعلاماتهم ، إن النار تأكل كل شيء من بني آدم إلا موضع السجود ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في السيل » .

أقول : في النص الذي مر معنا عدد من مشاهد يوم القيامة وهي بعض من كل ، وهي تعطينا تصوراً عن تعلم رسول الله ﷺ وعن طريقة وعظه ، فالنص ابتداءً بالإجابة على سؤال ثم كان هناك تذكير بأكثر من مشهد من مشاهد يوم القيامة مما يناسب حال السامعين ، وقد طوى النص مشاهد كثيرة من مشاهد يوم القيامة جاءت بمناسبات أخرى أو ذكرها القرآن الكريم ومنه نعلم أن الواعظ يتخير لوعظه ما يناسب حال السامعين ، والمحدث يتخير لحديثه ما يناسب حال المخاطبين وقل مثل ذلك في المحاضرة والخطبة والدرس والعلم والتعليم وقد حاولنا أثناء العرض الإجمالي ومن خلال التعليقات أن ننقل أكبر قدر من مشاهد يوم القيامة مع إبراز تسلسل الأحداث بالقدر الذي أسعقتنا فيه المراجع ولم تقف عند الكثير من النصوص ؛ لأن أمر القيامة غيب والمسلم مستقر في قلبه التنزيه والتسليم فلا يفوته أن يفهم النصوص على ضوء التنزيه ولا يفوته مع التنزيه أن يسلم : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ ^(٢) .

(١) النسائي (٢ / ٢٢٩) - كتاب التطبيق ، ٨١ - باب موضع السجود .

(٢) الأعراف : (٥٢) .

١٢١٨ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : إن ناساً في زمن رسول الله ﷺ - وفي رواية : قال : قلنا - يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : « نعم ، فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : « فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غير الله - من الأصنام والأنصاب - إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، وغبر أهل الكتاب ، فيدعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيراً ابن الله ، فيقال : كذبتُم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون في النار ، ثم يدعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتُم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أتاها الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، قال : فما تنظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : ياربنا ، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئاً - مرتين أو ثلاثاً - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد لله

١٢١٨ - مسلم (١ / ١٦٧) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

(غبر) : جمع غابر ، وهو الباقي ، وغبرات جمع المجمع .

(المحطم) : الكسر والدق ، أي ينكسر بعضها على بعض .

اتقاء ورياء ، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي رآوه فيها أول مرة ، فقال : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلّم سلّم « قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : « دخض مزلة » ، فيه خطاطيف وكلاليب ، وحسكة تكون بنجد ، فيها شويكة ، يقال لها : السعدان ، فيمرّ المؤمنون كطرف العين ، كالبرق والريح ، كالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجح مسلّم ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى إذا خلاص المؤمنون من النار ، فالذي نفسي بيده ، ما من أحد منكم بأشدّ مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار » وفي رواية « فما أنتم بأشدّ مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم ، فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ، ويصلّون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عزّفت ، فتحرّم صوّرهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممّن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا ، لم نذر فيها أحداً ممّن

(اتقاء) : فعلت ذلك اتقاء ، أي خوفاً .

(طبقة) : الطبقة والطبق : الصحيفة الواحدة .

(دخض) : الدخض : الزلق ، وهو الماء والطين .

(مزلة) : موضع الزلل ، وأن لا يثبت القدم على شيء فيسقط صاحبها .

(خطاطيف) : الخطاطيف كالكلاليب . المعقفة : المعوجة .

(كأجاويد الخيل) : الجواد : القرس الرائع للذكر والأنثى ، والجمع جياذ وأجاويد ، وكأنّ أجاويد جمع الجمع .

(مخدوش) : المخدوش : المجرّح . و « للمكدوس » قال الحميدي : كذا وقع في الروايات : مكدوس ، وقد سمعت بعضهم يقول : إنه تصحيف من الرواة ، وإنما هو مكدوس ، فإن صحت الرواية في مكدوس ، فلمله من الكدس ، وهو المجتمع من الطعام ، فكان الإنسان تجمع يده ورجلاه ويشدّ ، ويلقى في النار ، وهو بمعنى المكردس ، وقد جاء في بعض نسخ مسلم « مكدوش » بالشين المعجمة ، فإن صح ، فهو من الكدش بمعنى الخدش ، والكدش أيضاً : السوق الشديد ، والكدس - بالسين المهملة - إسراع للثقل في السير ، فيجوز أن يكون منه ، كأنه مثل بذنوبه ، وله من يحثه على المشي ، وذلك أكد في تعذيبه وتعبه .

أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثم يقولون : ربُّنا لم نَنذَرِ فيها من أمرتنا أحدًا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرَّةٍ من خيرٍ فأخرجوه ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثم يقولون : ربُّنا لم نَنذَرِ فيها خيرًا ، وكان أبو سعيد يقول : إن لم تُصَدِّقُونِي بهذا الحديث ، فاقْرَؤُوا إن شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾^(١) . « فيقول الله عز وجل : شَفَعَتِ الملائكةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، ولم يبقَ إلا أرحمُ الرَّاحِمِينَ ، فيقبِضُ قبْضَةً من النار ، فيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لم يَعْمَلُوا خَيْرًا قط ، قد عادوا حَمَمًا ، فيلقِيهِمْ في نَهْرٍ في أفْواه الجنة ، يقال له : نهر الحياة ، فَيُخْرِجُونَ كما تَخْرُجُ الْحَبَّةُ في حِمْلِ السَّيْلِ ، ألا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أو إلى الشجر ، ما يكون إلى الشمس أَصْفَرُ وَأَخْيَضُ ، وما يكون منها إلى الظل ، يكون أَيْضَ ؟ فقالوا : يا رسولَ الله ، كأنك كنتَ تَرَعَى بالبادية ، قال : « فيخرجُونَ كاللؤلؤ ، في رِقَابِهِم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عملٍ عَمَلُوهُ ، ولا خيرٍ قَدَّمُوهُ ، ثم يقول : ادخلوا الجنة ، فأرايتموه فهو لكم ، فيقولون : ربُّنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضلُ من هذا ، فيقولون : ياربُّنا ، أيُّ شيءٍ أَفْضَلُ من هذا ؟ فيقول : رِضايَ ، فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا . »

قال مسلم : قرأت على عيسى بن حماد - زُغَبَةَ - المصري هذا الحديث في الشفاعة ، وقلتُ له : أَخَذْتُ بهذا الحديث عنك ، أنك سمعته من الليث بن سعد ؟ فقال : نعم .

وقال مسلم عن أبي سعيد : إنه قال : قلنا : يا رسولَ الله ، أنرى ربُّنا ؟ قال : « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يومٌ صَحْوٌ ؟ قلنا . لا ... وساق الحديث ، حتى انقضى إلى آخره ، وزاد بعد قوله : « بغير عملٍ عَمَلُوهُ ، ولا خيرٍ قَدَّمُوهُ » : « فقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » . قال أبو سعيد : بلغني أن الجسرَ أدقُّ من الشعرة ، وأحدُ

(١) النساء : ٤٠ .

(حَمَمًا) : جمع حمة ، وهي الفحمة .

من السيف ، وليس فيه : « فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين » وما بعده .

وفي رواية ^(١) قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا ؟ قال : « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كانت صَحْوًا ؟ قلنا : لا ، قال : « فإنكم لاتضارون في رؤية ربكم يومئذ ، إلا كما تضارون في رؤيتها » . قال : « ثم ينادي مُنَادٍ : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يَعْبُدُونَ ، فيذهبُ أصحابُ الصليب مع صليبيهم ، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله عز وجل من بَرٍّ وفاجرٍ ، وَغُفْرَاتٍ من أهل الكتاب ، ثم يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كأنها السراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيزاً ابنَ الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تَسْقِينَا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابنَ الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تَسْقِينَا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجرٍ ، فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم ، فإننا سمعنا مُنَادِيًا ينادي : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ ما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربنا ، قال : فيأتِيهم الجبار في صورةٍ غير صورته التي رآوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء ، فيقال : هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون : نعم ، الساق ، فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياً وسمعةً ، فيذهب كيئاً يسجد ، فيعود ظهره طبقاً واحداً ثم يُؤْتَى بالجسر ، فيجعله بين ظهري جهنم قلنا : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : « مذحضة مزلة ، عليها خطاطيفٌ وكلاليبٌ ، وحسكة مفلطحة ،

(١) البخاري (١٣ / ٤٢٠) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ۚ ﴾ .

(مغلطحة) : الذي فيه عرض .

لها شوكَةٌ عَقِيفَةٌ تكون بنجد ، يقال لها : السَّعدان ، يَرُ المؤمن عليها كالطَّرَف
وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجر مُسَلَّم ، وناج مَخْدُوشٌ ،
وَمَكْدُوشٌ في نار جهنم ، حتى يَمُرَّ آخرُهم ، يُسَحَب سَحَبًا ، فإنا أنتم بأشدَّ لي
مناشدةً في الحق قد تبين لكم مِنَ المؤمن يومئذ للجبار ، فإذا رأوا أنهم قد نَجَّوا
شَفَعُوا في إخوانهم ، يقولون : رَبَّنَا ، إخواننا كانوا يُصَلُّون معنا ، ويصومون
مَعَنَا ، ويعملون معنا ، فيقول الله عز وجل : اذْهَبُوا ، فمن وَجَدْتُمْ في قلبه مثقال
دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار بذنوبهم ، فبعضهم قد
غاب في النار إلى قدميه ، وإلى أنصاف ساقيه ، فيُخْرِجون من عرفوا ، ثم
يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ،
فَيُخْرِجون مَنْ عَرَفُوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال
ذَرَّةٍ من إيمان فأخرجوه ، فيُخْرِجون من عَرَفُوا - قال أبو سعيد : فإن لم تصدَّقوني ،
فاقرؤوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكْ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا ۝ ﴾ (١) - فيشفع
النبيون ، والملائكة ، والمؤمنون ، فيقول الجبار : بَقِيت شفاعتي ، فيقبض قبضة
من النار ، فيُخْرِجُ أقوامًا قد اِمْتَحَشُوا ، فيُلْقَوْنَ في نهر بأفواه الجنة ، يقال له : ماءُ
الحياة ، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل ، قد رأيتوها إلى
جانب الصخرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان إلى جانب الظل
منها كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون
الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن ، أَدْخَلَهُم الجنة بغير عمل عملوه ،
ولا خير قَدَمُوهُ ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه .

وفي رواية النسائي (٢) طَرَف منه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مُجَادَلَةٌ أَحَدِكُمْ
في الحق يكون له في الدنيا بأشدَّ مُجَادَلَةً مِنَ المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين

(عَقِيفَةٌ) : المَعْقَفُ : اللَوِيُّ مثل الصَّارَةِ ، والتعقيف : التعويج .

(مناشدة) : المناشدة : المسألة .

(١) النساء : ٤٠ .

(٢) النسائي (١١٢ / ٨) ١ - كتاب القسامة ، ١٨ - باب زيادة الإيمان .

أَدْخِلُوا النَّارَ» ، قال : « فيقولون : رَبُّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يَصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ » ؟ قال : « فيقول : اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ » قال : « فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُورِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافٍ سَاقِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبِيهِ ، فَيَخْرِجُونَهُمْ ، فيقولون : رَبُّنَا قَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ أَمْرَتِنَا » قال : « ثُمَّ يَقُول : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنَ نِصْفَ دِينَارٍ ، حَتَّى يَقُول : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنَ ذَرَّةً » قال أَبُو سَعِيدٍ : فَمَنْ لَمْ يَصِدَّقْ ، فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

أقول : الملاحظ أن الروايات التي مرت معنا وبعض الروايات التي ستمر معنا في هذه الفقرة تتحدث عن رؤية الله عز وجل في المحشر قبل دخول الجنة ورؤية الله عز وجل ثابتة لأهل الإيمان في المحشر وفي الجنة ، وفي حديث أبي سعيد تركيز على مواقف بعينها أما محل هذه المواقف بالنسبة لتسلسل الأحداث يوم القيامة فإنه يحتاج إلى استشراف لعامة النصوص . والظاهر من النصوص أن إدخال أهل النار النار وإدخال أهل الجنة الجنة أنه يكون بعد إقامة أنواع من الحجج ولكن كما ذكر ابن كثير في النهاية أن بعض الرواة يطوون ذكر بعض المشاهد ويركزون على بعض المشاهد ، ردًا على جاحد أو مبتدع وقد يكون هذا الطي من رسول الله ﷺ لتركيز معنى معين عند أصحابه في جلسة من الجلسات ثم يركز على معنى آخر في جلسة أخرى فقد كان من سنته عليه الصلاة والسلام تركيز المعاني في الأنفس حتى إنه كان يكرر الكلمة ثلاثًا لتعقل منه .

وقد مرت معنا في رواية أبي سعيد كلمة يحسن أن تقف عندها لأنها تصادفنا كثيرًا وهي قوله عن الصراط : « بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف » فهذه العبارة حملها بعضهم على الحقيقة ، والتحقيق أنها محمولة على المجاز كما مر معنا في العرض الإجمالي لأن نصوصًا أخرى تتحدث عن جنبتي الصراط وليس لحد السيف جانبان .

١٢١٩ - * روى مسلم عن أبي الزبير رضي الله عنه سمع جابراً يسأل عن الورد ؟ فقال نبيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا ، أنظر - أي ذلك فوق الناس - قال : فتدعى الأم بأوثانها وما كانت تعبد : الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك ، فيقول : مَنْ تَنْظُرُونَ ؟ فنقول : ننظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ، ويتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نوراً ثم يتبعونه ، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ، ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفاً ، لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء . ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ، حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ، ويذهب حرقه ، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا عشرة أمثالها معها .

١٢٢٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاحصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » قال : « وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلاً من ربكم ؟ قالوا بلى » قال : « فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويقولون في الدنيا » . قال : « فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ، ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون » قال : « ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ، ويبقى محمد ﷺ وأمنه » قال :

١٢١٩ - مسلم (١ / ١٧٧) - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب ادق أهل الجنة منزلة فيها .

١٢٢٠ - المعجم الكبير (٩ / ٤١٧) .

جمع التروائد : (١٠ / ٢٤٠) وقال : رواه كله الطبراني من طرق ، ورجال أحدها رجال الصحيح ، غير أبي خالد الدالاني ، وهو ثقة .

قال الحافظ ابن حجر : أبو خالد الدالاني صدوق يخطئ كثيراً وكان يدلّس .

أقول : وطريق الطبراني الأخرى حسنة السند متصلة والله أعلم .

« فيمثلُ الربُّ تبارك وتعالى فيأتيهم فيقولُ ما لكم لا تنطلقون كانطلق الناس فيقولون : إن لنا إلهًا ما رأيناه . فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها » . قال : « فيقول : ما هي فنقول : يكشف عن ساقه » قال : « فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخُرُّ كلُّ من كان نظره ، ويبقى قومٌ ظهورهم كصيافي البقر يريدون السجودَ فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيُعطيهم نورهم على قدرِ أعمالهم : فمنهم من يُعطى نورَه مثلَ الجبلِ العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم من يُعطى نورَه أصغرَ من ذلك ومنهم من يُعطى مثلَ النخلة بيده ، ومنهم من يُعطى أصغرَ من ذلك حتى يكونَ آخرهم رجلاً يعطى نورَه على إهام قدميه يضيء مرةً وَيُطْفَأُ مرةً فإذا أضاء قدم قدمه وإذا طَفِيَ قام » . قال : « والربُّ تبارك وتعالى أمامهم ، حتى يَمُرَّ في النار فيبقى أثره كَحَدِّ السيف » قال : « فيقولُ : مروا فيمرون على قدرِ نورهم : منهم من يمر كطرفِ العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كاتقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشدة الفرس ، ومنهم من يمر كشدة الرجل حتى يمر بالذي يعطى نوره على ظهر قدميه يمشو على وجهه ويديه ورجليه تخرُّ يدٌ وتعلَّق يدٌ وتخرُّ رجلٌ وتعلَّق رجلٌ ، وتصيبُ جوانبه النارُ فلا يزال كذلك حتى يَخْلُصَ فإذا خَلَصَ وقف عليها فقال : الحمد لله فقد أعطاني الله ما لم يعطِ أحدًا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتموها » . قال : « فَيَنْطَلِقُ به إلى غدِير عند باب الجنة فيفتسلُ فيعود إليه ريحُ أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول رب أدخلني الجنة فيقول الله : أتسألُ الجنة وقد نجيتك من النار ؟ فيقول : رب اجعل بيني وبينها حجابًا لا أسمع حسيستها » قال : « فيدخلُ الجنة ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حُلُمٌ فيقول : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول له : لعلك إن أعطيتك تسألُ غيره ، فيقول : لا ، وعزيتك لا أسألك غيره ، وأنتى منزل أحسن منه ، فيعطى فينزله . ويرى أمام ذلك منزلًا كأن ما هو فيه إليه حلم ، قال : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول الله تبارك وتعالى له : فلعلك إن أعطيتك تسألُ

غيره ، فيقول وعزتك يارب وأنى منزل يكون أحسن منه ، فيعطاه وينزله ثم يسكت فيقول الله جل ذكره : مالك لا تسأل ؟ فيقول : رب قد سألتك حتى قد استحييتك وأقسيت حتى استحييتك . فيقول الله جل ذكره : ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ، فيقول : أتزأ بي وأنت رب العزة ؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله « قال : فرأيت عبداً لله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، قد سمعتك تحدث هذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكت ، قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث هذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراره قال : « فيقول الرب جل ذكره : لا ولكني على ذلك قادر ، سل : فيقول : الحقني بالناس ، فيقول الحق بالناس » قال : « فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قَصْرٌ من درة فيخِرُّ ساجداً فيقال له : ارفع رأسك ، مالك ؟ فيقول : رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال له : إنما هو منزل من منازلك ، قال : « ثم يلقي رجلاً فيتهياً للسجود له ، فيقال له : مه . فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول : إنما أنا خازن من خزانك وعبد من عبيدك ، تحت يدي ألف قهرمانٍ على مثل ما أنا عليه » قال : « فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر » قال : « وهو من دُرَّةٍ مَجُوفَةٍ ، سقائفها وأبوابها وأغلقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بجمراء فيها سبعون باباً ، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة ، كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى ، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حواراء عيناء عليها سبعون حلة يرى من خلفها من وراء حُلِيِّها ، كبدها مرآته وكبدته مرآتها ، إذا أعرض عنها إعراسة ازدادت في عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك فيقول لها : والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً وتقول له : وأنت ازددت في عيني سبعين ضعفاً ، فيقال له : أشرف فيشرف . فيقال له : ملك مسيرة مائة عام يتفدّه بصرك » قال : فقال عمر ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد ياكعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . إن الله جل ذكره خلق داراً جعل فيها ما شاء

من الأزواج والثرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قال كعب لم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ^(١) قال : وخلق دون ذلك جنتين وزينتهما بما شاء وأراها من شاء من خلقه ، ثم قال : من كان كتابه في عليين نزل في تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسبر في ملكه فلا تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون لريحه ، فيقولون : وأها لهذا الريح ، هذا ريح رجل من أهل عليين قد خرج يسبر في ملكه ، قال : ويحك يا كعب إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها . فقال كعب : إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرّ لركبته حتى إن إبراهيم خليل الله ليقول : رب نفسي نفسي . حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أن لا تنجو . وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « يقوم الناس لرب العالمين ألف سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » قال : فذكر مثل حديث زيد بن أبي أنيسة .

أقول :

من الملاحظ أنه قد ورد معنا في هذا النص تحديد للزمن الذي يسبق فصل الخطاب ، فأول الرواية ذكرت أربعين سنة ، وآخر النص ذكر رواية أخرى حددته بألف عام ، ولثل هذا كان للتحقيق من أهله محله في فهم النصوص ، وفي جمع بعضها مع بعض وفي ترجيح الأخذ ببعضها ، وبسبب من هذا وجد في كل علم أئمة الهدى سلمت لهم الأمة فع إيماننا بعدالة الصحابة جميعا ومع ثقتنا بالعدول من الرواة فإن اللوم أو للخطأ محلا في الرواية ، ولذلك أحالنا القرآن في سياقه على الراسخين في العلم في كل ما تشابه من القرآن ، وهو المنقول تواترا والمحفوظ من الله عز وجل فكيف بما تشابه من نصوص السنة التي لم يوجد في كل نص منها تواتر بل وجد في بعضها تواتر لفظي أو معنوي وبعضها لم يوجد فيه تواتر أصلا ، ثم هي لم يدخل كل نص منها بالتحديد في دائرة الحفظ الإلهي ، ومن ههنا كان الرجوع في فهم غير القطعيات في الشريعة إلى فهم الراسخين في العلم من أئمة الهدى هو الذي ينبغي أن

يكون ملاذ المؤمن قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « وبين ذلك أمور مشتهات لا يعلمهن كثير من الناس » ثم إن رسول الله ﷺ علنا « قَرَبٌ مَبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » ، وكما يكون هذا يكون العكس فرب مبلغ لا يعي أن يضع النصوص في مواضعها ، ولا يحملها على محاملها الصحيحة ولا يعطيها علها في مجموعة النصوص الواردة في الموضوع الواحد ، ومن هنا فإننا لا نعطي حق الإمامة في الدين والاجتهاد في الفهم إلا لمن توافرت فيه شروطه ، ثم إن الصحابة أنفسهم قد يوجد عند بعضهم من العلم مالا يوجد عند الآخر مع أن الجميع لا يفوتهم قطعي في الشريعة ولا معلوم من الدين بالضرورة ، ولكن قد يفوت بعضهم ما عند الآخر فإذا جمع ما عند الجميع وترك ما خالف فيه الثقة الثقات وما كان فيه علة تمنع الأخذ به استقام الأمر ويبقى القرآن هو الأصل والسنة شارحة له وكل ذلك يجعلنا نحتاج لتحقيق الراسخين في العلم . وعلى كل الأحوال إذا فاتنا أن نعرف تحقیقات الراسخين في العلم فلا يفوتنا ونحن نقرأ نصوص السنة الثابتة التسليم ، وإذا وجدنا تعارضاً مع القطعيات فيالئ القطعيات المرجع ، وإذا لم تكن هناك قطعيات فالتفويض لله والتصديق بما ورد على لسان رسول الله ﷺ - كما أراده رسول الله ﷺ - هو العاصم ، كما لا يفوتنا في كل الأحوال ونحن نقرأ نصوص الكتاب والسنة أن يكون من جملة أهدافنا التأثير والجد والتشهير ليوم النشور ، وهذا يتحقق في كل الأحوال سواء عرفنا تحقيق أهل التحقيق في الفهم الدقيق نتيجة الرسوخ في العلم والتدبر العميق أو لم نعرفه ، ولنحذر أهل الشذوذ الذين يخالفون إجماع الراسخين في العلم ممن يسيئون الظن بأئمة الهدى الذين أجمعت الأمة على إمامتهم .

١٢٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذُؤُوعٍ ، فَرَفِعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ - وَكَانَتْ تَعْجِبُهُ - فَتَهَسَّ مِنْهَا تَهْسَةً وَقَالَ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ فِي ذُؤُوعٍ » .

١٢٢١ - البخاري (٨ / ٣٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٥ - باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ . وله طرف فيه : (٦ / ٣٧١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٣ - باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ .

مسلم (١ / ١٨٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .
والترمذي (٤ / ٦٢٢) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٠ - باب ما جاء في الشفاعة . وقال : حديث حسن صحيح .
(فنهس) : النهس : أخذ اللحم بمقنم الأسنان .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ هل تدرون ممّ ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ،
فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ ، وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ، وتدنو منهم الشمسُ ، فيبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ
وَالْكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ ولا يَحْتَمِلُونَ ، فيقول الناسُ : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ،
إلى ما بَلَغَكُمْ ، ألا تنظرون مَنْ يشفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ ؟ فيقولُ بعضُ الناسِ
لبعضٍ : أبوكم آدمُ ، فيأتونه ، فيقولون : يا آدمُ ، أنتَ أبو البشرِ ، خلقك الله
بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنةَ ، ألا
تشفعُ لنا إلى رَبِّكَ ، ألا ترى ما نحن فيه وما بَلَغْنَا ؟ فقال : إن ربي غَضِبَ اليومَ
غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرةِ ،
فَعَصَيْتُ ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي ، اذهبوا إلى نوحٍ ، فيأتون
نوحًا فيقولون : يانوحُ ، أنتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وقد سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ،
ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بَلَغْنَا ؟ ألا تشفعُ لنا عند ربك ؟ فيقول :
إن ربي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد
كان لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غَيْرِي ،
اذذهبوا إلى إِبْرَاهِيمَ ، فيأتون إِبْرَاهِيمَ فيقولون : أنتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ ، اشفعُ لنا إلى رَبِّكَ ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد
غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنتُ
كَذِبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ... فَذَكَرَهَا نَفْسِي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غَيْرِي ،
اذذهبوا إلى مُوسَى ، فيأتون موسى فيقولون : أنتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَضَّلَكَ بِرِسَالَاتِهِ
وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشفعُ لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول :
إن ربي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله ، ولن يغضب بعده مثله ،
وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لم أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غَيْرِي ،
اذذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ، أنتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحَ مِنْهُ ، وَكَلِمَتَ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ ، اشفعُ لنا إلى ربك ، ألا
ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى ، إن ربي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يغضب
قَبْلَهُ مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يَذْكُرْ ذَنْبًا ، نفسي ، نفسي ، نفسي ،

أذهبوا إلى غيري ، أذهبوا إلى محمد ، فيأتون محمداً ﷺ « وفي رواية » فيأتونسي فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه عليّ أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطيه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يارب ، أمتي يارب ، أمتي يارب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب « ثم قال » والذي نفسي بيده ، إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وهجر - أو كما بين مكة وبصرى « وفي كتاب البخاري : « كما بين مكة وحمير » .

أقول : مر معنا أن لرسولنا ﷺ ثلاث شفاعات كلها تدخل تحت مسمى المقام المحمود سوى شفاعاته الأخرى : شفاعته لفصل الخطاب ، وشفاعته لعبور الصراط ، وشفاعته لدخول الجنة ، وكل هذه الشفاعات تكون بعد أن يلجأ الناس إلى بعض الأنبياء فيحيل كل منهم على آخر حتى يصل الأمر إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وكثيراً ما تتشابه النصوص فلا يعرف القارئ أي شفاعته من هذه الشفاعات يراد بنص من نصوص الشفاعات العظمى ، ولا يكلف المسلم أن يعرف كيف يحمل كل نص من هذه النصوص على مقام بعينه بل يخشى عليه من الخطأ فيكفيه أن يعرف أصل المسألة مع التسليم والتفويض والجد والتشهير . وبمناسبة هذا الحديث الذي مر معنا نقول : إن العلماء يخشون أن يفهم فاهم من هذا الحديث وأمثاله ما يتناقض مع عصمة الأنبياء وهي قضية مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة فما يرد من ذكر المعاصي في حق الأنبياء محمول على أنها كانت قبل النبوة قال فرعون لموسى : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾ ^(١) أي قتلته القبطي فقال موسى عليه السلام ﴿ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢) ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حِكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٣) أو هي محمولة على أنها من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، أو أنها محمولة على اجتهداد مأذون لهم فيه فلم

(٢) الشعراء : ٢٠ .

(١) الشعراء : ١٩ .

(٣) الشعراء : ٢١ .

يصلوا باجتهادهم إلى ما هو الصواب عند الله فلهم أجر واحد وهذا ليس معصية ، وحق بالنسبة للخطأ في الاجتهاد هم معصومون مآلاً لأن الله يصحح لهم ، وعلى هذا فما خلفه لنا رسول الله ﷺ معصوم قطعاً عن الخطأ وغيره ، لأنه إن حدث خطأ في الاجتهاد فإنهم يكونون مأجورين فيه ثم يصحح لهم ، فالعصمة بالنسبة للمعاصي ثابتة لهم ابتداءً وانتهاءً ، والعصمة بالنسبة للاجتهاد ثابتة لهم انتهاءً ، وعلى هذا فإنه يجب أن نعتقد أن كل ما ورثناه عن رسولنا مما هو من سننه فعلاً فإنه معصوم ولكن الرواة غير معصومين ، ومن هنا وجد التحقيق والمحققون والاجتهاد والمجتهدون والرواية والمحدثون والجرح والتعديل إلى غير ذلك مما تحتاجه خدمة الشريعة .

تعليق وتأكيد :

- ذكر في هذه الأحاديث الجامعة مشاهد من الموقف وما يكون بعده ، واختصرت فيها مواقف ، فلم تذكر أخذ الصحف والحساب والورود على الخوض ، ذلك أن الرسول ﷺ كان من سنته أن يجمع بين تبشير وإنذار ، ومن هنا كان يذكر مشهداً من مشاهد الإنذار ثم يسارع إلى ذكر مشهد من مشاهد التبشير وقد يطوي أشياء تحدث بين المشاهد ليَقْصُلَهَا في مقام آخر .

- رأينا في بعض النصوص أن بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام يعتذرون عن أفعال فعلوها أو فعلتها أقوامهم وقد يتوهم متوهم أنهم يعتذرون عن ذنوب تنقض مبدأ العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا وهم خاطئ ؛ فالرسل معصومون وما يعتذرون منه إنما يعتذرون منه لا لأنه ذنب بل لأنهم يعرفون من جلال الله ما يقتضي منهم كثرة الخوف من أفعالهم مأجورون عليها لأنهم فعلوها باجتهاد أو ترخصوا بها في موقف يجوز فيه الترخيص ، أو هي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كما ذكرنا .

الفقرة السادسة

في الحوض

- أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر ولذلك يكفر منكر الحوض .
- ولكل رسول من الرسل حوضه الذي ترد عليه أمته ، وحوض رسولنا ﷺ هو أكثرهم وارداً .
- واختلف العلماء في مكان الحوض هل هو قبل الصراط أو بعده ، والراجح أنه قبل الصراط فالناس يعطشون في الموقف . والنصوص تذكر أنه يَرَدُّ عن الحوض أقوام لكفرهم وردتهم ونفاقهم ، والصراط لا يجاوزه إلا أهل الإيمان .
- الثابت أن رسول الله ﷺ تعرض عليه أعمال أمته ، وبعض أحاديث الحوض تذكر أنه عليه الصلاة والسلام يرد عليه بعض أمته ، فتحول الملائكة بينهم وبين الحوض ، وأن رسول الله ﷺ يتساءل عن سبب ذلك فيخبر أن هؤلاء قد ارتدوا ، فهو إذن يجهل ردتهم مما يشير إلى أنه عليه الصلاة والسلام تعرض عليه أعمال أهل الإيمان ولا تعرض عليه أعمال أهل الكفر.
- وحوض رسولنا عليه الصلاة والسلام يأتي مأؤه من نهر الكوثر ، ونهر الكوثر في الجنة ، فمن فضل الله وكرمه أن يخرج من كوثر الجنة ما يصب بالحوض .
- والشرب من الحوض يحمي من الظم أبداً فمن شرب منه لا يظمأ بعده وإنما يشرب بعد ذلك تليذاً .

قال الشيخ أديب الكيلاني :

- قال ملا علي القاري : حديث الحوض رواه من الصحابة بضع وثلاثون وكاد أن يكون متواتراً وقال الدكتور البوطي : الأحاديث الواردة في شأن الحوض ووصفه كثيرة جداً زادت عن حد التواتر . اهـ . في تعليقه على (شرح جوهرة التوحيد) .
- أقول : ومع أن أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر إلا أن بعض أهل السنة والجماعة لا

١٣٠٤

يحكم بكفر منكراها بل يحكم بفسوقه أو ضلاله ، وقد لحظنا عبارة ملا علي القاري إذ قال
« وكاد أن يكون متواتراً » فهناك خلاف حوال التواتر .
- والنصوص الواردة في الحوض تجدها في أكثر من سياق فهي تُذكر مثلاً في الوضوء ،
وتُذكر في باب الردة ، وهذه بعض نصوص في الحوض :

النصوص

١٢٢٢ - روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة ، مَنْ شَرِبَ منها لم يظمَ آخر ما عليه ، يَشْخَبُ فيه ميزابان من الجنة ، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمَ ، عرضه مثل طولهِ ، ما بين عمان إلى أثُلَّة ، وماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل » .

أقول : قوله عليه السلام : « لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية » إشارة إلى أن عدد نجوم السماء كلها أكثر من آنية الحوض ، ولكن آنية الحوض أكثر من النجوم المنظورة في الليلة المظلمة المصحية . وفي هذا التعبير معجزة عظمى فلم تنكشف كثرة نجوم هذا الكون إلا في عصرنا . وعلى هذا الحديث تحمل النصوص التي تطلق أن عدد كيزانه كنجوم السماء .

١٢٢٣ - * روى أبو داود عن عبد السلام بن أبي حازم أبي طالوت قال : شهدت أبا بَرَزَةَ رضي الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد ، فحدثني فلان ساءة مسلم - يعني ابن إبراهيم - وكان في السَّهَط ، فلما رآه عبيد الله ، قال : إن مُحَمَّدِيْكُمْ هذا لَدُخْدَاح ، ففهمها الشيخ ، فقال : ما كنتُ أَحْسِبُ أن أبقى في قومٍ يُعَيِّرُونِي بصحبة محمد ﷺ ، فقال له عبيد الله : إن صحبة محمد ﷺ لكم زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ ، ثم قال : إنما بعثتُ إليك لَأَسْأَلَكَ عن الحوض ، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ قال أبو بَرَزَةَ نعم ، لا مرَّةً ، ولا مرتين ، ولا ثلاثاً ، ولا أربعاً ، ولا خمساً ، فن كَذَّبَ به فلا سقاه اللهُ منه ، ثم خرج مُغَضَّبًا .

١٢٢٢ - مسلم (٤ / ١٧٩٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
والترمذي (٤ / ٣٣٠) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٥ - باب ما جاء في صفة أولاني الحوض ، وقال : . حديث حسن صحيح غريب . وليس عنده : « يشخب فيه ميزابان في الجنة » .
(يشخب) : شَخَبَ : يَشْخَبُ شَخْبًا : سال وجرى كما يجري للميزاب .
١٢٢٣ - أبو داود (٤ / ٣٣٨) كتاب السنة ، باب في الحوض ، وإسناده صحيح .
(السَّهَط) : الصف من الناس . (الدُخْدَاح) : القصير .

١٢٢٤ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ، قال نبى الله ﷺ : « يَرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نَجْمِ السَّمَاءِ » .

١٢٢٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أبيضٌ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيْزَانُهُ كَنَجْمِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْلَمُ أَبَدًا » .

وفي رواية ^(١) « مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورد ... » وذكر نحوه .

١٢٢٦ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ » ، قالوا : يا رسول الله وتعرفنا ؟ قال : « نعم ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُخْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ » .

أقول : وصف هنا بُعد الحوض كما بين أيلة وعدن وفي حديث سابق ما بين عَمَانَ وأيلة ، وأيلة تقع في نهاية البحر الأحمر نحو الشمال على خليج العقبة ، والمسافتان بين عدن وبينها أو بين عَمَانَ وبينها متقاربة وقد يكون المخاطبون بمسافة من المسافات يعرفون هذه المسافة أكثر من غيرها .

١٢٢٤ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض ، وقول الله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

والترمذي (٤ / ٦٢٨) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٤ - باب ما جاء في صفة الحوض .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٦ - باب ذكر الحوض . وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۚ وَاللَّهُ لَذُو فَضْلٍ لَّهُ » .

١٢٢٥ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض وقول الله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٣) ٢٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(١) مسلم (٤ / ١٧٩٣) للموضع السابق .

(الورد) : الفضة .

١٢٢٦ - مسلم (١ / ٢١٧) ٢ - كتاب الطهارة ، ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء .

١٣٠٧

١٢٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده : لأذودنَّ رجالاً عن حَوْضِي ، كما تُذَادُ الغريبةُ من الإبلِ عن الحوضِ » .

١٢٢٨ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو بين ظَهْرَائي أصحابه : « إني على الحوضِ انظرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ، فوالله لَيَقْتَطِعَنَّ دُونِي رَجَالٌ ، فلاقولنَّ : أي ربُّ ، مَنِي ومن أُمِّي ، فيقول : إنك لا تدري ما عَمِلُوا بعدك ، مازالوا يَرْجِعُونَ على أعقابهم » .

١٢٢٩ - * روى البخاري ومسلم عن جُنْدَب بن عبدِ الله رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أنا قَرَطُكُمْ على الحوضِ » .

١٢٣٠ - * روى مسلم عن جابر بن سَمْرَةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « ألا إني قَرَطُ لَكُمْ على الحوضِ ، وإنَّ بُعْدَ ما بين طَرَفَيْهِ : كما بين صنعاء وأَيْلَةَ ، كَأَنَّ الأَبَارِيقَ فِيهِ النجومُ » .

١٢٣١ - * روى ابن ماجه عن الصَّنَائِح الأَحْمَسِيّ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إني قَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ وَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الأَمَمَ فَلَا تَقْتُلَنَّ بَعْدِي » .

١٢٢٧ - (البخاري) (٤٣ / ٥) ٤٢ - كتاب المساقاة ، ١٠ - باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه .

مسلم (٤ / ١٨٠٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٢٨ - مسلم (٤ / ١٧٩٤) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(لَيَقْتَطِعَنَّ) : الاقتطاع : أخذ طائفة من الشيء ، تقول : اقتطعت طائفة من أصحابه إذا أخذتهم دونه .

١٢٢٩ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٢) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٣٠ - مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(القَرَطُ) : للتقيد على القوم الواردين الماء .

١٢٣١ - ابن ماجة (٢ / ١٣٠٠) ٣٩ - كتاب الفتن ، ٥ - باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

١٢٣٢ - * روى البزار عن أنس قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يامعشرَ الأنصار مؤعِدُكم حوضي » .

١٢٣٣ - * روى أبو داود عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ ، فنَزَلْنَا مَنَزِلًا ، فقال : « مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ من مائة ألف جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الحوض » ، قيل : كم كنتم يومئذ ؟ قال : « سبعمائة أو ثمانمائة » .

١٢٣٤ - * روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إِنِّي لَبِعَقْرٍ حَوْضِي أَذُو النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ » ، فَسِيلَ عَنْ عَرَضِهِ ؟ فقال : « من مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ » ، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ ؟ فقال : « أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ » .

أقول : ذكر النووي أن المسافات التي وصفت الحوض يدخل فيها القليل تحت الكثير .

أقول : والمراد أن يعرف السامع سعة حجمه ، على أن رواية مسلم عن ثوبان التي تذكر مسافة أقل يروها الترمذي في الرواية اللاحقة فيذكر نفس المسافة التي وردت في أحاديث أخرى .

١٢٣٢ - كشف الأستار (٤ / ١٧٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) .

وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

١٢٣٣ - أبو داود (٤ / ٢٢٧) كتاب السنة ، باب في الحوض . وإسناده صحيح .

١٢٣٤ - مسلم (٤ / ١٧٩٩) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(بعقر حوضي أذود) : عُقْر الحوض : مؤخره ، وقوله : « لأهل اليمن » أي : لأجل أن يَرِدَ أهل اليمن ، والذود : الطرد والدفع .

(يرفض) : يتفرق ، وارفضُ الدمع : إذا جرى متفرقا متفرشا ، والمراد حتى يسيل عليهم ماء الحوض .

(يَغْتُ) : غَتَّ الماء يَغْتُ : إذا جرى جريًا له صوت ، وقيل : يَذْفُقُ الماءُ فِيهِ دَفْقًا مُتَابِعًا .

وفي رواية الترمذي ^(١) ، عن أبي سلام الحَبِيثِي مَطْطُور ، قال : بعثَ إليَّ عمرُ بن عبد العزيز ، فحَمِلْتُ عَلَى البريد ، فلما دخلتُ إليه ، قلتُ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لقد شَقَّ عَلَيَّ مَرْكَبِي البريدَ ، فقال : يا أبا سلامَ ما أَرَدْتُ أَنْ أَشَقَّ عَلَيْكَ ، ولكنْ بلغني عنكَ حديثُ تحدُّثِهِ عن ثوبانَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ في الحوضِ ، فأحببتُ أَنْ تُشَافِهَنِي بِهِ ، فقلتُ : حدِّثْنِي ثوبانُ : أَنْ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : « حوضي مثلُ ما بينَ عَدَنٍ إلى عَمَّانَ البلقاءَ ؛ ماؤه أشدُّ بياضًا من الثلجِ ، وأحلى من العسلِ ، وأكوابِهِ عددُ نجومِ السماءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لم يَظْمَأْ بعدها أبدًا ، أولُ الناسِ وَرَوْدًا عليه فقراءُ المهاجرينِ الشُّعْثُ رؤوسًا ، الدُّنْسُ ثيابًا ، الذين لا يَنكِحُونَ المنعماتِ ، ولا تُفْتَحُ لَهُمْ أبوابُ السُّدَدِ » ، فقال عمرُ : قد أَتَكَحَّتْ المنعماتِ - فاطمةُ بنتُ عبدِ الملكِ - وَفُتِحَتْ لِي أبوابُ السُّدَدِ ، لا جرمَ لا أَغْسِلُ رَأْسِي حتى يَشْفَثَ ، ولا ثوبِي الذي يَلِي جَسَدِي حتى يَتَسَخَّ .

أقول : وعَمَّانُ البلقاءُ هي عمان الأردن التي هي عاصمةُ المملكة الهاشمية الأردنية في عصرنا ، ورغبة عمر في سماع الحديث مشافهةً أصل كبير من الأصول التي كان يحرص عليها السلف الصالح ، فقد كانوا حريصين على التلقي المباشر ولذلك آثاره في التربية القلبية والروحية والسلوكية ، فالتلقي من أهل الأنوار يعطي القلب نورًا ، والتلقي من أهل العلم العاملين يعطي طالب العلم سمًّا وأدبًا وتواضعًا .

١٢٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال : حوضه : « ما بين صنعاء والمدينة » ، فقال المستورد : ألم تسمعه قال : الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : تُرى فيه الأنية مثل الكوكب .

(١) الترمذي (٤ / ٦٢٩) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٥ - باب ما جاء في صفة أواني الحوض .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن .

(البريد) : خيل البريد : هي المرصدة في الطريق لحمل الأخبار من البلاد .

١٢٣٥ - البخاري (١١ / ٤٦٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض . وقول الله تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٧) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

أقول : المسافة الواردة في هذه الرواية وبعض الروايات اللاحقة ورواية مسلم السابقة أقل من المسافة التي ذكرتها روايات أخرى ، وقد يكون في ذلك إشارة إلى تناقص حجم الحوض لكثرة الشارين ، فهي تصفه في مرحلة من المراحل أو أن القليل يدخل في الكثير كما ذكر النووي فقال :

قال القاضي عياض : وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب ، فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوا في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً بعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة ، فبهذا تجمع الروايات . هذا كلام القاضي . قلت : [أي النووي] وليس في القليل من هذه منع الكثير ، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة والله أعلم اهـ .

١٢٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن أمامكم حَوْضِي ، ما بين جنبيه كما بين جَرْبًا وأذْرَحَ » قال بعضُ الرواة : هما قرنتان بالشام ، بينهما مسيرة ثلاث ليال .

وفي رواية ^(١) : « وفيه أباريق كنجوم السماء ، مَنْ ورده فشرب منه لم يظم بعدها أبداً .

١٢٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين ناحيتي حَوْضِي ، كما بين صنعاء والمدينة » .

١٢٣٦ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض .

مسلم (٤ / ١٧٩٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

وأبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ، باب في الحوض .

(١) مسلم (٤ / ١٧٩٨) الموضع السابق .

١٢٣٧ - البخاري (١١ / ٤٦٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

وفي رواية ^(١) : « مثل ما بين المدينة وعَمَّان » .

وفي أخرى ^(٢) : « ما بين لَاتَبْقِي حَوْضِي » .

وفي أخرى ^(٣) قال : « يُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ » .

وفي أخرى ^(٤) مثله ، وزاد : « أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ » .

وفي أخرى ^(٥) قال : « إِنْ قَدَّرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءِ الْيَمَنِ ، وَإِنْ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ » .

١٢٣٨ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا يَرِدَانِ عَلَى الْحَوْضِ ، وَلَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ : الْقَدْرِيَّةُ
وَالْمَرْجُئَةُ » .

١٢٣٩ - * رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَتَرَدَّجِمَنَّ
هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى الْحَوْضِ إِزْدِحَامَ الْإِبِلِ وَرَدَّتْ لِخُمْسٍ » .

١٢٤٠ - * رَوَى أَحْمَدُ عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَكَ
حَوْضًا ؟ قَالَ : « نَعَمْ . وَأَحَبُّ عَلَيَّ مَنْ يَرِدُهُ قَوْمُكَ » . .

(١) مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٠١) للوضع السابق .

(لَاتَبْقِي حَوْضِي) : اللَّابَةِ . الْحُرَّةُ ، وَأُرَادَ بِهَا هَهُنَا : الْجَانِبُ .

(٣) مسلم (٤ / ١٨٠١) للوضع السابق .

(٤) مسلم (٤ / ١٨٠١) للوضع السابق .

(٥) مسلم (٤ / ١٨٠٠) للوضع السابق .

١٢٣٨ - جمع الزوائد : (٧ / ٢٠٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى
الفروي وهو ثقة . قال في التقريب : لا بأس به .

١٢٣٩ - المعجم الكبير (١٨ / ٢٥٣) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣٦٥) وقال : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

(وَرَدَّتْ لِخُمْسٍ) : وَرَدَّتْ عَلَى الْمَاءِ بَعْدَ عَطَشٍ خَمْسَ لَيَالٍ .

١٢٤٠ - أحمد (٦ / ٤١٠) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ٢٣٢) .

١٢٤١ - * روى أحمد عن يَحْنَسَ بن عبد الله أن حمزة بن عبد المطلب لما قدم المدينة تزوج خولة بنت قيس بن فهد الأنصارية من بني النجار ، قال : وكان رسول الله ﷺ يزور حمزة في بيتها ، وكانت تحدث عنه أحاديث ، قالت : فأتانا رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله : إنه بلغني عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضاً ما بين كذا إلى كذا ، قال : « نعم وأحب الناس علي أن يروى منه قومك » قال : فَقَدِمْتُ إِلَيْهِ بُرْمَةً فِيهَا حريرة ، فوضع رسول الله ﷺ يده في البرمة ليأكل فأحرقت أصابعه فقال : « حَسَّ » ثم قال : « ابن آدم إن أصابة البرد قال حَسَّ وإن أصابة الحر قال حَسَّ » .

١٢٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الحوض رجالٌ مِمَّنْ صاحبي ، حتى إذا رأيتهم ، وَرَفَعُوا إِلَيَّ ، اخْتَلَجُوا دُونِي ، فَلَأَقُولَنَّ : أي رب ، أصيحابي ، أصيحابي ، فَلَيَقَالَنَّ لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

وفي رواية ^(١) « لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناسٌ من أمتي ... » الحديث ، وفي آخره : « فأقول : سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بعدي » .

= مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) . وقال : رواه أحمد والطبراني وقال : هكذا رواه أبو خالد الأحمر عن خولة بنت حكيم ، وقال الناس : عن خولة بنت قيس ، ورجالها رجال الصحيح .
١٢٤١ - أحمد (٦ / ٤١٠) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ٣٦١) . مختصراً .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) وقال : رواه أحمد ورواه الطبراني باختصار . وقال : « وأحب الناس إلي أو من أحب الناس إلي ، أن يرده » ، وقال فيه : فقدمت إليه عصيدة . ورجال أحمد رجال الصحيح .
(البرمة) : القدر مطلقاً وجمعها برام .
(الحريرة) : الحسا للطبوع من الدقيق واللتيم والماء .
(حَسَّ) : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أفضه أو أضرقه غفلة .

١٢٤٢ - البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(١) البخاري (١١ / ٤٦٤) للوضع السابق .

ومسلم (٤ / ١٧٩٣) كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٣١٣

١٢٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا قَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَلَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رَجَالٌ مِنْكُمْ ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ إِلَيْهِمْ لَأَتَاوَلَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي ، فَأَقُولُ : أَيُّ رَبٍّ ، أَصْحَابِي ، فَيَقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أُحْدِثُوا بَعْدَكَ ؟ » .

١٢٤٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي حازم رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « أَنَا قَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَغْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » ، قال أبو حازم : فسمعَ النعمان بنُ أبي عَياشٍ وأنا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لِسَمْعِهِ يَزِيدُ ، فَيَقُولُ : « فَإِنَّهُمْ مَنِّي » ، فَيَقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أُحْدِثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي » .

١٢٤٥ - * روى مالك عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : أَنَّهُ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَسَلَّمَ عَلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، ذَارَ قَوْمٌ مُؤْمِنِينَ ! وَإِنَّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، بِكُمْ لَاحِقُونَ » ثُمَّ قَالَ : « لَوَدِدْنَا أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ قَالَ : « أَنتُمْ أَصْحَابِي . وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنِّي بَعْدِي . وَأَنَا قَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ :

١٢٤٣ - البخاري (١٣ / ٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ... ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٦) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
(اخْتَلَجُوا) : أي استلبوا ، وأخذوا بسرعة .

١٢٤٤ - البخاري (١٣ / ٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١ - باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ... ﴾ .
مسلم (٤ / ١٧٩٣) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٤٥ - الموطأ (١ / ٢٨) ٢ - كتاب الطهارة ، ٦ - باب جامع الوضوء .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٦ - باب ذكر الحوض .

ومسلم بنحوه (١ / ٢١٨) ٢ - كتاب الطهارة ، ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء . =

« أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غَرَّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي خَيْلٌ دُهِمٌ بِهِمْ ، أَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا ؟ » قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَرًّا مُحَجَّلِينَ ، مِنْ أَثَرِ الْوُضوءِ » قَالَ : « أَنَا قَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » ثُمَّ قَالَ : « لَيَسْذَاقَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَّادُ الْبُعَيْرُ الضَّالُّ . فَأَنَادِيهِمْ : أَلَا هَلُمُّوا ! فَيَقَالُ : إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَأَقُولُ : أَلَا سُحْقًا ! سُحْقًا ! » .

أقول : الروايات التي تذكر أن هناك أناسًا يَرُدُّونَ عن الحوض متعددة يمكن أن يحتمل بعضها على أُمَّة الدُّعْوَة دون إشكال ، إلا أن بعضها مما ذكر لفظ الأصحاب ، استغفله بعض المبتدعة فشككوا في الصحابة رضوان الله عليهم ، والأمر لا يحتمل مذهبوا إليه ، وقد ناقش ابن حجر العسقلاني مناقشة مطولة فيما قيل ، وجمَعَ الروايات الواردة في هذه الشؤون . وأبسط ما يقال في هذا الشأن إن المراد بالأصحاب في الحديث هم بعض من مات رسول الله ﷺ وقد دخلوا في الإسلام ثم ارتدوا وحاربهم أبو بكر وماتوا على الرِّدَّة ، أو بعض من الذين تظاهروا بالإسلام وهم منافقون . وبما قاله ابن حجر :

قال الفربري : ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قُبَيْصَةَ قَالَ : هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر ، يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر . وقد وصله الإسماعيلي من وجه آخر عن قُبَيْصَةَ . وقال الخطابي : لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفأة الأعراب ، ممن لا نصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين . ويدل قوله « أصحابي » بالتصغير على قلة عددهم . اهـ (فتح الباري) .

(دهم) : جمع آدم ، والدهمة السواد .

(دم) : جمع هم ، قيل : هو الأسود أيضًا ، وقيل : الذي لا يخالط لونًا لونًا سواه ، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر ، بل يكون لونه خالصًا .

فوائد

قال ابن كثير في النهاية :

إن قال قائل : فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده ؟ قلت : إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط ، لأنه يناد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم ، فإن كان هؤلاء كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط ، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه . وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبتهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء ، وقد قال ﷺ :

« أعرفكم غرا محجلين من آثار الوضوء » .

ثم من جاوز لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط .

وإذا كان الظاهر كونه قبل الصراط ، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل ؟ أو بعد ذلك ؟ هذا مما يحتل كلا من الأمرين ؟ ولم أر في ذلك شيئًا فاصلاً ، فالله أعلم أي ذلك يكون .

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي في التذكرة أيضاً : واختلف في كون الحوض قبل الميزان ، قال أبو الحسن القاسبي : والصحيح أن الحوض قبل ، قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيقدم على الميزان والصراط ، قال أبو حامد الغزالي في كتاب علم كشف الآخرة : حكى بعض السلف من أهل الصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط ، وهو غلط من قائله . قال القرطبي : هو كما قال ، ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم القهقري عنه . ثم قال : وهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط من جاز عليه سلم .. اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

الفقرة السابعة

في :

الحساب والميزان

عرض إجمالي

- مرّ معنا أنه في الوقف يحشر الناس ويجمعون مصطفين وينتظرون ثم تكون الشفاعة لفصل القضاء ، ثم يعرض الناس على ربهم عرضة يكون فيها جدال واعتذارات وتنصلات وأسئلة وإجابات ، ثم تكون عرضة أخرى وتكون بها إقامة حجة ، فتشهد الرسل وتشهد هذه الأمة وتشهد الأرض وتقوم الحجة على الخلق ، ثم تطير الصحف فأخذ يبينه وأخذ بشماله وأخذ وراء ظهره ، ويكون في هذه المرحلة أو قبلها شرب من الحوض .

- ثم يكون الحساب والميزان فيُسأل الإنسان عما كلف به ، يُسأل عن سمعه وعن بصره وعن فؤاده : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ ^(١) .

ويسأل عما استرعاه الله ، ويسأل عن العمر والعلم والمال والجسم والشباب ويسأل عن النعم : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعم ﴾ ^(٢) . ويسأل عن الآلاء والنعم ، ويحاسب على أعماله ما أراد بها فيسأله عن النيات والإخلاص : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ ^(٣) ، ويحاسب الإنسان على أعمال الظاهر والباطن وخطايا الظاهر والباطن ويحاسب على أمراض القلوب : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ ^(٤) .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها

(٢) التكاثر : ٨ .

(٤) البقرة : ٢٨٤ .

(١) الإسراء : ٣٦ .

(٣) هود : ١٥ - ١٦ .

١٣١٧

وبينه أمدا بعيدا ﴿١﴾ . وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة ، وأول ما يحاسب عليه من حقوق العباد الدماء ، ومن أشد ما يحاسب عليه العبد الزكاة والعقوبة عليها تبدأ عند الموت وتستمر في القبر وتكون في الحشر والموقف ويحاسب عليها .

- وشهادات يوم القيامة كثيرة والشهداء كثر : فهناك شهادة الأنبياء وشهادة الملائكة وشهادة الجوارح وشهادة العباد بعضهم على بعض ، وشهادة الأرض وكل من هؤلاء يؤدي شهادته في الوقت المناسب يوم القيامة :

﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ﴾ (٢) .

﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ (٣) .

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ (٤) .

﴿ اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ (٥) .

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ (٦) .

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٧) .

- وسيجد المكلفون أن الأمور مضبوطة في غاية الضبط فكتاب عام مخصى فيه كل شيء ، وكتاب خاص لكل مكلف على حدة :

﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ (٨) .

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) النور : ٢٤ .

(٣) فصلت : ٢١ .

(٤) الجاثية : ٢٩ .

(١) آل عمران : ٣٠ .

(٢) ق : ٢١ .

(٣) يس : ٦٥ .

(٧) الزلزلة : ١ - ٨ .

- ﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾ ^(١) .
- ﴿ وكل صغير وكبير مستطر ﴾ ^(٢) .
- ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ ^(٣) .
- ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ ^(٤) .
- ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ ^(٥) .
- ﴿ ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ ^(٦) .
- والنصوص القرآنية في الحساب والميزان وما يتعلق بذلك كثير ، منها :
- ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا ﴾ ^(٧) .
- ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه *هلك عني سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾ ^(٨) .
- ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا * وينقلب إلى أهله مسرورًا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورًا * ويصلى سعيرًا ﴾ ^(٩) .
- ﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ^(١٠) .

(١) المؤمنون : ٦٢ .

(٢) القمر : ٥٢ .

(٣) التكوين : ١٠ .

(٤) الإسراء : ١٢ .

(٥) الانشقاق : ٧ - ١٢ .

(٦) القدر : ٥٣ .

(٧) الإسراء : ١٢ ، ١٤ .

(٨) الكهف : ٤٩ .

(٩) الحاقة : ٢٥ - ٣٤ .

(١٠) الأنبياء : ٤٧ .

- ﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ ^(١) .
- ﴿ إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ ^(٢) .
- ﴿ والله يحكم، لا معقب لحكمه وهو مريع الحساب ﴾ ^(٣) ، ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ ^(٤) .
- ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ ^(٥) .
- ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ^(٦) .
- ﴿ فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأما هاهوية * وأما أدراك ماهيه * نار حامية ﴾ ^(٧) .
- ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ ^(٨) .
- ﴿ إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ ^(٩) .
- ﴿ ثم إلي مرجعكم فاحكم بينهم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ ^(١٠) .
- ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتًا ﴾ ^(١١) .
- ﴿ وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ ^(١٢) .

(٢) الفاشية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) الرعد : ٢١ .

(٦) الأنبياء : ٤٧ .

(٨) الزمر : ٣١ .

(١٠) آل عمران : ٥٥ .

(١٢) الزمر : ٦١ - ٧٠ .

(١) ص : ٢٦ .

(٣) الرعد : ٤١ .

(٥) النساء : ٤٠ .

(٧) القارعة : ٦ - ١١ .

(٩) النمل : ٧٨ .

(١١) النبا : ١٧ .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ (١) .

- وحقوق العباد يشدد فيها أكثر مما يشدد في حقوق الله إلا حق التوحيد ومع شدة الهول يوم القيامة فإن الله عز وجل خلق مائة رحمة تسعا وتسعين منها آخرها إلى يوم القيامة ، ولعل المسلم يخرج من قراءة النصوص الواردة في هذه الفقرة بنية جازمة ألا يظلم أحداً ، وأن يقوم بحقوق الله وحقوق التكليف كاملة ويسعى ليكون من الذين لا حساب عليهم ، وقد استقرأ بعضهم النصوص التي وعد أهلها بالألحاح يحاسبوا فذكر من أهل ذلك أنهم الذين لا يكتفون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، ومن ذلك قَوْمُ الليل وقراء القرآن والمخلصون والمؤذنون والدعاة إلى الله ومن قام بحق الله وحق العباد والعلماء العاملين والشهداء والعافون عن الناس والمجادون الله على كل حال .

وقد مر معنا من قبل كلام ابن كثير في النهاية أن الحساب يكون قبل الميزان غير أنه من الصعب التمييز بين مجموع النصوص الواردة في الحساب والميزان أيها يكون في الحساب وأيها يكون عند الميزان ، وإن كان بعضها واضحاً أنه في الحساب أو أنه في الميزان ، ولذلك دمجنا الكلام عن هذين الموضوعين في فقرة واحدة ، ولا يدخل في دائرة التكليف أن يعرف المسلم على ما يحمل عليه كل نص مما ورد في الحساب والميزان إلا إذا كان قطعي الثبوت وقطعي الدلالة والمهم بالنسبة للمسلم أن يؤمن بالحساب والميزان وأن يستلم بالنصوص الواردة في ذلك وأن تحمّل النصوص الواردة في ذلك على تحرير الاعتقاد وإحسان العمل والبعد عن كل ما يسيئ الله عز وجل مما يشتد بسببه الحساب أو يخف بسببه الميزان .

النصوص

١٢٤٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « من كانت عنده مظلمة لأخيه ، مِنْ عَرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ،
 مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ
 مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ ، فَحُيِّلَ عَلَيْهِ . »
 وفي رواية ^(١) الترمذي قال : قال رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا كَانَتْ لِأَخِيهِ
 عنده مظلمة ... » الحديث .

١٢٤٧ - * روى البزار عن ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نُوقِشَ
 الْحِسَابَ هَلَكَ » .

١٢٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن ابن أبي مليكة ، قال : إن عائشة كانت لا تسمع شيئاً
 لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وإن النبي ﷺ قال : « مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ
 عَذَّبَ » ، فقالت : أليس يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فسوف يحاسب
 حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً ﴿ [الانشقاق : ٧ - ٩] ؟ فقال : « إنما ذلك
 العرْضُ ، وليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلا هلك » .

وفي رواية ^(٢) « وليس أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب » .

وفي أخرى ^(٣) قالت : قال رسول الله ﷺ : « ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك » ،

١٢٤٦ - البخاري (٥ / ١٠١) ٤٦ - كتاب للظالم ، ١٠ - باب من كانت له مظلمة عند الرجل ... إلخ .

(١) الترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والتقصص .

١٢٤٧ - كشف الأستار (٤ / ١٥٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٠) ، وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار والكبير رجال
 الصحيح ، وكذلك رجال الأوسط غير عمرو بن أبي عاصم النبيل ، وهو ثقة .

١٢٤٨ - البخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٩ - باب من نوقش الحساب عذب .

مسلم (٤ / ٢٢٠٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٨ - باب إثبات الحساب .

(٢) البخاري (١١ / ٤٠٠) للموضع السابق .

(٣) البخاري (٨ / ٦٩٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة الانشقاق ١ - باب ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ .

قلت : يا رسول الله ، جعلني الله فداك ، أليس الله تعالى يقول : ﴿ فَاَمَّا مِنْ أَوْقِيَّ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ ﴾ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ؟ قال : « ذلك العَرَضُ تُعَرِّضُونَ ، ومن نَوَاقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ » .

١٢٤٩ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من حَوَسِبَ عَذْبٌ » . وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

١٢٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن صفوان بن مُحَرِّزِ المازني قال : بينما ابنُ عمر رضي الله عنه يطوف ، إذ عَرَضَ له رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أخبرتني ماسمعت من رسول الله ﷺ في النجوى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُدْنِي المؤمن من ربه حتى يَضَعَ عليه كَنَفَهُ ، فيقرُّه بذنوبه : تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا ؟ فيقول : أعرف رب ، أعرف - مرتين - فيقول : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، ثم تَطْوِي صحيفة حسناته ، وأما الآخرون - أو الكفار ، أو المنافقون - فينادي بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كَذَبُوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين » .

١٢٥١ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجلٌ ، فقعده بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن لي مملوكين يَكْذِبُونِي وَيَخُونُونِي وَيَعْصُونِي ، وَأَشْتَمُهُمْ وَأُضْرِبُهُمْ ، فكيف أنا منهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحَسَّبُ مَاخَانُوكَ وَعَصَوُكَ وَكَذَبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ : كَانَ كَفَافًا ، لَا لَكَ ، وَلَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ ،

= (نوقش) : للناقشة في الحساب : تحقيقه وتدقيقه ، والاستقصاء فيه .

١٢٤٩ - الترمذي (٤ / ٦١٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٥ - باب منه (أي العرض) . وقال : حديث صحيح حسن .

١٢٥٠ - البخاري (٨ / ٢٥٣) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة هود : ٤ - باب ﴿ وَيَقُولُ الشُّهَادُ هَؤُلَاءِ ... ﴾ .

مسلم : (٤ / ٢١٢٠) ٤٩ - كتاب التوبة ٨٢ - باب قبول توبة القاتل ، وإن كُتِرَ قَتْلُهُ .

(النجوى) : في الأصل : السرُّ ، والمراد به : مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة ، وسياق الحديث يدل عليه .

(كنفه) : يقال : أنا في كنف فلان ، أي : في ظله وجانيه .

١٢٥١ - الترمذي (٥ / ٢٢٠) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٢٢ - باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن .

كان فضلاً لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم ، اقتصَّ لهم منك الفضلُ ،
فتنحَّى الرجل وجعل يَهْتَفُ وَيَبْكِي ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « أما تقرأ قول الله
تعالى : ﴿ وَلَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(١) » فقال الرجل : يا رسولَ الله ما أَجْدُ لي ولَهؤلاء
ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم ، أشهدك أنهم كلُّهم أحرارٌ .

١٢٥٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ يوماً :
« أتدرون ما المُفْلِسُ ؟ » قالوا : المُفْلِسُ فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : « إن المُفْلِسَ
مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِضَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ،
وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا
مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَاعِلِيهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ » .

١٢٥٣ - * روى الترمذي عن أبي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال :
« لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟
وَعَنْ عَمَلِهِ مَا عَمِلَ بِهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جَسَمِهِ فِيمَا
أَبْلَاهُ ؟ » .

١٢٥٤ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :
« لَا تَزُولُ قَدَمًا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ
عَمَلِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ
أَنْفَقَهُ ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَمِلَ ؟ » .

(١) الأنبياء : ٤٧ .

١٢٥٢ - مسلم (٤ / ١٩٩٧) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ١٥ - باب تحريم الظلم .

والترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

١٢٥٣ - الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١ - باب في القيامة . وقال : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

١٢٥٤ - الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١ - باب في القيامة .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن ؛ يشهد له الذي قبله .

١٢٥٥ - * روى أحمد عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله ﷺ : « أول خصمين يوم القيامة جاران » .

١٢٥٦ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « تجتمعون يوم القيامة فيقال أين فقراء هذه الأمة ومساكينها ؟ فيقومون ، فيقول : ماذا علمتم ؟ فيقولون ربنا ابتليتنا فصبرنا ووليت الأمور والسلطان غيرنا فيقول الله جل ذكره صدقتم - أو نحو هذا - فيدخلون الجنة قبل الناس بزمان ويبقى شدة الحساب على ذوي الأمور والسلطان » قالوا : فأين المؤمنون يومئذ . قال : « يوضع لهم منابر من نور يظلل عليهم الغمام يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار » .

١٢٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، أتؤاخذ بما عملناه في الجاهلية ؟ قال : « من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخير » .

قال النووي :

أما معنى الحديث فالصحيح فيه ما قاله جماعة من المحققين أن المراد بالإحسان هنا الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعاً وأن يكون مسلماً حقيقياً فهذا يغفر له ما سلف في الكفر بنص القرآن العزيز والحديث الصحيح الإسلام يهدم ما قبله ويأجماع المسلمين والمراد بالإساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه بل يكون منقاداً في الظاهر مظهرًا للشهادتين غير معتقد للإسلام بقلبه فهذا منافق باق على كفره يأجماع المسلمين فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام وبما عمل بعد إظهارها لأنه مستمر على كفره وهذا معروف في استعمال الشرع يقولون حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك والله أعلم . هـ (شرح النووي على مسلم) .

١٢٥٥ - أحمد (٤ / ١٥١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٩) . وقال : رواه أحمد بإسناد حسن .

١٢٥٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٧) . وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة .

١٢٥٧ - البخاري (١٢ / ٣٦٥) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين ، ١ - باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة .

مسلم (١ / ١١١) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٣ - باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ؟

١٣٢٥

١٢٥٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » .

وللنسائي^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « أول ما يحاسبُ عليه العبد : الصلاة ، وأول ما يُقضى بين الناس : في الدماء » .

١٢٥٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « قال الرب عز وجل : يُؤْتَى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة فَيَقْبَضُ بعضها ببعض فإن بقيت حسنة واحدة أدخله الله الجنة » . قال : قلت : فإن لم يبق ؟ قال : « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة » . قال قلت : رأيته قوله : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » . قال : « هو العبدُ يَعْمَلُ السِّرَّ أَسْرَهُ الله له يوم القيامة فيرى قرة أعين » .

١٢٦٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَضَحِكَ ، فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مِنْ أَضْحَكِ ؟ » . قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « مِنْ غَاظِبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ ، فيقول : يارب أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ » قال « يقول بلى ، فيقول : فَإِنِّي لَا أَجِيزُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي شَاهِدًا إِلَّا مَنِي ، فيقول : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَالْكَرَامُ الْكَاتِبِينَ شُهَدَاً » قال « فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انطِيقِي ، فَتَنْطِيقُ بِأَعْمَالِهِ ، ثُمَّ يُخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فيقول : بَعْدًا » .

١٢٥٨ - البخاري (١٢ / ١٨٧) ٨٧ - كتاب الديات ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جِهَنَّمُ ﴾ .

مسلم (٢ / ١٣٠٤) ٢٨ - كتاب القسامة ، ٨ - باب المجازاة بالدماء في الآخرة .

والترمذي (٤ / ١٧) ١٤ - كتاب الديات ، ٨ - باب الحكم في الدماء .

والنسائي (٧ / ٨٣) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ، ٢ - باب تعظيم الدم .

(١) النسائي (٧ / ٨٣) الموضوع السابق .

١٢٥٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

(يَقْبِضُ) : قَايِضُهُ مَقَايِضُهُ بِأَدْلِهِ بِتَنَاقُضِ .

١٢٦٠ - مسلم (٤ / ٢٢٨٠) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، الحديث السابع عشر .

(لَا أَجِيزُ الْيَوْمَ) : أَي : لَا أَمْضِي وَلَا أَقْبَلُ عَنِّي شَاهِدًا .

لَكُنْ وَسَحَقًا ، فَعَنَكُنْ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ .

١٣٦١ - * روى أحمد عن عبد الله بن أنيس سمع رسول الله ﷺ يقول : « يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أَوْ قَالَ : « النَّاسَ عَرَاةً غُرْلًا يَهُمُّا » . قَالَ قُلْنَا : وَمَاهُمَا ؟ قَالَ : « لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ أَنَا الدِّيَانُ أَنَا الْمَلِكُ ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أُقْصَ مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أُقْصَ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ » قَالَ : قُلْنَا كَيْفَ : وَإِنَّمَا نَأْتِي عَرَاةً غُرْلًا يَهُمُّا قَالَ : « الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ » .

١٣٦٢ - * روى أحمد عن حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا ، قَالَ : فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقُلْتُ : إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا ، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ : صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئًا ، قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : انْظُرُوا ، هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ » .

= (المناظلة) : النضال في السهام : أن ترمي أنت ورامٍ آخر ، يطلب كل منكاً غلبة صاحبه . والمراد به هاهنا : المجادلة والخاصة .

١٣٦١ - أحمد (٢ / ٤٩٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : هو عند أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن . (أُنْقِصَ) : أُنْقِصَ لَهُ .

١٣٦٢ - أحمد (٤ / ١٠٣) وهو حديث صحيح بشواهده .

والترمذي (٢ / ٢٦٩) أبواب الصلاة ، ٢٠٥ - باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة . وقال : حسن غريب .

والنسائي (١ / ٤٦٤) ٥ - كتاب الصلاة ، ٩ - باب الحاسبة على الصلاة .

واسم الراوي حريث بن قبيصة ويقال : قبيصة بن حريث ، والثاني أشهر .

وفي أخرى ^(١) عن أبي هريرة بمعناه أخصر منه .

١٢٦٣ - * روى أبو داود عن عَمِّ الدارِ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بهذا المعنى قال : « ثم الزكاة مثل ذلك ، ثم تَوَخَّذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ » .

١٢٦٤ - * روى الطبراني عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ غَفَرَ لَكُمْ مَاتَاتُونَ إِلَى الْبَهَائِمِ لَغَفَرَ لَكُمْ كَثِيرٌ » .

١٢٦٥ - * روى أحمد عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي ﷺ يقول « إن أولَ عَظَمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يَخْتَمُّ عَلَى الْأَفْوَاهِ فَخِذُهُ مِنَ الرَّجُلِ الشَّامِلُ » .

١٢٦٦ - * روى أحمد عن معاوية بن حيدة قال : أتيت النبي ﷺ عليه وسلم فقال : « مَا لِي أَخَذْتُ بِحَجَرِكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا إِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ دَاعِيٌّ وَإِنَّهُ سَائِلِي هَلْ بَلَغْتَ عِبَادِي ، وَإِنِّي قَائِلٌ رَبِّ إِنْ قَدْ بَلَغْتَهُمْ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُونَ مَقْدَمَةً أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ ، إِنْ أَوَّلَ مَا يَبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفْخِذُهُ وَكُفَّهُ » قلت يانبي الله : هذا ديننا قال : « هذا دينكم وأينما تحسنُ يَكْفِكَ » .

١٢٦٧ - * روى أحمد عن أبي عسيب قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً فر بي فدعاني فخرجت إليه ، ثم مرَّ بأبي بكرٍ رَجِمَهُ اللَّهُ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَّ بِعَمْرِ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ

(١) النسائي (١ / ٢٣٢) ٥ - كتاب الصلاة ، ٩ - باب الحاسبة على الصلاة .

١٢٦٣ - أبو داود (١ / ٢٢٩) كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : « كل صلاة لا يقبها صاحبها تم من تطوعه » .

١٢٦٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

١٢٦٥ - أحمد (٤ / ١٥١) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٣٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥١) . وقال : رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات .

١٢٦٦ - أحمد (٥ / ٤٠٥) بلفظ : « مَا لِي أَمْسَكَ بِحِجَرِكُمْ ... » .

(الفدَامُ) : ما يشد على فم الإبريق أو الكوز من خرقعة لتصفية الشراب ، أى أنهم ينعمون الكلام بأفواههم حتى

تتكلم جوارحهم .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥١) . وقال : رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات .

١٢٦٧ - أحمد (٥ / ٨١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٧) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ « أَطْعِمْنَا » فَجَاءَ بِعِدْقٍ فَوَضَعَهُ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ فَقَالَ : « لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قَالَ : فَأَخَذَ عَمَرَ الْعِدْقَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى تَنَاسَرَتِ التُّسْرُ قَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَمُسْئِلُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ إِلَّا مَنْ ثَلَاثَ : خِرْقَةٍ كَفَّ بِهَا عَوْرَتَهُ أَوْ كِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جُوعَتَهُ أَوْ جُحْرِ يَتَدْخِلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ » .

١٢٦٨ * - رَوَى أَبُو يَعْلَى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي وَكَانَ بِيَدِهِ سِوَاكٌ فَدَعَا وَصِيفَةً لَهُ - أَوَّلَهَا - حَتَّى اسْتَبَانَ الْغَضْبُ فِي وَجْهِهِ فَخَرَجَتْ أُمُّ سَلَمَةَ إِلَى الْحُجَرَاتِ فَوَجَدَتِ الْوَصِيفَةَ وَهِيَ تَلْعَبُ بِبِئْهَمَةٍ فَقَالَتْ أَلَا أَرَاكِ تَلْعَبِينَ بِهَذِهِ الْبِئْهَمَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ فَقَالَتْ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا سَمِعْتُكَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْلَا خَشْيَةُ الْقَوْدِ لَأَوْجَعْتُكَ بِهَذَا السِّوَاكِ » ، وَفِي رِوَايَةٍ : « لَوْلَا الْقِصَاصُ لَضَرَبْتُكَ بِهَذَا السِّوَاكِ » ، وَفِي رِوَايَةٍ : « لَوْلَا خَافَةُ الْقِصَاصِ لَأَوْجَعْتُكَ بِهَذَا السُّوْطِ » .

١٢٦٩ * - رَوَى الْبَزَارُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظَلَمًا اقْتَصَصَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

١٢٧٠ * - رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(الْحَائِطُ) : الْبَتَانُ .

(الْعِدْقُ) : الْعَرَجُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّمَرِ .

(التُّسْرُ) : الثَّرَى قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رُطْبًا .

١٢٦٨ - مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ (١٠ / ٢٥٣) . وَقَالَ : رَوَى هَذَا كُلُّهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ بِنَحْوِهِ ، وَقَالَ : دَعَا وَصِيفَةً لَهُ وَلَمْ يَشْكُ ، وَقَالَ : لَوْلَا خَافَةُ الْقَوْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيِّ .
(بِئْهَمَةٌ) : هِيَ وَلَدُ الضَّانِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى .

١٢٦٩ - كَشَفُ الْأَسْتَارِ (٤ / ١٦٤) .

مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ (١٠ / ٢٥٣) . وَقَالَ : رَوَاهُ الْبَزَارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَإِسْنَادُهُمَا حَسَنٌ .

١٢٧٠ - الْبُخَارِيُّ (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كِتَابُ الرِّقَاقِ ، ٤٩ - بَابُ مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ .

مُسْلِمٌ (٢ / ٧٠٣) ١٢ - كِتَابُ الزَّكَاةِ ، ٢٠ - بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ... إلخ .

وَالْتَرْمِذِيُّ (٤ / ٦١١) ٢٨ - كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ ، ١ - بَابُ فِي الْقِيَامَةِ . وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَابْنُ مَاجَهَ (١ / ٦٦) الْمُقْتَمَةُ ، ١٢ - بَابُ فَيَا أَنْكَرْتَ الْجَهْمِيَّةَ .

١٣٢٩

عليه السلام : « ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أئمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرٍ » . زاد في رواية (١) : « فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

١٣٧١ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتذكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يارب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا ، يارب ، فيقول الله تعالى : بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم اليوم ، فخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : فإنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يتحمل مع اسم الله شيء » .

* * *

= (ترجمان) الترجمان : ناقل الكلام من لغة إلى لغة .

(أئمن منه وأشأم منه) : يعني عن يمينه وشماله ، واليد اليسرى تسمى : الشؤمى .

(١) البخاري الموضع السابق ، ومسلم : للموضع السابق .

١٣٧١ - الترمذي (٥ / ٢٤) ٤١ - كتاب الإيمان ، ١٧ - باب ما جاء في موت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال : حسن غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٧) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

(سجل) : السجل : الكتاب الكبير .

(بطاقة) : البطاقة : رقعة صغيرة ، وهي ما تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثننه .

(طاشت) : خفت .

الفقرة الثامنة

في :

الصراط

عرض إجمالي

- بعد الحساب والميزان تقرر النتيجة ويكون الحشر إلى أرض أخرى قبل جهنم ، وهناك تبدل أرضنا هذه أرضاً أخرى وتبدلُ السّمواتُ في يوم تبدل الأرض غير الأرض والسّمواتُ ﴿^(١)﴾ ، فهذا تبدل آخر للأرض كائن ، والناس في الظلمة دون الصّراط .

- والنّار مظلمة ، والصّراط مظلم ، وهذه الأرض مظلمة ، وإنّا ينير لكل إنسان نوره الذي اكتسبه بالإيمان والعمل الصالح .

- ويفزع أهل الإيمان إلى الأنبياء ليؤذن للناس بالمرور على الصراط فيعتذرون إلا محمداً ﷺ فَيُشَفِّعُ وَيُشَفِّعُ ويكون هو وأمه أول من يجوز على الصراط وهذا الجواز هو الذي فسر فيه بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثثًا ﴿^(٢)﴾ .

- ويمر الناس على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار مختلفة ، والمنافقون لا نور لهم قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرَاكِهِمْ يَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فنضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتمكم الأماني حتى جاء أمر

(٢) مريم : ٧١ ، ٧٢ .

(١) إبراهيم : ٤٨ .

الله وغركم بالله الغرور . فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴿^(١)﴾ ، ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ ^(٢) .

- ولهل المرور على الصراط يقول الأنبياء وتقول الملائكة : اللهم سلم سلم .

- وعلى ضوء نتيجة الحساب والميزان تدقق الملائكة بأحوال المارين ، وقد ورد في حديث صحيح أنه يحبس المؤمنون في قنطرة بين الجنة والنار ليقص من بعضهم لبعض ، وقد فهم بعضهم أن على الصراط قناطر يدقق في كل قنطرة على نوع من الأعمال .

- ثم الناس بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين : نوع تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء أهل الأعراف ، وهو سور بين النار والجنة ونوع يكون من أهل الجنان ومن هناك تبدأ مناشدة أهل الجنة ربهم بإخوانهم المؤمنين الذين أدخلوا النار ، ولرسولنا ﷺ في هذا المقام شفاعات : منها الشفاعة بدخول الجنة ، فيكون هو وأمه أول الداخلين ، ومنها شفاعته لبعض أهل الإيمان من أهل النار . وللأنبياء في ذلك المقام شفاعات بأفراد من أمهم ، وللأطفال شفاعات بأبائهم وأمهاتهم ، وللعلماء شفاعات بأصحابهم ، وللمؤمنين شفاعات بإخوانهم .

- وقد ورد في وصف الصراط نصوص يحتمل بعضها الجاز ، ولكن الأصل هو الحمل على الظاهر والتسليم حتى يقع : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ^(٣) .

- وبما يُخَفَّفُ على المؤمن هول المرور على الصراط ملازمته المساجد ، والإحسان في الصدقة ، وإقالة المسلم بمصيبته وعثرته ، وتيسير الإنسان ماعسر على غيره ، وإعانة العباد في حاجاتهم والمشى في قضاء مهماتهم وحماية المؤمن من اللناقين .

(٢) التحريم : ٨ .

(١) الحديد : ١٢ - ١٥ .

(٣) الأعراف : ٥٣ .

- وبعد أن يَنْتَقَى أهل الإيمان ولم يبق إلا دخول الجنة يعطيهم الله خَلْقَهُم الذي قدره لهم في الجنة كطول آدم وعرضه ويعطيهم شبابًا وحَسَنًا ونضارة .

- وإذا كان أهل الإيمان يَمُرُّون على الصراط ، وبعض العصاة منهم يتساقطون في النار ، فإن أهل النفاق لا يعبرون على الصراط أصلاً على قول للعلماء ، وبعض العلماء يقول : إن السور الذي يضرب بينهم وبين أهل الإيمان يكون في آخر الصراط أو في مكانٍ ما منه ، وعلى هذا القول فإن أهل النفاق يَمُرُّون على الصراط أو على بعضه ، ولكنهم لا نور لهم فيسقطون في جهنم وعلى القول بأن السور يضرب بينهم وبين أهل الإيمان قَبْل الصراط فإن حالهم حال الكافرين الذين يَنْدُوب بهم إلى النار ، وقد رأينا بعض النصوص التي تَفْصِّل فيما يجري لأهل النار وعليهم ، والظاهر أنه بعد الحساب والميزان يُخْرِجُ آدم بَعَثَ النار ، ويخرج عنق من النار ، فيأخذ أصنافاً من الناس إلى النار ، وكما أنه لا يوجد شيء في هذا الكون إلا على غاية النظام والترتيب والانضباط فكذلك الحال في اليوم الآخر كل شيء بترتيب ونظام وانضباط .

- والنصوص الواردة في الصراط كثيرة تمر بمناسبات متعددة وهذه بعض الروايات في ذلك :

النصوص

١٢٧٢ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوضَعُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ . عَلَى حَسَكٍ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ . ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ . فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوجٌ بِهِ . ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ . وَمَنْكُوسٌ فِيهَا » .

١٢٧٣ - * روى أحمد عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال : « يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنْبَتَا الصَّرَاطِ تَقَادَعُ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ ، فَيَنْجِي اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ » قال : « ثُمَّ يُؤَدَّنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيُشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ فَيُشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ » زَادَ عَفَّانُ « مَرَّةً وَيُشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِينُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ » .

أقول : الملاحظ أن هذا الحديث يذكر أن للصراط جنبتين وهذا يرجح تأويل ماورد في وصف الصراط بأنه كحد السيف ، بأن المراد بذلك صعوبة المرور عليه وأن المرور عليه مخيف وقد ذهب بعضهم إلى أن صراط كل إنسان على حسب حاله .

١٢٧٢ - أحمد (١١ / ٢) .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٠) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث . وهو صحيح .

وروى مسلم نحوه (١ / ١٦٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريقة الرؤية .

(حسك) : جمع حَسَكَةٍ . نبات تعلق بصوف الغنم . ورقة كورق الرجلة وادق . وعند شوك مَكْرُ صُلْبٌ ذو ثلاث شُتَبٍ اهـ قاموس .

(السعدان) : نبت ذو شوك ، وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه .

(فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ إلخ) : أي يكونون على أُنحَاءٍ : فبعضهم مسلمون من أفته . وبعضهم مخدوجون أي ناقصون من خلقتهم . وبعضهم منكوس أي يلقي في النار على رأسه .

١٢٧٣ - أحمد (٤٣ / ٥) .

والروض الداني (٢ / ١٤٢) .

وكشف الأستار (٤ / ١٧١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير

بنحوه ، ورواه البزار أيضاً ورجاله رجال الصحيح .

(تتقادع) : أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض .

١٢٧٤ - * روى الترمذي عن مجاهد بن جبر قال : قال ابن عباس : أتدرون ماسعة جهنم ؟ قلت : لا ، قال : أجل والله ماتدي ، حدثتني عائشة : أنها سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] قالت : قلت : فأين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال : « على جسر جهنم » .

أقول : ورد في حديث آخر : « في الظلمة دون الجسر » والجمع بينهما أن يكون بعضهم قد بدأ الجواز على الصراط وبعضهم ينتظر .

١٢٧٥ - * روى الترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » .

١٢٧٦ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيَحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَتَقَوَّا ، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحْدَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا » .

١٢٧٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالْوَعْرَةِ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ فَعَرَفَهُ وَعَرَفَ مَظْلَمَتَهُ بِهِ فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا يَقْصُونَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ رَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ حَتَّى يُورَدَ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ » .

١٢٧٤ - الترمذي (٢٧٢ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٤١ - باب ومن سورة الزمر .
وقال : حديث حسن صحيح غريب .

١٢٧٥ - الترمذي (٢٦١ / ٤) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٩ - باب ما جاء في شأن الصور .
وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن بشواهد .

١٢٧٦ - البخاري (٣٩٥ / ١١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٨ - باب القصص يوم القيامة .

١٢٧٧ - وجمع الزوائد (٣٥٤ / ١٠) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

فائدة :

قال ابن كثير في النهاية بمناسبة الكلام عن الصراط :

ثم ينتهي الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف ، إلى الظلمة التي دون الصراط وهي على جسر جهنم كما تقدم عن عائشة : أن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : « هم في الظلمة دون الجسر » .

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويحال بينهم وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم كما قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وعن عبيد بن عمير ، أنه كان يقول : أيها الناس إنه جسر مجسور ، أعلاه دحض مزلة ، والملائكة على جنبات الجسر يقولون : رب سلم قال : وإن الصراط مثل السيف على جسر جهنم ، وإن عليه كلاليب وحسكاً ، والذي نفسي بيده ، إنه ليؤخذ بالكلاب الواحد أكثر من ربيعة ومضر .

١٣٣٦

وعن سعيد بن أبي هلال قال :

بلغنا أن الصراط يوم القيامة وهو على الجسر يكون على بعض الناس أدق من الشعر ،
وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع . رواه ابن أبي الدنيا . اهـ (النهاية في الفتن) .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

الشفاعات

- الشفاعة سؤال الخير للغير وهي تكون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والعلماء العاملين والشهداء والصالحين والمؤمنين وأولاد المؤمنين والمؤمنات ممن مات صغيراً ، وتشفع بعض الأعمال فيشفع القرآن ويشفع الصيام .

- والشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ^(١) ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ ^(٢) .

- ومن أعظم شفاعات رسول الله ﷺ شفاعته لفصل القضاء ثم شفاعته لعبور الصراط ثم شفاعته لدخول الجنة ومن شفاعاته عليه الصلاة والسلام شفاعته في قوم يدخلهم الجنة بغير حساب ، ومنها شفاعته في قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ألا يعذبوا ، ومنها الشفاعة في إخراج عصاة المؤمنين من النار ، ومنها شفاعته عليه الصلاة والسلام لأقوام أن ترفع درجاتهم في الجنة .

- ومن الأسباب في أن ينال العبد المؤمن شفاعته عليه الصلاة والسلام : الدعاء عقب الأذان ، وسؤال الوسيلة والمقام المحمود لرسول الله ﷺ . ومن أسباب الشفاعة الموت في أحد الحرمين ، ومن أسبابها كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ .

- قال تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ ^(٣) دلت الآية بمفهومها على أن غير الكافرين تنفعهم شفاعة الشافعين من رسل وأنبياء وملائكة وصديقين وشهداء وصالحين وآخرين من أهل الإيمان ، وقد مرت معنا نصوص في الشفاعة وستر معنا نصوص في سياقات أخرى .

(٢) الأنبياء : ٧٨ .

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) اللدر : ٤٨ .

قال ابن كثير في النهاية ذاكرا أنواع شفاعته عليه الصلاة والسلام :

فالنوع الأول منها : شفاعته الأولى . وهي العظمى : الخاصة به ، من بين سائر إخوانه ، من المؤمنين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم . حتى الخليل إبراهيم وموسى الكليم . ويتوسل الناس إلى آدم ، فمن بعده من المرسلين ، فكل يحيد عندها . ويقول : لست بصاحبها . حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة . محمد رسول الله ﷺ دائماً . فيقول : « أنا لها . أنا لها » فيذهب ، فيشفع عند الله عز وجل في أن يأتي للفصل بين عباده ، ويرمجهم من مقامهم ذلك . ويميز بين مؤمنهم وكافرهم ، بمجازاة المؤمنين بالجنة . والكافرين بالنار .

النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة . وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوا .

النوع الرابع من الشفاعة : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها ، فوق ما كان يقتضية ثواب أعمالهم .

وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعاً آخر من الشفاعة . وهو : الخامس : في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، ولم أر لهذا شاهداً فيما علمت ، ولم يذكر القاضي فيما رأيت مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ ، أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في الصحيحين ، كما تقدم ، وهو يناسب هذا المقام .

وذكر أبو عبد الله القرطبي في التذكرة :

نوعاً آخر سادساً من الشفاعة : وهو شفاعته في عمه أبي طالب ، أن يخفف عذابه ...

واستشهد بحديث أبي سعيد في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال :

« لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار ، يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه » .

١٣٣٩

ثم قال : فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ^(١) .

قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار ، كما تنفع عصاة الموحدين . الذين يخرجون منها ، ويدخلون الجنة .

النوع السابع من الشفاعة : شفاعته ﷺ لجميع المؤمنين قاطبة ، في أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

النوع الثامن من الشفاعة : شفاعته في أهل الكبائر من أمة محمد من دخل النار ، فيخرجون منها وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . اهـ (النهاية في الفتن) .

أقول : والتحقيق أنها عشر شفاعات : فهناك شفاعة فصل الخطاب ، وهناك الشفاعة لجواز الصراط وهناك الشفاعة لدخول الجنة ، وفي كل من هذه الشفاعات الثلاث يفرغ الناس إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، ثم يؤول الأمر إلى أن يشفع محمد ﷺ ولم يذكر في كلام ابن كثير الشفاعة لجواز الصراط والشفاعة لدخول الجنة مع أن الرسول ﷺ يذكر أن الناس يفرعون إليه ثلاث فزعات يوم القيامة ، ولغموض هذا المقام فإنه يلتبس على البعض حمل بعض النصوص على محاملها الصحيحة وقد مرت معنا من قبل نصوص كثيرة في الشفاعة وفيما يأتي نذكر بعض النصوص :

النصوص

١٢٧٨ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وببيدي لواء الحمد ولا فخر ، ومامن نبي يؤمئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » قال : « فيفزع الناس ثلاث فزعات ، فيأتون آدم ، فيقولون : أنت أبونا آدم ، فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : إني أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحاً ، فيأتون نوحاً ، فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « مامننا كذبة إلا ماحل بها عن دين الله ، ولكن ائتوا موسى ، فيأتون موسى ، فيقول : قد قتلت نفساً ، ولكن ائتوا عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقول : إني عبت من دون الله ، ولكن ائتوا محمداً ﷺ ، فيأتوني ، فأنطلق معهم » . قال ابن جُدعان : قال أنس : فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ ، قال : « فأخذ بحلقة باب الجنة ، فأقعقعها ، فيقال : مَنْ هذا ؟ فيقال : محمد ، فيفتحون لي ويرحبون ، فيقولون : مَرَحَبًا ، فأخبر ساجداً ، فيلهمني الله من الشاء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ، وقل يستع لقولك ، وهو المقام الحمود الذي قال الله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ^(١) » قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة : « فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها » .

أقول : تحدث عليه الصلاة والسلام عن الفزعات الثلاث ثم اختصر ، ففصل في الفزعة الأخيرة وهي الفزعة لدخول الجنة والفزعة الأولى لفصل القضاء والفزعة الثانية لعبور الصراط .

١٢٧٨ - الترمذي (٣٠٨ / ٥) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل (الإسراء) .

وقال : هذا حديث حسن . قال محقق الجامع : وهو كما قال .

(فيفزع) : فزع إلى فلان : إذا لجأت إليه ، واعتدت عليه .

(ماحل) : الماحلة : الخاصة والمجادلة .

(١) الإسراء : ٧٩ .

١٣٤١

١٢٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ نبي سأل سؤالاً » - أو قال : « لكل نبي دعوة قد دعاها لأمته - وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

ولمسلم قال ^(١) قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

١٢٨٠ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليمان ، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أياكم ؟ لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله » قال : « فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه تكليماً » قال : « فيأتون موسى ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، فيأتون محمداً ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم ، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ، فيمر أولكم كالبرق ، قال : قلت بأبي وأمي : أي شيء كالبرق ، قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ كمرّ الريح ، ثم كمرّ الطير ، وشدّ الرجال ، تجري بهم أعمالهم ، ونبئكم قائم على الصراط ، يقول : ربّ سلم سلم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً » .

أقول : مرّ معنا أن الناس يفزعون إلى رسول الله ﷺ ثلاث فزعات وله في كل منها

١٢٧٩ - البخاري (١١ / ١٦) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ١ - باب لكل نبي دعوة مستجابة .

مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٦ - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته .

(١) مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٥ - باب في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع » .

١٢٨٠ - مسلم (١ / ١٨٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(تزلف) : أي : تقرب وتدنى .

(شدّ) : الشدّ : القُدْر .

شفاعة ففرقة لفصل الخطاب وفرقة لدخول الجنة وفرقة للإذن بالمرور على الصراط ، وهذا الحديث تحدث عن هذه الفرقة .

١٢٨١ - * روى البخاري ومسلم عن معبد بن هلال العنزي ، قال : انطلقنا إلى أنس بن مالك ، وتشفعنا بثابت ، فانتبهنا إليه وهو يصلي الضحى فاستأذن لنا ثابت ، فدخلنا عليه ، وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له : يا أبا حمزة ، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : « إذا كان يوم القيامة مآج الناس بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون : اشفع لذرئتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم إبراهيم ، فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم موسى ، فإنه خليل الله ، فيؤتى موسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم عيسى ، فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم محمد ، فأؤتى فأقول : أنا لها ، ثم أنطلق فاستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه ، فأحمده بحماده لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها ، ثم أخرجُ لربنا ساجداً ، فيقول : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمي أمي ، فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمده بتلك الحماد ، ثم أخرجُ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمي أمي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك الحماد ، ثم أخرجُ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ، أمي أمي . فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان

١٢٨١ - البخاري (١٣ / ٤٧٣) ٧١ - كتاب التوحيد ، ٣٦ - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .

مسلم (١ / ١٨٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(يلهمنيها) : الإلهام : ضرب من الوحي الذي يلقيه الله في قلوب عباده الصالحين .

١٣٤٣

فأخرجَه مِنَ النار ، فَأَنْطَلِقَ فَأَفْعَلَ » هذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده ، فلما كُنَّا بظهر الجَبَّان ، قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسَلَمنا عليه وهو مستخفٍ في دار أبي خليفة ؟ قال : فدخلنا عليه ، فسَلَمنا عليه ، قلنا : يا أبا سعيد ، جئنا من عند أخيك أبي حمزة ، فلم نسمع بمثل حديثٍ حَدَّثناه في الشفاعة ، قال : هيه ، فَحَدَّثناه الحديث ، فقال : هيه ، قلنا : مازدنا ؟ قال : قد حَدَّثنا به منذ عشرين سنة ، وهو يومئذ جميع ، ولقد ترك شيئاً ما أدري : أنسى الشيخ ، أم كره أن يُحدِّثكم فتتكلوا ؟ قلنا له : حَدَّثنا ، فَضَحَكَ وقال : خَلِقَ الإنسان من عجل ، ما ذَكَرْتَ لِمَ هذا إلا وأنا أريد أن أَخَدِّثَكُم ، قال : « ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة ، فَأَحْمَدُهُ بتلك المحامد ، ثم أَخِرُّ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يَسْمَعُ لك ، وسل تُعْطَهُ واشفع تُشَفِّعْ ، فأقول : يا رب ، ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : فليس ذلك إليك ، ولكن وعِزِّي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجَنَّ منها من قال : لا إله إلا الله » قال : فأشهد على الحسن أنه حَدَّثنا به أنه سمع أنس بن مالك - أراه قال : قبل عشرين سنة - وهو يومئذ جميع .

١٢٨٢ - * روى البخاري تعليقا : عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال : « يُحْبَسُ المؤمنون يوم القيامة ... » وذكر نحوه ، وفي آخره : « ما بقي في النار إلا من حَبَسَهُ القرآن » . أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا هذه الآية ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ ^(١) قال : وهذا المقام المحمود الذي وَعِدَهُ نَبِيِّكُمْ ﷺ . زاد في رواية ^(٢) : فقال النبي ﷺ : « يَخْرُجُ من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين بُرَّةً ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين ذرة » .

أقول : هذا الحديث يتحدث عن الفرقة الثالثة (الفرقة التي لدخول الجنة) إلا أنه

= (الجبَّان) : والجَنَّةُ : المقابر ؛

١٢٨٢ - البخاري (١٣ / ٤٢٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ .

(١) الإسراء : ٧١ .

(٢) البخاري (١٣ / ٢٩٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا خلقت بيدي ﴾ .

يطوى الكلام عنها لحصولها كما ذكرنا من قبل ، ويتحدث عن شفاعته رسول الله ﷺ لأهل الإيمان ممن دخلوا النار .

١٢٨٣ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة ، فقال : « أنا فاعل إن شاء الله » قلت : فأين أطلبك ؟ قال : « أول ما تطلبني على الصراط » قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : « فاطلبي عند الميزان » قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فاطلبي عند الحوض ، فإنني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن » .

١٢٨٤ - * روى الترمذي عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتاني آت من عند ربي ، فخيرني بين أن يُدْخِلَ نصف أممي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئاً » .

١٢٨٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يفتقد أهل الجنة ناساً كانوا يعرفونهم في الدنيا فيأتون الأنبياء فيذكرونهم فيشفعون فيهم فيشفعون يقال لهم الطلقاء وكلهم طلقاء يُصَبُّ عليهم ماء الحياة » .

١٢٨٦ - * روى الطبراني الأوسط والصغير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله ما عصوا الله واجترأوا على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع » .

١٢٨٣ - الترمذي (٤ / ٦٢١) ٢٨ - صفة القيامة ، ٩ - باب ما جاء في شأن الصراط .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٢٨٤ - الترمذي (٤ / ٦٢٢) ٢٨ - صفة القيامة ، ١٣ - باب [منه] . وسنده حسن .

وابن ماجه بنحوه (٢ / ١٤٤١) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٧ - باب ذكر الشفاعة .

وهو عنده عن أبي موسى الأشعري . وفي الزوائد صحيح ورجاله ثقات .

١٢٨٥ - جمع الزوائد (١٠ / ٣٧٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١٢٨٦ - الروض الداني (١ / ٨٠) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣٧٦) : وقال : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده حسن .

١٢٨٧ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ
أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ : بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا
أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ ، فَبُتُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ
الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ » فقال رجل من
الْقَوْمِ : كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ .

١٢٨٨ - * روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَخْرُجُ
قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمُّونَ الْجَهَنَّمِيِّينَ » .

١٢٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول
الله ﷺ : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بِالشَّفَاعَةِ ، كَأَنَّهُمُ الثُّعَالِيُّونَ ، قُلْنَا : مَا الثُّعَالِيُّونَ ؟
قَالَ : « الضَّغَائِيسُ » .

وفي رواية (١) : « إِنْ اللَّهُ يَخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ » .

وفي أخرى (٢) : « إِنْ اللَّهُ يَخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ » .

١٢٩٠ - * روى ابن ماجه عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« خَيْرَتُ بَيْنِ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ . فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ » .

١٢٨٧ - مسلم (١ / ١٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٢ - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

(ضبائر ضبائر) : الضبائر : جماعات الناس ، تقول : رأيتهم ضبائر : أي جماعات في تفرقة ، جمع ضيارة .

١٢٨٨ - البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنن ، باب في الشفاعة .

والترمذي (٤ / ٧١٥) كتاب صفة جهنم ، ١٠ - باب [منه] .

١٢٨٩ - البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٧٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلاً .

(الثعالبير) : صغار الثعالب ، وهي الضغائيس أيضاً .

(١) مسلم : للوضع السابق .

(٢) مسلم : للوضع السابق .

١٢٩٠ - ابن ماجه (٢ / ١٤٤١) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٧ - باب ذكر الشفاعة .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

لأنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى . أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ ؟ لَا . وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ ، الْخَطَّائِينَ الْمَتَلَوِّثِينَ » .

١٢٩١ - * روى الطبراني عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي : إمام ظَلَمَ غَشَوَمَ ، وكلُّ غالٍ مارق » .

١٢٩٢ - * روى أحمد عن أبي موسى قال : غزونا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فعرَّسَ بنا رسول الله ﷺ ، فانتَهيت في بعض الليل إلى مَنْاخِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فلم أجده فخرجتُ أَطْلُبُهُ بَارِزًا ، فإذا رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يطلب ما أطلبُ . قال فبينما نحن كذلك ، إذ اتجه إلينا رسول الله ﷺ . قال : فقلنا يا رسول الله : أنت بأرضٍ حربٍ ولا نأمنُ عليك ، فلولاً إذ بدتُ لك حاجةٌ قلتُ لبعضِ أصحابك فقامَ معك فقال رسول الله ﷺ : « إني سمعتُ هزيرًا كهزيرِ الرِّحَا ، وحنينًا كحنينِ النحل ، وأتاني آتٍ من ربي فخيرني بين أنْ يُدْخِلَ ثُلُثَ أمتي الجنةَ وبين الشفاعةِ ، فاخترتُ لهم شفاعتي وعلمتُ أنها أوسعُ لهم » قال : فقلنا : يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنا من أهلِ شفاعتك فدعا لهما ثم إنهما انتهيا إلى أصحابِ رسولِ الله ﷺ وأخبراهم بقولِ رسولِ الله ﷺ قال : فجمعوا يأتونه ويقولون : يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنا من أهلِ شفاعتك فيدعوا لهم . فلما أَضَبَّ عليه القومُ وكثُرُوا قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنها لمن ماتَ وهو يشهد أن لا إله إلا الله » .

وفي رواية عند الطبراني^(١) : فسيرنا حتى إذا كنا بقريبٍ من الصبح نزلَ فاجتمعنا حوله وكذلك كنا نفعلُ ففعلَ ناقته ثم جعلَ خَدَّهُ على عِقَالِهَا ثم نَامَ وتفرَّقنا فرفعتُ رأسي فإذا أنا لا أراه في مكانه فدعَرَنِي ذلك ، ففقتُ فإذا أنا أسمعُ مثلَ هزيرِ الرِّحَاءِ من قِبَلِ الوادي ، إذ جاء رسولُ الله ﷺ مستبشِّرًا قال : قلتُ يا رسول الله أين كنتَ ؟ قال : « كأنه راعك

١٢٩١ - للمعجم الكبير (٨ / ٣٣٧) .

جمع الزوائد (٥ / ٢٣٥) . وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الكبير ثقات .

١٢٩٢ - أحمد (٤ / ٤١٥) .

(١) جمع الزوائد (١٠ / ٣٦٨) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات ، وقد رواه في

الصغير بنحوه .

١٣٤٧

حين لم ترني في مكاني ؟ « قلت : أي والله ، قد راعني . قال « أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فخيرني بين الشفاعة وبين أن يغفر لنصف أمتي فاخترت الشفاعة » .
فنهض القوم إليه فقالوا : يا رسول الله اشفع لنا قال : « شفاعة لكم » فلما أكثروا عليه قال : « من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة » .

١٢٩٣ - * روى البزار عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال : انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأخشنا بالباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه ، فما خرجنا حتى ما كان في الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه فقال قائل منا : يا رسول الله ألا سألت ربك ملكاً كمليك سليمان قال : فضحك ثم قال : « فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة ، منهم من اتخذ بها دنياه فأعطىها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها وإن الله أعطاني دعوة فاخبتأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

١٢٩٤ - * روى البزار عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأجلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر على عدوي ، وبعثت إلى كل أحرر وأسود ، وأعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئاً » .

١٢٩٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إن ناشئاً من أمتي يُعذَّبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يُعزَّهم أهل الشرك فيقولون : ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعم فلا يبقى موحِّد إلا أخرجه الله » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ رَبِّمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ (١) .

١٢٩٣ - كشف الأستار (٤ / ١٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٠) وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجلها ثقات .

١٢٩٤ - كشف الأستار (٤ / ١٦٦) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٩) . وقال : رواه البزار بإسنادين حسنين .

١٢٩٥ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧١) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير بسم الصيرفي وهو ثقة .

(١) الحجر : ٢ .

١٢٩٦ - * روى الطبراني عن مصعب الأسلمي قال : انطلق غلام منا فأتى النبي ﷺ ، فقال : إني سائلك سؤالا ، قال : « وما هو ؟ » قال : أسألك أن تجعلني من تشفع له يوم القيامة . قال : « من أمرك هذا - أو - من علمك هذا - أو - من ذلك على هذا ؟ » قال : ما أمرني به أحد إلا نفسي : قال : « فإنك ممن أشفع له يوم القيامة » .

١٢٩٧ - * روى أحمد عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إنه يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة فيقولون : يارب حتى يدخل أبائنا وأمهاتنا » قال : « فيأبون » . قال : « فيقول الله عز وجل : مالي أراهم محبطين ادخلوا الجنة » قال : « فيقولون : يارب أبائنا فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وأبائكم » .

١٢٩٨ - * روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق رحمه الله كنت مع رهط يابلياء ، فقال عبد الله بن أبي الجداء : سمعت رسول الله ﷺ قال : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي : أكثر من بني تميم » ، قلنا : سواك يا رسول الله ؟ قال : « نعم سواي » .

١٢٩٩ - * روى أحمد عن أبي بزة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركنًا من أركانها » .

١٣٠٠ - * روى أحمد عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليدخلن »

١٢٩٦ - للمجم الكبير (٢٠ / ٣٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٩) . وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٩٧ - أحمد (٤ / ١٠٥) .

مجمع الزوائد (٣ / ١١) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(محبطين) : قال ابن الأثير : المحبطين هو للمتنع امتناع طلبية لا امتناع إباء .

١٢٩٨ - الترمذي (٤ / ٦٣٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٢ - باب [منه] .

وقال : حديث حسن صحيح غريب . وهو كما قال .

١٢٩٩ - أحمد (٤ / ٢١٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨١) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

١٣٠٠ - أحمد (٥ / ٢٥٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨١) وقال : رواه أحمد والطبراني بإسناد ، ورجاله أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال

الصحيح ، غير عبد الرحمن بن ميسرة ! وهو ثقة .

١٣٤٩

الجنة بشفاعَةِ رجل ليس بنبيٍّ مثلَ الحيين ربيعةً ومَضَرَ فقال رجل : يا رسولَ الله أو ماريعةً من مَضَرَ قال : « إنما أقول ما أقول » .

١٣٠١ - * روى البزار عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن الرجل ليشفعَ للرجلين والثلاثة » .

١٣٠٢ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن من أمتي مَنْ يشفعُ في الفئامِ من الناس ، ومنهم من يشفعُ للقبيلة ، ومنهم مَنْ يشفعُ للعُصبة ، ومنهم يشفعُ للواحد ، حتى يدخلوا الجنة » .

وزاد رزين : « وإنما شفاعتي في أهل الكبائر ، وإنه ليؤمَرُ برجل إلى النار ، فيَمَرَّ برجل كان قد سقاه شربة ماءٍ على ظمأ ، فيقول : ألا تشفع لي ؟ فيقول : ومن أنت ؟ فيقول : أَلستُ أنا سقيتُك الماء يوم كذا وكذا ؟ فيعرفه ، فيشفع فيه ، فيَرُدُّ من النار إلى الجنة » .

* * *

١٣٠١ - كشف الأستار (١٧٣ / ٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٢) . وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٢ - الترمذي (٤ / ٦٢٧) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٢ - باب [مِنْهُ] . وقال : هذا حديث حسن .

(الفئام) : الجماعة من الناس .

الفقرة العاشرة

في :

الجنة والنار

١ - المقدمة

إن نهايتكم أيها الإنس والجن إما إلى جنة وإما إلى نار فهل أنتم متذكرون أو غافلون ؟
- من أجل أن تتذكر هذه النهاية بُعِثَ الرسلُ عليهم الصلاة والسلام وأنزلتِ الكتبُ وكانت المعجزات وظهرت الكرامات لتقوم الحجة على الخلق .

- وها إن القرآن بين يديك وهو معجزة فيها معجزات يحدثك عما سيكون بين يديك ،
وها إن محمداً ﷺ - من كان القرآن معجزته وأكرمه الله بمعجزات أخرى ، ومن بشر به من قبله من الرسل ، ومن كانت صفاته وثمراته تدل عليه - أنذرك ويشرك .

- وها أنت ترى بقايا الوحي الإلهي في كثير من الأديان مع كثرة التغير والتبديل تحدثك عما أعدّه الله لأهل طاعته وأوعد به أهل معصيته .

وكا أن الأصل في الأمور الغيبية أن تتلقاها عن المعصوم محمد ﷺ فإذا ثبتت عنه كان من واجبنا التسليم فإن أمر الآخرة كله كذلك وأمر الجنة والنار من ذلك .

وهناك قضايا من أمر الإيمان يكفي فيها الإيمان الإجمالي وهناك قضايا لا بد فيها من الإيمان التفصيلي ، وفي كل الأحوال فالإيمان التفصيلي الذي هو أثر عن معرفة النصوص كلها وفهمها حق الفهم على ضوء تحقیقات العلماء الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة هو الأرقى .

وإذا مر معك وأنت تقرّ النصوص ما لم تعتد أن تشاهده في الدنيا من أمر الآخرة ففر إلى الإيمان وفر إلى تصديق الله ، وفر إلى تصديق رسول الله ﷺ ، فلا أصدق من الله ورسوله ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ ^(١) ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ ^(٢) اللهم لا أحد .

(١) الأحزاب : ٢٢ .

(٢) النساء : ٨٧ .

- والنار هي السجن الذي أعدّه الله للكافرين والعصاة قال تعالى : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ ^(١) والجنة هي دار السلام ودار النعيم المقيم أعدّها الله لأهل الإيمان فكل ما فيها سلام وكل من فيها سلام قال تعالى : ﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ ^(٢) .

- والجنة والنار قد خلقهما الله من قبل فيها موجودتان قال تعالى عن النار ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ ^(٣) ، ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا ﴾ ^(٤) . وقال عن الجنة ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ ^(٥) ، فكل من الجنة والنار قد خلق وأعد وكتب له الخلود ، والجنة علوية وهي الآن فوق السماء السابعة والنار مغيبية لا يعلم مكانها إلا الله ومن أطلعه الله على ذلك ويوم القيامة يؤتى بالنار ويؤتى بالجنة فتكونان متلاصقتين ويعبر الناس من أرض المحشر إلى الجنة على الصراط وقد مرت معنا نصوص كثيرة تدل على ذلك .

- والنار من السعة بما يحول قال تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ ^(٦) والجنة من السعة بما يحول قال تعالى : ﴿ سابعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ ^(٧) ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ ^(٨) .

ولا تستغربين عرض الجنة أن يكون كذلك فمحيط الدائرة أوسع من قطرها والسموات السبع على القول الراجح كروية فإذا كانت الجنة فوق السماء السابعة فمحيط السماء السابعة أكبر من قطرها الذي هو عرض السموات والأرض .

- والجنة والنار باقيتان أبداً وأما قوله تعالى ﴿ لا يثخن فيها أحقاباً ﴾ لا يذوقون فيها برداً ولا شراً باً * إلا حميماً وغساقاً ^(٩) فالمراد والله أعلم أنهم يعذبون العذاب أحقاباً ثم يكون عذاب أشد أو أنه كلما انتهى حقب بدأ حقب إلى ما لا نهاية له .

(٢) الأنعام : ١٢٧ .

(٤) الكهف : ٢٩ .

(٦) ق : ٣٠ .

(٨) آل عمران : ١٣٢ .

(١) الإسراء : ٨ .

(٣) البقرة : ٢٤ .

(٥) آل عمران : ١٣٢ .

(٧) الحديد : ٢١ .

(٩) النبأ : ٢٣ - ٢٥ .

- وأما قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجدوذ ﴿^(١)﴾ أي غير مقطوع ، فليس المراد بالاستثناء نفي الديمومة بل المراد بالاستثناء أن الجنة والنار خالدتان خلود السموات والأرض باستثناء ما حدث للسموات والأرض يوم القيامة فإن ذلك لا يصيبها وللعلماء اتجاهات أخرى في فهم الآيتين ، فمن قطعت الاعتقاد بالإيمان بديمومة الجنة والنار فمن أنكر ذلك وقع في الضلال المبين .

قال ابن كثير وهو يتحدث عن أهل الجنة :

« وثبت أن أول زمرة منهم على صورة القمر ثم الذين يلونهم في البهاء كأضواء كوكب دري في السماء ، وأنهم يجامعون ولا يتناسلون ولا يتوالدون إلا ما يشاؤون . وأنهم لا يموتون ولا ينامون ، لكامل حياتهم وكثرة لذاتهم وتوالي نعيمهم ومسراتهم ، وكلما ازدادوا خلوداً ازدادوا حسناً وجمالاً وشباباً وقوة وكالاً ، وازدادت لهم الجنة حسناً وبهاءً وطيباً وضياءً ، وكانوا أرغب شيء فيها وأحرص عليها وكانت عندهم أعز وأغلى وألذ وأحلى ، كما قال تعالى ﴿ خالدين فيها لا يفتنون عنها حولاً ﴾ »^(٢) . اهـ . (النهاية في الفتن والملاحم) .

وقال ابن كثير وهو يتحدث عن أهل النار :

« إذا خرج أهل المعاصي من النار فلم يبق فيها غير الكافرين فلا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى : ﴿ ويتجنبها الأشقي ﴾ الذي يصلى النار الكبرى ﴾ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿^(٣)﴾ . فلا خروج لهم منها ولا عيذ لهم بل هم خالدون فيها أبداً وهم الذين حسبهم القرآن وحكم عليهم بالخلود ، كما قال تعالى ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ﴾ خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴿^(٤)﴾ وقال تعالى في سورة النساء ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً ﴾ إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان

(١) الكهف : ١٠٨ .

(٢) هود : ١٠٦ - ١٠٨ .

(٣) الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥ .

(٤) الأعراف : ١١ - ١٣ .

ذلك على الله يسيراً ﴿١﴾ اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

ولشيخ الإسلام تقي الدين السبكي رسالة سماها : « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » ، رد فيها على من ادعى غير ذلك وجمع فيها النصوص القطعية الواردة في ذلك وختمها بقوله :

« فهذه الآيات التي استحضرتها في بقاء الجنة والنار وبدأنا بالنار لأننا وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها . وقد ذكرنا نحو مائة آية منها نحو من ستين في النار ، ونحو من أربعين في الجنة ، وقد ذكرنا الخلود وما اشتق منه في أربع وثلاثين آية في النار وثمان وثلاثين في الجنة ، وذكرنا التأييد في ثلاث في النار مع الخلود ، وفي ثمان في الجنة منها سبع مع الخلود . وذكر التصريح بعدم الخروج أو بمعناه في أكثر من ثلاثين . وتضافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإعادة حقيقة معناها ، وأن ذلك ليس مما استعمل فيه الظاهر في غير المراد ، ولذلك أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك ونقلوه خلفاً عن سلف عن نبيهم ﷺ وهو مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة ، بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك ، ومن رد ذلك فهو كافر ومن تأوله فهو كمن تأول الآيات الواردة في البعث الجسماني وهو كافر أيضاً » اهـ (الاعتبار) .

- فحدد يا أخي بصر الإيمان إلى مقرك ومستترك وأقبل على الله بالذكر والفكر والتأمل في المصير وأكثر من قراءة القرآن فإنه الذي يذكر بك كل شيء ، وها نحن نعرض عليك بعض النصوص حول الجنة والنار مع شيء من التعليقات بما يتناسب مع غرض الكتاب ، وهي نصوص من الكتاب والسنة فما وصفت به النار والجنة وبعض نعم أهل الجنة وبعض عذاب أهل النار وفي بعض ما استحق به أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ونبدأ هذه الفقرة بذكر مشاهد من القرآن الكريم حول ما ذكرناه .

٢ - مشاهد من القرآن الكريم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ ليس لوقعتها كاذبة ﴿ خَافِضَةً رَافِعَةً ﴾ إِذَا رَجَعَتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾ فكانت هباءً منثبًا ﴿ وَكنتم أزواجًا ثلاثة ﴾ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ والسابقون السابقون ﴿ أولئك المقربون ﴾ في جنّات النعيم ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴾ وقليل من الآخرين ﴿ على مترى موضوعة ﴾ متكئين عليها متقابلين ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ وفاكهة مما يتخيرون ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ وخور عين ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ جزاء بما كانوا يعملون ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيماً ﴾ إلا قيلاً سلاماً سلاماً ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ في سدر مخضود ﴿ وطلع منضود ﴿ وظل مندود ﴿ وماء مسكوب ﴿ وفاكهة كثيرة ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴿ وفرش مرفوعة ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿ لأصحاب اليمين ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴾ وثلاثة من الآخرين ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴿ في سموم وحميم ﴿ وظل من يخموم ﴿ لا بارد ولا كريم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿ وَكَانُوا يُصْرَفُونَ عَلَى الْحِثِّ الْعَظِيمِ ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿ قَالَتُنَّ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿ فَضَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ فَضَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ (١) .

جاءت سورة الواقعة بعد سورة الرحمن وقد ختمت سورة الرحمن بالحديث عن أهل النار وبالجنّتين اللتين أعدهما الله للحسنين ووصفتها ثم بالحديث عن الجنّتين اللتين أعدهما الله لأهل البين ووصفتها ، ثم جاءت سورة الواقعة فبدأت بالحديث عن أن الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : أهل بين وأهل الشمال وسابقون وفصلت فيما أعد الله لكل ، وختمت سورة الواقعة بما أعد الله للمقربين ، وهم السابقون ، وما أعد لأهل البين وما أعد لأهل الشمال . فالسورتان تتكاملان في العرض وقد بدأنا بذكر ما ورد في أوائل سورة الواقعة مما أعد الله

عز وجل للسابقين وأهل اليمن وأهل الشمال ، ونكتفي بتفسير الكلمات التي تحتاج إلى تفسير :

﴿ الواقعة ﴾ : القيامة . ﴿ كاذبة ﴾ : نفس كاذبة تنكر وقوعها . ﴿ خافضة رافعة ﴾ : خافضة للأشقياء رافعة للسعداء . ﴿ رجت الأرض رجًا ﴾ : زلزلت . ﴿ بست الجبال ﴾ : فُتَّتْ . ﴿ هباءً منبثًا ﴾ : غبارًا متفرقًا منتشرًا . ﴿ أزواجًا ﴾ : أصنافًا . ﴿ المجنة ﴾ : الين أو اليمين . ﴿ المشأمة ﴾ : الشؤم أو الشمال . ﴿ ثلثة ﴾ : أمة كثيرة من الناس . ﴿ مرور موضوعة ﴾ : منسوجة من الذهب بإحكام . ﴿ ولدان مغلدون ﴾ : مَبْقُونَ على هيئة الولدان في البهاء . ﴿ أكواب ﴾ : أقداح . ﴿ أباريق ﴾ : أوان لها عرى وخراطيم . ﴿ كأس من معين ﴾ : قدح من خر جارية من العيون . ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ : لا يصيبهم صُداع بشرها . ﴿ ولا يظفون ﴾ : لا تذهب عقولهم . ﴿ حور عين ﴾ : نساء بيض واسعات الأعين حسانها . ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ : المصون في أصدافه . ﴿ لقوا ﴾ : كَلَّمَا باطلا لا خير فيه ﴿ تأثما ﴾ : نسبة إلى الإثم . ﴿ سدر ﴾ : شجر النبق . ﴿ مخضود ﴾ : مقطوع شوكه ﴿ طلع منضود ﴾ : شجر الموز أو مثله نضد بالحل من أسفله إلى أعلاه ﴿ ظل مدود ﴾ : دائم لا يتقلص . ﴿ ماء مسكوب ﴾ : مصبوب يجري في غير أخاديد . ﴿ عربًا أترابًا ﴾ : متحبيات إلى أزواجهن مستويات في السن . ﴿ مهوم ﴾ : ريح شديد الحرارة تدخل المسام . ﴿ حميم ﴾ : ماء بالغ الحرارة . ﴿ يحموم ﴾ : دخان شديد السواد . ﴿ لا كريم ﴾ : لا نافع من أذى الحر . ﴿ الحنث ﴾ : الذنب العظيم - الشرك - ﴿ زقوم ﴾ : شجر كريه جدًا في النار ﴿ شرب الهيم ﴾ : الإبل العطاش التي لا تروى .

﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ : فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يُعَرَّفُ المجرمون بِسِمَاهُمْ فيؤخذ بالنواصي والأقدام . فبأي آلاء ربكما تكذبان . هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون . يطوفون بينها وبين حمير آن . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ولن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها من كل فاكهة زوجان . فبأي آلاء

رَبُّكَ تُكَذِّبَانِ * مَتَكْنِثِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * وَمَنْ دُونَهَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * مُدْهَأَمَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِيَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْغِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * مَتَكْنِثِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١﴾ .

هذه الآيات من سورة الرحمن جاءت مباشرة قبل الآيات التي مرت معنا من سورة الواقعة وهي تتحدث عن مضمونها مع تفصيلات هنا أو هناك في الوصف فيما أعده الله لأهل الشمال أو لأهل اليمين أو للسابقين ، وقد بدأ الحديث في سورة الواقعة عما أعده الله للسابقين وبدأ الحديث هنا عما أعده الله لأهل النار ثم ثنى بالكلام عما أعده الله للمحسنين السابقين بدليل ختم الآيات التي تتحدث عن ذلك بقوله تعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٢) ثم تحدثت عن الجنتين اللتين أعدهما الله لأهل اليمين وهما دون تلك الجنتين ، وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (٣) هل المراد به الانشقاق الذي يكون يوم القيامة ثم ما يؤول إليه حال الناس بعد الموقف والسؤال والحساب أو المراد به انشقاق آخر يكون في جهة العلو يسبق إدخال أهل النار النار ؟ الآية تحتمل هذا وهذا . وقوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ (٤) يرجع القول الذي يقول بأنه انشقاق آخر غير الانشقاق الأول ، فكأن هذا الانشقاق يكون بعد أن يتم الحساب والميزان وتقوم الحجة على الخلق ولم يبق إلا أن يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة ، وبما قاله

(٢) الرحمن : ٦٠ .

(٤) الرحمن : ٣٩ .

(١) الرحمن : ٣٧ - ٧٨ .

(٣) الرحمن : ٣٧ .

صاحب كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرحه الكلمات التي تحتاج إلى شرح في هذا النص ما يلي :

- ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ : كالوردة في الحمرة .
- ﴿ كَاللَّهَانِ ﴾ : كدهن الزيت في الدوبان .
- ﴿ بِسِيَاهُمْ ﴾ : يسواد الوجوه ، وَرْقَةُ الْعُيُونِ .
- ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي ﴾ : يشعور مقدم الرأس .
- ﴿ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ : ماءٍ حارٍّ تنأى حره .
- ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ : بستانٍ داخل القصرٍ وآخر خارجة .
- ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ : أغصان . أو أنواع من الثمار .
- ﴿ عَيْنَانِ ﴾ : التَّسْنِيمُ والسُّسْبِيلُ .
- ﴿ زَوْجَانِ ﴾ : صِنْفَانِ : معروفٌ وغريبٌ .
- ﴿ اسْتَبْرَقٍ ﴾ : غليظ الديباج .
- ﴿ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ : ما يجنى من ثمارها .
- ﴿ ذَانِ ﴾ : قريبٌ من يد المتناول .
- ﴿ قاصِرَاتُ الطُّرَفِ ﴾ : قصرن أبصارهن على أزواجهن .
- ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ ﴾ : لم يفتضهن قبل أزواجهن .
- ﴿ وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٌ ﴾ : ... أدنى من السابقتين .
- ﴿ مُدْهَامَاتٌ ﴾ : خضراوان شديدا الخضرة .
- ﴿ نَضَاجَتَانِ ﴾ : فوارتان بالماء لا تنقطعان .

﴿ خَيْرَاتُ حِسَانٍ ﴾ : خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ حِسَانُ الْوُجُوهِ .

﴿ حَوْزٍ ﴾ : نِسَاءٌ بَيَضٌ حِسَانٌ .

﴿ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ : مُخَدَّرَاتٌ فِي بُيُوتٍ مِنَ اللَّوْلُؤِ .

﴿ رَفْرَفٍ ﴾ : وَسَائِدٌ أَوْ فَرْشٌ مُرْتَفِعَةٌ .

﴿ عَبْقَرِيٌّ ﴾ : بُسْطٌ ذَاتِ خَمَلٍ رَقِيقٍ .

﴿ تَبَارَكَ ﴾ : تَعَالَى . أَوْ كَثْرَ خَيْرُهُ وَإِحْسَانُهُ .

﴿ ذِي الْجَلَالِ ﴾ : الْعِظَمَةُ وَالِاسْتِفْنَاءُ الْمَطْلُوقُ .

﴿ الْإِكْرَامِ ﴾ : الْفَضْلُ التَّامُّ وَالِإِحْسَانُ . اهـ .

﴿ إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (١) .

﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ : أَيِ يَلْبَسُونَ الْحُلِيَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الذَّهَبِ كَمَا يَحْلُونَ بِاللُّؤْلُؤِ إِمَّا مَرَصَعٌ بِهِ الذَّهَبُ فِي الْأَيْدِي أَوْ يَحْلُونَ فِيهِ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَكَلَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ الْكَلَمُ الطَّيِّبُ ، وَهُمْ مُهْدِيُونَ هَذَانِ كَامِلَةٌ خَلْقِيَّةٌ إِلَى كُلِّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ فَالْجَنَّةُ دَارُ السَّلَامِ .

﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٢) .

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أَيِ جَنَّاتِ إِقَامَةٍ أَوْ هِيَ الْجَنَّاتُ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ .

وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَزْوَاجَ الصَّالِحِينَ وَأَبَاءَهُمْ وَذُرِّيَّاتَهُمْ يَقْرَبُونَ مِنْ مَنَازِلٍ مِنْ هُمْ أَعْلَى مِنْهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ لِلأَوَّلِينَ عُلُوٌّ مَنْزِلَةٍ وَلِهَؤُلَاءِ صَلَاحُ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْخُلُ عَلَى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ مَنَازِلُهُمْ مُسَلِّمَةً عَلَيْهِمْ مُقَدِّمَةً لَهُمْ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ هَدَايَا وَتَحْفٍ وَكُلِّ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْسَانِ .

(١) الْحِجْ : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الرَّعْدُ : ٢٣ ، ٢٤ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ .

﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ أي يلون أمرها وهم الزبانية ، وعدتهم كما ورد في سورة المدثر تسعة عشر وهم غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة ، ونهي الكافرين عن الاعتذار لا ينفي وقوع الاعتذار منهم ولكنه تأكيد بأن الاعتذار لا ينفعهم .

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ ﴿١٢﴾ .

﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ أي ثمرها دائم لا ينقطع وظلها لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والمراد بكلمة ﴿ عُقْبَى ﴾ المآل والمنتهى .

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ﴿١٣﴾ .

الماء الآسن : الماء الذي تغير طعمه وريحه . وخمر الجنة غير خمر الدنيا . وقوله تعالى عن أهل النار ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ أي بدل تلك الأشربة التي لأهل الجنة يشربون ماءً حارًا يقطع أمعاءهم من فرط الحرارة .

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ فِيهَا مِنْ الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ مَكِينًا وَيَتَيْمًا وَأُسِيرًا * إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * .

(٢) الرعد : ٢٥ .

(١١) التحريم : ٦ ، ٧ .

(١٢) محمد : ١٥ .

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا * مُتَكَثِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا
وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ
فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ عَجِلُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ
حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ
خُمْرٌ وَسَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَامَ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً
وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١﴾ .

قال صاحب (كلمات القرآن تفسير وبيان) في شرح المفردات ما يلي :

﴿ هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ : بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالِ .

﴿ مَلَأَمِلَ ﴾ : بَهَا يَقَادُونَ وَفِي النَّارِ يُسْحَبُونَ .

﴿ أَغْلَاغًا ﴾ : بِهَا تَجْمَعُ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَيَقْعِدُونَ .

﴿ كَأْسٍ ﴾ : خَمْرٌ أَوْ زُجَاجَةٌ فِيهَا خَمْرٌ .

﴿ مِزَاجُهَا ﴾ : مَا تُمَزَّجُ الْكَأْسُ بِهِ وَتَخْلَطُ .

﴿ عَيْنًا ﴾ : مَاءَ عَيْنٍ أَوْ خَمْرَ عَيْنٍ .

﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ : يَشْرَبُ مِنْهَا . أَوْ يَرْتَوِي بِهَا .

﴿ يُفَجَّرُونَهَا ﴾ : يُجَرِّوْنَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ .

﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ : فَاشِيًا مُنْتَشِرًا غَايَةَ الْإِتِّشَارِ .

﴿ يَوْمًا عَبُوسًا ﴾ : تَكَلَّجَ فِيهِ الْوُجُوهُ لِهَوْلِهِ .

﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ : شَدِيدِ الْعُبُوسِ .

- ﴿ لَقَاهُمْ نُصْرَةٌ ﴾ : أَعْطَاهُمْ حُسْنًا وَبَهْجَةً فِي الْوَجْهِ .
- ﴿ الْأَرَائِكِ ﴾ : السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ . وَالْحِجَالِ : جَمْعُ حَجَلَةٍ مَتَحَرِّكَةٍ بَيْتٌ يَزِينُ بِالْقَبَابِ وَالْأُسَيْرَةِ وَالسُّتُورِ .
- ﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾ : بَرْدًا شَدِيدًا .
- ﴿ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ : قَرِيبَةً مِنْهُمْ ظِلَالُ أَشْجَارِهَا .
- ﴿ ذَلَّلْتُ قُلُوبَهَا ﴾ : قَرَّبْتُ إِمَارَتَهَا لِمَتَنَاوِلِهَا .
- ﴿ أَكْوَابِ ﴾ : أَقْدَاحُ بِلَا عَرَى وَخَرَاتِيمِ .
- ﴿ قَوَارِيرِ ﴾ : كَالزُّجَاجَاتِ فِي الصُّفَاءِ .
- ﴿ قَدَّرُوهَا ﴾ : جَعَلُوا شَرَابَهَا عَلَى قَدْرِ الرِّيِّ .
- ﴿ كَأْسًا ﴾ : خَمْرًا أَوْ زُجَاجَةً فِيهَا خَمْرٌ .
- ﴿ مِزَاجُهَا ﴾ : مَا تَمَزَّجَ بِهِ وَتَخَلَّطَ .
- ﴿ تُمَسَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ : يَوْصَفُ شَرَابُهَا بِالسَّلَاسَةِ فِي الْإِنْسِيَاغِ .
- ﴿ وَلَدَانِ مُخْلَدُونَ ﴾ : مَبْقُونَ عَلَى هَيْئَةِ الْوِلْدَانِ فِي الْبَهَاءِ .
- ﴿ لَوْلَوْا مَنُثَوْرًا ﴾ : كَاللُّوْلُو الْمَفْرَقِ فِي الْحَسَنِ وَالصُّفَاءِ .
- ﴿ ثِيَابِ سُنْدُسٍ ﴾ : ثِيَابٌ مِنْ دِيْبَاجٍ رَقِيقٍ « . اهـ .
- ﴿ إِسْتَبْرَقَ ﴾ : الدِّيْبَاجُ الْغَلِيظُ . وَالْكَافُورُ وَالزَّنْجَبِيلُ مَعْرُوفَانِ وَهُمَا فِي الْآخِرَةِ غَيْرُهُمَا فِي الدُّنْيَا فِي الطَّعْمِ وَاللَّذَّةِ .
- ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » وَأَمَّا الَّذِينَ قَسَّوْا فَأَوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ

النار الذي كنتم به تكذبون ﴿١﴾ .

(النزل) : الضيافة ، فأهل الجنة ضيوف الله ولكنها ضيافة أبدية وإذا طالب الله العبد أن يكرم ضيفه فكيف تكون ضيافة الله لأهل ضيافته من الإكرام والكرامة مما يزداد إلى ما لا نهاية .

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ (٢) .

﴿ أزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من المرأة في الدنيا خلقت أو خلقت . (الظل الظليل)
الظل الدائم الذي لا ينسخه شيء .

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ (٣) .

﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين * يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون * الذين آمنوا بأياتنا وكانوا مسلمين * ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون * يُعطى عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ (٤) .

﴿ تحبرون ﴾ تسرون سروراً ظاهر الأثر .

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً وهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (٥) .

﴿ متشابهاً ﴾ : أي مع مثله في الدنيا في الصورة مختلفاً في الطعم والمقدار .

(١) السجدة : ١٦ ، ٢٠ .
(٢) النساء : ٥٧ .
(٣) الحديد : ٢١ .
(٤) الزخرف : ٦٦ - ٧٣ .
(٥) البقرة : ٢٥ .

﴿ كَلَّا إِنْ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خَتَامُهُ مِسْكٌ * فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُؤْثِرُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ﴾ : مَا يُكْتَبُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ .

﴿ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴾ : لَمْ يَثْبُتْ فِي دِيْوَانِ الْخَيْرِ .

﴿ الْأَرَائِكِ ﴾ : الْأَسِرَّةُ فِي الْحِجَالِ . وَالْحِجَالُ : جَمْعُ حَجَلَةٍ - مَحْرَكَةٌ - بَيْتٌ يَزِينُ بِالْقَبَابِ وَالْأَسِرَّةِ وَالسُّتُورِ .

﴿ نَضْرَةُ النَّعِيمِ ﴾ : بِهَيْجَتِهِ وَرَوْقَتِهِ وَبَهَاءِهِ .

﴿ رَحِيقٍ ﴾ : أَجْوَدِ الْخَمْرِ وَأَصْفَاةً .

﴿ مَخْتُومٍ ﴾ : إِنَاؤُهُ حَتَّى يَفُكَّهُ الْأَبْرَارُ .

﴿ خَتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ : خَتَامُ إِنَائِهِ الْمِسْكُ بِدَلِّ الطِّينِ .

﴿ فَلْيَتَنَافَسِ ﴾ : فَلْيَتَسَارَعْ أَوْ فَلْيَسْتَبِقْ .

﴿ مِزَاجُهُ ﴾ : مَا يُمَزَّجُ بِهِ وَيَخْلَطُ .

﴿ تَسْنِيمٍ ﴾ : عَيْنٌ غَالِيَةٌ شَرَابُهَا أَشْرَفُ .

﴿ يَشْرَبُ مِنْهَا ﴾ : يَشْرَبُ مِنْهَا .

﴿ يَتَقَامِرُونَ ﴾ : يُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْأَعْيُنِ اسْتِهْزَاءً .

﴿ فَكَيْهِنَ ﴾ : مَتَلَذِّذِينَ بِاسْتِخْفَافِهِم بِالْمُؤْمِنِينَ .

﴿ ثُوبَ الْكَفَّارِ ﴾ : جُوزُوا بِسُخْرِيَتِهِم بِالْمُؤْمِنِينَ اهـ .

﴿ وكذلك أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ * وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ * يَوْمٌ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنَّهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ ﴿١﴾ .

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين ، أي كثير شاهدوه ، فالجن والإنس والملائكة من يشهدونه . ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ : أي بإذن الله تعالى وهذا في موقف . وقوله تعالى ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ ولا يؤذن لهم فيعتدرون ﴿٢﴾ في موقف آخر . والاستثناء في قوله تعالى ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ إشارة إلى أن الخلود الحالي للسموات والأرض خلود نسبي ينقطع بيوم القيامة أما خلود الجنة والنار فخلود لا ينقطع بما حدث بمشيئة الله بقيام القيامة . (الزفير) إخراج النفس والشهيق رده بصورتين منكرتين ﴿ غير مجدود ﴾ أي غير مقطوع . وقد وجَّه الدكتور سعيد رمضان البوطي الاستثناء ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ الوارد في أهل الجنة والنار توجيهاً آخر فقال في كتابه : « كبري اليقينيات الكونية » عند هذه الآية : « إن الاستثناء إنما هو من قوله : ﴿ شقوا ﴾ و ﴿ سعدوا ﴾ أي : جميع الأشقياء خالدون في النار إلا من شاء الله منهم ألا يخلد فيها ، وهم العصاة من أهل الإيمان والتوحيد ، كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة الأخرى . وجميع أهل السعادة خالدون في الجنة إلا ما شاء الله منهم أن يعذب في النار إلى أمد قبل ذلك ، وهم أولئك الذين غرت حياتهم بالمعاصي والأوزار من المؤمنين ، ولم تكتب

لهم الشفاعة أولاً . وإنما لم يأت الاستثناء بصيغة إلا من شاء الله ، لأن المراد من المستثنى منه العدد المجرد ، وذلك كقوله تعالى ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ فقد عبر عن النساء « بما » لملاحظة العدد . اهـ .

﴿ إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم * فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) .

كما يزوج أهل الجنة من الحور العين فإن لهم زوجاتهم من أهل الدنيا ، فليس في الجنة أعزب ولا عزباء والمزوجات من أهل الدنيا يكنن أجمل في أعين أزواجهن من الحور العين على جملهن .

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ (٢) .

هناك ناس يريدون العلو لأنفسهم - لا في سبيل الله - ولا يريدون فساداً ، وهناك ناس يريدون الفساد مع العلو وهناك ناس يريدون الفساد بلا علو ، والذين ينالون رضوان الله هم الذين لا يريدون علواً ولا فساداً وإنما يريدون العلو لكلمة الله بأنفسهم أو بغيرهم مع الإخلاص لله تعالى ومع البعد عن الفساد والإفساد .

﴿ فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاتوا قرأوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (٣) .

﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده

(١) القصص : ٨٢ .

(١) الدخان : ٥١ - ٥٧ .

(٢) الحاقة : ١٩ - ٢٤ .

وأورثنا الأرض نَتَّبِوْا من الجنة حيثُ نشاءُ فنعم أجرُ العاملين ﴿١﴾ .

﴿ زمراً ﴾ جمع زمرة والمراد بها الجماعة ، وإنما يساقون إلى الجنة زمراً للإسراع بهم ولأن أهل الجنة يتفاوتون في الدرجات فأهل كل درجة يساقون مع بعضهم وقول الملائكة : ﴿ سلام عليكم ﴾ أي لا يعتریکم بعدُ مكروه . ﴿ طبتم ﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي وهذا يدل على أن أهل الجنة لا يدخلونها إلا بعد أن ينقوا تنقية كاملة ظاهراً وباطناً ، ومن آثامهم وظلمهم . ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ ذهب بعضهم إلى أن المراد بالأرض هنا أرض الجنة وحملها بعضهم على التبدل الذي يطراً على الأرض فتكون به خبزة يأكلها أهل الجنة فتكون لهم وراثۃ الأرض خالصة بلا منازع .

﴿ وترى الملائكة حافّين من حول العرشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وترى الملائكة ﴾ أي أيها الداخل إلى الجنة ﴿ حافّين ﴾ أي محذّين ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بين الخلق بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار والضير في ﴿ قيل ﴾ يعود على الملائكة أو على أهل الجنة .

﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصّالحاتِ لَنُنَبِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٣) .

﴿ لكنّ الذين اتّقوا ربّهم لهم غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٤) .

﴿ إن المتّقين في جنّاتٍ وعيون * ءاخذين ما آتاهم ربّهم إنّهم كانوا قبل ذلك مُحْسِنِينَ * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعّون * وبالأَسْحَارِ هم يستغفرون * وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم ﴾ (٥) .

(١) الزمر : ٧٥ .

(٢) الزمر : ٢٠ .

(١) الزمر : ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) النكبات : ٥٨ .

(٥) الذاريات : ١٥ - ١٩ .

١٣٦٧

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٢) .

﴿ الْحَسَنَىٰ ﴾ أي الجنة ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ أي النظر إلى وجه الله الكريم ﴿ وَلَا يَرْهَقُ ﴾ أي ولا يغشى . ﴿ قَتَرٌ ﴾ غبرة فيها سواد .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ^(٣) .

نزع الغل من قلوب المؤمنين يكون قبل إدخالهم الجنة .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَا دِهَاقًا * لَا يَمْعُونَ فِيهَا بُغْيًا وَلَا كِبَازًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا * رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ ^(٤) .

(المفاز) : فوز وظفر بكل محبوب . (الكواعب) : هن نساء الجنة وهن النسوة اللواتي لهن نهود مستديرة بأجل ما يكون من الأحجام . (الأتراب) : المتساويات في السن .

﴿ الرُّوح ﴾ : إما جبريل وإما الملك الموكل بالأرواح أو خلق عظيم أعظم من الملائكة وإذا كانت الملائكة والروح على جلالة قدرهم يقفون مصطفين ولا يتكلمون إلا بعد إذن ويشترط أن يكون الكلام صوابًا فهذا يدل على جلالة الموقف وقوة الانضباط فيه . ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ : قيل في تفسيرها إن ذلك يقوله الكافر بعد أن

(١) يونس : ٩ ، ١٠ .

(٢) النبأ : ٣١ - ٤٠ .

(٣) يونس : ٩ ، ١٠ .

(٤) الحجر : ٤٥ - ٤٨ .

يرى أن الحيوانات أصبحت ترابًا بأمر الله بعد أن يقتص من بعضها لبعض فيتنى أن لو كان ماله كذلك وقيل غير ذلك .

﴿ إن المتقين في جنّات ونعيم * فأكيهن بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم *
كلّوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تفعّلون * متكئين فيها على مَرَرٍ مَصْفُوفَةٍ وزوّجناهم بحور
عين * والذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم وما ألتناهم من عملهم من
شيء كلّ امرئ بما كسّب رهين * وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها
كأسًا لا لغو فيها ولا تأثيم * يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون * وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون * قالوا إنّنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب
السموم * إنّنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البرّ الرحيم ﴾ ^(١) .

﴿ عين ﴾ جمع عينا وهي ذات العين الواسعة الجميلة . ﴿ ألحقنا بهم ذريّتهم ﴾ أي في
دخول الجنة والدرجة بشرط وجود الإيمان وهذا يدل على أن صلاح الآباء ينفع الأبناء إذا
كانوا مؤمنين . ﴿ وما ألتناهم ﴾ أي وما أقتصناهم . ﴿ رهين ﴾ أي مرهون عند الله فلا يفكه
إلا بإيمانه وعمله الصالح . ﴿ يتنازعون فيها ﴾ يتجادبون . ﴿ كأسًا ﴾ خمرًا . ﴿ لا لغو
فيها ﴾ لا كلام ساقط . ﴿ ولا تأثيم ﴾ ولا فعل يوجب الإثم على خلاف خمر الدنيا التي
يرافقها اللغو والإثم . ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون . ﴿ عذاب السموم ﴾ نار جهنم النافذة من
المسام .

﴿ وجوه يؤمّنون ناعمة ﴾ لسعيها راضية * في جنّة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين
جارية * فيها مَرَرٌ مَرْفُوعَةٌ * وأكوابٌ موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزراري
مَبْثُوثَةٌ ﴾ ^(٢) .

(النمارق المصفوفة) : الوسائد والمرافق يُتَكَأُ عليها موضوع بعضها إلى جنب بعض .
(الزراري المَبْثُوثَة) : البسط الفاخرة المفرقة في المجالس .

﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم

جَنَاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١﴾ .

﴿ الْأَرَائِكِ ﴾ جمع أريكة وهي ما يُتَكأ عليه ويراد به هنا - والله أعلم - السرر التي عليها الأرائك .

﴿ وَإِن لِّلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ جَنَاتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعندهم قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِن هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٢﴾ .

﴿ إِن هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ أي ما له من انقطاع وفناء .

﴿ جَنَاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تلك الجنة التي تُورث من عبادنا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٣﴾ .

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ : فسرهما بعضهم بأن المراد بذلك الدَّيْمُومَةُ فلا صباحَ ومساءً في الجنة ، وفسرها بعضهم بأن ذلك جرى على عادة أهل الرفاه في الدنيا وذلك عدا ما يشتهونه فهو موفر لهم في كل حال .

﴿ جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ وقالوا الحمد لله الذي أذهبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الذي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٤﴾ .

﴿ الْحَزْنَ ﴾ : كل ما يحزن ويغم . (النصب) : التعب والمشقة . (اللغوب) : الإعياء من التعب والفتور .

﴿ قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴾ لهم فيها ما

(٢) ص : ٤٩ - ٥٤ .

(٤) فاطر : ٢٣ ، ٢٥ .

(١) الكهف : ٣٠ - ٣١ .

(٣) مريم : ٦١ - ٦٣ .

يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١﴾ .

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ * هم وأزواجهم في ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلامٌ قولاً من ربِّ رَحِيمٍ ﴾ (٢) .

﴿ شُغْلٌ ﴾ : نعيم عظيم يلهمهم عما سواه . ﴿ فَاكِهُونَ ﴾ : متلذذون أو فرحون . ﴿ ما يدعون ﴾ : أي ما يتنون أو يطلبون . وقال البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ فِي شُغْلٍ ﴾ : إنه أ هم (الشغل) تعظيماً لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيهاً على أنه أعلى ما يحيط الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام اهـ .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِیُونَ * وفواكة ما يشتهون * كُلُوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا لِيَقْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌّ ﴾ (٤) .

﴿ وَذِلَّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدْدَةً * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وما أدراك ما الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِئَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ (٥) .

﴿ وَذِلَّ ﴾ : عذابٌ أو هلاكٌ أو وادٍ في جهنم .

﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ : طعانٌ غَيَابٍ غَيَابٍ لِلنَّاسِ .

﴿ عَدْدَةً ﴾ : أحصاه . أو أعدّه للنوائب .

﴿ أَخْلَدَهُ ﴾ : يُخْلَدُهُ فِي الدُّنْيَا .

(٢) يس : ٥٥ - ٥٨ .

(٤) المائدة : ٣٦ - ٣٧ .

(١) الفرقان : ١٥ - ١٦ .

(٣) الرسلات : ٤١ - ٤٥ .

(٥) المزنة : ١ - ٩ .

﴿ لِيُنْبِتَنَّ ﴾ : لِيُطْرَحَنَّ .

﴿ الحَطْمَةُ ﴾ : جهنم . لِحَطْمِهَا كُلُّ مَا يُلْقَى فِيهَا .

﴿ تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ﴾ : تَغْشَى حَرَارَتُهَا أَوْسَاطَ الْقُلُوبِ .

﴿ مُوصَدَّةٌ ﴾ : مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ أَبْوَابُهَا .

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ : بِأَعْدَةِ مَمْدُودَةٍ عَلَى أَبْوَابِهَا .

وهذا وصف يؤكد أن جهنم سجن ولكنه ليس كسجون الدنيا .

﴿ تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ : مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ *

وامرأته حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴿^(١)﴾ .

﴿ تَبَّتْ ﴾ : هَلَكَتْ أَوْ خَسِرَتْ أَوْ خَابَتْ .

﴿ وَتَبَّ ﴾ : وَقَدْ هَلَكَ أَوْ خَسِرَ أَوْ خَابَ .

﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ ﴾ : مَا دَفَعَ التَّيَّابَ عَنْهُ .

﴿ مَا كَسَبَ ﴾ : الَّذِي كَسَبَ بِنَفْسِهِ .

﴿ سَيَصْلَى نَارًا ﴾ : سَيَدْخُلُهَا أَوْ يَقَاسِي حَرَّهَا .

﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ : فِي عُنُقِهَا .

﴿ مِنْ مَسَدٍ ﴾ : مِمَّا يُقْتَلُ قَوِيًّا مِنْ الْحَيَاتِ .

قال البيضاوي ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ أي حبل من نار اهـ .

أقول : والذين فسروه بأنه حبل من ليف أخذوه على معناه في الدنيا ولا غرابة فالنار فيها شجر الزقوم فحال الآخرة غير حال الدنيا فإذا احترق الشجر والليف في نار الدنيا فإن لنار الآخرة خصائصها ، وعلى كل الأحوال فإن النص يفيد الإذلال والمهانة على ما كانت

تفعله في الدنيا .

﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١) .

﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمْ ﴾ هذان فوجان اختصموا في الله : وهم المؤمنون والكافرون وقد ذكر الله عز وجل ما أعد للكافرين الذين يخاصمون المؤمنين في الله فقد قدرت لهم على مقادير جثثهم ثياب من النار تحيط بهم إحاطة الثياب ، وهل المراد بذلك أن النار التي تحيط بهم هي الثياب أو أن لهم ثياباً من نار زينة على نار جهنم ؟ النص يحتمل هذا وهذا . والحجم للماء الحار . ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط من حديد يجلدون بها .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٢) .

أي في الطبقة التي في قعر جهنم لأنهم أخبث الكفرة فقد ضلوا إلى الكفر استهزاءً بالله وخداعاً للمسلمين .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ العفاف ﴿ الْغَافِلَاتِ ﴾ عما قُذِفَ به المؤمنات بالله ورسوله ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ هَؤُلَاءِ ﴾ أي يقذفونهن بالزنا . وقد قيل إن الوعيد المذكور في النص في حق المنافقين الذين قذفوا عائشة رضي الله عنها وقيل إنه في حق كل قاذف ما لم يتب وتقبل توبته ويعف أصحاب الحقوق عن حقوقهم وما أشد هذا الوعيد في حق كل من يقذف أعراض المؤمنين والمؤمنات .

(٢) النساء : ١٤٥ .

(١) الحج : ١٩ - ٢٢ .

(٣) النور : ٢٢ - ٢٥ .

﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَئِنَّا كُنَّا ثَرَابًا أَتَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

﴿ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ أي يُسحبون بها في النار .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢) .

أي يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى أو يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه
للعذاب كما قال ﴿ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ أي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدًا آخر
والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية .

أقول : من أقوال علماء التشريح في عصرنا أن أشد أنواع الأعصاب حساسية بالألم هي
أعصاب الجلود ، فالآية فيها معجزة علمية من معجزات القرآن .

﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا
لَا يَرْكَعُونَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

دل النص على أن أهل النار يأكلون ويتمتعون في الدنيا وهم غافلون عن الله ، وما كلفهم
به ، وبذلك استحقوا ما استحقوه من العذاب .

﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ
يُخْمَسُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا أَنْفُسَكُمْ
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٤) .

هذا الوعيد لمن لا يؤدي حق الله في ماله فإنه يعذب به في نار جهنم ، وهناك العذاب
في الموقف بوطء الأنعام لمن لم يؤدي زكاتها في الدنيا كما ورد في حديث صحيح سنورده في
جزء الزكاة .

(٢) النساء : ٥٦ .

(٤) التوبة : ٣٤ - ٣٥ .

(١) الرعد : ٥ .

(٣) للرسالات : ٤٦ - ٥٠ .

﴿ إِنَّ الْجَرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُثُونَ ﴿١﴾ .

﴿ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ ﴾ لَا يَخْفَعُ عَنْهُمْ . ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسُونَ مِنَ النِّجَاةِ . وَ ﴿ مَالِك ﴾ هُوَ خَازِنُ النَّارِ وَرئيسُ الزَّبَانِيَةِ وَقَوْلُهُمْ ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ أَي لِيَمْتَنَّا فَيَكُونَ الْجَوَابُ ﴿ إِنَّكُمْ مَأْكُثُونَ ﴾ أَي مُقْبِيُونَ أَبَدًا لِاخْلَاصِ مَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْلَةِ عَلَى كُفْرِ الْقَائِلِينَ بِفَنَاءِ النَّارِ .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ يَلْهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لِمَنْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) .

وَرَدَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَنَّ الَّذِي لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ يَطْوِقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِثُعْبَانٍ يَطْوِقُ عُنُقَهُ يَأْخُذُ بِشِدْقَيْهِ وَسِيرَ مَعْنَا الْحَدِيثِ فِي جِزَاءِ الزَّكَاةِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ يَبْخُلُ بِزَكَاةِ الْأَمْوَالِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَأَمْثَالِهَا لَهُ عَذَابُهُ فِي الْحَشْرِ ، وَإِذَا دَخَلَ النَّارَ كَانَ لَهُ عَذَابٌ خَاصٌ بِسَبَبِ مَا كَتَمَ مَا لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ .

﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٣﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) .

﴿ يَشْتَرُونَ ﴾ يَسْتَبَدِّلُونَ . ﴿ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ أَي بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ . ﴿ وَأَيْمَانِهِمْ ﴾ أَي بِمَا أَقْسَمُوا أَنَّهُ لَوْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ الْحَقُّ لَأَمَنُوا بِهِ وَلَنَصَرُوهُ . ﴿ لَا خَلَاقَ ﴾ لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ . ﴿ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أَي : بِمَا يَسْرَهُمْ أَوْ لَا يَكَلِّمُهُمْ أَصْلًا سَخَطًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا

(٢) آل عمران : ١٨٠ .

(٤) آل عمران : ٧٧ .

(١) الزخرف : ٧٤ - ٧٧ .

(٣) الأحزاب : ٦٦ - ٦٨ .

قامت عليهم من الحجج ثم أصرّوا على الكفر . ﴿ ولا ينظر إليهم ﴾ نظرة رحمة .
﴿ ولا يزكّيهم ﴾ أي ولا يشني عليهم جزاء على فعلهم في الدنيا إذ إنهم من حبه للثناء في
الدنيا عرفوا الحق وتركوه إرضاء للناس . وعلى القول بأنه لا يكلمهم أصلاً فإن ذلك محمول
على بعض مواقف يوم القيامة .

﴿ إنّ الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترّون به ثمناً قليلاً أولئك ما
يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب
أليم ﴾ ^(١) .

كما أن من كفر أصلاً له من العذاب ما ذكر في ما قبل هذا النص فإن من يكتم ما أنزل
الله وهو قادر على إظهاره فإن له هذا العذاب الذي ذكرته الآية ، وكذلك من يسأل عن
علم يفترض عليه تعليمه فيكتمه يلجم يوم القيامة بلجام من نار ، وقوله تعالى ﴿ ما يأكلون
في بطونهم إلا النار ﴾ فسرّها البيضاوي بقوله : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ : إما
في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه ، أو في المال أي لا يأكلون يوم
القيامة إلا النار في بطونهم ملء بطونهم اهـ .

﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات
والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين *
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يَنْظُرُونَ * إلا الذين تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ ^(٢) .

هناك ناس يرتدون ولا أمل في رجوعهم إلى الإسلام لأنهم ارتدوا بعد قيام الحجة كاملة
عليهم ، فهؤلاء ينفي الله أن يكونوا محل هدايته مرة أخرى وهؤلاء يستأهلون اللعنة من
الله والملائكة والمؤمنين ومن الناس أجمعين في الدنيا وفي الآخرة ، وهناك ناس يرتدون ثم
يرجعون فيتوبون ويصلحون فهؤلاء يعدم الله عز وجل مغفرة منه ورحمة .

﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ ثم إنهم لصالو الجحيم * ثم يقال هذا الذي

كنتم به تكذبون ﴿^(١)﴾ .

﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ : أي إنهم لا يرون الله عز وجل لا في عرصات القيامة ولا بعد دخولهم النار فهم محرومون من هذه الرؤية على خلاف المؤمنين الذين يرون ربهم في عرصات القيامة ويرونه بعد أن يدخلوا الجنة .

﴿ فاتقوا النارَ التي ولَّوْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ والطور ﴾ وكتاب مسطور ﴿ في رق منشور ﴾ والبيت المعمور ﴿ والسقف المرفوع ﴾ والبحر المسجور ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ ماله من دافع ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ وتسير الجبال سيرا ﴿ فويل يومئذ للكذابين ﴾ الذين هم في خوض يلعبون ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دثما ﴾ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم إننا نجزون ما كنتم تعملون ﴿ ^(٣) .

﴿ والطور ﴾ قسم بجبل طور سيناء الذي كلم الله عنده موسى . ﴿ وكتاب مسطور ﴾ مكتوب على وجه الانتظام والمراد به القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿ في رق ﴾ ما يكتب فيه جلدا أو غيره ﴿ منشور ﴾ مبسوط غير مختوم عليه وقد استعير للكتاب المراد في الآية السابقة ﴿ البيت المعمور ﴾ إما كعبة الأرض وإما كعبة السماء وهي في السماء الرابعة والمراد بعمارها كثرة قاصديها للعبادة ﴿ والسقف المرفوع ﴾ السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ المؤبد نارا يوم القيامة ﴿ إن عذاب ﴾ جواب القسم بما سبق ﴿ تمور السماء ﴾ تضطرب وتدور كالرحى وذلك بين يدي طيها كطي السجل ﴿ فويل ﴾ هلاك أو حسرة أو شدة عذاب ﴿ خوض ﴾ اندفاع في الأباطيل والأكاذيب ﴿ يدعون ﴾ يدعون بعنف وشدة ﴿ اصلوها ﴾ اذخلوها أو قاسوا حرها .

﴿ إن جهنم كانت مرصادا ﴾ للملأين مآبا ﴿ لاثنين فيها أحقابا ﴾ لا يتوقفون فيها برذا ولا شرابا ﴿ إلا حميما وغاساقا ﴾ جزاء وفاقا ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا ﴾ وكذبوا

(٢) البقرة : ٢٤ .

(١) المطففين : ١٥ - ١٧ .

(٣) الطور : ١ - ١٦ .

بآياتنا كذابا * وكل شيء أحصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴿^(١)﴾ .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ : مَوْضِعٌ تَرَصَّدُ وَتَرْقُبُ لِلْكَافِرِينَ .

﴿ لِلطَّاغِينَ مَنَآبَا ﴾ : مَرَجِعًا وَمَأْوَى لَهُمْ .

﴿ أَحْقَابًا ﴾ : دَهْرًا مُتَتَابِعَةً لَا نِهَآيَةَ لَهَا .

﴿ بَرْدًا ﴾ : نَوْمًا أَوْ رَوْحًا مِنْ حَرِّ النَّارِ .

﴿ حَمِيمًا ﴾ : مَاءً بَالِقًا نِهَآيَةَ الْحَرَارَةِ .

﴿ غَسَاقًا ﴾ : صَدِيدًا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِهِمْ .

﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ : جَزَائِنَاهُمْ جَزَاءً مُوَافِقًا لِأَعْمَالِهِمْ .

﴿ كَذَابًا ﴾ : تَكْذِيبًا شَدِيدًا .

﴿ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ : حَقِّقْنَاهُ وَضَبَطْنَاهُ مَكْتُوبًا إِمَّا فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ فِي صَحْفِ الْحَفِظَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَنْسَخُ عَنْ صَحْفِ الْمَلَائِكَةِ وَقَدْ كَفَرُ قَوْمٌ بِفَهْمِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا بَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ إِذْ وَهَوَا فُظِنُوا أَنَّ النَّارَ تَنْفَى فِي النِّهَآيَةِ وَهِيَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ وَالنُّصُوصِ الْحِكْمَةِ الْقَطْعِيَّةِ ، وَلِلْمَرَادِ ﴿ لَا بَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿ فَنَآكَ أَحْقَابَ ﴾ يَكُونُ هَذَا عَذَابُهُمْ ثُمَّ تَأْتِي أَحْقَابُ أُخْرَى فَيُجْمَعُ إِلَى هَذَا الْعَذَابِ عَذَابٌ آخَرُ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أَوْ أَنَّ الْمَرَادَ أَنَّهُ كَلِمَا انْتَهَى حَقْبٌ جَاءَ حَقْبٌ آخَرُ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ .

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٢) .

﴿ حَصِيرًا ﴾ أَي سَجَنًا يَحْصِرُونَ فِيهِ وَبَعْضُهُمْ فُسِّرَ بِأَنَّ الْمَرَادَ فِيهَا أَنَّهَا فِرَاشٌ وَمِهَادٌ لَهُمْ وَهَذَا لَا يَنْفِي كَوْنَهَا سَجَنًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(١) .

قوله تعالى ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أي تغشاهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم ققطاً من الليل مظلماً ﴾ أي لفرط سوادها وظلمتها والسواد يصيب الكافرين في الحشر وفي النار وهو في النار أشد .

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ ^(٢) .

قال البيضاوي : لها سبعة أبواب : يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، ﴿ لكل باب منهم ﴾ من الأتباع ﴿ جزء مقسوم ﴾ أفرز له ، فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للجوس والسادس للمشركين والسابع للمناققين . اهـ .

أقول : هذا اتجاه للعلماء فهموه استقراءً وأما الجنة فلها ثمانية أبواب كما ورد في نصوص كثيرة .

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سَوَاءَ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ : ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ^(٣) .

من عادة الناس في الدنيا أنهم يحمون وجوههم بأيديهم أما في النار فإنهم يحمون أنفسهم بوجوههم ، قال البيضاوي (﴿ أفمن يتقي بوجهه ﴾ أي يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولاً يده إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه) اهـ .

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنَ

فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴿١﴾ .

﴿ لهيطة بالكافرين ﴾ أي ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالحيطه بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها . ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ أي من جميع جوانبهم ﴿ ويقول ﴾ أي الله أو الملائكة بأمر الله ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاءه .

﴿ وسيقّ الذين كفّروا إلى جهنّم زمراً حتى إذا جاءوها فطحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ (٢) .

﴿ ولو ترى إذ فرّعوا فلا قوتٍ وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد * وقد كفروا به من قبلُ ويَقْذِفُونَ بالغيب من مكان بعيد * وحيلَ بينهم وبين ما يشتهون كما فعلَ بأشياءهم من قبلُ إنهم كانوا في شكٍ مريبٍ ﴾ (٣) .

﴿ فرّعوا ﴾ خافوا عند الموت أو البعث . ﴿ فلا قوت ﴾ فلا مهرب ولا نجاة من العذاب . ﴿ مكان قريب ﴾ موقف الحساب . ﴿ التناوش ﴾ تناول الإيمان والتوبة . ﴿ مكان بعيد ﴾ هو الآخرة . ﴿ يقذفون بالغيب ﴾ يرجون بالظنون . ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ يمكن أن يراد أن مما يمدبون به أن يحال بينهم وبين شهواتهم ويمكن أن يراد به أنهم يشتهون الإيمان والعمل الصالح لينجوا بذلك من النار وقد حيل بينهم وبينه لأن عمل ذلك الدنيا . ﴿ بأشياءهم ﴾ بأمثالهم من الكفار . ﴿ مريب ﴾ موقع في الريبة والقلق .

﴿ هل أتاك حديث الغاشية * وجوة يومئذٍ خاشعة * عاملة ناصية * تصلّى ناراً حامية * تُسقى من عينٍ أنية * ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يُؤمن ولا يُغني من جوع ﴾ (٤) .

(٢) الزمر : ٧١ - ٧٢ .

(١) النكبات : ٥٤ - ٥٥ .

(٤) الغاشية : ١ - ٧ .

(٣) سبأ : ٥١ - ٥٤ .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح للمفردات ما يلي :

﴿ الفَاشِيَةِ ﴾ : الْقِيَامَةُ تَغْشَى النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا .

﴿ خَاشِعَةً ﴾ : دَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ مِنَ الْخِزْيِ .

﴿ عَامِلَةٌ ﴾ : تَجَرُّ السَّلَاسِلَ وَالْأَغْلَالَ فِي النَّارِ .

﴿ نَاصِبَةٌ ﴾ : تَعِبَةٌ مِمَّا تَلَاقِيهِ فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ .

﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾ : تَدَخَّلَ أَوْ تَقَاسَى نَارًا تَنْهَى حَرَّهَا .

﴿ عَيْنِ آنِيَةٍ ﴾ : بَلَغَتْ أَنَاهَا (غَايَتَهَا) فِي الْحَرَارَةِ .

﴿ ضَرِيعٍ ﴾ : شَيْءٍ فِي النَّارِ ، كَالشُّوكِ مَرْمُتَيْنِ .

﴿ لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ : لَا يَذْقَعُ عَنْهُمْ جُوعًا . اهـ .

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمَبِينُ ﴾ لهم من فوقهم ظُلٌّ مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿ (١) .

﴿ الْخَاسِرِينَ ﴾ الْكَامِلِينَ فِي الْخَسِرَانِ . ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بِالضَّلَالِ وَأَهْلِيَهُمْ بِالْإِضْلَالِ . ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ ﴾ أَيِ أَطْبَاقٍ مِنَ النَّارِ . ﴿ وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلٌّ ﴾ سُمِّيَ مَا تَحْتَهُمْ ظُلًّا لِأَنَّهُ أَطْبَاقٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ تَحْتَهُمْ .

﴿ إِنْ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ يَوْمٌ لَا يُغْنِي مَوَلًى عَنْ مَوَلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطْنِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاغْتَلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿ (٢) .

﴿ يَوْمَ الْفُصْلِ ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ . ﴿ شَجَرَتِ الزَّقُّومِ ﴾ مِنْ أَخْبَثِ الشَّجَرِ تَنْبَتِ

(١) الزمر : ١٥ - ١٦ .

(٢) الدخان : ٤٠ - ٥٠ .

في النار ، قال عنها ربنا : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ فإنهم لا يكون منها فالتون منها البطون ﴾ ثم إن لهم عليها لشؤبا من حمير ﴾ ^(١) . ﴿ كالمهل ﴾ كالمدن المذاب . ﴿ فاعتلوه ﴾ فجروه بعنف وقهر . ﴿ سواء الجحيم ﴾ وسط النار . ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ يدل على أن لائمة الكفر عذابا أشد من عذاب غيرهم فقرم وسط الجحيم ﴿ به تمرون ﴾ تجادلون وتمازون .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ^(٢) .

فسر بعضهم السرادق هنا بما يحيط بالبيت ، وفسرها بعضهم بالجدار وقد وردت نصوص في كثافة وعرض جدران النار ستر معنا . ﴿ كالمهل ﴾ كالمدن المذاب . ﴿ ساءت مرتفقا ﴾ ساءت مكانا يقر فيه الإنسان ويسكنه وكأنه عل ارتفاعا وهذا شأنه في الهول والعذاب .

﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ﴾ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ ^(٣) .

﴿ استفتحوا ﴾ أي استنصر الرسل بالله على الظالمين . ﴿ خاب كل جبار ﴾ خسر وهلك كل متعظم متكبر . ﴿ عنيد ﴾ معاند للحق بجانب له . ﴿ من ورائه ﴾ أي أمامه أو من وراء حياته . ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ أي ما يسيل من جلود أهل النار . ﴿ يتجرعه ﴾ يتكلف بلعه لحرارته ومرارته . ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ أي لا يكاد يبتلعه لشدة كراهيته وتنته . ﴿ ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ أي أمامه في كل وقت يستقبل عذابا أشد مما هو فيه وقيل هو الخلود في النار .

﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ﴾ وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحتنا غير الذي كنا

(٢) الكهف : ٢٩ .

(١) الصافات : ٦٤ - ٦٧ .

(٣) إبراهيم : ١٥ - ١٧ .

نعمل أَوْ لَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ
نَصِيرٌ ﴿١﴾ .

﴿ وَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ . رد على من كفر بقوله إن عذاب أهل النار ينقلب
عليهم عذوبة فيتلذذون به وهذا من الكفر الذي اشتهر وانتشر في بعض الدوائر .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ . إذا رأتهم من مكان بعيد
سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وإذا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا .
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿٢﴾ .

﴿ إذا رأتهم ﴾ أي إذا كانت بمرأى منهم وكانوا على مرأى منها . ﴿ من مكان بعيد ﴾
وهو أقصى ما يمكن أن ترى منه . ﴿ سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا ﴾ سمعوا لها - على بعد المكان -
تغيظًا وزفيرًا أي صوت تغيظ ، شبه صوت غليانها بصوت المغتاض وزفيره وهو صوت يسمع
من جوفه . ﴿ وإذا ألقوا منها مكانًا ﴾ أي في مكان . ﴿ ضيقًا ﴾ وذلك لزيادة عذابهم
فكلما ضاق المكان على الإنسان كان ذلك أشد في عذابه . ﴿ دعوا هنالك ﴾ ينادون في ذلك
المكان . ﴿ ثبورًا ﴾ الثبور الهلاك ، أي يطلبون الهلاك ولا يجدونه .

﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَمْجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْتَى يُصْرَفُونَ ﴾ . الذين كذبوا بالكتاب وبما
أرسلنا به رُسُلُنَا فُسُوفَ يَغْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ
ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْجَرُونَ ﴿٣﴾ .

﴿ أنى يصرفون ﴾ : كيف يُصْرَفُونَ عن الآيات مع صدقها ووضوحها . ﴿ الأغلال ﴾
القيود ، تجمع الأيدي إلى الأعناق ، ومع الأغلال فإن هناك سلاسل يلفون بها ويسحبون بها
زيادة في الإهانة والعذاب . ﴿ الحميم ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة . ﴿ يسجرون ﴾ أي
يحرقون فتزداد النار بهم إيقادًا . قال تعالى : ﴿ وَقَوَّدهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ ﴾ .

ونختم هذه المشاهد بذكر وصف الكافرين في الدنيا ومواقفهم من الحق فاستحقوا بذلك

ما استحقوا :

﴿ لقد حَقَّ القولُ على أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ . وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفهم سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ لقد حَقَّ القولُ على أَكْثَرِهِمْ ﴾ أي قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ أي غير مرئية حيث لاتغني عنهم الآيات والنذر ﴿ فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾ أي الأغلال واصله إلى أذقانهم فلا تخلّهم يطأطئون رؤوسهم . ﴿ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ أي رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له . ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفهم سَدًّا ﴾ أي أحاط بهم سدان من أمامهم ومن خلفهم فإن نظروا أمامهم لا يبصرون وإن نظروا خلفهم لا يبصرون وإن نظروا إلى المستقبل لا يبصرون وإن نظروا إلى ماضيهم لا يعتبرون وإن نظروا إلى ماضي الأمم لا يعتبرون . ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أي ألبسنا أبصارهم وبصائرهم غشاوة - فاحد الله يا أخي على أن كنت من أهل الإسلام ولم تكن من هؤلاء الذين تراه واقعا يتحرك .

٣ - نصوص حديثية في النار

١٣٠٣ - * روى أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » .

١٣٠٤ - * روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَتَذَرُونَ مَثَلَ نَارِكُمْ هذه من نار جهنم هي أشد من دُخانِ نارِكُمْ هذه بسبعين ضعفاً » .

١٣٠٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « نَارِكُمْ هذه التي توقدون : جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » ، قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله ، قال : « فإنها فضلتُ عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلها مثل حرّها » .

أقول :

نحن نعلم أن نار الدنيا ليست واحدة في الحرارة فهناك نار في الدنيا هي جزء من مائة جزء من نار جهنم وهناك نار في الدنيا هي جزء من سبعين جزءاً .

١٣٠٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كُنَّا مع رسول الله ﷺ ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً ، فَقَالَ : « أَتَذَرُونَ مَا هَذَا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذا

١٣٠٣ - أحمد (٢ / ٣٧٩) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢٨٧) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٤ - جمع الزوائد (١٠ / ٢٨٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٥ - البخاري (٦ / ٣٣٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٠ - باب صفة النار .

مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - في شدة حر نار جهنم .

والترمذي (٤ / ٧٠٩) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٧ - باب ما جاء في صفة جهنم .

واللوط (٢ / ٩٩٤) ٥٧ - كتاب جهنم ، ١ - باب ما جاء في صفة جهنم .

وليس في اللوط « كلها مثل حرها » .

١٣٠٦ - مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .

(وَجْبَةٌ) : الوجبة : صوت وقع الشيء .

١٣٨٥

حَجَرَ رُمِيَّ بِهِ فِي النَّارِ مِنْ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَيْثُ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا » زَادَ فِي رِوَايَةِ (١) : « فَسَمِعْتُمْ وَجِبْتَهَا » .

أقول :

هذا النص يدل على أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسمعون شيئاً من أمر الغيب .

١٣٠٧ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنَّ رِضَاةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُنْحَةِ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ - وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمِيسَةِ سَنَةٍ - لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسَلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا ، أَوْ قَعْرَهَا » .

وفي كتاب الترمذي المطبوع لو أن رِضَاةً - بالضاد المعجمة - والرضاة فتات الشيء وفي شرح السنة : لو أن رِضَاةً والرِّضَاض : الحصى الصغار .

قال محقق الجامع : وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا إسناده حسن صحيح .

وحسن إسناده أيضاً الشيخ شعيب في شرح السنة ١٥ / ٢٤٩ لكن ضعفه بعضهم ، وظني أن ذلك لوجود درّاج أبي السمح إذ قال عنه ابن حجر في التقريب : (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ، ضعيف) ا . ه .

لكن الناظر في ترجمته في التهذيب يرى أنه وجد من وثقه ومن ضعفه وها أنذا أثقل ما قيل فيه :

« قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : حديثه منكر ، وقال أبو داود لما سئل عنه : سمعت أحد يقول : الشأن في دراج ، وقال عثمان الدارمي عن ابن معين : ثقة ، قال عثمان : دراج ومشرح بن همام ليسا بكل ذاك ، وها صدوقان . وقال الدوري عن ابن معين : دراج

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٥) في الكتاب والباب السابقين .

١٣٠٧ - الترمذي (٤ / ٧٠٩) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٦ - باب حدثنا سويد ... إلخ .

ثقة ، وأبو الهيثم ثقة ، وقال الآجری عن أبي داود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال في موضع آخر : منكر الحديث . وقال أبو حاتم في حديثه ضعف ، وقال الدارقطني : ضعيف . وقال في موضع آخر : متروك . وقال فضلك الرازي لما ذكر له أن ابن معين قال دراج ثقة ؛ فقال : ليس بثقة ولا كرامة . وقال ابن عدي : عامة الأحاديث التي أُمليتها عن دراج مما لا يتابع عليه ، وما ينكر من حديثه : صدق الرؤيا بالأسحار ، والشتاء ربيع المؤمن ، والشباع حرام ، وأكثروا من ذكر الله حتى يقال : مجنون ، ولا حلیم إلا ذو عثرات . وأرجو أن أحاديثه بعد هذه التي أنكرت عليه لا بأس بها . وقال ابن يونس : كان يقصر بمصر ، يقال توفي سنة (١٢٦) . قلت : وذكره ابن حبان في الثقات في عبد الرحمن ، وذكر أن اسم أبيه السمع وخرج حديثه في صحيحه ، وذكر ابن أبي حاتم عن أحمد بن صالح المصري : دراج لا يعرف اسم أبيه وحكى ابن عدي عن أحمد بن حنبل أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف ، وقال ابن شاهين في الثقات : ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس . اهـ تهذيب التهذيب (٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩) .

أقول : يستأنس بهذا النص أن السموات السبع قريبة نسبياً من الأرض بالنسبة لما نعرفه الآن من أبعاد بين النجوم من جهة وبين المجرات من جهة ، وهذا من جملة الأسباب التي حملتنا على القول بأن السموات السبع مغيبة عنا وأنها من أمر الغيب .

١٣٠٨ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) فقال : « لو أن قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قَطَرَتْ فِي الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ ، فكيف بمن يكون طعامهم ؟ » .

١٣٠٨ - الترمذي (٤ / ٧٠٦) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٤ - باب ما جاء في صفة شراب أهل جهنم .

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

الزُّقُومُ : هو ما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبْعِ ﴾ طلمها كأنه رؤوس الشياطين ﴿ الصافات : ٦٤ ، ٦٥ .

١٣٨٧

١٣٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : ربّ ، أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحرّ ، وأشد ما ترون من الزمهرير » .

وللبخاري ^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ، واشتكت النار إلى ربها ، فأذن لها في كل عام بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحرّ ، وأشد ما تجدون من الزمهرير » .

ولمسلم ^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « قالت النار : ربّ أكل بعضي بعضاً ، فأذن لي أتَنَفَسُ ، فأذن لها بنَفْسَيْنِ : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فما وجدت من برّدٍ أو زمهرير فمن نفس جهنم ، وما وجدت من حرٍّ أو حرور فمن نفس جهنم » .

وفي أخرى ^(٣) له : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان الحرُّ فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم » ، وذكر : « أن النار اشتكت إلى ربها ، فأذن لها في كل عام بنَفْسَيْنِ : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف » .

أقول :

إن أمر النار غيب ومحلها غيب وكيفية تنفسها وتأثيرها على الأرض وأهلها غيب وواجبنا في ذلك كله التسليم لأن أمر الغيب لا يدخل في دائرة البحث المادي ولا يتناقض معه بل يكمله .

١٣٠٩ - البخاري (١٨ / ٢) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .
مسلم (١ / ٤٣١) ٥ - كتاب المساجد ، ٣٢ - باب استحباب الإبراد بالظهر .
(١) البخاري (١٨ / ٢) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٩ - باب في الإبراد بالظهر .
(٢) مسلم (١ / ٤٣٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .
(٣) مسلم (١ / ٤٣٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .

١٣١٠ - * روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أهونَ أهلِ النارِ عذابًا يومَ القيامة : لرجلٌ يوضعُ في أخصَصِ قدميه جمرتان ، يغلي مِنهما دماغه » .

وفي رواية ^(١) : « له نعلان وشراكان من نار يغلي مِنهما دماغه كما يغلي الرجلُ ، ما يرى أن أحداً أشدَّ منه عذاباً ، وإنه لأهونُهُم عذاباً » .

١٣١١ - * روى مسلم عن سَمْرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ منهم مَنْ تأخذه النارُ إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حُجْرَتِهِ ، ومنهم من تأخذه النارُ إلى ترقوته » .

وفي أخرى ^(٢) له : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حُجْرَتِهِ ، ومنهم من تأخذه إلى عُنُقِهِ » .

وفي أخرى ^(٣) مثل الأولى ، وجعل مكان « حُجْرَتِهِ » : « حَقَوَيْهِ » .

١٣١٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الحميمَ لَيَصَبُّ على رؤوسهم ، فينفذُ حتى يخلُصَ إلى جوفه ، فَيَسْلُكُ ما في جوفه حتى يَمُرَّقَ من قدميه - وهو الصَّهْرُ - ثم يَعَادُ كما كان » .

١٣١٠ - البخاري (١١ / ٤١٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٩٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٩١ - باب أهون أهل النار عذاباً .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٣١١ - مسلم (٤ / ٢١٨٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٨٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .

(٣) مسلم : في الموضع السابق .

١٣١٢ - الترمذي (٤ / ٧٠٥) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٤ - باب ما جاء في صفة شراب أهل النار .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(الحميم) : اللّاء الحارُّ للتناهي الحرارة .

(فينفذ) : نفذ ينفذ : إذا خرق وجاز في الشيء .

(فيسلط) : أي : يملق ويستأصل ما في جوفه .

(يمرق) : مرق السهم يمرق : إذا نفذ في الرمية .

(الصَّهْرُ) : الإذابة ، صَهَرَتِ الشحم أَصْهَرَهُ إذا أَذْبَتْه .

١٣١٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ضرس الكافر - أو ناب الكافر - مثل أحد ، وغِلْظُ جلده : مسيرة ثلاث » .

وفي رواية الترمذي ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرسُ الكافر يوم القيامة مثلُ أحدٍ ، وفخذُه مثلُ البيضاء ، ومقعدُه في النارِ مسيرة ثلاثٍ مثلُ الرَبْذَةِ » يعني كما بينها وبين المدينة ، والبيضاء : جبل ، وقيل : مدينة من مدائن المغرب .
وله في أخرى ^(٢) : « ضرسُ الكافر مثلُ أحد » .

وفي أخرى ^(٣) قال : « إن غِلْظَ جلد الكافر : اثنان وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثلُ أحدٍ ، وإنَّ مَجْلِسَهُ من جهنم ما بين مكَّةَ والمدينة » .
أقول : من المعروف في الدنيا أن الأشياء تمتد بالحرارة والظاهر أن جسم الكافر في تمتد دائم بسبب النار ليزداد عذاباً كلما طال مدة مكثه في النار .

١٣١٤ - * روى الطبراني عن سليم بن عامر الكلاعي قال : قلنا للمقدام بن معدي كَرَب الكندي : يا أبا كريمة إن الناس يزعمون أنك لم تر رسول الله ﷺ فقال : بلى والله لقد رأيته ولقد أخذَ بشحمة أُذُنِي هذه وأنا أمشي مع ع م لي ثم قال لعمي : « أتري أنه يذكره » . قلنا يا أبا كريمة حدثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ . قال : سمعته يقول : « يَحْشَرُ ما بين السَّقَطِ إلى الشيخِ الفاني يوم القيامة في خلق آدمَ وقلب أيوبَ وحسن يوسفَ مُرَدًّا مُكْحَلِينَ » فقلنا يا رسول الله فكيف بالكافر قال : « يَغْلِظُ للنار حتى يكونَ غِلْظُ جلده أربعين ذراعاً وقريضةً الناب من أسنانه مثلَ أحدٍ » .

١٣١٣ - مسلم (٤ / ٢١٨٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) الترمذي (٤ / ٧٠٣) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٣ - باب ما جاء في عظم أهل النار .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) الترمذي (٤ / ٧٠٤) : في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٤ / ٧٠٣) : في الموضع السابق .

١٣١٤ - المعجم الكبير (٢٠ / ٢٨٠) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢٣٣) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، وأحدهما حسن .

١٣١٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه ، قال : « ما بين منكبَي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسرِع » . وفي رواية لم يذكر « في النار » .

١٣١٦ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فيتنزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط ، بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل ، حتى ينشئ الله لها خلقا ، فيسكنهم فضل الجنة » .

وفي رواية ^(١) : أن النبي ﷺ قال : « لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فتقول : قط قط وعزتك ، ويترى بعضها إلى بعض » .

أقول : أجمع أهل السنة والجماعة على أن كل ما ورد في حق الله عز وجل من صفات وأوصاف محمول على ما يليق بجلاله وتنزيهه عن مشابهة خلقه ويفضلون التسليم مع التنزيه ولا ينكرون على الراسخين في العلم من أئمة الهدى إذا أولوا بما يجمع بين التنزيه وما تحتمله لغة العرب في الخطاب وبما لا يتناقض مع محكم .

تقول هذا بمناسبة ذكر القدم في النص وقد مرت معنا من قبل نصوص كانت تقتضي منا مثل هذا التعليق فليكن هذا على ذكر من القارئ حيثما ورد وصف قد يحمله الغافل أو الجاهل على ما لا يليق بالله عز وجل مما يتنافى مع التنزيه أي عن مشابهة الله بخلقه .

١٣١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ : انظُرُوا مَنْ »

١٣١٥ - مسلم (٢١٨٩ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

١٣١٦ - البخاري (٣٦٩ / ١٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

مسلم (٢١٨٨ / ٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) مسلم (٢١٨٧ / ٤) : للوضع السابق .

(قط قط) : بمعنى حسي وكفائي .

١٣١٧ - البخاري (٧٢ / ١) ٢ - كتاب الإيمان ، ١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان .

مسلم (١٧٢ / ١) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٢ - باب إثبات الشفاعة .

وجدتم في قلبه مثقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حَمًّا
قد امْتَحِشُوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ - أَوْ الْحَيَا - فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ إِلَى
جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مَلْتَوِيَةٍ ؟ » هذا لفظ مسلم .

وعند البخاري : « فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا » وقال : « من خردلٍ من خير » .

١٣١٨ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« إِنْ قَوْمًا يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا ، إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهُهُمْ ، حَتَّى يَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ » .

وقد جاء في حديث آخر ^(١) : « إِنْ النَّارُ لَا تَأْكُلُ مَوَاضِعَ السُّجُودِ » .

١٣١٩ - * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله
ﷺ : « يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حَمَمًا ، ثُمَّ
تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ ، فَيُخْرِجُونَ ، فَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » ، قال : « فَيَرشُ عَلَيْهِمُ
أَهْلَ الْجَنَّةِ الْمَاءَ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغَنَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » .

١٣٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « تَأْكُلُ النَّارُ
إِنَّ أَدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ » .

١٣١٨ - مسلم (١ / ١٧٨) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أذن أهل الجنة منزلة .

(١) النسائي (٢ / ٢٢٩) - ١٢ - كتاب التطبيق ، ٨١ - باب موضع السجود .

(دارات) : جمع دارة ، وهي ما يحيط بالوجه من جوانبه ، أراد : أن وجوههم لا تأكلها النار ؛ لأنها محل
السجود .

١٣١٩ - الترمذي (٤ / ٧١٣) - ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٠ - باب منه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

١٣٢٠ - البخاري (١٣ / ٤١٩) - ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى ﴿ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ مُنْصَرَّةٌ ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

وابن ماجه (٢ / ١٤٤٦) - ٣٧ - كتاب الزهد ، ٢٨ - باب صفة النار .

واللفظ لابن ماجه .

١٣٩٢

أقول :

هؤلاء الذين يخرجون من النار بعد احتراق ما يحترق منهم هم أهل توحيد ، ومن رحمة الله عز وجل يبعث أهل التوحيد أنه يبيتهم في النار حتى يخرجهم منها فإذا لم يبق في النار إلا كافر فعندئذ يذبح الموت بين الجنة والنار ، وإذا كان أمثال ما ذكرنا مآلهم إلى الجنة فمن باب أولى أهل الأعراف .

١٣٢١ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو وقال : أهل النار يدعون مَالِكًا فلا يُجيبهم أربعين عامًا ثم يقول : إنكم مأكثون ، ثم يدعون رَبِّهم فيقولون : ۞ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۞ فلا يُجيبهم مثل الدنيا ، ثم يقول ۞ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ۞ ثم يياسُ القومُ فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير .

١٣٢٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل : ۞ زدناهم عذابًا فوق العذاب ۞ قال : زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال .

١٣٢٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن سعيد بن جبيرة قال : قالت بنو إسرائيل يا موسى يخلق ربك عز وجل خلقًا ثم يعذبهم ، فأوحى الله إليه : أن ازرع فزرع ، ثم قال احصد فحصد ، ثم قال ذره فذرّاه فاجتمع القماش ، فقال : لأي شيء يصلح هذا ؟ قال : للنار ، قال : فكذلك لا أعذب من خلقي إلا من استأهل النار .

فائدة :

قال ابن كثير في النهاية ذاكراً وجهة النظر التي تذكر أن النار طبقات ولكل طبقة اسم :

١٣٢١ - جمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٢٢ - المعجم الكبير (٩ / ٢٥٨) .

جمع الزوائد (٧ / ٤٨) . وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجاله بعضها رجال الصحيح .

١٣٢٣ - جمع الزوائد (٧ / ٢٠١) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٩٣

قال القرطبي : قال العلماء : « أعلى الدركات جهنم . وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ ، وهي التي تخلق من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية » .

فأما المنافقون : ففي الدرك الأسفل من النار بنص القرآن لا محالة .

قال القرطبي :

« ومن هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها لجللتها ، نحو جهنم ، وسعير ، ولظى . فهذه أعلام ، وليست لباب دون باب » .

وصدق فيما قال ، رضي الله عنه . اهـ (الفتن والملاحم) .

٤ - نصوص حديثية

في ما وصف به أهل الجنة وبعض نعيم أهلها

١٣٢٤ - * روى مسلم عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ ، وَلَا يَيْئَسُ ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » .

١٣٢٥ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، يَنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبَّهُوا فَلَا تَهَرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا » - وفي رواية : تَبْتَئِسُوا - فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَتُؤَدُّونَ أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثَتْهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) .

١٣٢٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » وَاقْرَأُوا إِنَّ شَيْئًا : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ^(٢) .

وفي رواية ^(٣) ، قال أبو هريرة : اقْرَأُوا إِنَّ شَيْئًا : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

وفي أخرى ^(٤) ، قال : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا

١٣٢٤ - مسلم (٤ / ٢١٨١) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب في صفات الجنة وأهلها .

١٣٢٥ - مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ - كتاب الجنة ، ٨ - باب في دوام نعيم أهل الجنة .

والترمذي (٥ / ٣٧٤) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤١ - باب « ومن سورة الزمر » .

(١) الأعراف : ٤٣ .

١٣٢٦ - البخاري (٨ / ٥١٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ... ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثاني .

(٢) السجدة : ١٧ .

(٣) البخاري : للوضع السابق .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الرابع .

عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ذُخْرًا ، بَلَّةٌ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .
وفي رواية ^(١) « من قُرَّاتِ أَعْيُنٍ » .

وللبخاري إلى قوله : « على قلب بشر » ^(٢) ولمسلم نحو الثالثة ، ولم يذكر الآية ، وقال : « بَلَّةٌ مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ » ^(٣) .

قال محقق الجامع : قال البخاري تعليقا : وقال أبو معاوية عن الأعشى عن أبي صالح : قرأ أبو هريرة : قرأت أعين ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « فضائل القرآن » له عن أبي معاوية بهذا الإسناد مثله سواء ، وقال ابن الجوزي في « زاد المسير » ٦ / ٣٤٠ : وقرأ أبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والشعبي ، وقتادة : قرأت أعين ، وقال الحافظ في « الفتح » ٨ / ٣٩٦ : وقال أبو عبيد : ورأيتها في المصحف الذي يقال له : الإمام « قررة » بالهاء على الوحدة ، وهي قراءة أهل الأمصار . اهـ .

١٣٢٧ - * روى مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ ، حَتَّى انْتَهَى ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ : « فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » ، ثُمَّ اقْتَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) .

قال أبو صخر حميد بن زياد : فأخبرت بها محمد بن كعب القرظي ، فقال : أبو حازم حدثك بهذا ؟ قلت : نعم ، قال : إنَّ ثَمَّ لَكَيْسًا كَثِيرًا ، إِنَّهُمْ أَخَفُّوا اللَّهَ عَمَلًا ، فَأَخْفَى اللَّهُ لَهُمْ

(١) ، (٢) البخاري : للوضع السابق .

(٣) مسلم : (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثالث .

١٣٢٧ - مسلم : (٤ / ٢١٧٥) ٥١ - كتاب الجنة الحديث الخامس .

(٢) السجدة : ١٦ ، ١٧ .

(كَيْسًا) : عقلا وفطنة .

ثواباً ، ولو قَدِمُوا عليه أَقَرَّ تلك الأَعْيَنَ .

١٣٢٨ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن موضع سَوَاطِئِ فِي الجنةِ خَيْرٌ مِنَ الدنيا وما فيها » وأقروا إن شئتم ﴿ فمن رُخِزَ
عَنِ النارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاعٌ الغرور ﴾ (١) .

١٣٢٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « لما خَلَقَ اللهُ جنةَ عَدْنٍ
خَلَقَ فيها مالا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر ثم قال لها
تَكلمي فقالت ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ، وفي رواية للطبراني (٢) « خلق الله جنة عَدْنٍ
بيده ودَلَّى فيها ثَمَارَهَا وشَقَّ فيها أَنهارَهَا ثم نَظَرَ فيها فقال لها تَكلمي فقالت :
﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فقال وعزني لا يجاورني فيك بخيلٌ » .

١٣٣٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ جُرْداً مُرْداً مُكْحَلِينَ » .

١٣٣١ - * روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« يَدْخُلُ أَهْلُ الجنةِ جُرْداً مُرْداً مُكْحَلِينَ ، أَبْنَاءُ ثَلَاثِينَ ، أو ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً » .

١٣٣٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « أَهْلُ

١٣٢٨ - الترمذي (٢٣٢ / ٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » .

وقال هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) آل عمران : ١٨٨ .

١٣٢٩ - المعجم الكبير (١١ / ١٨٤) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٦) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأحد إسناده الطبراني في الأوسط جيد .

١٣٣٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٨) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده جيد .

١٣٣١ - الترمذي (٤ / ٦٨٢) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٢ - باب ما جاء في سن أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن بشواهد .

(جرداً) : الجُرْدُ جمع أجرد ، وهو الذي لا شعر عليه .

١٣٣٢ - الترمذي (٤ / ٦٧٩) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٨ - باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وهو حديث حسن بشواهد .

الجنة جُرْدَ ، مرد ، كَحَلَى ، لا يَفْنَى شبابهم ، ولا تَبْلَى ثيابهم .

١٣٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولَ زُمَرَةٍ يدخلون الجنة : على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً ، لا يبسولون ، ولا يتَفَوِّطون ، ولا يتَقَلَّبون ، ولا يَمْتَخِطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجاميرهم الأَلْوَةُ - الأَلُنْجُوجُ عود الطيب - أزواجهم الحور العين ، على خلقٍ رَجُلٍ واحدٍ ، على صورةِ أبيهم آدم سِتُونَ ذِرَاعًا في السماء . »

وفي رواية ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « أولَ زُمَرَةٍ تَلِجُ الجنةَ صَوْرُهُمْ على صورة القمر ليلة البدر ، لا يَبْصُقُونَ فيها ، ولا يَمْتَخِطُونَ ، ولا يَتَفَوِّطُونَ ، أنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجاميرهم الأَلْوَةُ ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مَخُ سوقيها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلافَ بينهم ولا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قلب واحد ، يسبحون الله بكرةً وعشيًا . »

وللبخاري ^(٢) في رواية نحو الثانية ، وفيه « قُلُوبُهُمْ على قلب رَجُلٍ واحدٍ » وفيه : « لا يَسْقَمُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ » وفيه : « وَوَقُودُ مجاميرهم الأَلْوَةُ » قال أبو الهيثم : يعني العود .

وفي أخرى ^(٣) : قال النبي ﷺ : « أولَ زُمَرَةٍ تَدْخُلُ الجنةَ : على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على آثارهم كأحسنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً ، قُلُوبُهُمْ على قلب واحد ، لا تَبَاغُضَ بينهم ولا تَحَاسَدَ ، لكل امرئ زوجتان من الحور العين ، يرى مَخُ سوقيهن من وراء العظم واللحم . »

= (تَمَلَّى) : جمع كحيل ، مثل قتيل وقتلى ، والكحيل : الذي تبين أجفانه كأنها مكحولة من غير كحل .

١٣٣٣ - البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ١٠ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب من صفات الجنة وأهلها .

(الأَلْوَةُ) : الأَلُنْجُوجُ : من أسماء العود الذي يتبخر به ، ومن أسمائه : الكيأ .

(١) البخاري (٦ / ٣١٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

ومسلم : للموضع السابق

(٢) ، (٣) البخاري : للموضع السابق .

ولسلم^(١) : أن النبي ﷺ قال : « أولُ زُمَرَةٍ تدخل الجنة من أُمَّتِي على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدَّ نجمٍ في السماء إضاءةً ، ثم همُ بعد ذلكَ مَنَازِلُ » .

ثم ذكرَ نحو الأولى ، وفيه قال ابن أبي شيبة : « على خُلُقِ رجلٍ » وقال أبو كريب « على خُلُقِ رجلٍ » .

وفي أخرى من رواية محمد^(٢) بن سيرين قال : إما تفاخروا ، وإما تذاكروا : الرجالُ أكثرُ في الجنة ، أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يَقُلْ أبو القاسمِ ﷺ : « إِنَّ أولَ زُمَرَةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضواء كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء ، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان ، يَرَى مَخُ سَوَقِيهِمَا من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزبُ » ؟ .

وفي رواية ابن عَيِّنَةَ^(٣) : اختَصَمَ الرجال والنساء : أيهم في الجنة أكثر ؟ فسألوا أبا هريرة ، فقال : قال أبو القاسمِ ﷺ ... وذكر مثلَ ذلك .

قوله « لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان » : قال النووي : إن ظاهره أن النساء أكثر أهل الجنة . وفي الحديث الآخر أنهم أكثر أهل النار فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم . وهذا كله في الآدميات ، وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير . اهـ .

وقال ابن حجر :

(قوله « ولكل واحد منهم زوجتان » أي من نساء الدنيا ، فقد روى أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة « وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا » وفي سنده شهر بن حوشب وفيه مقال ، ولأبي يعلى في حديث الصور الطويل من وجه آخر عن أبي هريرة في حديث

(١) مسلم (٤ / ٢١٧٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ٦ - باب أول زمرة تدخل الجنة .

(٢)، (٣) مسلم : للوضع السابق .

مرفوع « فیدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم » ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد رفعه « إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثلثتان وسبعون زوجة » وقال غريب ، ومن حديث المقدم بن معد يكرب عنده : « للشهيد ست خصال » الحديث وفيه : « ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » ، وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والدارمي رفعه : « ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وسبعين وثلثتين من أهل الدنيا » وسنده ضعيف جداً ، وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرج أبو الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « البعث » من حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه : « إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو إنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب » وفيه راو لم يسم ، وفي الطبراني من حديث ابن عباس : « إن الرجل من أهل الجنة ليفضي إلى مائة عذراء » وقال ابن القيم : ليس في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما في حديث أبي موسى : « إن في الجنة للمؤمن لحية من لؤلؤة له فيها أهلون يطوف عليهم » قلت : الحديث الأخير صححه الضياء ، وفي حديث أبي سعيد عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة : « ثم يدخل عليه زوجته » ، والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان ، وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون التثنية تنظيماً لقوله جنتان وعينان ونحو ذلك ، أو المراد تثنية التكثير والتعظيم نحو لبك وسعديك ، ولا يخفى ما فيه . واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه ، وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف المتقدم : « رأيتكن أكثر أهل النار » ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة ، لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر : « اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء » ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة ، وليس ذلك بلازم لما قدمته ، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة ، والله أعلم (اهـ) (الفتح) .

١٣٣٤ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَنْقُلُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَتَخَطُّونَ » قالوا : فما بالُ الطعام ؟ قال : « جَشَاءَ وَرَشَحَ كَرَشَحَ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ ، كما يُلْهَمُونَ النَّفْسَ » .

وفي رواية ^(١) بدل « التَّحْمِيدَ » « الحمد » وفي أخرى ^(٢) « التَّكْبِيرَ » .

وأخرج أبو داود ^(٣) منه « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ » لم يزد .

١٣٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، كما تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبُ الدَّرِّيُّ الْغَايِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، لَتَفَاضِلٍ مَا بَيْنَهُمْ » ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء ، لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى ، والذي نفسي بيده ، رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » .

١٣٣٦ - * روى البزار عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ لَبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبْنَةً مِنْ فُضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ » ، وقال لها تَكَلَّمِي ، فقالت : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » فقالت الملائكة طوباكِ منزلَ الملوكِ » .

١٣٣٧ - * روى البزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « الْجَنَّةُ لَبْنَةٌ مِنْ فُضَّةٍ

١٣٣٤ - مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب في صفات الجنة وأهلها .

(١) مسلم : للوضع السابق .

(٢) مسلم : للوضع السابق .

(٣) أبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في الشفاعة .

١٣٣٥ - البخاري (٦ / ٣٢٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

مسلم (٤ / ٢١٧٧) ٥١ - كتاب الجنة ، ٣ - باب تراثي أهل الجنة أهل الغرف .

١٣٣٦ - كشف الأستار (٤ / ١٨٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) . وقال : رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً ، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق الجنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة والباقي بنحوه ، ورجال الموقوف رجال الصحيح ، وأبو سعيد لا يقول هنا إلا بتوقيف .

١٣٣٧ - كشف الأستار (٤ / ١٩٠) . .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

ولبنة من ذهب ومِلَاطُهَا الْمِسْكُ .

١٣٣٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله مالنا إذا كنّا عندك رَقْتُ قُلُوبُنَا ، وَزَهَدْنَا فِي الدُّنْيَا ، وَكَانَتِ الْآخِرَةُ كَأَنَّهَا رَأْيِي عَيْنٍ ؟ فإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْسِنَا فِي أَهَالِنَا ، وَشَتَمْنَا أَوْلَادَنَا : أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا ؟ قال : « لو أنكم إِذَا خَرَجْتُمْ تَكُونُونَ عَلَى حَالِكُمْ عِنْدِي : لَزَارَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ ، وَلَصَافِحَتَكُمْ فِي طُرُقِكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تَذُنِبُوا لَذَهَبَ بِكُمْ وَلَجَاءَ اللَّهُ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يَذُنِبُونَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ » ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ ؟ قال : « من الماء » ، قلتُ : الجنةُ ما بناؤها ؟ قال : « لبنةٌ من فضةٍ ، ولبنةٌ من ذهبٍ ، ومِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤها اللُّؤلؤُ والياقوتُ ، وتُرْبَتُهَا الزعفرانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ ، وَلَا يَبْأَسُ ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ » ، ثم قال : « ثلاثةٌ لَا تُردُّ دَعْوَتُهُمْ : الإمامُ العادلُ ، والصائمُ حينَ يُفْطِرُ ، ودعوةُ المظلومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، ويقولُ الربُّ تبارك وتعالى : وَعِزِّي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

١٣٣٩ - * روى الطبراني عن ابنِ عمرَ قال : سَئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْجَنَّةِ فَقَالَ « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَا فِيهَا لَا يَمُوتُ وَيَنْعَمُ فِيهَا لَا يَبْأَسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِنَاؤُهَا ؟ قال : « لَبْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبْنَةٌ مِنْ فَضَّةٍ مِلَاطُهَا

= (المِلَاطُ) : الطين الذي يجعل بين أحجار البناء .

١٣٣٨ - أحمد (٢ / ٣٠٤) .

والترمذي (٤ / ٦٧٢) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢ - باب ما جاء في صفة الجنة .

وقال : هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي ، وليس هو عندي بم متصل .

وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدله عن أبي هريرة .

وقال محقق الجامع : لفقراته شواهد ، فهو حسن بشواهد .

وابن ماجه (١ / ٥٥٧) ٧ - كتاب الصيام ، ٤٨ - باب في الصائم لا ترد دعوته .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٥ / ١٨٠) .

(الْأَذْفَرُ) : مسك أذفر : إذا كان طيب الريح ، والأذفر : يقال في الطيب والكريه .

(يَبْأَسُ) : يشئ يئس : إذا افتقر واشتدت حاجته فهو بائس .

١٣٣٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٧) وقال : رواه الطبراني بإسناد حسن .

المِسْكُ وتُرَابُهَا الزعفران حصباءُها اللؤلؤُ والياقوتُ » .

١٣٤٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتانِ من فضةٍ ، أنيتُهُما وما فيهما ، وجَنَّتانِ من ذهبٍ ، أنيتُهُما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رِداءُ الكِبْرِيَاءِ على وجهه في جَنَّةٍ عَذْنٍ » .

وفي رواية الترمذي ^(١) « إن في الجنة جَنَّتَيْنِ من فضة ... » وذكر الحديث .

قال ابن حجر : ويعارضه حديث أبي هريرة : قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة » الحديث أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان ، وله شاهد عن ابن عمر أخرجه الطبراني وسنده حسن وآخر عن أبي سعيد أخرجه البزار ولفظه : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » الحديث ، ويجمع بأن الأول صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها ، والثاني صفة حوائط الجنان كلها ، ويؤيده أنه وقع عند البيهقي في البعث في حديث أبي سعيد : « أن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » وعلى هذا فقوله « أنيتُهُما وما فيهما » بدل من قوله « من ذهب » ويترجح الاحتمال الثاني اهـ (الفتح) .

١٣٤١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ واحدةٍ مجوفةٍ ، طولُها في السماء ستون ميلا - وفي رواية : عَرْضُها - للمؤمن فيها أهْلُونَ ، يَطُوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » .

وفي رواية الترمذي ^(٢) « إن في الجنة خيمةٌ من لؤلؤةٍ : مجوفةٍ ، عرضها ستون

١٣٤٠ - البخاري (١٢ / ٤٢٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٠ - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .

(١) الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٣ - باب ما جاء في صفة غرف الجنة .

١٣٤١ - البخاري (٨ / ٦٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - باب ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ - كتاب الجنة ، ٩ - باب في صفة خيام الجنة .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٣ - باب ما جاء في صفة غرف الجنة .

١٤٠٣

ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن . » .

١٣٤٢ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى يباض ساقها من وراء سبعين حلة ، حتى يرى مخها ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ^(١) » فأما الياقوت ، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائها . » .

١٣٤٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ، ولتأجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها . » .

١٣٤٤ - * روى الترمذي عن أنس (رفعه) : « غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا

١٣٤٢ - الترمذي (٤ / ٦٦٦) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٥ - باب في صفة نساء أهل الجنة .

وقال : وروى عن ابن مسعود ، ولم يرفعه ، وهو أصح من حديث عبيدة بن حميد .

والإحسان بترتيب ابن حبان (١ / ٢٤٤) .

(١) الرحمن : ٥٨ .

١٣٤٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

١٣٤٤ - الترمذي (٤ / ١٨١) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ١٧ - باب ما جاء في فضل الغدوة والروح .

وقال : هذا حديث صحيح .

وروى أحمد نحوه (٣ / ١٤١) .

وللبخاري نحوه (٦ / ١٥) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٦ - باب الجور العين .

ولسلم نحوه (٣ / ١٤٩٩) ٢٣ - كتاب الإمارة ، ٣٠ - باب فضل الغدوة والروح .

قوله (ولقاب قوس أحدكم) قال ابن الأثير :

(القاب والقييب : بمعنى القدر ، وعينها ولو ، من قولهم : قَوَّيُوا في هذه الأرض : أي أثروا فيها بوطئهم ، وجعلوا

في مسافتها علامات . يقال : بَنَيْتُ وَبَنَيْتُهُ وقَابَ رَمَحَ وقَابَ قَوْسٍ : أي مقدارهما) اهـ .

وحكى المروى عن مجاهد : (قاب قوسين : أي مقدار ذراعين . قال مجاهد : والقوس : الذراع ، بلفظة أزد شتوة)

اهـ .

(قيته) : التقيد : السوط ، والمعنى لقدرة قوس أحدكم والموضع الذي يسع سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلّعتْ إلى أهل الأرض لأضاءتْ الدنيا وما فيها ، ولملأت ما بينها ريحاً ، ولنصيفُها - يعني : خيَارُها - خيرٌ من الدنيا وما فيها .

١٣٤٥ - * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « لو أن ما يُقِلُّ ظُفْرَ مما في الجنة بدا لتزخرقتْ له ما بين خَوَافِقِ السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع ، فبدا سِوَارُهُ ، لَطَمَسَ ضوءَ الشمس ، كما تَطْمِسُ الشمسُ ضوءَ النجوم » .

١٣٤٦ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال : « يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْجَمَاعِ » ، قيل : يا رسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال : « يُعْطَى قُوَّةٌ مِائَةٌ » .

١٣٤٧ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أنفُضي إلى نساءنا في الجنة ؟ فقال : « إي والذي نفسي بيده إن الرجلَ لَيُفْضَى فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ » .

١٣٤٥ - أحمد (١ / ١٦٩) .

والترمذي (٤ / ٦٧٨) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٧ - باب ما جاء في صفة أهل الجنة .

وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن .

(يَقِلُّ) : أَقَلَّ الشَّيْءُ يَقِلُّ : إِذَا حُلِهَ .

(تَوَخَّرَتْ) : الزَّخْرَفَةُ : الزُّيْنَةُ ، وَالزُّخْرُفُ : الذَّهَبُ .

(خَوَافِقُ) السماء : الجهات التي تخرج منها الرياح الأربع .

١٣٤٦ - الترمذي (٤ / ٦٧٧) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٦ - باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة .

وقال : هذا حديث صحيح غريب ، وإسناده حسن .

والدارمي (٢ / ٣٣٤) . باب في أهل الجنة ونعيمها .

وإسناده صحيح من حديث زيد بن أرقم .

١٣٤٧ - كشف الأستار (٤ / ١١٨) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤١٧) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط ، ورجال هذه الرواية الثانية رجال

الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة .

قال عنه في التقريب : صدوق ضعفه مسلمة بلا حجة .

١٣٤٨ - * روى الطبراني عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم : تَزَعَّمُ أن أهل الجنة يأكلون فيها وَيَشْرَبُونَ قال : « نعم ، والذي نفسي بيده إن الرجلَ لَيُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع » فقال اليهودي : إن الذي يأكل وَيَشْرَبُ تكون له الحاجة والجنة مُطَهَّرَةً ، قال : « حاجة أحدهم عَرَقٌ يَفِيضُ من جلده كريحِ الْمِسْكِ فإذا بطُنُّه قد ضَمَرَ » .

وفي رواية ^(١) : بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أقبل رجلٌ من اليهودِ يقال له ثَعْلَبَةُ بنُ الحارثِ فقال : السلام عليك يا محمد فقال : « وعليكم » . فقال : اليهودُ تَزَعَّمُ أن في الجنة طعامًا وشرابًا وأزواجًا . فقال النبي ﷺ : « نعم ، تؤمن بشجرة المسك » قال : نعم قال « وَتَجِدُهَا في كتابِكُمْ » قال : نعم قال : « فإن البولَ والجنابة عَرَقٌ يسيلُ من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مِسْكٌ » .

١٣٤٩ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن ابنِ عَمَرَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أزواج الجنة لَيُغْنَيْنَ بأحسنِ أصواتٍ سمعها أحدٌ قطُّ ، إن مما يُغْنين : نحن الخيراتُ الحسانُ أزواجُ قومٍ كرامٍ يَنْظُرُونَ بقرّةِ أعيان . وإن مما يغنين به : نحن الخالداتُ فلا نَمُتُّه نحن الآمَناتُ فلا يَحْتَفَنُه نحن المقيماتُ فلا يَظْغَنُه » .

١٣٥٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ أن النبي ﷺ قال « إن الحورَ في الجنة يُغْنَيْنَ يَقْلُنَ : نحن الحورُ الحسانُ هُدينا لأزواجِ كرام » .

١٣٥١ - * روى الطبراني عن عُبَيْة بنِ عَبْدِ السَّلمِ قال : كنتُ جالسًا مع النبي ﷺ

١٣٤٨ - المعجم الكبير (١٧٧ / ٥) .

وكشف الأستار (١٩٧ / ٤) .

(١) المعجم الكبير (١٧٨ / ٥) .

مجمع الزوائد (٤١٦ / ١٠) وقال : رواه كله الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحد إلا أنه قال يا أبا القاسم ألسنت تزم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، وقال لأصحابه إن أقر لي بهذه خصمته ، والباقي بنحوه . ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عتبة وهو ثقة .

١٣٤٩ - مجمع الزوائد (٤١٩ / ١٠) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٥٠ - مجمع الزوائد (٤١٩ / ١٠) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

١٣٥١ - مجمع الزوائد (٤١٤ / ١٠) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

فجاء أعرابي فقال يا رسول الله : أشتعلَ تذكرُ في الجنة شجرة لا أعلم أكثر شوكاً منها - يعني الطلح - فقال رسول الله ﷺ « يُجعلُ مكانَ كلِّ شوكَةٍ منها خُصوةُ التَّيسِ المَلْهُودِ - يعني الحَيِّ منها - سبعونَ لونا من الطعام لا يشبه لونَ آخرَ » .

١٣٥٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهبٍ » .

١٣٥٣ - * روى الطبراني عن سَمرة بن جُنْدَب أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة شجرةً مستقلةً على ساقٍ واحدٍ ، عَرَضُ ساقها ثنتان وسبعون » .

١٣٥٤ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ سنةٍ ، وأقروا إن شئتم : ﴿ وظلٌّ ممدود ﴾ ^(١) ولَقَابُ قوسٍ أحدكم في الجنة خيرٌ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ أو تَغْرُبُ » .

وفي رواية ^(٢) يَبْلُغُ به النبي ﷺ قال : « إن في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يَقْطَعُها ، وأقروا إن شئتم : ﴿ وظلٌّ ممدود ﴾ » .

وفي رواية مسلم ^(٣) مثل الأولى إلى قوله : « سنة » ومثل الثانية إلى قوله : « يقطعها » وأخرج الترمذي إلى قوله : « سنة » .

وأخرج الترمذي الأولى ^(٤) ، وله في أخرى ^(٥) زيادة : « وفي الجنة شجرة يسير

١٣٥٢ - الترمذي (٤ / ٦٧١) ٢٨ - كتاب صفة الجنة ، ١ - باب ما جاء في صفة شجر الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي سعيد . وإسناده حسن .

١٣٥٣ - للمعجم الكبير (٧ / ٣٦٦) .

كشف الأستار (٤ / ١٩٩) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه البزار والطبراني ، وإسناده الطبراني حسن .

١٣٥٤ - البخاري (٦ / ٣١٩) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

(١) الواقعة : ٣٠ .

(٢) البخاري (٨ / ٦٢٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وظل ممدود ﴾ .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١ - باب إن في الجنة شجرة .

ولقَاب (القَاب : القَذَر .

(٤) الترمذي (٤ / ٦٧١) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١ - باب ما جاء في صفة شجر الجنة .

(٥) الترمذي (٥ / ٤٠٠) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٥٧ - باب « ومن سورة الواقعة » .

الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٌّ مَسْدُودٌ ﴾ وموضع سوطي في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فَمَنْ زُخْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ « (١) .

١٣٥٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي حازم رَحِمَهُ اللهُ عن سهل بن سعيد : أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها » قال : فحدثتها النعمان بن أبي عياش الزُّرَقِيُّ ، فقال : حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مائة عام لا يقطعها » .

١٣٥٦ - * روى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ - وذكر سدرّة المنتهى - قال : « يسير الراكب في ظلّ الفَنَنِ منها : مائة سنة ، أو يستظلّ بظلّها مائة راکب - شك يحيى - فيها فراش الذهب ، كأن ثمرها القلال » .

١٣٥٧ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين مائة عام » .

١٣٥٨ - * روى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

= وهذه الزيادة قد أخرجها البخاري ومسلم مفردة .

(١) آل عمران : ١٨٥ .

١٣٥٥ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٧٦) ٥١ - كتاب الجنة ، ١ - باب إن في الجنة شجرة .

١٣٥٦ - الترمذي (٤ / ٦٨٠) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٩ - باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

(الفَنَنِ) : النَّصْنُ ، وجمعه أفنان .

(القِلَال) : جمع قَلَّة ، وهي حَبْ يسع مَزَادَة من الماء .

١٣٥٧ - الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٤ - باب ما جاء في صفة درجات الجنة .

وقال هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

= ١٣٥٨ - الترمذي (٤ / ٦٧٥) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٤ - باب ما جاء في صفة درجات الجنة .

« في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس » .

١٣٥٩ - * روى البزار عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إن سألت الله فسلوه الفردوس » .

١٣٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر ، نزل لأهل الجنة » فأق رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : « بلى » قال : تكون الأرض خبزة واحدة ، كما قال النبي ﷺ ، فنظر النبي ﷺ إلينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال : « بلى » قال : إدامهم بالام ونون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون ، يأكل من زائدة كبديهما سبعون ألفاً .

١٣٦١ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ لليهود : « إني سألتهم عن تربة الجنة وهي دَرْمَكَةٌ يَيْضَاءُ » فسألهم ، فقالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبي ﷺ : « الخبز من الدَرْمَكِ » .

= وهو حديث صحيح ، وعند البخاري أم منه .

١٣٥٩ - كشف الأستار (١١١ / ٤) .

جمع الزوائد (٣٩٨ / ١٠) وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

١٣٦٠ - البخاري (٣٧٢ / ١١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٤ - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة .

مسلم (٢١٥١ / ٤) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ٣ - باب نزل أهل الجنة .

(يتكفؤها الجبار) : الجبار : اسم من أسماء الله عز وجل ، ويتكفؤها أي : يغطيها ويحميها ، من قولك : كفات الإثاء : إذا قلبته وكبته .

(نَزَلَا) : النزل : ما يُعد للضيف من الطعام والشراب .

(بالام) : قد جاء في متن الحديث أنه الثور ، ولعل اللفظة عبرانية . و « النون » : الحوت ، وهو عربي .

١٣٦١ - أحمد (٣٦١ / ٢) .

جمع الزوائد (٣٩٩ / ١٠) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير مجالد ، وثقه غير واحد ، وإسناده

حسن .

١٤٠٩

١٣٦٢ - * روى الطبراني عن طارق بن شهاب قال : جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : أخبرنا ما أول ما يأكل أهل الجنة إذا دخلوا ؟ قال : « أول ما يأكلون كبد الحوت » .

١٣٦٣ - * روى الترمذي عن معاوية : هو جدُّ بهز بن حكيم - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة بحرَ العسل ، وبحرَ الخمر ، وبحرَ اللبن ، وبحرَ الماء ، ثم تشق الأنهار بعد » .

١٣٦٤ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ فقال : « ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجُرر » قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « أكلتها أنعم منها » .

١٣٦٥ - * روى الترمذي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب مجراه على الياقوت والدرّ ، تربته أطيب من المسك ، ماؤه أحلى من العسل وأشدُّ بياضاً من الثلج » .

١٣٦٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر : لما نزلت ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ^(١)

= (الترمذك) : الدقيق .

١٣٦٢ - المعجم الكبير (٨ / ٢٨٦) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤١٣) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن بهرام وهو ثقة .

١٣٦٣ - الترمذي (٤ / ٦٩٩) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٧ - باب ما جاء في صفة أنهار الجنة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقائق ، باب في أنهار الجنة .

١٣٦٤ - الترمذي (٤ / ٦٨٠) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٠ - باب ما جاء في صفة طير الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

(المجزئ) : جمع جزور ، وهو البعير ذكرًا أو أنثى ، إلا أن اللفظة مؤنثة .

١٣٦٥ - الترمذي (٥ / ٤٥٠) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٩١ - باب « ومن سورة النصر » .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو حديث صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٤٥٠) ٢٧ - كتاب الزهد ، ٣٩ - باب صفة الجنة .

١٣٦٦ - الترمذي (٥ / ٤٤٩) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٩٠ - باب « ومن سورة الكوثر » . وصححه .

(١) الكوثر .

قال رسول الله ﷺ : « هو نهر في الجنة حَاقَتْاه من ذهب يجري على الدرِّ والياقوتِ ، تربته أطيَّب من ريح المسك ، وطعمه أحلى من العسل ، وماؤه أشدَّ بياضاً من الثلج » .

١٣٦٧ - * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن طير الجنة كأمثال البُخْتِ ترعى في شجر الجنة » فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة . فقال : « أكلتها أنعم منها - قالها ثلاثاً - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » .

١٣٦٨ - * روى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « عُرِضَتْ عليَّ الجنة فذهبتُ أتناول منها قطفاً أريكموه فحيلَ بيني وبينه » . فقال رجلٌ يا رسول الله : ما مثلُ الحبة من العنبِ قال : « كأعظم دَلْوٍ قَرَّتْ أُمُّكَ قط » .

١٣٦٩ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأته فينظر وجهه في حدها أصفى من المرأة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيدي . وإنه ليكون

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقاق ، باب في الكوثر .

وأخرج البخاري نحوه (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الخوض .

وأخرج مسلم نحوه أيضاً (١ / ٣٠٠) ٤ - كتاب الصلاة ، ١٤ - باب حجة من قال ... إلخ .

١٣٦٧ - أحمد (٣ / ٢٢١) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

وقال عنه الحافظ في التقریب : صدوق له أوهام .

(البُخْتِ) : جبال طوال الأعناق .

١٣٦٨ - جمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) .

وقال : رواه أبو يعلى وإسناده حسن .

(القِطْفَةُ) : المتفود .

(قَرَّتْ) : أصل القري : القطع . يقال : قَرَيْتُ الشيءَ أَقْرَبَهُ قَرِيْباً إذا شَقَقْتَهُ وقَطَعْتَهُ للإصلاح ، فهو مقرَّبٌ وقَرِيْبٌ ، وأقْرَبُتُهُ إذا شَقَقْتَهُ على وجه الإفساد . تقول العرب : تَرَكْنَاهُ يَقْرِي الْقَرِيْبَ : إذا عمل العمل فأجاده .

(من النهاية) .

١٣٦٩ - أحمد (٢ / ٧٥) .

عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النُّعْمَانِ ، من طوبى فينْفِذُها حتى يرى مَخْ ساقِها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب .

١٣٧٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة سوقاً يأتونها كلَّ جمعة ، فتهبُّ ريحُ الشمال ، فتحثُو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازدَدْتُمْ بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً . »

١٣٧١ - * روى البزار عن عبد الله بن عمرو قال وقام آخرُ فقال : يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلقُ يُخلق أم نسج يُنسج فضحك بعضُ القوم . فقال رسول الله ﷺ : « ممَّ تضحكون من جاهل يسألُ عالماً ؟ » أين السائلُ ؟ قال : أنا ذا يا رسول الله . قال : « تنشقُّ عنها ثيابُ الجنة . »

١٣٧٢ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن ساعدة قال كنتُ أحبُّ الخيلَ فقلت : يا رسول الله هل في الجنة خيل ؟ فقال : « إنَّ أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرسٌ من ياقوتٍ له جناحان يطيرُ بك حيثُ شئت . »

١٣٧٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى مقعدٍ أحدكم من الجنة ، من يقول له : تَمَنَّ ، فيتمنى ، ويتمنى ، فيقول له : هل تمنيتَ ؟ فيقول ، نعم ، فيقول له : فإنَّ لك ما تمنيتَ ومثله معه . »

= مجمع الزوائد : (١٠ / ٤١٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسنادها حسن .

(النُّعْمَانِ) : قد يراد بالنعمان في الحديث اللون الأحمر وقد يراد به ما يتمنُّ به .

١٣٧٠ - مسلم (٤ / ٢١٧٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ٥ - باب في سوق الجنة .

١٣٧١ - كشف الأستار (٤ / ١٩٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) وقال : رواه البزار في حديث طويل ، ورجاله ثقات .

١٣٧٢ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٣) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

١٣٧٣ - مسلم (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

١٣٧٤ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجةً لَمَنْ يَقُومُ على رأسه عَشْرَةُ آلافِ بَنَدٍ لكل واحدٍ صَحِيفَتَانِ ؛ واحدةٌ من ذهبٍ والأخرى من فضةٍ في كلِّ واحدةٍ لَوْنٌ ليس في الأخرى مِثْلُهُ ، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها ، يَجِدُ لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ثم يكونُ ذلك رِيحُ المِسكِ الأَذْفَرِ ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون إخوانًا على سُرر متقابلين » .

١٣٧٥ - * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ : فقيل يا رسول الله أينام أهل الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

١٣٧٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٣٧٥ - كشف الأستار (٤ / ١١٣)

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط . والبخاري ، ورجال البزار رجال الصحيح .

٥ - في بعض ما ورد في آخر أهل النار خروجًا منها

١٣٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ : رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا ، يَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا ، فَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنِهَا مَلَأَتْ ، فِيرْجِعُ يَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلَأَتْ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ » قال : « فَيَأْتِيهَا ، فَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنِهَا مَلَأَتْ ، فِيرْجِعُ يَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَتْ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا ، وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا ، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ، يَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتُضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » قال : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَكَانَ يَقَالُ : ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ .

قال محقق الجامع :

قال الحافظ في « الفتح » : قائل « وكان يقال » هو الراوي ، وأما قائل المقالة المذكورة ، فهو النبي ﷺ ، ثبت ذلك في أول حديث أبي سعيد عند مسلم ، ولفظه : « أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار » ... وساق القصة .

ولمسلم^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ : يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا ، يَقَالُ لَهُ : انْطَلِقْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ » قال : « فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ ، يَقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ » فيقول : نعم ، فيقال له : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى ، فيقال له : لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ ، وَعَشْرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا ، فيقول : أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » قال : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

أقول : بالنسبة لآخر أهل الجنة دخولًا إليها هناك أخرية مطلقة ، وهناك أخرية

١٣٧٦ - البخاري (١١ / ٤١٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٧٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٣ - باب آخر أهل النار خروجًا .

(١) مسلم : الموضع السابق .

نسبية ، فالآخريّة المطلقة يراد بها آخر من يبقى من أهل الإيمان في النار ثم يخرج منها والآخريّة النسبية متعددة فهناك آخر من يحاسب ممن يستأهل دخول الجنة ، وهناك آخر من يعبر الصراط من أهل الجنة ، وهناك آخر من يدخل الجنة ممن استحقوا دخولها وسبقهم غيرهم ، وهناك آخر من يدخل الجنة بالشفاعات . وقد مرت من قبل نصوص في شأن آخر من يدخل الجنة وههنا نصوص وبعضها عمول على آخريّة مطلقة وبعضها عمول على آخريّة نسبية والتفصيل في ذلك مظنة الخطأ ومظنة الخلط بين المواقف والعبرة حاصلة بدون هذا التفصيل وإنا أشرنا هذه الإشارة ليعرف القارئ أن من أسباب اختلاف الروايات في هذا الشأن هو ما ذكرناه .

١٣٧٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ ، فهو يعيشُ مَرَّةً ، ويَكُتُبُ مَرَّةً ، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ، فإذا ما جَاوَزَهَا التَفَتَ إِلَيْهَا ، فقال : تبارك الذي نَجَّاني مِنْكَ ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَتَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ ، فيقول : ياربِّ ، أذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، فيقولُ الله عزَّ وجل : يا ابنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أُعْطِيتْكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ؟ فيقولُ : لا ، ياربِّ ، وَيَعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا » قال : « وَرُبُّهُ عزَّ وجل يَعْذِرُهُ ، لَأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيَذْنِيهِ مِنْهَا ، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ، فيقول : أي ربِّ ، أذْنِي مِنْ هَذِهِ لَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فيقول : يا ابنَ آدَمَ ، أَلَمْ تَعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فيقول : لَعَلِّي إِنْ أذْنَيْتَكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرُبُّهُ تَعَالَى يَعْذِرُهُ ، لَأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيَذْنِيهِ مِنْهَا ، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، فيقول : أي ربِّ أذْنِي مِنْ هَذِهِ لَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فيقول : يا ابنَ آدَمَ ، أَلَمْ تَعَاهِدْنِي أَنْ

لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى ، يارب ، هذه لا أسألك غيرها - وربُّه عز وجل يعذره ، لأنه مالا صبر له عليه ، فيدينه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أي ربُّ أَدْخِلْنِيهَا ، فيقول : يا ابنَ آدم ، ما يصريني منك ، أيرضيك أن أُعْطِيكَ الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب ، أستهزئُ مِنِّي وأنت ربُّ العالمين « فَضَحَكَ ابن مسعود ، فقال : ألا تسألوني مِمَّ أَضَحَكَ ؟ فقالوا : مِمَّ تضحك ؟ فقال : هكذا ضحك رسولُ الله ﷺ ، فقالوا : مِمَّ تضحك يا رسولَ الله ؟ فقال : « مِنْ ضحك ربِّ العالمين ، حين قال : أستهزئُ مِنِّي وأنت ربُّ العالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزئُ منك ، ولكني على ما أشاء قادر » .

١٣٧٨ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة : رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ ، وَمَثَلٌ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتَ ظِلٍّ ، فقال : أيُّ ربِّ ، قَرَّبَنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَكُونَ فِي ظِلِّهَا ... » وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ، ولم يذكر : فيقول : « يا ابن آدم ، ما يصريني منك ؟ ... » إلى آخر الحديث .

وزاد فيه : « وَيَذْكُرُهُ اللَّهُ ، سَلْ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِي ، قَالَ اللَّهُ : هُوَ لَكَ وَعِشْرَةُ أَمْثَالِهِ » قال : « ثم يدخل بيته ، فتدخل عليه زوجته من الحور العين ، فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك » ، قال : « فيقول : ما أُعْطِيَ أَحَدٌ مَثَلًا مَأْغُوطٌ » .

١٣٧٩ - * روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني لأعلم آخرَ أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخرَ أهل النار خروجًا منها : رجلٌ يُوْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فيقال : اغْرِضُوا عَلَيْهِ صِفَارَ ذَنْبِهِ ، وَارْفَعُوا عَنْهُ »

= (مَا يَصْرِيغِي) : منك ، أي : ما الذي يرضيك ويقطع مسألتك ، وأصل التصرية : القطع والجمع ، ومنه : الشاة للصراة ، وهي التي جمع لبنها وقطع حلبه .

١٣٧٨ - مسلم (١ / ١٧٥) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

١٣٧٩ - مسلم (١ / ١٧٧) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

والترمذي (٤ / ٧١٢) - ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٠ - باب حدثنا هناد ... إلخ .

كِبَارَهَا ، فَيَعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارَهَا ، فيَقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا ، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا ؟ فيَقُولُ : نَعَمْ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ ، فيَقَالُ لَهُ : فَإِنْ لَكَ مَكَانٌ كُلُّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٍ ، فيَقُولُ : رَبِّ ، قَدْ عَلِمْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَقَّ بَذَتْ نَوَاجِذَهُ .

١٣٨٠ - * روى مسلم عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ : مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، فيَقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ ؟ فيَقَالُ لَهُ : أَمَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مُلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، فيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، قَالَ رَبِّ : فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَمَتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أَذَنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، قَالَ : « وَمَصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ... ﴾ » ^(١) .

١٣٨٠ - مسلم (١ / ١٧٦) - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

الترمذي (٥ / ٢٤٧) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٢٣ - باب « ومن سورة السجدة » .

وقد أخرجه إلى قوله : « فيقول رضى رب » في الثالثة .

(١) السجدة : ١٧ .

قال ابن الأثير :

(أخذ الناس أخذاتهم ، أي : نزلوا منازلهم المختصة بهم ، زاد الحميدي في غريبه : واستوفوا مراتبهم .

والإخادة : الأرض يأخذها الرجل لنفسه يحوزها ، قاله ابن فارس . اهـ .

٦ - رؤية الله تعالى في الآخرة

مقدمة

قال تعالى عن الكفار : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ^(١) .

وهذا يفيد أن ذلك عقوبة لهم ويفيد أن أهل الإيمان يرونه .

وقال تعالى : ﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى عن موسى : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاني ۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ ^(٣) .

فَقَلَّبَ موسى الرؤية وهو العارف بربه دليل على إمكانها ، وتعليق الله عز وجل إياها على ممكن دليل على إمكانها ، ولذلك أجمع أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلاً واجبة نقلاً واقعة فعلاً للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ الْعِلْمُ ﴾ ^(٥) .

ومن كلام أهل السنة والجماعة أن من ادعى رؤية الله تعالى في الدنيا يقظة فقد كفر واختلفوا في ثبوت الرؤية في الدنيا لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ؛ فالجمهور على ثبوتها والمسألة خلافية منذ عصر الصحابة ، والراجح ثبوت الرؤية له عليه الصلاة والسلام .

قال النووي : « اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً ، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ، وزعمت طائفة من أهل البدع : المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله

(٢) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) الشورى : ١١ .

(١) اللطفين : ١٥ .

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

(٥) طه : ١١٠ .

عليه السلام ، وآيات القرآن فيها مشهورة ، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا ، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري : أحدهما وقوعها ، والثاني لا تقع ، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط . وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك ؛ بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم . اهـ (شرح النووي على مسلم) .

وقال ابن حجر :

وأدلة السبع طافحة بوقوع ذلك في الآخرة لأهل الإيمان دون غيرهم ، ومنع ذلك في الدنيا إلا أنه اختلف في نبينا ﷺ وما ذكره من الفرق بين الدنيا والآخرة أن أبصار أهل الدنيا فانية وأبصارهم في الآخرة باقية جيد ، ولكن لا يمنع تخصيص ذلك بمن ثبت وقوعه له ، ومنع جمهور المعتزلة من الرؤية متمسكين بأن من شرط المرئي أن يكون في جهة ؛ والله منزّه عن الجهة ، واتفقوا على أنه يرى عباده ، فهو راء لا من جهة ، واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم : يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب : « كما ترون القمر » إلا أنه منزّه عن الجهة والكيفية ، وذلك أمر زائد على العلم وقال بعضهم : إن المراد بالرؤية العلم . وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار إلى المرئيات ، وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم وهذا أقرب إلى الصواب من الأول ، وتعقب الأول بأنه حينئذ لا اختصاص لبعض دون بعض ؛ لأن العلم لا يتفاوت ، وتعقبه ابن التين بأن الرؤية بمعنى العلم تتعدى لمفعولين تقول : رأيت زيداً

فقيها أي علمته ، فإن قلت رأيت زيدا منطلقاً لم يفهم منه إلا رؤية البصر ، ويزيده تحقيقاً قوله في الخبر : « إنكم سترون ربكم عياناً » ، لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم ، وقال ابن بطال : ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ، وتمسكوا بأن الرؤية توجب كون المرئي محدثاً وحالاً في مكان ، وأولوا قوله ﴿ ناظرة ﴾ بمنظرة وهو خطأ لأنه لا يتعدى إلى ، ثم ذكر نحو ما تقدم ثم قال وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود ، والرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم ، فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي . قال وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ويقولو تعالى لموسى : ﴿ لن تراني ﴾ والجواب عن الأول : أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا جمعاً بين دليلي الآيتين ، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته ، وعن الثاني : المراد لن تراني في الدنيا جمعاً أيضاً ، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته مع ما جاء من الأحاديث الثابتة على وفق الآية ، وقد تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين حتى حدث من أنكر الرؤية وخالف السلف ، وقال القرطبي : اشترط النفاة في الرؤية شروطاً عقلية كالبنية المخصوصة والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في خبط لهم وتتحكم ، وأهل السنة لا يشترطون شيئاً من ذلك سوى وجود المرئي ، وأن الرؤية إدراك يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئي وتقترب بها أحوال يجوز تبديلها والعلم عند الله تعالى . ا . هـ (فتح الباري) .

وقد مرت معنا نصوص حول الرؤية في ما مضى وهذه نصوص أخرى ولقد خصصنا لهذا البحث عنواناً لأهميته في عقائد أهل السنة والجماعة :

النصوص

١٣٨١ - * روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَقَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَنْ صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا ، فَافْعَلُوا » ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (١) .

١٣٨٢ - * روى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَتَانِي جَبْرِيلُ ﷺ فِي يَدِهِ مِرَّةً بَيضَاءُ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَغْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، تَكُونَ أَنْتَ الْأَوَّلَ ، وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ » قَالَ : « مَا لَنَا فِيهَا ؟ قَالَ : لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ مِنْ دَعَا رَبِّهِ فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسَمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقَسَمٍ إِلَّا ادَّخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، أَوْ تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ هُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَاذَهُ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ ، قُلْتُ : مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا ؟ قَالَ : هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ : يَوْمَ الْمَزِيدِ » قَالَ : « قُلْتُ : لِمَ تَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ ؟ قَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْتِيحَ مِنْ مَسْكِ أَبِيضٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عَلَيْنِ عَلَى كُرْسِيِّهِ ثُمَّ حَفَّ الْكَرْسِيَّ بِمَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ، وَجَاءَ النَّبِيُّونَ

١٣٨١ - البخاري (٨ / ٥٩٧) - ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - باب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ .

مسلم (١ / ٤٢٩) - ٥ - كتاب المساجد ، ٣٧ - باب فضل صلاتي الصبح والعصر .

وأبو داود (٤ / ٢٣٢) - كتاب السنة ، باب في الرؤية .

والترمذي (٤ / ٦٨٧) - ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٦ - باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(١) تَضَامُونَ : لَا يَزْدَحِمُ بَعْضُهُمْ فِي رُؤْيَيْهِ .

(١) تَقَ : ٣٩ .

١٣٨٢ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤٢١) .

وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسناده الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم ، وإسناده البزار فيه خلاف .

حتى يَجْلِسُوا عليها ، ثم خَفَّ المنابر بكراسيٍّ من ذهبٍ ، ثم جاء الصّديقون والشّهداء حتى يَجْلِسُوا عليها ، ثم يَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حتى يَجْلِسُوا على الكُثيبِ ، فيتجلّى لهم ربُّهم تبارك وتعالى حتى يَنْظُرُوا إلى وجهه ، وهو يقول : أنا الذي صَدَقْتُمْ وعدي ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، هذا محلُّ كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضى ، فيقول عز وجل : رضائي أحلّكم داري ، وأنالكم كرامتي ، فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رَغْبَتُهُمْ ، فَيُفْتَحَ لهم عند ذلك ما لا عين رأت ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ إلى مقدارٍ مُنْصَرَفِ الناس يوم الجمعة ، ثم يَصْعَدُ تبارك وتعالى على كرسيِّه ، فيصعدُ معه الشّهداء والصّديقون - أحسبه قال - : وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرْفِ إلى غُرْفِهِمْ ، دُرَّةٌ بِيضَاءَ لَا قِطْمَ فِيهَا وَلَا قِطْمَ ، أو ياقوتة حمراء ، أو زَبْرُجْدَةٌ خضراء منها غُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا ، مُطَرَّدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا ، متدلّية فيها ثِيَابُهَا ، فيها أزواجُها وخدمُها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامةً ، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى ، ولذلك دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ .

١٣٨٣ - * روى مسلم عن صَهْبِ الرُّومِي رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا دخل أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أَرِيدُكُمْ ؟ فيقولون : أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتَنْجِنَا مِنَ النَّارِ ؟ » قال : « فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ تبارك وتعالى ، زاد في رواية : ثم تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ ^(١) .

١٣٨٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن الناس قالوا : يا رسولَ الله هل نرى ربَّنَا يومَ الْقِيَامَةِ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ »

١٣٨٣ - مسلم (١ / ١٦٣) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨٠ - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة بهم سبحانه .

والترمذي (٤ / ٦٨٧) - ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ١٦ - باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(١) يونس : ٢٦ .

١٣٨٤ - البخاري (١٣ / ٤١٩) - ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ... ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) - ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية . وهو جزء من حديث طويل .

قالوا : لا يا رسولَ الله ، قال : « فهل تضارون في الشمس ليسَ دونها سحاب ؟ »
قالوا : لا يا رسولَ الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناسَ يومَ القيامة ،
فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ ، ويتبع
من كان يعبد القمرَ القمرَ ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى
هذه الأمة فيها شافعوها ، أو منافقوها ، - شك إبراهيم - فيأتيهم الله فيقول : أنا
ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرّفناه ، فيأتيهم الله
في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ،
ويتضرّب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أولَ مَنْ يُجيزُها ، ولا
يتكلم يومئذ إلا الرسلُ ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ... » .

أقول :

فالرؤية للمؤمنين ثابتة وكذلك هي في بعض مواقف يوم القيامة ، وهي ثابتة لبعض
المؤمنين في البرزخ ، فقد ورد في حديث صحيح أن الله عز وجل كلم والد جابر بعد أن
استشهد كفاحاً أي ليس من وراء حجاب .

قال الخطابي عن رؤية الله عز وجل في مواقف القيامة :

وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنة لكرامة أولياء الله
وإنما هذه للامتحان والله أعلم .

١٣٨٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا :
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارون في رؤية الشمس
والقمر إذا كانت صَحْوًا ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم
يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتها » ، ثم قال : « ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما
كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم ، وأصحاب الأوثان مع

١٣٨٥ - البخاري (١٣ / ٤٢٠) ١٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ مُّخَيَّرَةٌ ﴾ .

مسلم : (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٠ - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة بهم سبحانه .

وهو جزء من حديث طويل .

أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجَهَنَّم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنّا نعبد عَزِيزًا ابن الله ، فيقال : كذبتُم لم يكن لله صاحبة ولا ولدَ فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال كذبتُم لم يكن لله صاحبة ولا ولدَ ، فما تريدون فيقولون نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر ، فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أخوَجُ منا إليه اليوم ، وإنا سمعنا مناديا ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربَّنَا . قال : « فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربَّنَا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : السَّاق . فيكشفُ عن ساقه ، فيسجدُ له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجدُ لله رياً وسمعةً فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ... » .

٧ - في ذبح الموت

١٣٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد : يا أهل الجنة ، فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي مناد : يا أهل النار ، فيشربون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، فَيَذْبَحُ بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ، ثم قرأ : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) وأشار بيده إلى الدنيا .

وأخرجه ^(٢) الترمذي قال : « إذا كان يوم القيامة أُتِيَ بالموت كالكبش الأملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحدا مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار » .

١٣٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار : جيء بالموت ، حتى يجعل بين الجنة والنار ، فيذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، وأهل النار حزناً إلى حزنيهم » .

١٣٨٦ - البخاري (٤٢٨ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) مريم : ٣٩ .

(٢) الترمذي (٥ / ٣١٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٢٠ - باب « ومن سورة مريم » .

وقال : حديث حسن صحيح .

(كبش أملح) المختلط البياض والسواد .

(فيشربون) اشرب إلى الشيء : إذا تطلع ينظر إليه ، ومالت نحوه نفسه .

١٣٨٧ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٨٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

١٤٢٥

وفي رواية ^(١) : أن النبي ﷺ قال : « يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ ، فيقول : يا أهل الجنة لا موتَ ، ويا أهل النار لا موتَ ، كلُّ خالِدٍ فيما هو فيه » .

(١) مسلم : للموضع السابق .

٨ - في متفرقات

في الجنة والنار وبعض صفات أهلها

وبعض ما يحصل لأهل كل منهما

١٣٨٨ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فيقولُ الخازنُ : من أنت ؟ فأقول : محمدٌ ،
فيقولُ : بك أمرتُ أن لا أفتحَ لأحدٍ قبْلَكَ » .

١٣٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فيقولون : لَبَّيْكَ
رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، والخيرُ في يديكَ ، فيقولُ : هل رَضِيتُمْ ؟ فيقولون : وما لنا
لا نرضى يا رَبَّنَا وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فيقول : أَلَا أُعْطِيكُمْ
أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فيقولون : وأيّ شيءٍ أَفْضَلُ ؟ فيقول : أَجِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ،
فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .

١٣٩٠ - * روى أبو يعلى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي
اللاهِينَ من ذُرِّيَةِ الْبَشَرِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ فَأَعْطَانِيهِمْ » .

١٣٩١ - * روى أحمد عن مطرّف قال : قال لي عمرانُ : إني لأُحَدِّثُكَ بِالْحَدِيثِ الْيَوْمَ

١٣٨٨ - مسلم (١ / ١٨٨) - كتاب الإيمان ، ٨٥ - باب في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع ... » .

١٣٨٩ - البخاري (١١ / ٤١٥) - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٧٦) - كتاب الجنة ، ٢ - باب إحلال الرضوان .

والترمذي (٤ / ٦٨٩) - كتاب صفة الجنة ، ١٨ - باب حدثنا سويد بن نصر . وقال حديث حسن صحيح .

١٣٩٠ - مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) .

وقال : رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة ،
ولفظها : سألت الله اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم .

(اللاهين) : قيل هم البُلهُ الغافلون وقيل الذين لم يتعمدوا الذنوب وإنما فرط منهم سهواً ونسياناً وقيل هم الذين لم
يقترفوا ذنباً .

١٣٩١ - أحمد (٤ / ٤٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٥) وقال : رواه أحمد موقوفاً وهو شبه المرفوع ، ورجاله رجال الصحيح .

لعل الله يَنْفَعَكَ به بعدَ اليوم : اعلم أن خيارَ عبادِ الله يومَ القيامةِ المحمّدون .

١٣٩٢ - * روى مسلم عن أبي التَّيَّاح قال : كان لَطَرْفُ بن عبدِ الله بن الشَّخِيرِ امرأتان ، فخرج من عندِ إحداهما ، فلما رَجَعَ قالتُ له : أتيتَ من عندِ فلانة ؟ قال : أتيتُ من عندِ عِمْران بن حَصِينٍ ، فحدَّثنا : أن رسولَ الله ﷺ قال « إن أَقْلُ ساكني الجنةِ النساءُ » .

١٣٩٣ - * روى أحمد عن أبي بكرٍ الصديق عن النبي ﷺ قال : « لا يدخلُ الجنةَ بخيلٌ ولا خَبٌ ولا خَائِنٌ ولا سَيْئُ الْمَلَكَةِ ، وأوَّلُ من يَقْرَعُ بابَ الجنةِ المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله عز وجل ، وفيما بينهم وبين مواليتهم » .

١٣٩٤ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « عُرِضَ عَلَيَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يَدْخُلُونَ الجنةَ : شهيدٌ ، وعفيفٌ مُتَّقِفٌ ، وعبدٌ أَحْسَنُ عبادةِ الله وَنَصَحَ لمواليه » .

١٣٩٥ - * روى البخاري عن طريفِ أبي تممة قال : شهدتُ صفوانَ وجُنْدبا وأصحابه وهو يوصيهم فقالوا : هل سمعتَ من رسولِ الله ﷺ شيئاً ؟ قال : سمعتهُ يقول : « من سَمِعَ سَمِعَ الله به يومَ القيامةِ » ، قال : « ومن شاقَّ شَقَّقَ اللهُ عليه يومَ القيامةِ » فقالوا : أوصنا ، فقال : « إنَّ أوَّلَ ما ينتنُ من الإنسانِ بطنه ، فمن استطاع أن لا يأكلَ إلا طَيِّبًا فليفعل ، ومن استطاع أن لا يُحَالَ بينه وبين الجنةِ بملءٍ كفٍّ

١٣٩٢ - مسلم (٤ / ٢٠٩٧) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٦ - باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

١٣٩٣ - أحمد (٤ / ١) .

والترمذي (٤ / ٣٤٣) ٢٨ - كتاب البر والصلة ، ٤١ - باب ما جاء في البخيل .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١١) وقال : قلت رواه الترمذي وابن ماجه باختصار - رواه أحمد وأبو يعلى وقد حسنه الترمذي بهذا الإسناد .

(الحَقَبَةُ) : الخُتَاعُ .

(سَيْئُ الْمَلَكَةِ) : أي سيئ للعاملة لمملوكيه .

١٣٩٤ - الترمذي (٤ / ١٧٦) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ١٣ - باب ما جاء في ثواب الشهداء .

قال عمق الجامع : ورواه أيضاً أحمد في المسند والحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

١٣٩٥ - البخاري (١٣ / ١٢٨) ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٩ - باب من شاقَّ شَقَّ اللهُ عليه .

من دم هراقه فليُفعل^١ . قلتُ [أي راوي كتاب البخاري] لأبي عبد الله : من يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ، جندب ؟ قال : نعم جندب .

كما قاله ابن حجر في شرحه : (قوله : « من شاق شقق الله عليه » : من أدخل على الناس المشقة أدخل الله عليه المشقة فهو من : الجزء من جنس العمل . قوله : « من سمع سمع الله به » : من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعه جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه ، وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ... وقيل من شَرَّ بغيره ... فيكون أيضاً من : الجزء من جنس العمل ، والمراد في الحديث النهي عن القول القبيح في المؤمنين وكشف مساوئهم وعيوبهم وترك مخالفة سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم والنهي عن إدخال المشقة عليهم والإضرار بهم وكانت وصية صفوان هذه لمجموعة من الخوارج) .

وزيد في رواية : قال : فبكى القوم فقال جندب : لم أر كاليوم قط قومًا أحق بالنجاة من هؤلاء إن كانوا صادقين - ولقد صدقت فراسته لذا قال : إن كانوا صادقين فإنهم لما خرجوا بذلوا السيف في المسلمين وقتلوا الرجال والأطفال وعظم البلاء بهم .

وفي رواية^(١) : عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كَفٍّ من دم يهريقه كأنما يذبح دجاجة كلما يعرض لباب من أبواب الجنة حال بينه وبينه ، ومن استطاع منكم أن لا يجعل في بطنه إلا طيباً فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه » .

١٣٩٦ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ، فاستتردته فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً ، فقلت : أي رب إن لم يكن هؤلاء

(١) للمعجم الكبير (٢ / ١٦٠) .

جمع الزوائد (٧ / ٢٩٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٩٦ - أحمد (٢ / ٣٥٩) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

مُهَاجِرَ أُمِّي قَالَ إِذَا أَكْمَلْتُمْ لَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ .

١٣٩٧ - * روى أحمد عن معاوية بن خبابة أن رسول الله ﷺ قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله عز وجل » .

١٣٩٨ - * روى أحمد عن حذيفة قال : غاب عنا رسول الله ﷺ فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة حتى ظننا أن نفسه قد قبضت فيها ، فلما رفع رأسه قال : « إن ربي عز وجل استشارني في أمي ماذا أفعل بهم ؟ قلت : ما شئت ربي هم خلقك وعبادك . فاستشارني الثانية ، فقلت له : كذلك ، فقال لا نخزيك في أمك يا محمد ، وأخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلي ، فقال ادع تجب وسئل تعطه ، فقلت لرسوله : أو معطي ربي عز وجل سؤلي ؟ قال : ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ، ولقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر ، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً وأعطاني أن لا تجوع أمي ولا تغلب ، وأعطاني الكوثر من الجنة يسيل في حوضي ، وأعطاني العز والنصر والرغب يسير بين يدي ولأمتي شهراً ، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة وطيب لي ولأمتي الغنية وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج » .

١٣٩٩ - * روى أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمي أربعمئة ألف » فقال أبو بكر زدنا يا رسول الله ، قال : « وهكذا » وجمع كفيه فذكر نحوه .

١٤٠٠ - * روى أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال : « وعدني ربي عز وجل أن

١٣٩٧ - أحمد (٢ / ٥) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

١٣٩٨ - أحمد (٥ / ٣٩٣) .

جمع الزوائد (١٠ / ٨٦) وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١٣٩٩ - أحمد (٣ / ١٦٥) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٠٠ - أحمد (٢ / ١٩٣) .

يَدْخِلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي مِائَةَ أَلْفٍ « فقال أبو بكر رضي الله عنه : زدنا يا رسول الله ، قال : « وهكذا » وأشار بيده ، قال : يا نبي الله زدنا قال « وهكذا » قال عمر : قَطِيعَ يَأْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ : مَا لَنَا وَلَكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ . قَالَ عُمَرُ : إِنَّ اللَّهَ إِنْ شَاءَ يَدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ كُلَّهُمْ بِحِفْظَةٍ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَّقَ اللَّهُ عُمَرَ » .

١٤٠١ - * روى أحمد عن ابن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ « كيف أنتم ورُبُّعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَكُمْ رُبُّعُهَا وَلِسَائِرِ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ أَرْبَاعُهَا » ، فقلنا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَثَلَاثُهَا » قَالُوا : فَذَلِكَ أَكْثَرُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٍّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا » .

١٤٠٢ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : « هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تَسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَةُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ : ائْتُوهُمْ فَحْيَوْمَ . فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : نَحْنُ سَكَّانُ سَمَاوَاتِكُمْ وَخَيْرَتُكُمْ مِنْ خَلْقِكُمْ أَفْتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءَ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ » قَالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَتَسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَةُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً » . قَالَ : « فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ

= جمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(قَطِيعَ) : حَبِيبُكَ .

١٤٠١ - أحمد (١ / ٤٥٣) .

والمجم الكبير (١٠ / ٢٠٨) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٠١) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤٠٣) وقال : قلت : هو في الصحيح باختصار رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني في الثلاثة ، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق .

وفي التقريب : صدوق بخطه .

١٤٠٢ - أحمد (٢ / ١٦٨) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٥٦) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢٥٦) وقال : زواه أحمد والبخاري والطبراني ورجالهم ثقات .

١٤٣١

ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ ^(١) .

١٤٠٣ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ثلثة تدخل الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكارة ، وإذا أمروا سيعوا وأطاعوا ، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره ، والله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها ، فيقول : إن عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي وجاهدوا اذخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب » .

١٤٠٤ - * روى الطبراني عن عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « تدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً » ، فقيل : صفهم لنا . فقال : « الدنسة ثيابهم ، الشعثة رؤوسهم ، الذين لا يؤذن لهم على السدات ، ولا ينكحون المتنعمات ، توكّل بهم مشارك الأرض ومغاربها ، يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم » .

١٤٠٥ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين في الله لترى غرقهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : مَنْ هؤلاء ؟ فيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » .

(١) الرد : ٢٤ .

١٤٠٣ - أحمد (٢ / ١٦٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٩) وقال : رواه أحمد والطبراني وزاد فيه : « ادخلوا الجنة بلا عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبك الليل والنهار وتقصد لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الله جل ذكره : عبادي الذين قاتلوا في سبيلي فأوذوا في سبيلي ، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عثمان وهو ثقة .
(ثلثة) : الجماعة من الناس .

١٤٠٤ - للمصنف الكبير : (١٢ / ٣١٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٠) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات .
(السدات) : جمع سدة بالضم : باب الدار .

١٤٠٥ - أحمد (٢ / ٨٧) .

مجمع الزوائد : (١٠ / ٤٢٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٠٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رفعه : « يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير » .

قال النووي : (قيل مثلها في رقتها وضعفها كالحديث الآخر أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة وقيل في الخوف والهيبة ، والطير أكثر الحيوان خوفا وفزعا كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم ، وقيل المراد متوكلون) اهـ (شرح النووي على مسلم) .

١٤٠٧ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بَمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ ، وَمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ » .

١٤٠٨ - * روى البزار عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل مَنْ فِي الْجَنَّةِ ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة والمولود في الجنة ، والمؤودة في الجنة » .

١٣٠٩ - * روى أحمد عن أبي أمامة قال : اسْتَضْحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ ؟ قال : « قَوْمٌ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مَقْرَنِينَ فِي السَّلَاسِلِ » .

أقول : المراد بهؤلاء والله أعلم الأسرى الذين يسلمون بعد أسرهم .

١٤١٠ - * روى الطبراني عن شريك بن طريف قال : قال رسول الله ﷺ : « لن

١٤٠٦ - مسلم (٤ / ٢١٨٣) ٥١ - كتاب الجنة ، ١١ - باب يدخل الجنة أقوام ... إلخ .

١٤٠٧ - الترمذي (٤ / ٦٥٤) ٣٨ - كتاب القيامة ، ٤٥ - باب حدثنا هناد .

وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

١٤٠٨ - كشف الاستار (٣ / ٣٠) .

جمع الزوائد (٧ / ٢١٩) وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن معاوية بن مالج ، وهو ثقة .

وفي التقریب : صدوق ربما وهم .

١٤٠٩ - أحمد (٥ / ٢٥٦) .

ومجم الزوائد (٥ / ٣٣٢) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح .

١٤١٠ - للمجم الكبير (٧ / ٢٠٨) .

جمع الزوائد (١٠ / ٢٥٧) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجاله أحدها رجال الصحيح .

١٤٣٣

يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكَ بِعَمَلٍ . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » .

١٤١١ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ » قالوا : ولا أنت ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ » وقال بيده فوق رأسه .

١٤١٢ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يَتَحَدَّثُ - وعنده رَجُلٌ من أهل البادية - « أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ ، فَقَالَ : أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ ؟ يَقُولُ : بَلَى ، وَلَكِنْ أَحَبُّ ذَلِكَ ، فَيُؤْذَنُ لَهُ ، فَيُشَدَّرُ ، فَيَبَادِرُ الطَّرْفَ نَبَاتَهُ وَاسْتِحْصَاؤَهُ ، وَتَكْوِيرَهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ : دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّهُ لَا يَشْبَعُكَ شَيْءٌ » فقال الأعرابي : إنك لَنْ تَجِدَهُ إِلَّا قَرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا ، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ ، فَأَمَّا نَحْنُ : فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ ، فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

١٤١٣ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ ، كَانَ حَمْلَةً وَوَضَعَهُ وَسِتَّةٌ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَشْتَهِي » .

١٤١٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ ، يَضْرِبُونَ بِهَا

١٤١١ - أحمد (٥٢ / ٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٦) وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١٤١٢ - البخاري (١٣ / ٤٨٧) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٨ - باب كلام الرب مع أهل الجنة .

١٤١٣ - الترمذي (٤ / ٦٩٥) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٣ - باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأحمد (١ / ٣) .

وابن ماجه (٢ / ١٤٥٢) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٩ - باب صفة الجنة .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٧) .

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقاق ، باب في ولد أهل الجنة .

وقال محقق الجامع : إسناده حسن .

١٤١٤ - مسلم (٣ / ١٦٨٠) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٤ - باب النساء الكسيات العاريات .

الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مُميلات مائلات ، رؤوسهن كأُسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يخرجن رِيحها وإن رِيحها لَتُوجَدَمِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا .

١٤١٥ - * روى أحمد عن عُمارة بن خُزَيْمة قال : بينما نحن عند عمرو بن العاص في حجٍّ أو عَمْرَةٍ قال : بينما نحن مع رسولِ الله ﷺ في هذا الشَّعْبِ : إذ قال : « انظروا هل ترون شيئاً » فقلنا نرى غُرَبَانَا مِنْهَا غَرَابٌ أَصَمُّ أَحْمَرُ الْمُتَقَارِ وَالرَّجُلَيْنِ . فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في الغُرَبَانِ » .

أقول : المؤمنات من النساء كثيرات بفضل الله تعالى ، ومألن الجنة ، ولكن قسماً كبيراً منهن يدخلن النار بما يفعلنه من موجبات دخول النار ، ثم يكون للمأل إلى الجنة بفضل الله تعالى ، فالنص يتحدث عن مرحلة متقدمة بالنسبة للجنة .

١٤١٦ - * روى أحمد عن عبد الرحمن بن شَيْثَلٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الفَسَاقَ أهل النار » ، قالوا يارسول الله : ومن الفَسَاقُ ؟ قال : « النساء » قال رجل : يا رسول الله أو لسن أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا ؟ قال : « بلى ! ولكنهن إذا أعطين لم يَشْكُرْنَ وإذا ابتلين لم يصبرن » .

١٤١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال النبي

= (كاسيات عاريات) : أي يكشفن بعض أجسامهن وقيل : هو أن يلبسن ثياباً رفاقاً تصف ما تحتها ، فهن كاسيات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

(مائلات مِيلَات) : مائلات ، أي : زائغات عن طاعة الله وعما يلزمهن من حفظ الفروج ، ومميلات : يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات ، أي : متبخترات في مشيهن ، بميلات ، أي : يملأن أعطافهن وأكتافهن وقيل : مائلات إلى الشر ، ميلات للرجال إلى الفتنة .
(رؤوسهن كأُسْنِمَةِ البُخْتِ) : البخت : جبال طوال الأعناق .

١٤١٥ - أحمد (٤ / ١٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩١) وقال : وفي رواية كنا مع عمرو بن العاص في حجٍّ أو عَمْرَةٍ حتى إذا كنا بمر الظهران إذا امرأة في هودجها فذكر نحوه . رواه أحمد ورجاله ثقات .
(الظهران) : موضع بالقرب من مكة

١٤١٦ - أحمد (٣ / ٤٢٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) وقال : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الخيراني ، وهو ثقة .

١٤١٧ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

١٤٣٥

عنه عليه السلام : « قُمتُ على باب الجنة ، فكان عامَّةٌ من دَخَلها المساكينَ ، وأصحابُ الجَدِّ مَحْبُوسونَ ، غيرَ أن أصحابَ النارِ قد أُمِرَ بهم إلى النارِ ، وقتُ على باب النارِ ، فإذا عامَّةٌ من دَخَلها النساءُ » .

١٤١٨ - * روى أحمد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « اطلَّعتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراءَ ، واطلَّعت في النارِ فرأيتُ أكثرَ أهلها النساءُ » .

١٤١٩ - * روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كلُّ ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كلُّ عَتَلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ » .

ومسلم ^(١) في رواية : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ » قالوا : بلى ... وذكره ، وكذلك في أهل النار ، قالوا : بلى . وله في أخرى ^(٢) مثله ، وقال في ذكر أهل النار : « كلُّ جَوَّازٍ زَنِيمٌ مُتَكَبِّرٌ » .

١٤٢٠ - * روى مسلم عن عياض بن حمَّاد المَجَاشِعِي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قالَ ذاتَ يومٍ في خُطْبَتِهِ : « ألا إن رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم ما جَهِلْتُم ما عَلِمَني يومَی هذا ، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حلالًا ، وإني خَلَقْتُ عِبَادِي حَفَاءَ كُلِّهِمْ ، وإنهم أَتَتْهُمُ

= مسلم (٤ / ٢٠١٦) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٣٦ - باب أكثر أهل الجنة الفقراء .
الجنة : الحظ والسعادة .

١٤١٨ - أحمد (١ / ٣٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦١) وقال : رواه أحمد ، وإسناده جيد .

١٤١٩ - البخاري (٨ / ٦٦٣) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ عَتَلٌ بعد ذلك زَلِيمٌ ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٩٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

والترمذي (٤ / ٧١٧) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٣ - باب حدثنا محمود .

(١) مسلم : للموضع السابق .

(٢) مسلم : للموضع السابق .

(عتل) : العَتَلُ : الغليظ الجافي الذي لا ينقاد إلى الخير .

(جَوَّازٌ) : الغليظ الفظ .

(زَنِيمٌ) : الزَّئِيمُ : الدَّعِيُّ للمصق بالقوم وليس منهم ، وقيل : هو اللئيم .

١٤٢٠ - مسلم (٤ / ٢١٩٧) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٦ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... إلخ .

الشياطين فاجتالتهُم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهُم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض ، فقتهم ، فقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبئليك وأبئلي بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان ، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً ، فقلت : رب إذا يثلغوا رأسي ، فیدعوه خبزة ، قال : استخرجهم كما أخرجوك ، واغزهم نعينك ، وأنفق فسنفق عليك ، وابعث جيشاً نبعت خمسة مثله ، وقتل ابن أطاغك ، قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له ، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً ، والحائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خائنه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلِكَ ومالك ، وذكر البخل أو الكذب « والشنظير الفحاش » .

زاد في ^(١) رواية : « وإن الله أوحى إليّ : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » .

وقال في حديثه : « وهم فيكم تبعاً ، لا يبيعون أهلاً ولا مالاً » فقلت : فيكون ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتهم في الجاهلية ، وإن الرجل ليرعى على الحي مابه إلا وليدته يطؤها .

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٦ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... إلخ .

(اجتالتهُم الشياطين) : أي : استخفتهُم ، فجالوا معهم ، ويقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى : اجتالتهُم الشياطين ، أي : جالوا معهم في الضلالة .

(أمرني أن أحرق قريشاً) : كناية عن القتل ، ومثله في ذكر قتال أهل الردة ، فلم يزل يحرق أعضاءهم حتى أدخلهم من الباب الذي خرجوا منه ، ومنه حديث المواق في رمضان : « احترقت » أي : هلكت .

(الثلغ) : الشدخ ، وقيل : هو فضحك الشيء الرطب بالشيء اليابس .

(لا زبر له) : أي : لا عقل له ، ولا تماسك ، وهو في الأصل مصدر .

(الشنظير) : من الأناس - سن الخلق ، والفحاش : المبالغ في الفحش .

١٤٣٧

١٤٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حُجِبَتِ النَّارُ بالشهوات ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ » .

١٤٢٢ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شَرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » .

١٤٢٣ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

١٤٢٤ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، قَالَ لَجَبْرِئِيلَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا . فَحَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ » قال : « وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ ، قَالَ لَجَبْرِئِيلَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا ، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ ، قَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » .

وزاد النسائي^(١) في ذكر الجنة بعد قوله : « قال لجبريل : اذهب إليها » : « وإلى

١٤٢١ - البخاري (١١ / ٣٢٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٨ - باب حجبت النار بالشهوات .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثاني .

وله « حُفَّتْ » بدل « حُجِبَتْ » .

١٤٢٢ - البخاري (١١ / ٣٢١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٩ - باب الجنة أقرب إلى أحدكم .. إلخ .

١٤٢٣ - مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الأول .

والترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره .

وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه صحيح .

١٤٢٤ - أبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في خلق الجنة والنار .

والترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) النسائي (٧ / ٣) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣ - باب الحلف بعزة الله تعالى .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٣) .

المستدرک (١ / ٢٧) .

ما أعددت لأهلها فيها » وكذلك زاد في ذكر النار مثله .

١٤٢٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ ، فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَل ، فَيَلْتَفَتُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعَذِّبْنِي فِيهَا ، فَيَنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا » .

١٤٢٦ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَتَكُونُ عَلَيَّ حَسْرَةً » قال : « وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا » .

وفي رواية ^(١) : « لَا يَدْخُلُ أَحَدُ النَّارِ إِلَّا رَأَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً ، وَلَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا رَأَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزِدَادَ شُكْرًا » .

١٤٢٧ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصَبَّغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ نَعِيمٍ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصَبَّغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ شِدَّةٍ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ ، مَأْمَرٌ بِي بُؤْسٍ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » .

١٤٢٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ،

١٤٢٥ - مسلم (١ / ١٨٠) - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

١٤٢٦ - أحمد (٢ / ٥١٢) .

(١) أحمد (٢ / ٥٤١) .

مع الزوائد (١٠ / ٣٩٩) وقال : رواه كله أحمد ، ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح .

١٤٢٧ - مسلم (٤ / ٢١٦٢) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١٢ - باب صغ أنعم أهل الدنيا ... إلخ .

(فَيُصَبَّغُ) : أي : يُغَمَسُ فِي النَّارِ أَوْ الْجَنَّةِ غَمْسَةً ، كَأَنَّهُ يَدْخُلُ إِلَيْهَا إِدْخَالًا وَاحِدَةً .

١٤٢٨ - البخاري (٨ / ٥٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وَقُولْ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ .

وقالت الجنة : فإني لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم ؟ .

زاد في رواية (١) : « وَغَرَّتَهُمْ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحِمَتِي ، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أَعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَلَأُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ : فَلَا تَمْتَلِئِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ . »

وفي رواية (٢) : « حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ فَنَقُولُ : قَطُّ قَطُّ قَطُّ ، فَهَنَالِكَ تَمْتَلِئِي ، وَيُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلُمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا . »

وللبخاري (٣) قال : « اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ؟ وَقَالَتِ النَّارُ : يَعْنِي أُورِثَ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحِمَتِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَلَأُهَا ، فَأَمَّا الْجَنَّةُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلُمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَإِنَّهُ يَنْشِئُ لِلنَّارِ مِنْ يَشَاءَ ، فَيُلْقُونَ فِيهَا ، فَنَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ وَيُلْقُونَ فِيهَا ، فَنَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيهَا ، فَنَمْتَلِئُ ، وَيُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَنَقُولُ : قَطُّ قَطُّ قَطُّ . »

قال معلق فتح الباري :

جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوي ، صوابه « ينشئ للجنة » كما تقدم برقم ٤٨٥٠ من طريق عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة ، وكما في رقم ٧٣٨٤ من طريق قتادة عن أنس ، فتبين منها أن الراوي هنا سبق لفظه من الجنة إلى النار ، ويسمونه في مصطلح الحديث (المنقلب) اهـ .

وقال ابن حجر : قال أبو الحسن القاسبي المعروف في هذا الموضع إن الله ينشئ للجنة

= مسلم (٤ / ٢١٨٦) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

(١) ، مسلم (٤ / ٢١٨٧) : للوضع السابق .

(٢) البخاري (١٣ / ٤٣٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٥ - باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ ... ﴾ .

. (قط) : حسي وكفاني .

خلقاً وأما النار فيضع فيها قدمه قال : ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقاً إلا هذا . اهـ .

١٤٢٩ - * روى أحمد عن علي بن خالد أن أبا أمامة مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا كلّمكم يدخل الجنة إلا من شرّد على الله شراد البعير على أهله » .

١٤٣٠ - * روى أبو داود عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجوّاط ، ولا الجعظري » ، قال : والجوّاط : الغليظ اللفظ .

١٤٣١ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار : « وكل جعظري جوّاط مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » .

١٤٣٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « أتيت ليلة أسري بي على رجال تُقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » .

١٤٣٣ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج عنق من

١٤٢٩ - أحمد (٢٥٨ / ٥) .

جمع الزوائد (١٠ / ٤٠٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد المدني ، وهو ثقة .

١٤٣٠ - أبو داود (٤ / ٢٥٣) كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق .

وإسناده حسن .

(الجوّاط) : المنوع ، وقيل : السمين المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين .

(الجعظري) : اللفظ الغليظ التكبر .

١٤٣١ - أحمد (٢ / ٢١٤) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٣٢ - كشف الاستار (٤ / ١١٢) .

جمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) وقال بعد أن ذكر نحو هذا الحديث : رواها كلها أبو يعلى والبخاري في الأوسط ، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح .

١٤٣٣ - أحمد (٢ / ٣٣٦) . وروايته مختصرة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٤٤١

النار يوم القيامة فتكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بها ولها لسان تكلم به فتقول : إني أمرت بمن جعل مع الله إلها آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبمن قتل نفسا بغير نفس ، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام .

١٤٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَصْحَابَ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » .

١٤٣٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَيْسَرَ مِنْ هَذَا ، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ ، وَأُدْخِلَكَ الْجَنَّةَ ، فَأَيَّتَ إِلَّا الشَّرْكَ » .

وفي رواية له ^(١) وللبخاري قال : « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقَالُ لَهُ : لَقَدْ كُنْتَ سَأَلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي » .

= وكشف الأستار (١٨٥ / ٤) .

جمع الزوائد (١٠ / ٣١٢) وقال : وفي رواية : « فتنطوي عليهم فتقذفهم في جهنم » رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط ، وأحمد إسناده الطبراني رجاله رجال الصحيح .
١٤٣٤ - البخاري (١٢ / ٥٢٨) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٦ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .
مسلم (٢ / ١٦٦٩) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... إلخ .
وأحمد (٦ / ٨٠) .

وابن ماجه (٢ / ٧٢٨) ١٢ - كتاب التجارات ٥ - باب الصناعات .
١٤٣٥ - مسلم (٤ / ٢١٦٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١٠ - باب طلب الكافر الفداء ... إلخ .
(١) مسلم (٤ / ٢١٦١) : للوضع السابق .
والبخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٩ - باب من نوقش الحساب عذب .

ط - الجنة والنار مخلوقتان موجودتان

قال ابن كثير في كتاب النهاية رادًا على من زعم أن الجنة والنار ستخلقان وليستا موجودتين الآن :

قال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى :

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَعِظْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ دُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣) .

وقال في حق آل فرعون :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيِنَ جِزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) .

وثبت في الصحيحين ^(٦) ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

(١) الحديد : ٢١ .

(١) آل عمران : ١٣٣ .

(٤) غافر : ٤٦ .

(٢) آل عمران : ١٣١ .

(٥) السجدة : ١٧ .

(٦) البخاري (٨ / ٥١٥ ، ٥١٦) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة السجدة .

١٤٤٣

قلب بشر ، ذخراً بَلَهُ ما أطلعتم عليه . ثم قرأ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ . الآية .

[بله : تأتي هنا بمعنى فضلاً عما أطلعتم عليه ، ومعناها في الأصل : دُع] .

وفي الصحيحين ^(١) ، من حديث مالك ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا ماتَ . عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، فقليل : هذا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفي صحيح مسلم ^(٢) ، عن أبي مسعود : « أرواحُ الشهداء في حواصل طير خُضْرَ ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءتُ ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش » .

ورويانا من حديث الإمام أحمد بن حنبل ^(٣) ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي ، عن مالك ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ فِي طَائِرٍ مَّعْلُوقٍ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » .

وتقدم الحديث المتفق عليه ^(٤) : من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

وذكر الحديث المروي ^(٥) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن

= مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٤ .

(١) البخاري (٣ / ٢٤٣) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٩ - باب الميت يعرض عليه مقعده ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت ... إلخ .

(٢) مسلم (٢ / ١٥٠٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٣٣ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ... إلخ .

وهو مرفوع إلى النبي ﷺ .

(٣) أحمد (٢ / ٤٥٥) ١ .

(٤) البخاري (١١ / ٣٢٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٨ - باب حجبت النار بالشهوات .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ١ .

= (٥) الترمذي (٤ / ٦٩٣ ، ٦٩٤) ٢٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره ... إلخ .

أبي هريرة مرفوعاً : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها » الحديث .
وتقدم الحديث الآخر ^(١) : « لما خلق الله الجنة ، قال لها : تكلمي : فقالت : قد
أفلح المؤمنون » .

وفي الصحيحين ^(٢) : عن أبي هريرة ، وعند مسلم : عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ ،
قال : « تَحَاجَّتِ الجنة والنار » . الحديث .

وفيها ^(٣) : عن ابن عمر ، مرفوعاً : « الحُمَّى من قَيْحِ جهنم » .

وفيها ^(٤) : عن أبي ذر ، مرفوعاً : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة
الحر من قَيْحِ جهنم » .

وفي الصحيحين ^(٥) : « إذا دخل شهر رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة ، وُعِلِّقَتْ
أبواب النار » .

وقد ذكرنا في حديث الإسراء : أن رسول الله ﷺ ، رأى الجنة والنار ليلتين .

وقال الله تعالى ^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ مِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْأَوَى ﴾ .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٣ ، ٤) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٢ - باب الحلف بعزة الله تعالى .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) .

(٢) البخاري (٨ / ٥٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة « ق » .

مسلم (٤ / ٢١٨٦ ، ٢١٨٧) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعمها وأهلها ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

(٣) البخاري (٦ / ٣٣٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٠ - باب صفة النار وأنها مخلوقة .

مسلم (٤ / ١٧٣١) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٦ - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي .

(٤) البخاري (٢ / ١٨) ٩ - كتاب اللواتيت ، ٩ - باب الإبراد بالظهر في شدة الحر .

مسلم (١ / ٤٣١) ٥ - كتاب المساجد ، ٣٢ - باب استحباب الإبراد بالظهر ... إلخ .

(٥) البخاري (٤ / ١١٢) ٣٠ - كتاب الصوم ، ٥ - باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ... إلخ .

مسلم (٢ / ٧٥٨) ١٢ - كتاب الصيام ، ١ - باب فضل شهر رمضان .

(٦) النجم : ١٣ - ١٥ .

وفي الصحيحين ^(١) « ثم أدخلت الجنة ، فإذا جَنَابُ اللَّوْلُو ، وإذا تَرَائِبُ الْمِسْكِ » .
[جَنَابُ اللَّوْلُو : قِيَاب اللَّوْلُو واحدها جُنْبَةٌ] .

وفي صحيح ^(٢) مسلم : من طريق قتادة : عن أنس ، عن رسول الله ﷺ ، قال :
« بينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قِيَاب اللَّوْلُو المجوف ، فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك » .

وفي مناقب عمر : أنه ﷺ قال : « أدخلت الجنة فرأيت جارية تتوضأ عند قصر ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لعمري بن الخطاب . فأردت أن أدخله ، فذكرتُ غَيْرَتَكَ » . فبكى عمر وقال : أو عليك أغار يا رسول الله ؟ !

والحديث في الصحيحين ^(٣) ، عن جابر .

وقال لبلال ^(٤) : « دخلت الجنة فسمعتُ خَشْفَ نعليك بين يدي في الجنة ، فأخبرني بأرجى عملٍ عَمِلْتَهُ في الإسلام » ، فقال : ما علمت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعةً من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعةٍ من ليل ولا نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي .

وأخبرني عن الرميضاء أنه رآها في الجنة .

أخرجاه ^(٥) عن جابر بن عبد الله .

(١) البخاري (٦ / ٣٧٥) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٥ - باب ذكر إدريس عليه السلام ... إلخ .

مسلم (١ / ١٤٩) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ ... إلخ .

(٢) وهو في البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٢ - باب في الحوض ... إلخ .

وأحمد (٣ / ١٩١) .

(٣) البخاري (٩ / ٣٢٠) ٦٧ - كتاب النكاح ، ١٠٧ - باب الفيرة .

مسلم (٤ / ١٨٦٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٢ - باب من فضائل عمر رضي الله عنه .

(٤) مسلم (٤ / ١٩١٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٢١ - باب من فضائل بلال رضي الله عنه .

أحمد (٢ / ٣٣٣) .

(٥) البخاري (٧ / ٩٠) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة ، ٦ - باب مناقب عمر بن الخطاب .

مسلم (٤ / ١٩٠٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ١٩ - باب من فضائل أم سلم .

[الرميضاء : قال ابن الأثير : (يقال غَمِصَتِ العَيْنَ وَرَمِصَتِ ، من الغَمَصِ والرمَصِ ، وهو البياض الذي تَقْطَعُهُ العين وَيَجْتَمِعُ في زوايا الأجفان ، والرمص : الرطب منه ، والغَمَصُ : اليابس ، والغَمَصُ والرُّمَصُ : جَمْعُ أَغْمَصَ وَأَرْمَصَ ، وانتصبا على الحال لا على الخبر ، لأن أصبح تامّة ، وهي بمعنى الدُّخُولِ في الصباح . قاله الزمخشري) اهـ من النهاية] .
وأخبر في يوم صلاة الكسوف ^(١) ، أنه عَرَضَتْ عليه الجنة والنار ، وأنه دَنَتْ منه الجنة ، وأنه هَمَّ أن يأخذَ منها قِطْفًا من عنب .

وفي الصحيحين ^(٢) : من طريق الزهري : عن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتَ عَمْرُو بْنَ عَامِرِ بْنِ لَحْيٍ الْخَزَاعِيَّ ... يَجْرُقُ قَصْبَهُ فِي النَّارِ » .
[قَصْبُهُ : الْقَصْبُ : الْمَقَى] .

وقال في الحديث الآخر ^(٣) : « وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِخْجَنِ » .
وقال رسول الله ﷺ ^(٤) : « دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ ، فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا ، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » ولقد رَأَيْتَهَا تَحْمِسُهَا » .

وأخبر ^(٥) عن الرجل الذي يَنْحِي غَضْنَ شَوْكٍ عن طريق المارة ، فقال : « فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَسْتَظِلُّ بِهِ فِي الْجَنَّةِ » .

وفي الحديث : في صحيح مسلم ^(٦) : عن أبي هريرة ، بلفظ آخر .

(١) البخاري (٥٤٠ / ٢) - ١٦ - كتاب الكسوف ، ٩ - باب صلاة الكسوف جماعة .
ومسلم (٦٢٦ / ٢) - ١٠ - كتاب الكسوف ، ٣ - باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ... إلخ .
وابن ماجه (٤٠٢ / ١) - ٥ - كتاب إقامة الصلاة ، ١٥٢ - باب ما جاء في صلاة الكسوف .
والنسائي (١٣٧ - ١٣٩) - ١٦ - كتاب الكسوف ، ١٤ - باب نوع آخر .
(٢) البخاري (٥٤٧ / ٦) - ٦١ - كتاب المناقب ، ٩ - باب قصة خزاعة .
مسلم (٢١٩٢ / ٤) - ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .
(٣) النسائي (١٣٩ / ٣) - ١٦ - كتاب الكسوف ، ١٤ - باب نوع آخر .
(٤) البخاري (٤١ / ٥) - ٤٢ - كتاب المساقاة ، ٩ - باب فضل سقي للماء .
(٥) مسند أحمد (١٥٤ / ٣) .
(٦) مسلم (٢٠٢١ / ٤) - ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ٣٦ - باب فضل إزالة الأذى عن الطريق .

وفي الصحيحين ^(١) : عن عمران بن حصين ، أن رسول الله ﷺ قال : « أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » .

وفي صحيح مسلم ^(٢) : من طريق المختار بن قَلْقَل الخزومي : عن أنس ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ، لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا رَأَيْتَ ؟ قال : « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ » .

وأخير ^(٣) أن المتوضّع إذا تشهد بعد وضوئه فإنه تَفْتَحُ له أبوابُ الجنة ، يدخلُ من أياها شاء .

وفي صحيح البخاري ^(٤) : من حديث شُعْبَةَ ، عن عَدِي بْنِ ثَابِتٍ ، عن البراء بن عازبٍ ، قال : لما توفي إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله ﷺ قال : « إِنْ لَهُ لَمَرْصِعًا فِي الْجَنَّةِ » .

وقال البيهقي ^(٥) : أخبرنا الحاكم ... [وساقَ سنده] .

عن أبي هريرة ^(٦) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وكذا رواه وكيع : عن سفيان - وهو الثوري - . والأحاديث في هذا كثيرة جدًا .

وقال الله تعالى ^(٧) : ﴿ وَوَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

والجمهور على أن هذه جنة المأوى اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

(١) البخاري (٢٩٨ / ١) ٦٧ - كتاب النكاح ، ٨٨ - كفران العشير .

ومسلم (٢٠٩٦ / ٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٦ - باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

وهو عند مسلم عن ابن عباس ، وليس عن عمران .

(٢) مسلم (٣٢٠ / ١) ٤ - كتاب الصلاة ، ٢٥ - باب تحريم سبق الإمام .

(٣) مسلم (٢١٠ / ١) ٢ - كتاب الطهارة ، ٦ - باب الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٤) البخاري (٣٢٠ / ٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

(٥) السنن الكبرى (٩ / ٤) كتاب الجنائز ، باب السقط يغسل ويكفن .

(٦) أحمد (٢٣٦ / ٢) .

والستدرك (٢٨٤ / ١) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٧) البقرة : ٣٥ .

الفقرة الحادية عشرة

﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾

في تاريخ العالم ظهرت ممالك ودول وإمارات وظهر ملوك ورؤساء وأمراء ، وكل ذلك يخلقه جل جلاله بعلمه وإرادته وقدرته وكل ما خلقه الله عز وجل إنما خلقه ليتعرف المكلفون على مملكته وأسمائه ، فمن خلال معرفة الحكم والمملك تعرف اسمي الله : الحكم والمليك ، ومن خلال سعة الكون تعرف عظمة الله وتعرف اسم الله : العظيم ، ولكن مهما تأمل الإنسان وتفكر فإنه لا يقدر الله حق قدره ، قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ ^(٢) . انظر إلى اسم الملك وتدبر ما مر معنا في هذا القسم فهل تقدر هذا الاسم حق قدره ؟

انظر إلى سعة هذا الكون وما فيه من مخلوقات غيبية وحسية تعرف سعة مملكته وهو قادر على أن يخلق ما لا يتناهى من أمثاله وغير أمثاله ، ثم انظر إلى انتظام مملكته وحسن تقديره وبديع صنعه ولطيف حكمته وجميل إحسانه ، ثم انظر إلى أن كل ما قضاه أن يكون مسجلاً في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ ، وأن كل ما يجري لا يخرج عما سجله القلم ، وأنت ترى عجز الملوك والحكام عن التخطيط الشامل ، وترى عجزهم عن تنفيذ كل ما سطروه ، ثم انظر إلى ترتيبات شؤون الملائكة لتعرف أي جند جنده ، ثم انظر إلى اصطفاء الرسل وإنزال الشرائع لتعرف أي كمال في رسله ورسالاته ، ثم انظر إلى قهره في الدنيا وإمداده لتعرف انتقامه وحلمه ، ثم تأمل أي سجن أعداه للمخالفين عن أمره : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ ^(٣) . وتأمل مكافأة أوليائه بالجنة ، ثم تأمل كيف يقيم الحجة على خلقه بالإشهاد والكتابة والحساب لتعرف عدله ، ثم تأمل هول الموقف إذ يقف الناس صافين أقدامهم رافعي رؤوسهم غاية الاستعداد والخوف ، وكيف تأتي الملائكة صفاً صفاً وكيف تحف الملائكة بالعرش لتعرف أي جلال جلاله . ثم انظر إلى قبوله شفاعة الشفعاء لتعرف أي إكرام إكرامه .

(٢) طه : ١١٠ .

(١) الأنعام : ٩١ .

(٣) الإسراء : ٨ .

١٤٤٩

إن غاية ما ذكر من جلال الملوك ومن ترتيباتهم ومن عدلهم ومن قهرهم ومن سعة
سلطانهم ومن أفعالهم أن تتعرف من خلال تقصهم على كاله ومن خلال كالاتهم على حقارة
ذلك بالنسبة لكالاته .

فاعرف أيها المسلم أن الملك الحق هو الله عز وجل وكن له عبدا بكل ما تقتضيه صفات
العبودية وترنم مع الحداة :

لا تَدْعِيْ إِلَّا يِـسَاعْبُدَ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي

* * *

خاتمة الباب الثاني

ذكرنا في فصل اليوم الآخر بعض ما يكون بين يدي الساعة ، كما ذكرنا شيئاً عن الموت والحياة البرزخية .

وذكرنا بعض ما يكون يوم القيامة وما بعد ذلك ، وما ذكرناه في هذا الفصل هو بعض ما ورد في اليوم الآخر ، فالنصوص في شأن اليوم الآخر أوسع ؛ لأن الكلام عن اليوم الآخر نجده من الكثرة في نصوص الكتاب والسنة بحيث يحتاج الإنسان لاستكمال المعرفة الممكنة إلى دراسة الكتاب والسنة ، ولكن الحاجة إلى التعلم تقتضي التبويب .

والمطلوب من المسلم أن يكون عنده تصور إجمالي عن اليوم الآخر ، ويندب له أن يعرف التفاصيل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، كما يطالب المسلم بالتصديق والتسليم ، وألا يفر إلى التأويل في شأن اليوم الآخر ، إلا إذا وجد الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة يؤولون ، فله بهم أسوة ، والتفويض أسلم وأحكم وأدل على الإيمان ، كما أن مما يندب للمسلم أن يتأمل في ما هو كائن من أحداث اليوم الآخر فيتأمل ما أخبر به الرسول ﷺ ووقع ، ليزيده ذلك يقيناً فيما أخبر عنه ولم يقع ، أنه واقع ، فيتذكر قرب الساعة ويتذكر ما يكون بين يديها من أهوال وفتن ، فينوي ويدعو أن يكون ظاهراً وباطناً على ما هو الأحب لله تعالى .

ثم ليتذكر الموت وليتأمل ما ورد في الحياة البرزخية ويمجد مع الله نية ، ثم يتذكر النفخة الأولى وما يكون فيها فيتذكر ما يحدث للأرض والسموات ، وما يحدث للمخلوقات ، ثم يتذكر النفخة الثانية وما يكون بعدها من نشر وحشر ، وموقف وشفاعة لرسول الله ﷺ لفصل الخطاب ، وما يكون بعد ذلك من جدال ومعاذير ، وإقامة حجة وتمييز لأهل التوحيد والإيمان عن أهل الشرك والكفر ، وليتذكر بعث النار ، وليتذكر قبل ذلك الجنة والنار وقد جيء بها ثم ليتذكر حال العطش ، وأن الري لا يكون إلا من الحوض ، وليحذر أن يرد عن الحوض ، ثم ليتذكر الحساب والميزان وليطلب من ربه أن يكون من الذين يدخلون الجنة بغير حساب . وليتذكر انحباس الناس دون الصراط فلا يعبرون إلا

بشفاعة جديدة من رسول الله ﷺ ، ثم ليتذكر المرور على الصراط ، ويتذكر أن على الصراط قناطر ، فيتذكر هول المرور وهول المقاصّة ، ثم ليتذكر أنه حتى إذا تجاوز الصراط فإنه لا دخول إلى الجنة إلا بعد أن يتطهر من أمراضه القلبية كلها ، ليكون مؤهلاً لهيئة أهل الجنة في طولهم وحسنهم وعرضهم ، ثم ليتذكر أنه لا دخول إلى الجنة إلا بشفاعة جديدة من رسول الله ﷺ ، فيعرف لهذا الرسول ﷺ بعض قدره ، ثم ليتذكر الجنة وما أعده الله فيها ، وليذكر تفاوت الناس في منازلهم فيطلب ويعمل ليكون من أهل عليين وليتذكر النار وأهلها الباقين فيها ، وأهلها الذين يخرجون بشفاعات الشافعين ، فينوي ويعمل ويدعو ويبكي من أجل أن يكون من الشافعين ، وهكذا فلتكن لك يا أخي المسلم جولات من التأملات اليومية فيما سيكون ، فهذا باب كثرت عنه الغفلة ، فقل داخلوه وهو الذي لو عقل الناس ما نسوه طرفة عين ، ومع هذا كله فإنه مما ينبغي أن يكون له من يومك نصيب تلاوة القرآن الكريم والتأمل في كل آية ، فإن فيه علم الأولين والآخرين ، وتأمل الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر وتدبرها وأعطاها حقها من الرهبة والرغبة ، فتلك من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ثم ليكن لك نظرك في السنة النبوية وما فيها من تذكير بما يستقبل الإنسان ، فإن استطعت أن تبكي فتلك علامة على سلامة القلب وعلى تشريه العلم والحكمة ، ولينبثق عن ذلك كله قيام بحق الله ابتداءً بكثرة العبادة والذكر ، وتوسطاً بالقيام بحقوق الله ، وحقوق العباد في المعاملة وانتهاءً بتعلق القلب بالله وبيعاً للنفس في مرضاته .

ولنتنقل الآن إلى الباب الثالث من قسم العقائد وهو تحت عنوان : (مباحث عقدية) .

١٤٥٣

الباب الثالث
في:
سَبَاحُ عَقْدِيَّة
وفيه:
مقدمة وفصول

المقدمة

ذكرنا في قسم السيرة النبوية الكثير من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، ونذكر أن يمر معنا قسم إلا وفيه من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وأثناء تفسيرنا للقرآن مرت معنا معجزات كثيرة ، والمعجزة القرآنية هي أعظم المعجزات على الإطلاق في كل العصور لظهورها وديمومتها ، وظهور المعجزة على يد الرسول علامة الرسالة .

ولقد كان من سنة الله عز وجل ليتأصل الإيمان ويتمتع ولتبقى حجج الله على خلقه متوالية أن جعل الكرامات على يد أوليائه استمراراً للمعجزات وتثبيتاً لأهل الإيمان .

ومع الكرامات نجد المعونات والتأييدات والتوفيقات التي يكرم الله عز وجل بها عباده المؤمنين على مقتضى الأسباب ولكن بما يظهر معه توفيق الله للمؤمنين أو بركته .

ومن الكرامات أو المعونات استجابة الدعاء ، وإنما جعل جلّ جلاله المعجزات بالقدر الذي تقوم به الحجة حتى لا تصبح عادة فتضعف بذلك حجيتها ، ومن ناحية أخرى فإن الذين يكذبون بالآيات بعد ظهورها يستحقون العذاب :

قال الله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ (١) .

ولقد جعل الله عز وجل ظواهر الكون ومظاهره بحيث يعرف بها الله عز وجل ، وجعل عز وجل في المعجزات والكرامات والمعونات مزيداً من الحجج وعلامة على قدرته جل جلاله ، ومن خلال ذلك يعرف المكلف ربه عز وجل ويعرف رسل ربه وأوليائه ، ويقتضي ذلك منه إيماناً والتزاماً بوحى الله عز وجل ، وإجلالاً لله ولرسله وأوليائه .

وهذا هو دين الله الإسلام ، الذي هو معرفة الله ورسوله والتصديق بقول الله ورسوله ، والالتزام بأمر الله ورسوله ، وإذا كان الكون وقوانينه وما فيه من روائع وخدمات مستخرّاً للإنسان :

(١) الإسراء : ٥٩ .

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ ^(١) .

﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ ^(٢) .

﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ ^(٣) .

وإذا كان الإنسان باجئاً عن المصلحة والمنفعة حريصاً عليها لا يفي يبحث عن أمور دنياه ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ والآخرة خير وأبقى ﴾ ^(٤) .

فقد جعل الله عز وجل أمر استكشاف الدنيا للإنسان ومن ههنا جاء قوله عليه الصلاة والسلام : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ^(٥) .

وقال جل جلاله : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ ^(٦) .

ومن هذا وغيره قسم علماء العقائد الأحكام التي يصدرها الإنسان إلى ثلاثة :

فهناك الحكم العقلي الذي يدرك بحض العقل .

وهناك الحكم العملي الذي يدرك بالتجربة والاستقراء والاستنتاج وهو الذي يسمونه بالحكم العادي .

وهناك الحكم الشرعي الذي يعرف بواسطة الوحي .

ولكل مجاله ، ولكل وسائل البحث فيه ومن لم يعرف أنه لا يتناقض حكم عادي مع حكم عقلي أو شرعي ولا حكم عقلي مع حكم عادي أو شرعي ، ولا حكم شرعي مع عقلي أو عادي فقد أخطأ التصور ، ومن طلب من الشرع أن يعرفه على الحكم العادي إلا بقدر ما يحتاجه الحكم الشرعي ، أو طلب من الشرع أن يعرفه بالحكم العقلي إلا الأحكام العقلية

(٢) هود : ٦١ .

(١) البقرة : ٢٩ .

(٤) الأعلى : ١٦ ، ١٧ .

(٣) لقمان : ٢٠ .

(٥) مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٢٨ - باب وجوب امتثال ما قاله شرقاً ...

(٦) الروم : ٧ .

التي تحتاجها إقامة الحجة على صحة الشرع فإنه يأتي البيوت من غير أبوابها ، نعم فقد يخرق الله الحكم العادي بمعجزة أو كرامة لتقوم الحجة على الخلق أو ليزداد أهل الإيمان إيماناً .

وهناك حالة من خرق العوائد تأتي استدراجاً لأصحابها كما يظهر على يد المسيح الدجال وذلك لا يكون إلا إذا كانت حجة الله على أصحاب ذلك قائمة بأنهم كاذبون في دعواهم .

إن معرفة هذه القضايا تأتي بالدرجة العليا من الأهمية في قسم العقائد ولذلك أحببنا الإشارة إليها هنا مؤكدين ما مر معنا من قبل ، ويناسبة أننا ضمّنا هذا الباب كلاماً عن المشوشات على المعجزات والكرامات والمعنونات .

إن في المعجزات والكرامات حجة لله على خلقه ، ويشوش على ذلك في حق بعض الناس الخوارق التي هي من باب الاستدراج كما يظهر على يد المسيح الدجال ، وإنما جعل الله عز وجل هذا النوع من الخوارق ليبقى للعقل وللشرع دوره في الإثبات والنفي . فالاستقامة على الشرع شرط وجود الكرامة وإلا فهي استدراج ، وموافقة الدعوى للحكم العقلي شرط وجود الخارقة التي هي حجة لصاحبها ، فعندما يدعي المسيح الدجال الألوهية وهو أعور ، وهو جسد فدعواه تنقضها العقول ، فالعقول تثبت أن الله صفات الكمال وأنه تنزه عن صفات الحوادث .

ومن هنا كان هذا النوع من الخوارق تشويشاً على المعجزة والكرامة في حق الجاهلية والسفهاء ، وهناك مشوشات أخرى على المعجزات والكرامات :

فهناك الكهانة والتنجيم اللذان يشوشان على النبوة والكشف ، واللذان هما أثر عن إجماع الشياطين وإنما يُعرَفُ أصحاب ذلك من الكذب وعدم الاستقامة .

ومن المشوشات على المعجزة والكرامة السحر ، وهناك فارق بين السحر والخارق : أن السحر يجري على مقتضى عالم الأسباب ، بينما المعجزة والكرامة خرق لعالم الأسباب .

ومن هنا أدخلنا في هذا الباب فصلاً حول هذه المشوشات :

وقد وقع أهل الجاهلية في إسفافات خطيرة من جملتها قضية تحكيم الأزام والطيرة التي تعني في النهاية تحكيم الجماد والطير في قرار الإنسان ، وقد أبدلنا الله بها الاستخارة فلا

أروع ولا أشرف .

ومن طبيعة الإنسان التفاؤل والتشاؤم ، ولذلك تأثيره على سلوك الإنسان وهو بشكل من الأشكال له علاقة بالتوكل ، فالتفاؤل يرافقه توكل والتشاؤم إضعاف للتوكل. وضعف فيه .

والإنسان بطبيعته إذا أصابته مصيبة يفر إلى غيره فإذا كان الفرار إلى الله فما أحلاه ، ولكنه يفر أحياناً إلى عالم الأسباب ، فإذا كان فراره مقيداً بالحكم الشرعي فلا حرج ، وما يفر إليه الإنسان أن ينسب أشياء إلى عالم الأسباب ناسياً خالقها ، وما يفر إليه الإنسان التمية والرقي ، فإذا فر إلى مباح شرعاً فذلك له وجهه وإلا فقد وقع في المخطور ، وقد أدخلنا هذه الأبحاث في هذا الباب لأن لها صلة بالعقائد .

ولا زال هذا الإنسان مجهولاً ، ولا زال بعض الناس لهم خاصيات ، ومن الخواص التي ذكرها الشارع خاصة العين ، ولورودها في كلام الشارع ولأن فيها جانباً غيبياً أدخلناها في هذا الباب .

وانتقال المرض من إنسان لإنسان ومن حيوان لحيوان أو من حيوان لإنسان أو من إنسان لحيوان مشاهد معروف ، ولكن هذه قضية متداخلة ومتسلسلة وخفية ولذلك أهدرها الشارع ، وعلى هذا نفهم قوله عليه الصلاة والسلام : « لاعدوى » ^(١) فليس المراد بذلك أن أحداً لا يعدي أحداً بمرض فذلك منفي بالمشاهدة ومنفي في أحاديث أخرى لرسول الله ﷺ ؛ وإنما المراد أن العدوى لا يترتب عليها حكم ولا مسألة ، ولالتباس هذا الأمر أدخلناه في العقائد .

وكان أهل الجاهلية ينذرون لأصنامهم وأوثانهم ، والنذر عبادة ، ثم إن النذر يعني في النهاية إنشاء لعبادة يوجبها الإنسان على نفسه ، وهي قضية يختلف فيها الحكم الفقهي بالحكم الاعتقادي ويقع فيها لبس قد يوصل إلى شرك أو إثم فأدخلنا موضوع النذر ههنا ، واليهين

(١) البخاري (١٠ / ١٧١) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٥ - باب لا ضرر .

ومسلم (٤ / ١٧٤٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

بالله فيه معنى التعظيم لله واليهين بغيره فيه تعظيم لذلك الغير ، وفي كل الأحوال فإن الأمر مرتبط بالعقائد بشكل من الأشكال وإن كانت تفريعات من مسائل الإيمان تدخل في كتب الفقه ، فأدخلنا هذا الموضوع هنا .

فهذه موضوعات هذا الباب الذي أسميناه : مباحث عقديّة :

السحر والكهانة والتنجم وقطع نسبة الأشياء إلى الله والطيرة والفأل والشؤم والعدوى والعين والرقي والندور والأيمان وقد جعلناها في فصول ، وهذه هي فصول هذا الباب :

الفصل الأول : في بعض المشوشات الزائفة علي النبوة : السحر والكهانة والتنجم .

الفصل الثاني : في نسبة الحادثات إلى الأسباب مقطوعة عن الله عز وجل .

الفصل الثالث : في الطيرة والفأل والشؤم والعدوى وما يجري مجراها .

الفصل الرابع : في العين والتائم والرقي .

الفصل الخامس : في النذر .

الفصل السادس : في اليمين .

* * *

١٤٦١

الفصل الأول
في:
بعض أسرار الزائفة على أسيرة
السحر والكهانة والنجيم
وفيه:
مقدمة ونقول ونصوص

المقدمة

إذا أردت أن تقيم الحجة على الناس برسالات الرسل ، فإن من جملة ما تحتج به خوارق العادات التي تظهر على أيديهم أو معهم ، وهي التي تسمى بالمعجزات ومن جملة ذلك : إخبار الرسل عن مستقبل لم يقع فيقع كما أخبروا فإذا ما احتججت على الناس بهذا فَرَّ بعض الناس من هذه الحجج : فتحدثوا عن السحر وعن الكهانة وعن التنجيم وكأنهم يعتبرون أن ما يظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام هو من هذا القبيل .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝ ﴾^(١) .

وغاب عن هؤلاء أن المعجزة لا دخل لعالم الأسباب بها ، أما السحر فهو جزء من عالم الأسباب ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله ، وكذلك قل فيما يحصل من غرائب بسبب رياضة روحية أو تدريبات خاصة ، فما هي إلا من عالم الأسباب ، أما المعجزة فليست كذلك ، ولذلك كان من المهم جدًا أن يكون عند المسلم معرفة يفرق بها بين ما هو سحر وخارق للعادة سواء كان معجزة لرسول أو كرامة لولي ، كذلك من المهم جدًا أن تكون عند المسلم معرفة يفرق بها بين ما هو كهانة أو تنجيم ، وبين ما هو نبوءة نبي ، فنبوءات الأنبياء حق خالص لما أخبروا به أنه واقع ، فإنه كائن حتمًا ، أما الكهانة والتنجيم فإنها يختلط فيها الخدس والتوسم والكذب والاحتمال ، فالفارق كبير بين وحي هو أثر عن علم الله المحيط ، وبين إيحاءات الشياطين وهواجس الكاذبين ، وإذا صدَّق الكاهن يومًا فهي مرة مختلطة بالكاذب ، وهي إما بالخدس أو من باب إلقاءات الشياطين الذين قد يسمعون الكلمة من الملائكة حال استراقهم السمع فيخلطون بها ما يخلطون .

المهم أن يكون عند المسلم معرفة يميز بها بين ما هو سحر وتنجيم وكهانة ، وبين ما هو معجزة وكرامة ونبوءة صادقة ، والإسلام إذ ذكر المعجزة والكرامة ، وأنباء الغيب لم ينفِ أن يكون هناك سحر وكهانة وتنجيم ، إلا أنه حرم السحر والكهانة والتنجيم ، وحرم على المسلم أن يكون ساحرًا أو يتبع الساحر أو يصدق الكاهن والنجم ، ومن ههنا فإن التعريف

على السحر والكهانة والتنجم له ثلاثة آثار عملية .

الأثر الأول : التمييز بين ذلك ، وما يصدر عن الأنبياء والأولياء .

الأثر الثاني : ينأى المسلم بنفسه أن يدخل في دائرة دعاوى السحرة والكهنة والمنجمين .

الأثر الثالث : أن يعتقد أن السحر والكهانة لهما وجودهما ، فلقد نص القرآن في أكثر من مكان على أن للسحر وجودًا قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ ﴾ ^(١) ، والكهانة ذكرت في السنة النبوية وإذا كان الأمر كذلك فقد عقدنا هذا الفصل ليكون المسلم على ذكر لهذه الأمور ، وهذه تقول ونصوص تشير إلى بعض ما ذكرناه :

(١) البقرة : ١٠٢ .

نُقولُ

في :

السحر والكهانة والتنجيم

قال فريد وجدي في دائرة معارفه عن السحر :

... قال العلماء هو ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين مما لا يقدر عليه الإنسان .

قال ابن خلدون في مقدمته : هو علم بكيفية الاستعدادات ، تقتدر النفوس البشرية به على التأثيرات في عالم العناصر ...

ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره ؛ كانت كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد في كتب الأمم والأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين ، وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم ، وكان لهم فيها التأليف والآثار ، ولم يترجم لنا كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم ، وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم .

[و] اعلم أن وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ (١) .

وقد شاهد الأوروبيون أن في الأقيانوسية عقيدة تأثير الساحر على الإنسان منتشرة كل

(١) البقرة : ١٠٢ .

الانتشار ، ويكفيه للاستيلاء عليه أن يملك خصلة من شعره أو أي قطعة من جسمه وقد لا يعوزه غير خرقه كانت له .

وللسحرة في أفريقيا شأن يذكر ؛ فأين يتوجه السائح يجد الساحر معتبرا كأنه شخص إلهي عنده الأسرار للملكوتية يشفي من الأمراض ويطرده المردة والجنة وينزل الأمطار على الأماكن المجدبة . فلا يتحول ملك الصقع الذي هو فيه لمحاربة عدو أو لسكنى جهة أو للبحث عن أنعام ضالة إلا استشاره ، وجعل رأيه منزلا من حكيم حميد ، ويدعونه هناك مانجانا أو نياغا .

[و] تكثر عند الأفريقيين التائم والتعاويد والطلاسم فإنهم يعززون لها أمورا خارقة للعادة تحفظ من الحسد وتشفي من الأمراض وتجلب الرزق وتوجب المحبة والانعطاف فإذا بدا لأحدهم أن طلبا خطأ غرضا ولم ينتج النتيجة المنتظرة منه لا يشك في أصله ولا يزيد على أن يبدله بسواه معتقدا فيه العقيدة عينها التي كانت عنده لسابقه .

ولما احتل الإسبانىون أمريكا وجدوا للسحر الاعتبار نفسه الذي لأمثالم في جميع بقاع الأرض . رأوم منقطعين في الفيافي يأوون إلى الغيران صائمين متقشفين محافظين على رسوم محدودة من الرياضة النفسية يزعمون أنها أوصلتهم إلى مناجاة الأرواح والتسلط على نواميس الطبيعة .

ورأوا أن للسحرة في أمريكا الشمالية اطلاعا واسعا على خواص النباتات ، فكانوا يصفونها للأمراض المختلفة ، وكانوا يزعمون أنهم بالتأثير على صورة الشخص أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير إلى صاحب الصورة أو التمثال فيضره أو ينفعه كما يريد الساحر .

وقد دلت المخطوطات المصرية القديمة التي وجدت على ورق البردى أن السحر كان له في مصر الاعتبار الأعلى عند جميع الطوائف حتى رُتبت له رسوم وطقوس وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين .

[و] الأمم التي تعتبر أنبيغ الأمم في السحر والنجامة هم الكلدانيون .

وقد ذكر القرآن الكريم السحر في مواضع كثيرة وقد مضى متقدمو الأمة معتقدين

وجوده وأنه من العلوم السرية التي يتحصل عليها بالرياضة وغيرها . ومال بعضهم وكثير من المتأخرين إلى زعم أن السحر سرعة في اليد وصناعة في التويه وليس لها سبب مما وراء الطبيعة . وهو قول ليس له دليل يسنده ، كما أنه ليس لنا دليل على إثبات السحر إلا ما نص عليه القرآن ، ثم ما تقرأه في كتب الخوارق التي ظهرت في أوروبا من منذ تسعين سنة باسم اسبرتزم وغيره مما يرينا جليا أن هنالك عالما روحانياً وفيه من الكائنات ما لا تتصوره وأتينا نستطيع أن نتاجي تلك الكائنات وتناجينا بوسائل خاصة . ومتى كان هذا يمكننا وتقرر أن الوجود عامر بالآيات اللغبية عنا فلا يبعد أن يكون السحر تابعا لقوى روحانية وأنه ليس بمجرد صناعة أو سرعة في يد الساحر . اهـ .

وقال فريد وجدي في دائرة معارفه عن التنجيم :

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته :

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة .

ثم إنه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حُدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن .

وقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع ، وضعف مداركها مع ذلك عن طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد ، إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحيان اتفاقاً لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق فيلجج بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق في سائر أحكامها وليس كذلك فيقع في رد الأشياء إلى غير خالقها . ثم ما ينشأ عنها كثيراً في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء والمتربصين بالدولة إلى الفتك والثورة ، وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول .

ولكن لا يجوز لنا الانتقال من هذه المادة حتى نورد تاريخ علم التنجيم من المصادر

الأوربية ليكون المبحث تأمًا من كل وجه فنقول :

يطلق التنجيم عند الأوربيين على صناعة الإنباء بالحوادث المستقبلية من النظر في الكواكب والحوادث العلوية . وقد رأى العلماء الباحثون في أساطير كل أمة أقوالا عن هذه الصناعة وإن لم تكن باللغة من الإتقان مبلغًا يرفعها إلي درجة العلوم المقررة . أول أمة رقت هذا العلم إلى درجته المعروفة هي أمة الكلدانيين ، ثم أخذه عنهم المصريون الأقدمون وعن هؤلاء أخذه اليونان فنقله عنهم الهنديون والرومانيون . وانتقل هذا العلم من العالم القديم إلى القرون الوسطى ، واشتغل به ناس كثيرون وعكفوا عليه وما زال أخذًا من الأذهان محلا إلى القرن الماضي حيث انتشرت العلوم الكونية وعرف الناس حقائق الأجرام السماوية فقل الاشتغال به وكاد يزول لولا أن العالم لا يخلو في كل زمان من رؤوس لا ترى لها لذة إلا في التسك بكل قديم وإن ناقض العقل والحس معًا ، ولا تزال هذه الصناعة تأوي إلى رؤوس في الشرق والغرب فيتلقف بعض الناس ما يقوله أهلها كأنه الوحي ، ويذهبون في النظر فيه وتأويله وتوجيهه كل مذهب ويلتسون لقائله الأعدار مهما كذبتهم الحوادث حتى إننا لنرى أن من الناس من يسهل عليه أن يتهم عقله في فهم أقوال أولئك الأفاكين ولا يسهل عليه أن يتهمهم بالإفك .

على أن مبنى هذه الصناعة ظاهر البطلان ، لا يحتاج إلى إطالة بيان ، وذلك أن أكثر الأقدمين كانوا يؤلهون الكواكب ويعبدونها وكانوا يتخيلون أن لكل منها نصيبًا من إدارة الكون ، وكان الكلدانيون والمصريون من أكثر الأمم تشبثًا بهذه العقيدة ، فلا عجب أن تكون صناعة التنجيم نتيجة لازمة لهذه العقائد الباطلة ، فما دامت الكواكب آلهة وأبناء آلهة وأن لها أرواحا وحياة وتصريفًا في الكون فما الذي يمنع من تعرف إرادتها ، بوجهة حركاتها ، أو بوقت اقترانها بسواها ، فلما جاء الإسلام وأسقط الآلهية الخيالية والحسية وقرر عبادة الخالق الحق وحده لم يبق لصناعة التنجيم مجال لأن طبيعة الإسلام تنافي التأثير لغير الله اهـ

وقال فريد وجدي في دائرة معارفه عن الكهانة :

والكهانة هي استخدام الجن في معرفة الأمور المغيبة ، وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب فكان إذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة دخيلته أو مستقبله منه ذهب إلى الكاهن

فأخبره بما يهيمه منه . وكان لكل كاهن منهم صاحب من الجن يحضر إليه فيخبره بما يريد ، وليس هذا الاستخدام يبعيد عن العقل ؛ فإن ما يحصل في أوروبا من استحضار الأرواح يسهل فهمه على الباحثين اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة :

« فالكاهن : هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب ، وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور ، فمنهم من كان يزعم أن له رئيساً من الجن ، وتابعة تلقى إليه الأخبار ، ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه . والعرفان هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، كالبروق من الذي سرقها ، ومعرفة مكان الضالة ، وتتهم المرأة بالزنى ، فيقول : من صاحبها ، ونحو ذلك من الأمور . ومنهم من يسمي المنجم كاهناً اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة ^(١) مثبتاً السحر وإمكانية تأثيره على أجساد الأنبياء وأن ذلك لا يترتب عليه ضرر في مهات الرسل :

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ^(٢) وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ ^(٣) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ ^(٥) .

فنفي السحر جهلاً ، والرد على من نقاه لغو وفضل .

فأما ما زعوا من دخول الضرر في الشرع بإثباته ، فليس كذلك ، لأن السحر إنما يعمل في أبدانهم [أي في أبدان الأنبياء] وهم بشر يجوز عليهم من العلل والأمراض ما يجوز على

(٢) البقرة : ١٠٢ .

(١) شرح السنة (١٢ / ١٨٤) .

(٣) طه : ٦٩ .

(٤) الفلق : ٤ . (والنفاثات) : الواحر تنفث ، أي : تنفل بلا ريق .

(٥) طه : ٦٦ .

(يُخَيَّلُ) : أي . يُشَبِّه ، والتخايل : كل ما لا أصل له .

غيرهم ، وليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل ، وتأثير السم ، وعوارض الأسقام فيهم ، وقد قتل زكريا وابنه وسم نبينا ﷺ بخير . فأما أمر الدين ، فإنهم معصومون فيما بعثهم الله جل ذكره ، وأرصدم له ، وهو جل ذكره حافظ لدينه ، وحارس لوحيه أن يلحقه فساد أو تبديل ، وإنما كان خيّل إليه أنه يفعل الشيء من أمر النساء خصوصا ، وهذا من جملة ما تضمنه قوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَتَفَرَّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ (١) فلا ضرر إذاً يلحقه فيما لحقه من السحر علي نبوته وشريعته والحمد لله على ذلك ، والسحر من عمل الشيطان يفعله في الإنسان بنفثه ، ونفخه ، وهزه ، ووسوسته ، ويتلقاه الساحر بتعليمه إياه ، ومعوته عليه ، فإذا تلقاه عنه ، استعمله في غيره بالقول والنفث في العقيد ، وللکلام تأثير في الطباع والنفوس ، ولذلك صار الإنسان إذا سمع ما كره يحمى ويفضب ، وربما ختم منه ، وقد مات قوم بكلام سمعوه ، ويقول امتعضوا منه ، ولولا طول الكتاب لذكرناهم . هذا كلام الخطابي في كتابه اهـ .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢) :

عمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرا ، ومنه ما لا يكون كفرا ، بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر ، كفر واستتيب منه ، ولا يقتل ، فإن تاب ، قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر ، عزر ، وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ، بل يتحتم قتله كالزندق ، قال عياض : ويقول مالك قال أحمد وجماعة من التابعين . اهـ .

(١) البقرة : ١٠٢ .

(٢) شرح مسلم (١٤ / ١٧٦) .

نصوص

في :

السحر والكهانة والتنجيم

١٤٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حتى إنه لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ فَعَلَ الشَّيْءَ وما فعله ، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ وهو عُنْدِي ، دَعَا اللَّهَ ودَعَاءً ، ثم قال : « أَشَعَرْتُ يَا عَائِشَةُ ، أَنْ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتَهُ فِيهِ ؟ » قلتُ : وماذا يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « جاءني رجلان ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي » ، ثم قال أَحَدُهُمَا لصاحِبِهِ : ما وَجَّعَ الرَّجُلُ ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طَبَّهَ ؟ قال : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيَّ ، من بني زُرَيْقٍ ، قال : فَمَاذَا ؟ قال : في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجَفَّ طَلْعَةٌ ذَكَرَ ، قال : فأين هو ؟ قال : في بئرِ ذِي أَرْوَانَ - ومن الرِّوَاةِ من قال : في بئرِ ذَرْوَانَ ، قال : وَذَرْوَانَ : بئرٌ في بني زُرَيْقٍ - فذهب النَّبِيُّ ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئرِ فنظَرَ إليها ، وعليها نَخْلٌ ، قال : ثم رجع إلى عائِشَةَ ، فقال : « وَاللَّهِ لَكُنَّ مَاءَهَا تَقَاعَةُ الْحِنَاءِ ، وَلَكِنْ نَخْلُهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أفاخرجته ؟ قال : « لا ، أَمَا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَشَفَانِي ، وَخَشِيتُ أَنْ أَتَوَرَّ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا ، وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ » .

وفي رواية^(١) : كان رسول الله ﷺ سَجِرَ ، حتى كان يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ .

وفيها : رجل من بني زريق حليف لليهودي وكان منافقًا .

قال محقق الجامع : قال النووي في شرح مسلم : قال القاضي عياض : كل ما جاء في

١٤٣٦ - البخاري (١٠ / ٣٣٥) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٠ - باب السحر .

مسلم (٤ / ١٧١٩) - ٣٩ - كتاب السلام ، ١٧ - باب السحر .

(١) البخاري (١٠ / ٢٣٢) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٩ - باب هل يستخرج السحر ؟ .

(مَطْبُوبَةٌ) (الْمَطْبُوبَةُ) : الْمَسْحُورُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ تَقَاوُلًا بِالطَّبِّ الَّذِي هُوَ الْعِلَاجُ ، كَمَا قِيلَ لِلْدَيْغِ : سَلِمَ تَقَاوُلًا بِالسَّلَامَةِ .

(جَفَّ طَلْعَةً) (الْجَفَّ) : وَعَاءُ الطَّلْعِ وَشَاوَهُ الَّذِي يَكْتَنُهُ .

(الْوَرَّ) بِمَعْنَى : أُنْثَى ، أَيْ : أَطْهَرُ وَأَهْيَجُ .

الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فحمول على التخيل بالبصر ، لا لخلل تطرق إلى العقل ، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعنًا لأهل الضلالة ، قال : وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه ، لا على عقله وقلبه واعتقاده .

١٤٣٧ - * روى النسائي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ رجلاً من اليهود ، فاشتكى لذلك أياماً ، فأتاه جبريلُ فقال : إن رجلاً من اليهود سَحَرَكَ ، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا ، فأرسل رسولُ الله ﷺ فاستخرجها فحلها ، فقام رسولُ الله ﷺ كأنها أنشط من عقالٍ ، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط .

أقول : والظاهر أن هذه حادثة أخرى غير التي ذكرتها الرواية السابقة .

١٤٣٨ - * روى مالك عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها أعتقت جارية لها عن دبر منها ، ثم إن عائشة مرضت ، فدخل عليها سيدي ، فقال : إنك مطبوبة ، فقالت : من طببي ؟ قال : امرأة من نعتيها كذا وكذا ، وقد بال في حجريها صبي ، فقالت عائشة : ادع لي فلانة ، لجارية لها تخدمها ، فوجدوها في بيت جيران لها ، في حجريها صبي قد بال ، فقالت : حتى أغسل بول هذا الصبي ، ففعلت : ثم جاءت فقالت لها عائشة : أسحرتيني ؟ فقالت : نعم ، فقالت : لِمَ ؟ قالت : أحببت العتق ، قالت عائشة : والله لا تمنعي أبداً ، فأمرت ابن أخيها أن يبيعها من الأغراب ممن يسيئ ملكتها ، ثم اتبع بتمنها رقبة حتى أعتقها ، ففعلت . قالت عمرة : فلبثت عائشة ما شاء الله من الزمان ، ثم إنها رأت في النوم أن اغتسل من ثلاث أبور يمد بعضها بعضاً ، فإنك تشفين فاعتسلت ، فشفيت .

١٤٣٧ - النسائي (٧ / ١١٢) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ، ٢٠ - سحرة أهل الكتاب . وإسناده صحيح .

١٤٣٨ - رواه مالك وإسناده صحيح .

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على شرح السنة للبغوي (١٢ / ١٨٩) : وهو مما انفرد بروايته أبو مصعب الزهري العمري قاضي المدينة أخذ رواة الموطأ عن مالك ، وقد قالوا : إن في موطئه زيادة نحو مائة حديث عن سائر الموطآت ، وهو من آخر الموطآت التي عرضت على مالك رحمه الله .

١٤٧٣

أقول : إن كلام السندي لعائشة يدل على أن هناك ناساً يكتشفون السحر والساحر ، وقد وجد في البيئات الإسلامية من يحلون السحر إذا وقع بطريق مشروع ، مثل هذا لا حَجَرٍ عليه ولا إنكار فيه ، وهناك فارق بين الساحر وبين من يحل السحر أو يكتشفه .

١٤٣٩ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شَعْبَةً مِنَ السَّحْرِ ، زاد ما زاد » .

١٤٤٠ - * روى البخاري عن قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ قَالَ : خلق الله هذه النجوم لثلاث ، جعلها الله زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلاماتٍ نَهْدِي بِهَا ، فمن تَأَوَّلَ فيها غَيْرَ هذا ، فقد أخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلفت ما لا يعنيه ، وما لا علم له به ، وما عَجَزَ عن علمه الأنبياء والملائكة ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وعن الزَّيْبِعِ مثله ، وزاد : والله ما جعل الله في نَجْمٍ حياةً أَحَدٍ ولا رِزْقَةً ولا موتَه ، وإنما يَفْتَرُونَ على الله الكَذِبَ ، وَيَتَعَلَّلُونَ بالنجوم .

قال محقق الجامع :

ذكره البخاري تعليقاً ٦ / ٢١١ في بدء الخلق ، باب في النجوم إلى قوله : ولا علم له به ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به ، وزاد في آخره : وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة ، من غرس بنجم كذا كان كذا ، ومن سافر بنجم كذا كان كذا ، ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير ، والأحمر والأبيض ، والحسن والدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من هذا الغيب . اهـ .

أقول : إنما ترمى الشياطين بالشهب ، والشهب جزء من عالم النجوم ، فأُطْلِقَ هنا الكلُّ وأريد الجزء وذلك من باب قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

١٤٣٩ - أبو داود (٤ / ١٥) كتاب الطب ٢٢٠ - باب في النجوم .

وإين ماجه (٢ / ١٢٢٨) ٣٣ - كتاب الأدب ، ٢٨ - باب تعلم النجوم .

وهو حديث حسن .

١٤٤٠ - البخاري (٦ / ٢١٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٣ - باب في النجوم .

فاخشوهم فزادهم إيماناً^(١) .

قال ابن الأثير :

(الرُّجُوم) جمع رَجَمَ ، وهو مصدر سَمِّيَ به ما يُرْجَمُ به ، ومعنى كونها رجوماً لهم : أن الشهب التي تنقضُ لرمي الشياطين ، منفصلة من نار الكواكب ، لا أنهم يرجون بالكواكب أنفسهم ، لأنها ثابتة في الفلك على حالها ، وما ذاك إلا كَقَبَسٍ يُؤخذ من نار ، والنار ثابتة في مكانها . اهـ .

أقول : ليس شرطاً أن تكون الشهب منفصلة عن الكواكب المرئية ، بل قد تكون قطعاً من كواكب منفجرة ، والمعروف أن في مجموعتنا الشمسية كوكباً متفجراً أضحت أجزاؤه مبعثرة ، وموقعه بين المريخ والمشتري .

١٤٤١ - * روى مسلم عن صفية بنت أبي عبيد رَحِمَهَا اللهُ عن بعض أزواج رسول الله ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » .

١٤٤٢ - * روى الطبراني عن ابنِ عَمَرَ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » .

١٤٤٣ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا - وَفِي رِوَايَةٍ : امْرَأَةً حَائِضًا - فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » .

(١) آل عمران : ١٧٣ .

١٤٤١ - مسلم (١٧٥١ / ٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .
(عَرَّافًا) العَرَّافُ كالكاهن ، وقيل : هو الساحر .

١٤٤٢ - مجمع الزوائد (١١٨ / ٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٤٤٣ - أبو داود (١٥ / ٤) كتاب الطب ، باب في الكاهن .

وأحد (٤٠٨ / ٢) .

والترمذي (٢٤٣ / ١) كتاب الطهارة ، ١٠٢ - باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض .

أقول : هناك ناس لهم صلة بجن مؤمنين ، فهؤلاء يمكن أن يعرفوا بواسطة هؤلاء الجن بعض أحداث وقعت ، فإذا ثبت صدقهم فإن هؤلاء لا يدخلون في باب الكهانة والعرافة وما يقدمونه من خدمات ليس بمستنكر إذا كانوا لا يلبسون على الناس ، ولا يقربون محرماً ، وأمرهم مستقيم ولا يستعملون وسيلة حرمة الشارع .

١٤٤٤ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء صرّبت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزّع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العليّ الكبير ، فيسمعها مستترق السمع - ومستترق السمع هكذا ، بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه ، فخرّفها ، وبذذ بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقّيها إلى من تحته ، ثم يلقّيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقّيها على لسان الساحر أو الكاهن ، قريباً أدركها الشهاب قبل أن يلقّيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » وذكر في رواية : قراءة من قرأ (فزّع) وقال سفيان عن عمرو : (فزّع) قال : وهي قراءتنا .

أقول : إن الناقل إلى الكاهن هو شيطان من الشياطين ، وهو غير مؤتمن على النقل عن الملائكة أو غيرهم ، وهذا فارق كبير بين وحي الأنبياء وكهانة الكهّان ، وحي الأنبياء معصوم ، لأنه يصل إلينا بواسطة معصومين من الملائكة والنبيين ، وغير ذلك حله الاتهام

= وابن ماجه (٢٠٩ / ١) - كتاب الطهارة ، ١٢٢ - باب النهي عن إثيان الحائض .
والدرامي (٢٥٩ / ١) كتاب الصلاة والطهارة ، باب من أتى امرأته في دبرها .
وهو حديث صحيح .

١٤٤٤ - البخاري (٥٣٧ / ٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ حق إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ... ﴾ .
والترمذي (٣٦٢ / ٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٥ - باب ومن سورة سبأ . وقال حديث حسن صحيح .
(خضعاً) الخاضع : للطبع المتقاع الذليل ، وخضعاً جمع .
(صفوان) الصفوان : الحجر الأملس .
(فزّع عن قلوبهم) أي : كشف عنها الفزّع ، ومن قرأ (فزّع) بالراء والغين للمجعة ، أراد : فزّعت قلوبهم من الخوف .
(فخرّفها) خرّفها : أي أمثالها عن جهتيّ المستقيمة .

والتكذيب ، وقد يَصْدُقُ الكذب .

١٤٤٥ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن الكَهَّانِ ؟ فقال : « ليسوا بشيء » قالوا : يا رسول الله إنهم يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ ، فيكون حقاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى » ، فيقذفها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة .

زاد في رواية (١) : « فَيَقْرَئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ » .

وفي رواية (٢) « فَيَقْرَئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ » .

وفي رواية (٣) ، قالت : سألت أنا رسول الله ﷺ ... وذكرت مثله .

وللبخاري في رواية (٤) ، قال : « الملائكة تُحَدِّثُ فِي الْعَنَانِ - وَالْعَنَانُ : الغمام - بالأمَر يكون في السماء ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فتقرؤها في أذن الكاهن كما تقرُّ

١٤٤٥ - البخاري (٢١٦ / ١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٦ - باب الكهانة .

مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

(الكَهَّانُ) : جمع كاهن ، وهو الذي يُخْبِرُ عن بعض المضمرات فيصيب بعضاً ويخطئ أبعاضاً ، يزعم أن الجن يخبره بذلك كما كان يفعل في الجاهلية شق وسطيح ، وغيرها من الكهان ، وهو مما أبطله الإسلام وحرمه ، ونهى عن الذهاب إليه ، واستأج كلامه وتصديقه بما يخبر به .

(يَضْلُكُهَا) : أي : يسلكها بسرعة .

(فيقذفها) : يلقئها : أي يلقئها إليه .

(١) البخاري (١٢ / ٥٣٥) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٧ - باب قراءة الفاجر والمنافق .

(قَرْقَرَةُ الدَّجَاجَةِ) القَرْقَرَةُ : ترديد الكلام في أذن الأسم حتى يفهم كما يستخرج ما في القارورة شيئاً بعد شيء إذا أفرغت ، ومن رواه قَرَّ الدَّجَاجَةِ ، أراد : صوتها إذا قطعت ، يقال : قَرَّتِ الدَّجَاجَةُ تَقَرُّ قَرًّا وقريراً : إذا قطعت صوتها ، فإن رددت قيل : قَرَقَرَتْ قَرْقَرَةً ، ومنه صُرَّ الباب : إذا صَوَّت ، وصرصر البازي ، لما في صوته من التردد ، والمعنى : أن الجن يذف تلك الكلمة إلى وليه الكاهن فيستمع به الشياطين ، كما تؤذن الدجاجة بصوتها صاحباتها فتتجاوب ، ومن شأنها : أن الواحدة منهن إذا صاحت صاح سائرهن . قال الخطابي : ويجوز أن تكون الرواية « كَقَرَّ الزُّجَاجَةِ » بالزَّي ، وتفضُّها الرواية الأخرى « كما تقر القارورة » والقارورة : الزُّجَاجَةُ . يقول : فيقره في أذن الكاهن ، كما يقر الشيء في القارورة وفي الزجاج ، والله أعلم .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

(٣) مسلم : نفس الموضع السابق .

(٤) البخاري (٦ / ٣٢٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

الْقَارُورَةُ ، فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ .

وفي أخرى له نحوه ، وزاد في آخره ، « من عند أنفسهم » .

قال البغوي في شرح السُّنة في تفسير الخطف :

يُخَطِّفُهَا الْجَنِّي . أي : يأخذها ويستلبها بسرعة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ ^(١) أي استرقَّ السمع بسرعة اهـ .

أقول : لابد من التفريق بين ما هو إخبار عن المستقبل وبين ما هو إخبار عن حاصل ، وبين صلة إنسان مسلم بجني مسلم ، وبين صلة بالشياطين ، فصلة الإنسان المسلم بجني مسلم ثابتة وواقعة ، وقد يترتب عليها شيء من نفع .

١٤٤٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار : أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمِيَ بَنَجْمٍ وَاسْتَنَارَ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمِيَ بِشَيْءٍ هَذَا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : وَلَيْدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، وماتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « فإنها لا يُرْمَى بها لموتٍ أحدٍ ولا لحياةٍ ، ولكنَّ رَبَّنَا - تبارك اسمه - إذا قضى أمراً سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، ثم سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حتى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، ثم قال الذين يَلُونُ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ : ماذا قال ربُّكم ؟ فيخبروهم ما قال ، فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا ، حتى يَبْلُغَ الْخَبْرَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فيخطفُ الْجَنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ، ويرمون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌّ ، ولكنهم يَفَرِّقُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ » .

(١) الصافات : ١٠ .

١٤٤٦ - مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

والترمذي : (٥ / ٣٦٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٥ - باب ومن سورة سبأ .

وقال : حديث حسن صحيح .

وفي رواية ^(١) : رجال من أصحاب رسول الله ﷺ « وزاد » وقال الله : ۞ حتى إذا
فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ ^(٢) .
وللترمذي ^(٣) في أخرى : أن ابن عباس قال : بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وذكر
الحديث ، ولم يذكر فيه : عن رجل من الأنصار .
١٤٤٧ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : من أتى كاهنًا أو عرافًا وتيقنَ بما
يقولُ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

* * *

(١) مسلم (٤ / ٧٥١) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

(٢) سبأ : ٢٣ .

(٣) الترمذي (٥ / ٣٦٣) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٥ - باب « ومن سورة سبأ » . وقال : حديث حسن صحيح .

١٤٤٧ - المعجم الكبير : (١٠ / ٩٢) .

جمع الزوائد : (٥ / ١١٨) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال فصدقه . وكذلك رواية البزار
ورجال الكبير والبخاري .

الفصل الثاني
في:
نسبة الحادثات إلى الأسباب
مقطوعة عن الله عز وجل
وفيه:
مقدمة ونصوص

مقدمة

الإيمان بالأسباب جزء من عقيدة المسلم . ولكن الجزء الآخر من عقيدة المسلم ألا يعتمد عليها ، فهذا ينافي التوكل ، وألا يجعل لها تأثيراً فهذا يتنافى مع الإيمان بشمول تعلق الإرادة الإلهية بالحوادث وشمول تعلق القدرة الإلهية بما تعلقت به الإرادة ، وذلك قول بالقوة المودعة التي ذهب إليها المعتزلة وهو نوع شرك يصل بصاحبه إلى ضلال أو كفر ، ولذلك قال علماؤنا : من عطل الأسباب فقد كفر ، ومن جعل لها تأثيراً فقد أشرك .

فالمسلم لا ينفي ارتباط الأسباب ببعضها ولكن يعتقد أن كل ما جرى ويجري إنما هو بعلم الله وإرادته وقدرته ولذلك كان من أذكار المسلم : لا حول ولا قوة إلا بالله . وكنموذج على ما قلناه لناخذ حادثة المطر ، فإن يتعرف الإنسان على احتمالات نزول المطر فهذا شيء مقرر والله عز وجل قال : ﴿ هو الذي يرسل الرياح بשרاً بين يدي رحمته ﴾ ^(١) ، ومن القديم كان العربي من خلال شمه للرياح ورؤيته للسحاب يدرك إمكانية نزول المطر ، فهذا جزء من عالم الأسباب لا اعتراض ولا إنكار بل ينبغي إثباته وقد طوّرت في عصرنا وسائل لاستكشاف احتمالات ما يجري ولكن ما تقدمه هذه الوسائل يبقى في حدود الاحتمالات ، ولكن الشيء الذي يكمل هذا التصور أن نعتقد أن ما يحدث هو بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وأن إنزال المطر النافع هو أثر رحمته وعنايته ، فمن غفل عن ذلك مع صحة الاعتقاد فلا إثم عليه ، ومن اعتقد أنه لا تدخل لله في ما يجري ، ونسب ما يحدث إلى الأسباب قاطعاً إياها عن المسبب فهو ضال إن كان يقول بالقوة المودعة ، وكافر إن كان يؤمن بأنه لا دخل ابتداءً وانتهاءً لله فيما يجري .

وهذا موضوع مباحثه طويلة وأدلته كثيرة وقد وُفق أهل السنة والجماعة فيه للحق ، وضل عنه كثيرون ، وكنموذج على بعض ما ورد في هذا الشأن ما ورد في موضوع نزول المطر ، فالله عز وجل قال : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ ^(٢) ، وقال ﴿ هو الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج

من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴿^(١)﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يُزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ ﴿^(٢)﴾ .

ومن ههنا لفت رسول الله ﷺ النظر إلى أن المسلم يستقبل المطر بنسبته إلى الله كدأب المسلم في كل شيء ، وهذا لا ينفي الإيمان بعالم الأسباب .

وهذه نصوص في هذه المسألة تعرف منها موقف الإسلام بالقول بالأسباب ، وألا يجعل لها تأثيرًا بل المؤثر هو الله ، قال تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ ﴿^(٣)﴾ .

(٢) النور : ٤٣ .

(١) الروم : ٤٨ - ٥٠ .

(٣) الرحمن : ٢٩ .

النصوص

١٤٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه ، قال : صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح بالحديبية في إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف ، أقبل على الناس ، فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي ، وكافرٌ ، فأما من قال : مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي ، وكافرٌ بالكوكب ، وأما من قال : مُطِرْنَا بِنُوء كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بي ، مؤمنٌ بالكوكب . »

وفي رواية ^(١) النسائي قال : مُطِرَ النَّاسُ على عهد رسولِ الله ﷺ ، فقال : « ألم تسمعوا ما قال ربُّكم الليلة ؟ قال : ما أُنْعِمْتُ على عبادي من نعمة إلا أَصْبَحَ طائفةٌ منهم بها كافرين ، يقولون : مُطِرْنَا بِنُوء كذا ، ونُوء كذا ، فأما من آمن بي وحمدني على سَقْيَاي ، فذلك الذي آمن بي ، وكفر بالكوكب ، ومن قال : مُطِرْنَا بِنُوء كذا وكذا ، فذلك الذي كفر بي ، وآمن بالكوكب . »

قال ابن الأثير :

(إثر سماء) السماء هاهنا : المطر ، سُمِّي بذلك ، لأنه ينزل من السماء .

(النُوء) : واحد الأنواء ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كل ليلة في منزلةٍ منها ، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلةً مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابِلَها ، فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة ، وطلوع رقيبها : يكون مَطَرٌ ، فينسبون المطر إلى المنزلة ، ويقولون : « مُطِرْنَا بِنُوء كذا » وإنما سُمِّي نُوءاً ، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق ، ينوء نُوءاً ، أي :

١٤٤٨ - البخاري (٢ / ٣٣٣) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٥٦ - باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم .

مسلم (١ / ٨٣) ١ - كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

وأبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، ٢٢ - باب في النجوم .

والطحاوي (١ / ١١٢) ١٣ - كتاب الاستسقاء ، ٣ - باب الاستسقاء بالنجوم .

(١) النسائي (٣ / ١٦٤) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستسقاء بالكوكب .

نهض وطلع ، وقيل : إن « النوء » : هو الغروب ، فهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : لم نسمع في النوء أنه السقوط ، إلا في هذا الموضع ، وإنما غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء ، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها ، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى ، وأراد بقوله : « مطرنا بنوء كذا » أي : في وقت كذا ، وهو هذا النوء الفلاني ، فإن ذلك جائز ، فقد قيل : « إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أراد أن يستسقي ، فنادى بالعباس بن عبد المطلب : كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعا بعد وقوعها » فما مضت تلك السبع حتى غيبت الناس ، وأراد عمر : كم بقي من الوقت الذي قد جرت العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر ، وأما قوله : « كافر بي » فيحتل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الإيمان ، ويحتل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الشكر ، يعني أنه كفر نعمة الله ، حيث نسبها إلى غيره .

وعلم النجوم المنهي عنه : هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستجيء في المستقبل ، وأنهم يدركون معرفتها بتسيير الكواكب ، وانتقالاتها واجتماعها وافتراقها ، وأن لها تأثيرا اختياريا في العالم ، فأما من يعرف من النجوم لمعرفة الأوقات ، والاهتداء بها في الطرقات ، ومعرفة القبلة ، وأشباه ذلك ، فليس به بأس . اهـ .

١٤٤٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تروا إلى ما قال ربكم ؟ قال : ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ، يقولون : الكوكب ، وبالكوكب » .

وفي رواية ^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزل الله الغيث ، فيقولون : الكوكب كذا وكذا » .

وفي رواية النسائي ^(٢) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل ما أنعمت

١٤٤٩ - مسلم (١ / ٨٤) - ١ - كتاب الإيمان ، ٣٢ - باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(١) مسلم : نفس الموضع .

(٢) النسائي (٣ / ١٦٤) - ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستطار بالكوكب .

١٤٨٥

على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ، يقولون : الكوكبُ ، وبالكوكب .

١٤٥٠ - * روى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ، ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس كافرين ، يقولون : سقينا بنوء المجدح » .

١٤٥١ - * روى الطبراني عن العباس بن عبد المطلب قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت إليها فقال : « إن الله قد برأ هذه الجزيرة من الشرك ولكن أخاف أن تضلهم النجوم » ، قال : « ينزل الغيث فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » .

* * *

١٤٥٠ - النسائي (٢ / ١٦٥) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستسقاء بالكوكب .
وفي سنده عتاب بن حنين ويقال ابن أبي حنين : لكي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات .
(المجدح) : يكره الميم : نجم يقال له : « الدبران » وبعضهم يضم الميم .
١٤٥١ - مجمع الزوائد (٨ / ١١٤) . وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط باختصار ، وإسناد أبي يعلى حسن .

١٤٨٧

الفصل الثالث

في:

الطيرة والفأل والسُّوم والعدوى

وما يجري مجراها

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

للوم تأثيره على الإنسان حتى قالوا : ما قadak شيء مثل اللوم . وكثيرًا ما تعصف الأوهام بالإنسان ، فتخرجه من دوائر الطمأنينة والتعقل إلى دوائر القلق والحيرة والخرق ، وجاءت شريعة الإسلام وأعطت الإنسان الثبوت والتعقل والطمأنينة من خلال الذكر والتوكل والتشريع بحيث غدا حرًا من تعبد الأوهام .

ومن مظاهر تعبد الإنسان للوم أن يحكم في تصرفاته الجمادات والحيوانات ، فترى أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام بأن يضعوا أقلامًا في شيء ما ، وبعض هذه الأقلام مكتوب عليها : نعم أو لا ، فإذا أراد الإنسان السفر أو غيره أدخل يده هو أو غيره فإذا خرج سهم يقول له : لا ، ترك ، وإذا خرج سهم يقول : نعم ، فعل ، فهذا مظهر من تحكيم الجماد بالإنسان ، وكان من عاداتهم الطيرة التي نهى عنها الشرع ، ومن صورها : إذا أراد إنسان أن يسافر أو يعمل عملاً أرسل الطير ، فإن رجعت عن يمينه تضاءل فأقدم ، وإن رجعت عن شماله تشاءم وأحجم ، فهذا مظهر من مظاهر تحكيم الحيوان بالإنسان ، وعدا عن كون هذا وهذا استخفافاً في العقل البشري فهو كذلك تحكيم للوم في إرادة الإنسان ، ولذلك تأثيراته على أعصاب الإنسان وجسمه وقلبه ، ولا زال بعض الناس يفعلون شيئاً بهذا فترى بعضهم يبحث عن حظه بضربة نرد أو بإلقاء علة أو بغير ذلك من صور ، كلها تحوي فكرة تعبيد النفس للوم ، والتشاؤم كله تعبيد للنفس للوم ، وما يترتب على ذلك من انعكاسات تظهر في أمراض نفسية شتى ، وما أكثر أمراض النفس التي تعد في عصرنا من اكتئاب إلى السويدة إلى الخوف إلى القلق وللتشاؤم دخل في هذه الأمراض ، وللعُدوى دخل كبير في اللوم مع أنها حاصلة إلا أن كثرة الخشية من العدوى تورث التوهم الذي يؤدي إلى خلل مع علاقات الناس ، كما أنها قد تؤدي إلى شرور بين الناس خاصة إذا أخذ الناس يرفعون دعاوى على بعضهم بأن فلاناً أعدائي ، أو أن إبل فلان أعدت إبلي ، وهي قضايا ظنية ، ومن الناحية الطبية ، فالعدوى في كثير من الأحيان إنما توجد إذا وجد عند الجهة الأخرى استعداد للعدوى .

ومن هنا أقر الشارع العدوى كحقيقة ، وعلم الإنسان الاحتياط ولكنه أهدر آشارها ،

وهكذا عالج الإسلام الذي أنزله الله طباً للإنسان في كل شيء ، عالج الوم في حياة الإنسان وحرره من أن يتعبد للجادات أو الحيوانات أو للأوهام بأي شكل من أشكال التعبد والطاعة ، ومن هنا حَرَّمَ الإسلام الاستقسام بالأزلام وحرّم الطيرة وعالج التشاؤم وأهدر العدوى ، فلم يعلق عليها أية مسؤولية ، وأبدلنا بذلك كله توكلنا على الله وطأنينة قلب لقضائه ، واستخارة حيث تندب الاستخارة ، واستشارة حيث تندب الاستشارة ، وحسن ظن بالله ، وحسن ظن في الخلق في محله ، وغير ذلك مما يكون عليه المسلم السوي في اعتقاده وأعماله وفي نفسه وقلبه وعقله ، وهذه قضايا لا يعرف قيمتها إلا من عرف كيف تتمزق النفس بالأوهام عندما يكون إسلام أو عندما لا يكون إسلام ، لم يصل بعد إلى القلب فيجعله يستقر باليقين ، ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (١) .

ولارتباط هذه المعاني بالعقيدة والإيمان فقد عقدنا هذا الفصل في هذا الباب .

النصوص

١٤٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا صفر ، ولا هامة » ، فقال أعرابي : يا رسول الله ، فما بال إبل تكون في الرمل كأنها الظباء ، فيأتي البعير الأجرب ، فيدخل فيها فيجربها كلها ؟ فقال : « فمن أعدى الأول ؟ » .

قال البخاري : ورواه الزهري عن أبي سلمة عن عبد الرحمن ، وسانن بن أبي سنان ، وفي رواية سنان وحده : بنحو ذلك .

وفي رواية لأبي سلمة ^(١) : أنه سمع أبا هريرة بعد يقول : قال النبي ﷺ : « لا يورذن ممرض على مصح » . وأنكر أبو هريرة حديث الأول ، قلنا : ألم تحدث : أنه « لا عدوى ؟ » فزطن بالحشية ، قال أبو سلمة : فما رأيته نسي حديثا غيره .

وفي رواية أخرى ^(٢) عن أبي سلمة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى » وتحدث : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يورذن ممرض على مصح » . قال الزهري : قال أبو سلمة : كان أبو هريرة يحدث بها كليهما عن رسول الله ﷺ ، ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله : « لا عدوى » ، وأقام على أن « لا يورذن ممرض على مصح » . قال : فقال الحارث بن أبي ذئب - وهو ابن عم أبي هريرة - قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثا آخر قد سكت عنه ، كنت تقول : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى » ؟ فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك ، وقال : « لا يورذن ممرض على مصح » . فمأراه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فزطن بالحشية ، فقال للحارث : أتدري ماذا قلت ؟ قال : لا ، قال أبو هريرة : إني قلت : « أتيت » . قال أبو سلمة : ولعمري ، لقد كان أبو هريرة يحدثنا : أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى » . فلا

١٤٥٢ - البخاري (١٠ / ١٧١) - كتاب الطب ، ٢٥ - باب لاصفر .

مسلم (٤ / ١٧٤٢) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

(١) البخاري (١٠ / ٢٤١) - ٦٦ - كتاب الطب ، ٥٣ - باب لا هامة .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٤٢) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

أدري : أنسي أبو هريرة ، أو نسخ أحد القولين الآخر ؟ .

وفي رواية أخرى ^(١) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا طيرة ، وخيرها الفأل » . قيل : يا رسول الله ، وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسميها أحدكم » .

وعند البخاري ^(٢) : أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » .

وله في أخرى ^(٣) زيادة : « وفر من المجدوم كما تفر من الأسد » .

وفي رواية لمسلم ^(٤) : أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا نوء ، ولا صفر » .

وفي أخرى ^(٥) : « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا طيرة ، وأحب الفأل الصالح » .

قال أبو داود : قال بقة : سألت محمد بن راشد عن قوله : « ولا هامة » ؟ فقال : كان أهل الجاهلية يقولون : ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة . وعن قوله : « ولا صفر » ؟ قال : كانوا يستشيمون بدخول صفر ، فقال النبي ﷺ : « لا صفر » . قال : وسمعت من يقول : هو وجع يأخذ في البطن ، يزعمون أنه يُعدي . قال أبو داود : وقال مالك : كان أهل الجاهلية يحلون صفر عامًا ، ويحرمونه عامًا ، فقال رسول الله ﷺ : « لا صفر » .

(ولا هامة) الهام جمع هامة ، وهو طائر كانت العرب تزعم أن عظام الميت تصير هامة فتطير ، وكانوا يقولون : إن القتل يخرج من هامته - أي : رأسه - هامة ، فلا تزال تقول : اسقوني ، حتى يقتل قاتله .

(١) البخاري (٢١٢ / ١٠) - كتاب الطب ، ٤٣ - باب الطيرة .

ومسلم (١٧٤٥ / ٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

(٢) البخاري (٢١٥ / ١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٥ - باب لا هامة .

(٣) البخاري (١٥٨ / ١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ١٩ - باب الجذام .

(٤) مسلم (١٧٤٤ / ٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

(٥) مسلم (١٧٤٦ / ٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

(لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِيحٍ) الْمُمْرِضُ : هو الذي إبله مِرَاضٌ ، وَالْمُصِيحُ : الذي إبله صِحَاحٌ ، فَنَهَى أَنْ يُورِدَ صَاحِبُ الْإِبِلِ الْمِرَاضَ إِبِلَهُ عَلَى إِبِلِ ذِي الْإِبِلِ الصَّحَاحِ .

(قَرَطَنَ) الرُّطَانَةُ : التَّكَلُّمُ بِالْعَجْمِيَةِ أَيِ لُغَةِ كَانَتْ .

(قَمَارَاةٌ) الْمَمَارَاةُ وَالْمَجَادَلَةُ : الْمَخَاصِمَةُ .

(أُتِيتَ) أَيِ : ذَهَبْتَ وَتَغَيَّرَ عَلَيْكَ حِسُّكَ ، فَتَوَهَّمْتَ مَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ صَحِيحًا .

(خَيْرُهَا الْقَالَ) هو مثل أن يكون الرجل مريضًا ، فيسمع آخر يقول : يا سالم . أو يكون طالبًا ، فيسمع آخر يقول : يا واجد . فيقع في ظنه أن ينرا من مرضه ، ويجد ضلَّته ، فيتوقَّع صحة هذه البشرى ، ويتنفَّس بذلك نفسهُ ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ مِنَ الْقَائِلِ عَلَى جِهَةِ الْإِتِّفَاقِ ، تَقُولُ مِنْهُ : تَقَاءَلْتُ ، وَالْإِتِّفَاقُ : اقْتِئَالَ مِنْهُ ، فَالْقَالَ : فِيمَا يَرْجَى وَقُوعَهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَيَحْسَنُ ظَاهِرَهُ وَيَسِّرُ ، وَالطَّيْرَةُ : لَا تَكُونُ إِلَّا فِيمَا يَسُوءُ ، وَإِنَّمَا أَحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ الْقَالَ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَلُوا فَائِدَةً مِنَ اللَّهِ ، وَرَجَوْا عَائِدَتَهُ عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ : فَهَمُّ عَلَى خَيْرٍ ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِكُوا مَا أَمَلُوا ، فَقَدْ أَصَابُوا فِي الرَّجَاءِ مِنَ اللَّهِ وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ ، وَفِي الرَّجَاءِ لَهُمْ خَيْرٌ مَقْجَلٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ إِذَا قَطَعُوا أَمَلَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرِّ ؟ . فَأَمَّا الطَّيْرَةُ : فَإِنَّ فِيهَا سُوءَ الظَّنِّ ، وَقَطَعَ الرَّجَاءَ ، وَتَوَقَّعَ الْبَلَاءَ وَقَنَطَ النَّفْسَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ بَيْنَ الْعَقَلَاءِ ، مِنْهُيَّ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ .

(وَلَا نَوَاءَ) النَّوَاءُ : وَاحِدُ الْأَنْوَاءِ ، وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ نَجْمًا ، هِيَ مَنَازِلُ الْقَمَرِ ، تَسْقُطُ كُلُّ ثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، مِنْهَا مَنْزِلَةٌ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَتَطْلُعُ أُخْرَى مُقَابِلَهَا ، فَتَنْقُضِي هَذِهِ الثَّمَانِيَةَ وَالْعِشْرُونَ مَعَ انْقِضَاءِ السَّنَةِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ مَعَ سَقُوطِ الْمَنْزِلَةِ وَطُلُوعِ نَظِيرِهَا يَكُونُ مَطَرٌ ، فَيَنْسَبُونَ الْمَطَرَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ ، وَيَقُولُونَ : مُطَرِنَا بِنَوَاءِ كَذَا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ نَوَاءً لِأَنَّهُ إِذَا سَقَطَ السَّاقِطُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ نَاءَ الطَّالِعِ بِالشَّرْقِ ، أَيِ : طَلَعَ وَنَهَضَ ، وَقِيلَ : إِنَّ النَّوَاءَ هُوَ الْغُرُوبُ ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَلَمْ يُسَمَّ فِي النَّوَاءِ أَنَّهُ السَّقُوطُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَإِنَّمَا غَلِظَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَمْرِ الْأَنْوَاءِ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَنْسَبُ الْمَطَرَ إِلَيْهَا ، فَأَمَّا مَنْ

جعل المطر من فعل الله عز وجل ، وأراد بقوله : مُطَرْنَا بنوء كذا ، أي : في وقت كذا ، وهو هذا النوء الفلاني ، فإن ذلك جائز .

وفي معنى النوء قال البغوي في شرح السنة :

قوله : « ولا نوء » أراد به ما كانت العرب تنسب المطر إلى أنواء الكواكب الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر ، وتقول : مُطَرْنَا بنوء كذا ، فأبطل الشرع أن يكون بنوء النجوم شيء إلا بإذن الله . هـ .

أقول : لقد لاحظنا في الحديث الذي مرّ معنا إثبات العدوى ، ولذلك ورد : لا يوردن مرض على مصح . كما رأينا أن فيه نفي العدوى ، والجمع بينهما أن الشارع أثبت العدوى كواقع ، وطالب بالاحتياط منها ، ونفى أن يترتب على العدوى مسؤولية قضائية .

وقد مرّ في الحديث النهي عن التشاؤم بذكر ما جرت عادة العرب أن تتشاءم منه ، ومن ذلك التشاؤم من صفر ، وأبطل الحديث خرافة الهامة التي كانت موجودة عند العرب في الجاهلية ولا زالت بعض الشعوب تتشاءم حيث لا ينبغي التشاؤم ، ومن ذلك تشاؤم الغربيين بالعدد رقم ١٣ - ، وهو من قبيل تشاؤم الجاهلية .

١٤٥٣ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ، فقال : « لا يُعْدِي شيءٌ شيئاً » . فقال أعرابيٌّ : يا رسول الله ، فما بال الإبل يأتيها البعيرُ الأجرَبُ الحشفةُ بذنبه فيَجْرِئُهَا كُلُّهَا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « فَمَنْ أُجْرِبَ الأولُ منها ؟ ألا لا عَدْوَى ولا صَفَرٌ ، إن الله خَلَقَ كُلَّ نَفْسٍ وَكَتَبَ حياتها وَرَزَقَهَا ومصائبها ومحائبها » .

١٤٥٤ - * روى مسلم عن عمرو بن الشريد رضي الله عنه ، عن أبيه قال : كان في وفدٍ ثَقِيفٍ رجلٌ مجذومٌ ، فأرسل إليه النبي ﷺ : « إنا قد بايعناك ، فأرجع » .

١٤٥٣ - الترمذي (٤ / ٤٥٠ ، ٥٤١) ٣٣ - كتاب القدر ، ٩ - باب ما جاء لا عدوى . وهو حديث حسن . قال ابن الأثير :

(ثَقِيفِي) : أعدى المريض : إذا تجاوز من واحدٍ إلى آخر ، كما يتعدى الجرَبُ .

١٤٥٥ - مسلم (٤ / ١٧٥٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٦ - باب اجتناب المجذوم ونحوه .

أقول : هذا الحديث أحد الأدلة على أن العدوى ثابتة بالشرع ، وإنما المنفي هو إثبات المسؤولية المادية بسببها .

١٤٥٥ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى » . فقال أعرابي : يا رسول الله فإننا نأخذ الشاة الجربة فنطرحها في الغنم فتجرب . فقال رسول الله ﷺ : « يا أعرابي من أجرب الأولى » .

١٤٥٦ - * روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك » - ثلاثا - « وما منّا إلا ، ولكن الله يذهب بالتوكل » .

وفي رواية الترمذي ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « الطيرة من الشرك ، وما منّا إلا ، ولكن الله يذهب بالتوكل » .

ورواه أيضاً ابن حبان ^(٢) .

(الطيرة) ما يتشأم به من الفأل الردي وغيره ، واشتقاقها من الطير ، وكانت العرب تتطير من الغراب والأخيل ونحوهما من الطير ، وتشأم به ، وترى أن ذلك مانع من الخير ، فنفي الإسلام ذلك ، وقال : « ولا طيرة » : وهو مصدر ، كالتطير ، تطير الرجل تطيراً وطيرةً ، كما قالوا : تَخَيَّرْتُ الشيء تَخَيُّراً وَخَيْرَةً ، ولم يجيء من المصادر على هذا القياس غيرها .

وقال البغوي في شرح السنة مبيناً ماهية الطيرة :

وذلك أن العرب كانت تتطير ببروح الطير وسنوحها ، فيصدم ذلك عما يَمُوه من مقاصدهم ، فأبطل النبي ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفع ، أو ضرر ، ويقال :

١٤٥٥ - للمعجم الكبير : (١١ / ٢٣٨) .

جمع الزوائد : (٥ / ١٠٢) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح .

١٤٥٦ - أبو داود (٤ / ١٧) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

(١) الترمذي (٤ / ١٦٠ ، ١٦١) ٢٢ - كتاب السير ، باب ماجاء في الطيرة وقال : هذا حديث حسن صحيح

(٢) الإحسان بترتيب ابن حبان : (٧ / ٦٤٢) .

الطيرة أن يخرج لأمر ، فإذا رأى ما يحب ، مضى ، وإن رأى ما يكره انصرف ، فأما ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه ، فليس بطيرة ، إذا مضى لحاجته ، وتوكل على ربه . قال ابن عباس : إن مضيت ، فتوكل ، وإن نكصت فتطير . وقال إبراهيم : قال عبد الله : لا تضر الطيرة إلا من تطير . اهـ .

(وما منّا إلا) في هذا الكلام محذوف ، تقديره : وما منّا إلا ويغتريه التطير ، ويسبق إلى قلبه الكراهة له ، فحذف ذلك اختصاراً واعتماداً على فهم السامع ، وقد جاء في كتاب الترمذي : أن هذا من كلام ابن مسعود ، وليس من الحديث ، والله أعلم .

١٤٥٧ - * روى أحمد عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ؟ فإذا أُعْجِبَهُ قَرَحَ به ، وَرَئِيَ بِشْرَ ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه رَئِيَ كَرَاهِيَةً ذلك في وجهه .

قال ابن الأثير :

(بِشْرٌ) البشُر : طَلَاةُ الوجه وأَمَارَاتُ الفرح التي تظهر على الإنسان عند رؤية ما يَسُرُّ ، أو سَمَاعِهِ . ا هـ .

قال البغوي : وينبغي للإنسان أن يختار لولده وخدمه الأسماء الحسنة ا هـ .

١٤٥٨ - * روى مسلم عن معاوية بن الحكم ، قال : قلت يا رسول الله : مِنَّا رَجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ؟ قَالَ : « ذَلِكَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ ، فَلَا يَصُدُّكُمْ » . قَالَ : قلت : وَمِنَّا رَجَالٌ يَأْتُونَ الْكُفَّانَ ؟ قَالَ : « فَلَا تَأْتُوهُمْ » . قَالَ : قلت : وَمِنَّا رَجَالٌ يَخْطُونَ . قَالَ : « خَطَّ نَبِيٍّ ، فَمَنْ وَافَقَ عِلْمَهُ عَلِمَ » .

١٤٥٧ - أحمد (٥ / ٣٤٧) .

وأبو داود (٤ / ١٩) : كتاب الطب ، ٣٤ - باب في الطيرة .

١٤٥٨ - مسلم (١ / ٢٨٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٧ - باب تحريم الكلام في الصلاة .

قال البغوي في شرح السنة في تفسير قوله عليه السلام « يخطون » :

قال الخطابي : فقد يحتمل أن يكون معناه : الزجر عنه ، إذ كان من بعده لا يوافق خطه ، ولا ينال حظه من الصواب ؛ لأن ذلك إما كان آية لذلك النبي ، وعلمًا لنبوته ، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعًا في نيله والله أعلم . روي عن طاووس قال : سمعت ابن عباس يقول : إن قومًا يحسبون بأبي جاد ، وينظرون في النجوم ، وما أرى لمن فعل ذلك من خلاق اهـ .

أقول : أبي جاد : المراد بها الأحرف الأبجدية نسبة إلى (أبجد هوز) والمعروف أن العرب تعطي لكل حرف منها عددًا ، وبعض الناس يحسبون أعداد الأحرف لشيء ما وعلى ضوء ذلك يقدمون أو يجمعون . وهذا الذي نهى عنه ابن عباس وسفه أهله لأنه تحكّم وتحكيم لغير العاقل بالعاقل ، وهو في الأصل شيء غير معقول المعنى ولم يأت به شرع .

١٤٥٩ - * روى البخاري ومسلم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » . قالوا : وما الفأل ؟ قال : « كلمة طيبة » .

وروى البخاري مثله ، وقال ^(١) : « ويعجبني الفأل الصالح : الكلمة الحسنة » .
وروى مسلم مثله ، وقال ^(٢) : « ويعجبني الفأل : الكلمة الحسنة ، الكلمة الطيبة » .

قال ابن الأثير :

(لا عدوى) يقال : أعداه المريض : إذا أصابه منه بمقارنته ومجاورته أو مواكبته ومباشرته .

١٤٥٩ - البخاري (١٠ / ٢٤٤) ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٤ - باب لا عدوى .

مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

(١) البخاري (١٠ / ٢١٤) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الفأل .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

١٤٦٠ - * روى الطبراني ، عن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُبَلِّغُنَا مِنْ لِقَاحِنَا . فقام رَجُلٌ فقال : أنا . فقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك » ؟ قال : صخرٌ أو جَنْدَلٌ . فقال له رسول الله ﷺ : « اجلس » . ثم قال : « من يبلِّغنا لبنَ لِقَاحِنَا ؟ فقام رَجُلٌ آخر فقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك » قال : يعيش . قال : « بلِّغنا من لِقَاحِنَا » .

١٤٦١ - * روى الترمذي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ : أَنْ يَسْمَعَ : يَا رَاشِدُ ، يَا نَجِيجُ .

وفي الصحيحين ^(١) معناه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٤٦٢ - * روى الطبراني ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « لَنْ يَنَالَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مَنْ تَكْهَنَ أَوْ اسْتَقْسَمَ أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطْيِيراً » . وفي رواية : « أَوْ تَطْيِيرَ طَيْرَةٍ تَرُدُّهُ عَنْ سَفَرِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى » .

١٤٦٣ - * روى أبو داود عن قُطَنَ بن قُبَيْصَةَ عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « الْعِيَافَةُ وَالطَّيْرَةُ وَالطَّرِيقُ : مِنَ الْجُبْتِ » .

قال ابن الأثير :

(العيافة) : زجرُ الطير والتفاؤل بها ، كما كانت العرب تفعله ، عَافَ الطَيْرَ يَعِيفُهُ : إِذَا زَجَرَهُ .

١٤٦٠ - المعجم الكبير : (١٧ / ٢٩٢) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) وقال : رواه الطبراني ، وفيه سعيد بن أسد بن موسى ، روى عنه أبو زرعة الرازي ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات .

١٤٦١ - الترمذي (٤ / ١٦١) ٢٢ - كتاب السير ، ٤٧ - باب ما جاء في الطيرة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) البخاري (١٠ / ٢١٤) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الفأل .

مسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٦ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

١٤٦٢ - مجمع الزوائد (٥ / ١١٨) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات .

١٤٦٣ - أبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، باب في الخط وزجر الطير . وهو حديث حسن . وقال أبو داود : الطَّرِيقُ : الزَّجْرُ ، والعيافة : الخط .

١٤٩٩

(الطَّرْقُ) : الضرب بالعصا ، وقيل : هو الخطُّ في الرمل ، كما يفعله النجم لاستخراج الضير ونحوه ، وقد جاء في كتاب أبي داود : أن الطَّرْق : الزُّجْر ، والعيافة : الخط .

(الجَبْتُ) كل ما عُبِدَ من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان .

قال البغوي في شرح السنة :

وأراد بالعيافة : زجر الطير . والطَّرْقُ : هو الضرب بالخصي ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد : لأنه يَطْرُقُ بها . وقال ابن سيرين : الجبْتُ : الساحر ، والطارق : الكاهن .

قال ابن جرير في (جامع البيان) ٨ / ٤٦٥ :

والصواب من القول في تأويل ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ أن يقال : يصدقون بمعبودين من دون الله يعبدونها من دون الله ، ويتخذونها إلهين ، وذلك أن « الجبْت » و « الطَّاغُوت » اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كأنما ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدتها ، كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتاً وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالوا في أهل الشرك بالله . اهـ .

أقول : الحاصل أن الحديث نهى عن ضرب الرمل الذي عرفنا فيما مضى أن الخط فيه لاستخراج أمر كان معجزة لنبي ، وقد حرم في شريعتنا ، كما حرم في الحديث الطيرة التي هي زجر الطير والبناء على خط سيرها سلباً أو إيجاباً من العمل ، كما نهى الحديث عن ضرب الخصي للبناء على ذلك ، كأن يضرب الإنسان حصاة فإذا وقعت في مكان مضى لشأنه وإلا أحجم ، فكل ذلك وكل ما أدخله الشراح في شرح الحديث من صور على اختلاف تفسيراتهم ، كل ذلك يدخل في اتباع خطوات الشيطان ، فهي من الجبْت الذي هو عبادة غير الله والخضوع له .

١٤٦٤ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « لا عدوى ، ولا صفر ، ولا غول » .

قال ابن الأثير :

(ولا غُول) القُول : هذا الحيوان الذي كانت العرب تزعم أنه يَغْرِضُ لها في بعض الأوقات والطَّرِيقِ ، فَيَقْتَالُ الناسَ ، وإنه ضَرَبَ من الشياطين ، وليس قوله : « ولا غُول » تَنْبِيًا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إِبْطَالُ زعم العرب في اغتياله وتَلَوُّنه في الصور المختلفة ، يقول : لا تُصَدِّقُوا بذلك . ١ . هـ .

أقول : إن النصوص أثبتت إمكانية تشكل الجن ببعض الصور ، فهذه الحيثية ليست منفية في الحديث ، ولكن تصورًا وهميًا من تصورات الجاهلية عن شيء يسمونه الغول فيتوهمون بسببه ، قد أبطله الإسلام .

وقد قال الله عز وجل عن الإنسان : ﴿ لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) فالإنسان ، محفوظٌ إلا إذا قضى الله عليه قضاءً ، ولذلك فإن المسلم يغلب عليه حال التوكل فلا يخشى إلا الله ، فإذا دامه أمر عمل بمقتضى أمر الله .

١٤٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا عدوى ، ولا طَيْرَةٌ ، وإنما الشَّوْمُ في ثلاث : في الفرسِ ، والمرأةِ ، والدَّارِ » .

وفي رواية ^(٢) قال : ذكرُوا الشَّوْمَ عند النبي ﷺ ، فقال : « إن كان الشَّوْمُ : ففي الدَّارِ ، والمرأةِ ، والفرسِ » .

١٤٦٤ - مسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .
(١) الرد : ١١ .

١٤٦٥ - البخاري (١٠ / ٢١٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٣ - باب الطيرة .
مسلم (٤ / ١٧٤٧) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والغال .
(٢) البخاري (٦ / ٦٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٤٧ - باب ما يذكر من شؤم الفرس .
مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والغال .

ولمسلم^(١) : « في المرأة والفرس والمسكن » .

١٤٦٦ - * روى أبو داود عن سعد بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا هامة ، ولا عدوى ، ولا طيرة ، وإن تكن الطيرة في شيء : ففي الفرس ، والمرأة ، والدار » .

١٤٦٧ - * روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، إنا كنا في دار ، كثر فيها عدونا ، وكثر فيها أموالنا ، فتحولنا إلى دار أخرى ، فقل فيها عدونا ، وقلنا فيها أموالنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « ذروها ذمية » .

قال ابن الأثير :

(ذروها ذمية) أي : اتركوها مذمومة ، وإنا أمرهم بالتحول عنها إبطالاً لما وقع في نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب الدار وسكنائها ، فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم ، وزال ما خامرهم من الشبهة والوهم الفاسد ، والله أعلم .

١٤٦٨ - * روى أحمد عن أبي حسان نحوه وفيه : قالت عائشة : والذي أنزل القرآن على محمد ما قالها رسول الله ﷺ قط إنما قال : « كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك » .

وفي رواية^(٢) : « كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في الدار والمرأة والدابة » . ثم قرأت عائشة : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب »^(٣) الآية .

(١) مسلم للموضع السابق .

١٤٦٦ - أبو داود (٤ / ١٩) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

وهو حديث صحيح .

١٤٦٧ - أبو داود (٤ / ٢٠) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

وإسناده حسن .

١٤٦٨ - مسند أحمد (٦ / ٢٤٠) .

(٢) مسند أحمد (٦ / ٢٤٦) .

جمع الزوائد (٥ / ١٠٤) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) الحديد : ٢٢ .

١٤٦٩ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان في شيء : ففي الفرس والمرأة والمسكن » . يعني : الشؤم .

وفي رواية مسلم والنسائي عن جابر مثله ^(١) .

قال ابن الأثير :

(إن كان الشؤم في شيء) يعني : إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاثة ، وتخصيصه المرأة والفرس والرُّبع والدار ؛ لأنه لما أبطل مذهب العرب في التطير بالسَّوانج والَبَوارح من الطير والظُّباء ونحو ذلك ، قال : فإن كان لأحدكم دار يكره سكناها ، أو امرأة يكره صحبتها ، أو فرس لا يُعجبه اِرتِبَاطُه ، فليَفَارِقْها ، بأن ينتقل عن الدار ، ويبيع الفرس ، ويطلق الزوجة ، وكان محلُّ هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه ، وسبيله سبيلُ الخروج من كلام إلى غيره .

وقد قيل : إن شؤم الدار . ضيقها وسوء جاريها ، وشؤم الفرس : أن لا يُغزى عليها ، وشؤم المرأة : أن لا تلد .

قال ابن حجر حول هذا الحديث :

قال ابن قتيبة : وجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهام النبي ﷺ وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة . قلت : فشق ابن قتيبة على ظاهره ، ويلزم على قوله : أن من تشاء بشيء منها نزل به ما يكره ، قال القرطبي : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ ، وإنما عني أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس ، فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره .

١٤٦٩ - البخاري (٦ / ٦٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٤٧ - باب ما يذكر من شؤم الفرس .

مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفعال .

واللوطأ (٣ / ٩٧٢) ٥٤ - كتاب الاستئذان ، ٨ - باب ما يتقى من الشؤم .

(١) مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفعال ...

والنسائي (٦ / ٢٢٠) ٢٨ - كتاب الخيل ، ٥ - باب شؤم الخيل .

قال ابن العربي : معناه إن كان خلق الله الشؤم في شيء مما جرى من بعض العادة فإنما يخلقه في هذه الأشياء ، قال المازري : مجمل هذه الرواية : إن يكن الشؤم حقا فهذه الثلاث أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها . وجاء عن عائشة أنها أنكرت هذا الحديث ، فروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول قال : قيل لعائشة إن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الشؤم في ثلاثة » . فقالت : لم يحفظ ، إنه دخل وهو يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم في ثلاثة » . فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله . قلت : ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع ، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان ، أن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال : « الطيرة في الفرس والمرأة والدار » . فغضبت غضبا شديدا وقالت : ما قاله ، وإنما قال : « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » . انتهى . ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك ، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك ، لا أنه إخبار من النبي ﷺ بثبوت ذلك ، وسياق الأحاديث الصحيحة يبعد هذا التأويل لأنه ﷺ . إنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه .

قال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر : سمعت من يفسر هذا الحديث يقول : شؤم المرأة إذا كانت غير ولود ، وشؤم الفرس إذا لم يفر عليه ، وشؤم الدار جار السوء . وروى أبو داود في الطب عن ابن القاسم عن مالك ، أنه سئل عنه فقال : كم من دار سكنها ناس فهلكوا . قال المازري : فيحمله مالك على ظاهره ، والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعا . وقال ابن العربي : لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار ، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل . وقيل : معنى الحديث أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها للملازمة بالسكنى والصحية ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها ، فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب . ١ . هـ (فتح الباري) .

أقول : في النصوص التي ذكرت الشؤم في الدار والمرأة والفرس حض على حسن الاختيار للمرأة والمسكن والفرس وإباحة لمفارقة ما يكرهه الإنسان منها ، فكان هذه النصوص تبين أن هذا النوع الذي يمكن أن يدخل في مسمى الطيرة لا يعتبر من الطيرة المنهي عنها والتي كان عليها أهل الجاهلية ؛ ويبدو أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون في بعض الأحوال من مجرد رؤية المرأة أو الفرس أو الدار ، فهذا النوع من الطيرة منفي في الإسلام وعلى هذا يحمل كلام عائشة رضي الله عنها ، وعلى الأول تحمل الروايات الأخرى .

* * *

١٥٠٥

الفصل الرابع
في
العين والتمائم والرق
وفيه:
مقدمة ونصوص

المقدمة

لم تزل في الإنسان عوالم مجهولة ، ولم تزل تستكشف في الإنسان خواص وخصائص ، ولم يزل الإنسان يستكشف من دقائق أسرار الكون ما يقرب إليه فهم الكثير من المغيبات ، فتأثير الإشعاعات المختلفة على الجسم البشري مثلاً يقرب إلينا فكرة أن يكون لبعض أعين الناس خاصية التأثير في إنسان آخر أو في شيء ما ، وهذا كلام تقوله لتقريب فكرة الإصابة بالعين التي أثبتها الشارع ، إنه من خلال استقراء لحوادث كثيرة نجد أن إنساناً ما تعرض لنوع من الضرر أو المرض بسبب رؤية من إنسان رافقها كلمة أو لم ترافقها وهذا الموضوع أثبتته الشارع وتكلم عنه وفيه جانب غيبي ، ولذلك رأينا الحديث عنه وإثباته في هذا الباب ، ونحن وإن كنا قد حاولنا في ما مرّ أنفأ أن تقرب موضع الإصابة بالعين إلى الأذهان بما ذكرناه ، إلا أن أصل الموضوع لا يبيح هكذا في العادة ، فالله عز وجل إذا أراد أن يصيب إنساناً بإصابة ، أصابه بها عن طريق عالم الأسباب أو بشكل مباشر ، وقد جعل الله عز وجل جزءاً من عالم الأسباب أن يصيب أناساً بأعين ناس ، وجعل لهذا النوع من الإصابات وقاية كي لا يقع وعلاجاً إن وقع .

وبعض نصوص هذا الفصل تتحدث عن هذه الشؤون . والإنسان إذا وقع في مأزق يفر في العادة فرارين ، فراراً إلى الله بالدعاء ، وفراراً إلى عالم الأسباب بالأخذ بها ، فثلاً إذا مرض المريض دعا وبحث عن العلاج ، واجتماع هذين الفرارين مباح للمسلم بل مطلوب منه ، ومن ههنا نجد أن الإسلام حض على الوقاية كما حض على التداوي وأذن مع التداوي بالرقية وهي نوع دعاء من الأخ لأخيه أو من الإنسان لنفسه أو هي طلب استشفاء أو شفاء من الله تعالى لنفس الإنسان أو لأخيه .

ومن ههنا وجدت نصوص في الرقية وإذا كان للرقية دخل في أمر الغيب لأنها طلب شفاء من الله مباشرة فقد أدخلناها في أبحاث هذا الفصل ، وقد ذهب بعض العلماء إلى جواز حل نوع من المكتوبات يعلقها الإنسان على نفسه وعلى أهله ، ليحرزم من شرّ وهي ما يسمى بالتائم ، والذين أجازوها إنما أجازوها بشروط من مثل أن تكون مفهومة وأن لا يكون فيها

شرك وأن تكون بشيء مشروع ؛ وإذا كان الأمر يختلط فيه ما هو غل بالاعتقاد بما هو
مباح فقد رأينا لذلك أن ندخل هذا البحث ههنا وهكذا كان عنوان الفصل : في : العين
والتائم والرقى .

النصوص

١ - في : العين

١٤٧٠ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ :
« الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ ، وَإِذَا اسْتُغْسِلَتْ فَأَغْسِلُوا » .

(إِذَا اسْتُغْسِلَتْ فَأَغْسِلُوا) كان من عادتهم : أن الإنسان إذا أصابته العين من أحد جاء إلى العائن ، فجزء من ثيابه وغسل جسده ومعافقه ووجهه وأطرافه ، وأخذ العين ذلك الماء فصبه عليه ، فيبترأ بإذن الله تعالى .

قال الشوكاني في نيل الأوطار :

ظاهرة : إثبات العين التي تصيب إما بما جعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه إياها ، وإما بإجراء العادة بحدوث الضرر عند تحديد النظر .

قال المازري : أخذ الجمهور بظاهر الحديث وأنكره طوائف من المبتدعة لغير معنى ؛ لأن كل شيء ليس محالاً في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فهو من مجوزات العقول فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن إنكاره معنى . وهل من فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يخبر به في الآخرة من الأمور . اهـ .

١٤٧١ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان يؤمّر العائِنُ ، فيتوضأ ، ثم يفتسل منه المَعِينُ .

١٤٧٢ - * روى أحمد عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الْعَيْنُ حَقٌّ

١٤٧٠ - مسلم (٤ / ١٧١) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرضى والرق .

١٤٧١ - أبو داود (٤ / ٩) كتاب الطب ، باب ما جاء في العين .

وإسناده حسن .

(العائِنُ) : الذي تصيب عينه .

(المَعِينُ) : المصاب بالعين .

١٤٧٢ - مسند أحمد (٢ / ٤٣٩) .

جمع الزوائد (٥ / ١٠٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم .

أقول : ذكر الحسد بمناسبة الإصابة بالعين فيه إشارة إلى التأثير النفسي ، فالإنسان يمكن أن يؤثر نفسياً في إنسان آخر ، وتختلف قوة التأثير من إنسان لآخر ، وكل كلمة أمرضت إنساناً ، فكيف إذا اجتمع على نفس التأثير النفسي والكلمة الحاسدة ووسوسة الشيطان ، وما يمكن أن يكون في أعين بعض الناس من خواص .

١٤٧٣ - * روى البزار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » . قال البزار : يعني بالعين .

أقول : ذكرت هذا الحديث هنا لتفسير البزار الأنفس بالأعين ، وعندني أن النفس هنا قد يراد بها معنى آخر ، فقد يراد بالنفس الدم ، ومن عناوين الفقهاء : (ما لا نفس سائلة له) أي ما لا دم سائلاً له ، فإذا كان المراد بالنفس هنا الدم ففي الحديث معجزة طبية ، فما عُرِف في عصرنا أن أمراض الدم وما يطرأ عليه هي من أكثر مسببات الموت .

١٤٧٤ - * روى أبو داود عن شيبان القتباني أن مسامة بن مخلد استعمل رُوَيْفَع بن ثابت على أسفل الأرض ، قال شيبان : فسيرنا معه من كَوْمِ شريك إلى غُلَقَاء - أو من غُلَقَاء إلى كَوْمِ شريك - يريد : غُلَقَام ، فقال رُوَيْفَع : إن كان أحدنا في زمن رسول الله ﷺ لَيَأْخُذُ نِصْوَ أَخِيهِ ، على أن له النِّصْفَ مما يَغْنَمُ ولنا النِّصْفُ ، وإن كان أحدنا لَيَطِيرُ له النَّصْلُ والرَّيشُ ، وللآخر القِدْحُ ، ثم قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَارُوَيْفَعُ ، لعلَّ الحياة ستطول بك بعدي ، فأخبر الناس أنه من عَقَدَ لِحَيْتِهِ ، أو تَقَلَّدَ وَتَرًا أو استنجدى برَجِيعِ دَابَّةٍ أو عَظْمٍ ، فإن محمداً منه بَرِيءٌ » .

١٤٧٥ - * روى أحمد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العين لَتَوَلَّعُ

١٤٧٣ - كشف الأستار (٢ / ٤٠٣) . وقال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد .

جمع الزوائد (٥ / ١٠٦) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة .

١٤٧٤ - أبو داود (١ / ٩) كتاب الطهارة ، باب ما ينهى عنه أن يستنجد به .

(تَقَلَّدَ وَتَرًا) : كانوا يتقلدون الأوتار ، ويزعمون أنها تَرُدُّ العين ، وتَدْفَعُ عنهم المكروه ، فَنَهَوْا عَنْ ذَلِكَ .

١٤٧٥ - أحمد (٥ / ١٦٧) .

الرجل يأذن الله حتى يصعد حلقاً ثم يتردى منه .

١٤٧٦ - * روى مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبي - سهل بن حنيف - بالحرار ، فزرع جبة كانت عليه ؛ وعامر بن ربيعة ينظر إليه . وكان سهل شديداً البياض ، حسن الجلد ، فقال عامر : ما رأيت كالسيوم ، ولا جلد مخبأ غزاة ، فوعك سهل مكانه ، واشتد وعكه ، فأخبر رسول الله ﷺ بوعكه ، فقيل له : ما يرفع رأسه . وكان قد اكتتب في جيش . فقالوا له : هو غير رائج معك يا رسول الله ، والله ما يرفع رأسه . فقال : « هل تتهمون أحداً ؟ » قالوا : عامر بن ربيعة . فدعاه رسول الله ، فتغيط عليه ، وقال : « غلام يقتل أحدكم أخاه ؟ ألا بركت ؟ اغتسل له » . فغسل عامر وجهه ، ويديه ، ومرفقيه ، ورؤسائه ، وأطراف رجليه ، وداخله إزاره ، في قدح ، ثم صب عليه من ورائه ، فبرأ سهل من ساعته .

وفي رواية ^(١) نحوه إلى قوله : واشتد وعكه وبعده : فأق رسول الله ﷺ ، فأخبره بالذي كان من شأن عامر ، فقال رسول الله ﷺ : « غلام يقتل أحدكم أخاه ؟ ألا بركت ؟ إن العين حق ، توضع له عامر ، وصب عليه من خلفه ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس .

وفي بيان ما ينبغي فعله للمصاب قال البغوي :

قال الزهري : يؤتى الرجل العائن بقدح ، فيدخل كفه فيه ، فيمضض ، ثم يمجئة في القدح ، ثم يغسل وجهه في القدح ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصب على كفه اليمنى في

= وكشف الأستار (٢ / ٤٠٣) . وقال : لا نعلم صحابياً رواه غير أبي ذر ، ولا نعلم له إلا هذا الطريق .

جمع الزوائد (٥ / ١٠٦) . وقال : رواه أحمد والبخاري ، ورجال أحمد ثقات .

١٤٧٦ - الموطأ (٢ / ٩٣٩) ٥٠ - كتاب العين ، ١ - باب الوضوء من العين .

(مغنبة عذراء) : المغنبة : الحذرة ، والمغنبة : البكر ، والجمع : القناري .

(ألا بركت) : من البركة ، وهي الزيادة والنماء ، أو الثبات والدوام ، أي : هل دعوت له بالبركة .

(داخلته إزاره) : هي الطرف الذي يلي جسد المؤتزر . وقيل : أراد موضع داخلته إزاره من جسده ، لا إزاره .

(١) الموطأ (٢ / ٩٣٨) الوضع السابق .

قال محقق الجامع : وهو حديث حسن .

القدح ، ثم يُدخل يده اليمنى ، فيصب على يده اليسرى ، ثم يُدخل يده اليسرى ، فيصب على مرفقه الأيمن ، ثم يُدخل يده اليمنى ، فيصب على مرفقه الأيسر ، ثم يُدخل يده اليسرى ، فيصب على قدمه اليمنى ، ثم يُدخل يده اليمنى ، فيصب على قدمه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصب على ركبته اليمنى ، ثم يُدخل يده اليمنى ، فيصب على ركبته اليسرى ، ثم يغسل داخله إزاره ، ولا يوضع القدح في الأرض ، ثم يُصب على رأس الرجل الذي أصيب بالعين من خلفه صَبَّةً واحدة .

واختلفوا في غسل داخله الإزار : قال أبو عبيد : إنما أراد بداخله إزاره ، طرف إزاره : الذي يلي جسده ، مما يلي جانب الأيمن ، فهو الذي يُغسل قال : ولا أعلمه إلا جاء مفسراً في بعض الحديث هكذا . اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة مبيّناً أدب الرؤية لما يُعجِب :

وروي عن هشام بن عروة ، عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يُعجِبُه ، أو دخل حائطاً من حيطان قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله . وروي عن عائشة أنها كانت لا ترى بأساً أن يُعوذَ في الماء ، ثم يُعالج به المريض . وقال مجاهد : لا بأس أن يكتب القرآن ويفسله ، ويسقيه المريض ، ومثله عن أبي قلابه ، وكرهه النخعي ، وابن سيرين .

وروي عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادتها ، آيتين من القرآن وكلمات ، ثم يُغسل وتسقى . وقال أيوب : رأيت أبا قلابه كتب كتاباً من القرآن ، ثم غسله بماء ، وسقاه رجلاً كان به وجع ، يعني : الجنون اهـ .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار :

أرشد الشارع إلى ما يدفعه بقوله في قصة سهل بن حنيف المذكورة « ألا بركت عليه » وفي رواية ابن ماجه : « فليدع بالبركة » . ومثله عند ابن السني من حديث عامر ابن ربيعة . وأخرج البزار وابن السني من حديث أنس رفعه : « من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره » . وقد اختلف في القصص بذلك ، فقال القرطبي : لو أتلّف العائن شيئاً ضمنه ، ولو قتل فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك

منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر . قال الحافظ : ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعه وقالوا : إنه لا يقتل غالباً ولا يعد مهلكاً . وقال النووي في الروضة : ولا دية فيه ولا كفارة ؛ لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض الأحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل أصلاً وإنما غايته حسد وقنّ لزوال نعمة ، وأيضاً فالذي ينشأ عن الإصابة حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين . وتقل ابن بطال عن بعض أهل العلم أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عرف بذلك من مداخلته الناس وأن يلزم بيته ، فإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به فإن ضرره أشد من ضرر المجدوم الذي أمر عمر بمنعه من مخالطة الناس ، وأشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع أكله من حضور الجماعة . قال النووي : هذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه . اهـ .

١٤٧٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ » . ونهى عن الوشم .

١٤٧٨ - * روى ابن ماجه عن أبي سعيد ، قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ ثُمَّ أَعْيَنَ الْإِنْسِي ، فَلَمَّا نَزَلَ الْمَعُودَتَانِ أَخَذَهُمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ .

١٤٧٩ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين ، والحمة ، والنملة .

وفي رواية أبي داود ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ »

١٤٧٧ - البخاري (١٠ / ٢٠٣) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٦ - باب العين حق .

مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقى .

(الوشم) : هو الذي يُنْتَر به لون موضع الجسم ، ينيل أو كحل ، بأن يُغرز الجلد بإبرة ويُختفى مغازها بذلك ، فيبقى أثره أبداً .

١٤٧٨ - ابن ماجه (٢ / ١١٦١) ٣١ - كتاب الطب ، ٣٣ - باب من استرق من العين .

١٤٧٩ - مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والملة والحمة والنظرة .

والترمذي (٤ / ٢٩٣) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٥ - باب ما جاء في الرخصة في ذلك . وقال : حديث حسن غريب .

(١) أبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب - باب ما جاء في الرقى .

أو دَمَ يرقاً .

وفي رواية لم يذكر العين .

قال ابن الأثير :

(النملة) : قُرُوحٌ تخرج في الجنين ، وقد تخرج في غير الجنب ، تُرقى فتذهب بإذن الله تعالى .

(لا رُقِيَّةٌ إلا من عين أو حَمَّة) تخصيصه العين والحمة لا يمنع جواز الرقية في غيرها من الأمراض ، لأنه قد ثبت أنه رقى بعض أصحابه من غيرها ، وإنما معناه : لا رُقِيَّةٌ أولى وأنفع من رُقِيَّةِ العين والسَّمِّ ، كما قيل في المثل : لا فنى إلا على ، ولا سيف إلا ذو الفقار .

١٤٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال لجارية في بيتها رأى في وجهها سَفْعَةً - يعني : صَفْرَةً - فقال : « بها نظرة ، اسرقوا لها » .

١٤٨١ - * روى مالك عن عروة بن الزبير رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة وفي بيتها صبي يبكي ، فذكروا أن به العين ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا تسترقون له من العين ؟ » .

١٤٨٢ - * روى الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا رُقِيَّةٌ إلا من عَيْنٍ أو حَمَّةٍ » .

١٤٨٠ - البخاري (١٠ / ١٩٩) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٥ - باب رقية العين .

مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(نظرة) : يقال به نظرة : إذا أصابته العين من الجن ، وقد يطلق أيضاً على الإنس .

١٤٨١ - الموطأ (٢ / ١٤٠) ٥٠ - كتاب العين ، ٢ - باب الرقية من العين

وهو مرسل ، فإن عروة بن الزبير لم يدرك رسول الله ﷺ ، قال أبو عمر بن عبد البر : مرسل عند جميع رواة الموطأ ، وهو حديث صحيح .

١٤٨٢ - الترمذي (٤ / ٣٩٤) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٥ - باب ما جاء في الرخصة في ذلك .

وأبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب ما جاء في الرُقَى .

١٥١٥

١٤٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يأمر أن تسترقى من العين . وفي رواية (١) : « أمرني » .

١٤٨٤ - * روى الترمذي عن عبيد بن رفاعة الزرقى رضي الله عنه ، أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين . أفاسترقى لهم ؟ قال : « نعم ، فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين »

١٤٨٣ - البخاري (١٠ / ١٩٩) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٥ - باب رقية العين .
مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .
(١) البخاري : الموضع السابق .
١٤٨٤ - الترمذي (٤ / ٣٩٥) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٧ - باب ما جاء في الرقية من العين .
وقال : حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

٢ - في : التائم

قال البغوي في شرح السنة :

التائم : جمع التيمة ، وهي خَرَزات كانت العربُ تعلقها على أولادهم يتقنون بها العين بزعمهم ، فأبطلها الشرعُ ، ويقال : التيمة : قلادة يعلق فيها العود .

وقال عطاء : لا يعد من التائم ما يكتب من القرآن . وسئل سعيد بن المسيّب عن الصحف الصغار يكتب فيه القرآن ، فيعلق على النساء والصبيان ؟ فقال : لا بأس بذلك إذا جعل في كبر من ورق ، أو حديد ، أو يخرز عليه . اهـ .

١٤٨٥ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فَرَعَ أحدكم في النوم فَلْيَقِلْ : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعذابه وشربه عبادته ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، فإنها لن تضره » . وكان عبد الله يُلْقِنُها من بلغ من أولاده ، ومن لم يُلْغِ منهم ، كتبها في صكٍّ وعَلَّقَهَا في عُقْبِهِ .

قال محقق الجامع :

هذا عمل صحابي ، وقد اختلف العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في تعليق التائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته ، فقالت طائفة : يجوز ذلك ، وهو عمل عبد الله بن عمرو ابن العاص وغيره من الصحابة والتابعين ، وحملوا حديث « إن الرقي والتائم والتولة شرك » على التائم التي فيها شرك ، وقالت طائفة : لا يجوز ذلك ، وهو قول عبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين ، والأفضل ترك تعليق التائم من القرآن وغيره ، واستعمال الترقية بالمعوذات وغيرها كما ورد ذلك عن الصادق المصدوق ﷺ في

١٤٨٥ - الترمذي (٥ / ٥٤١) ٤٩ - كتاب الدعوات ٩٤ - باب حدثنا محمود بن غيلان... إلخ . وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأبو داود (٤ / ١٢) كتاب الطب ، باب كيف الرقي ؟ ولم يذكر « النوم » إنما قال : إن رسول الله ﷺ كان يُعَلِّمُهُم من الفَرَع كلمات ... ، وذكر الحديث ، وهو حسن بشواهد .
(مئة) : الصك : الكتاب يكتب به وثيقة بشيء .

أحاديث كثيرة .

١٤٨٦ - * روى أحمد عن مالك بن أنس رحمه الله سئل عن تعليق التائم والحرز فقال :
ذلك شرك ، وقال : بلغني أن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما يبالي
مأثي من شرب ترياقا ، أو تعلق تميمة » .

١٤٨٧ - * روى الترمذي عن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبد الله بن عكيم - أبي
معبدي الجهمي - أعوده وبه حمرة ، فقلت : ألا تعلق تميمة ؟ فقال : نعوذ بالله من ذلك ،
قال رسول الله ﷺ : « من تعلق شيئا وكل إليه » .

١٤٨٨ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ
سئل عن النشرة ، فقال : « هو من عمل الشيطان » .

قال ابن الأثير : .

(النشرة) كالتعويد والرقية ، يقال : نشرته تنشيرا : إذا رقيته وعودته ، وإنما سميت
نشرة ، لأنها ينشر بها عن المريض ، أي : يحل عنه ماخامره من الداء .. اهـ .

والنشرة المنهي عنها : هي النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به .

قال البغوي في شرح السنة :

والنشرة : ضرب من الرقية يعالج بها من كان يظن به مس الجن ، سميت نشرة لأنه
ينشر بها عنه ، أي : يحل عنه ماخامره من الداء ، وكرهها غير واحد ، منهم إبراهيم .
وحكي عن الحسن أنه قال : النشرة من السحر ، وقال سعيد بن المسيب : لا بأس بها . اهـ .

١٤٨٦ - أحمد (٢ / ٢٢٢) بنحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وأخرجه رزين ، وهو حديث حسن .
(ترياقا) : الترياق والدرياق معروف ، وليس شربه مكروها من أجل أن التدوي به حرام ، ولكن من أجل
ما يقع فيه من لُغوم الأفاعي وغيرها من النجاسات ، وهي محرمة ، وما لم يكن فيه حرام ولا نجس فلا بأس به .
١٤٨٧ - الترمذي (٤٠٣ / ٤) ٢٦ - كتاب الطب ، ٢٤ - باب ما جاء في كراهية التعليق . وهو حديث حسن بشواهده .
١٤٨٨ - أبو داود (٤ / ٦) كتاب الطب ، باب في النشرة . وإسناده صحيح .

١٤٨٩ - * روى ابن ماجه عن عمران بن الحصين أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صُفْرِ فقال : « ما هذه الحلقة ؟ » قال : هذه من الواهنة ، قال : « انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا . »

١٤٩٠ - * روى أحمد عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ : أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال : من صُفْرِ قال : « ويحك ماهذه ؟ » قال : من الواهنة . قال : « أما إنها لا تزيدك إلا وهنا أنبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا . »

١٤٩١ - * روى أحمد عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يعلق تميمة فلا أتم الله له ومن يعلق ودعة فلا ودع الله له . »

١٤٩٢ - * روى أحمد عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ف قيل له يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا ؟ قال : « إن عليه تميمة » فأدخل يده ففقطعها فبايعه . وقال : « من علق تميمة فقد أشرك . »

١٤٨٩ - ابن ماجه (١ / ١٦٧) ٣١ - كتاب الطب ، ٣٦ - باب تعليق التائم .

وفي الزوائد : إسناده حسن .

١٤٩٠ - أحمد (٤ / ٤٤٥) .

ومجم الزوائد (٥ / ١٠٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني وقال : إن مت وهي عليك وكلت إليها : قال وفي رواية موقوفة : أنبذها عنك ؛ فإنك لو مت وأنت ترى أنها تنفعك لمت على غير الفطرة . وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(الواهنة) : في النهاية : عرق يأخذ في اللكبة وفي اليد كلها ، فيترق منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العضد وربما علق عليه جنس من الحرز يقال له خرز الواهنة . وهي تأخذ الرجال دون النساء . وإنما نها عنها ؛ لأنه إنما أخذها على أنها تعصه من الأثم ، فكانت عنده في معنى التائم للنهي عنها . (أنبذها) : نبذ : ألقاه ، من باب ضرب .

١٤٩١ - أحمد (٤ / ١٥٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٩٧) .

مجم الزوائد (٥ / ١٠٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجالهم ثقات .

(الودع) : جمع ودعة ، وهو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم ، وإنما نهى عنها ؛ لأنهم كانوا يملقونها خافة العين .

١٤٩٢ - أحمد (٤ / ١٥٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٩٧) .

مجم الزوائد (٥ / ١٠٣) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

٣ - في : الرقي

قال البغوي في شرح السنة :

والمنهي من الرقي ما كان فيه شرك ، أو كان بذكر مردة الشياطين ، أو ما كان منها بغير لسان العرب ، ولا يُدرى ماهو ، ولعله يدخله سحر ، أو كفر ، فأما ما كان بالقرآن ، وبذكر الله عز وجل ، فإنه جائز مستحب . اهـ .

قال الشوكاني في نيل الأوطار :

قال الربيع : سألت الشافعي عن الرقية فقال : لا بأس أن ترقى بكتاب الله وبما تعرف من ذكر الله . قلت : أيرقي أهل الكتاب المسلمين ؟ قال : نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله . اهـ .

أقول : وللشافعي فيما ذهب إليه من جواز رقية أهل الكتاب للمسلمين ما يستدل به كما سئرى ، وإذا حدث شفاء فإن ذلك ليس من باب الكرامة للراقي ، وإنما هو من باب المعجزة لرسوله .

١٤٩٣ - * روى مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال نبي الله ﷺ : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ » قالوا : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » ، فقام عكاشة فقال : اذعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنت منهم » ، فقام رجل فقال : يانبي الله ، اذعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : « سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ » .

وفي رواية ^(١) نحوه ، وزاد فيه « وَلَا يَتَطَيَّرُونَ » ولم يذكر فيها قول عكاشة إلى آخره .

١٤٩٣ - مسلم (١ / ١٩٨) - كتاب الإيمان ، ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

(١) مسلم : للوضع السابق .

١٤٩٤ - * روى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال التزمنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال : « عَرَضْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ اللَّيْلَةَ بِأَتَمِّهَا فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمْرُومُهُ الثَّلَاثَةَ وَالنَّبِيُّ يَمْرُومُهُ الْعِصَابَةَ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُومُهُ النَّقَرَ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى مَرَّ عَلَى مُوسَى ﷺ مَعَهُ كَبْكَبَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَعْجَبُونِي فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقِيلَ هَذَا أَخُوكَ مُوسَى مَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ » ، قَالَ : « فَقُلْتُ فَأَيْنَ أُمِّي ؟ فَقِيلَ : لِي : انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ فَانْظُرْتُ فَإِذَا الْأَفُقُ قَدْ سَدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ فَقِيلَ لِي أَرْضَيْتَ ؟ فَقُلْتُ : رَضِيتُ رَبِّ » قَالَ : « فَقِيلَ لِي إِنْ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفِ فَافْعَلُوا ، فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الضَّرَابِ ، فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفُقِ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ ثُمَّ نَاسًا يَتَهَاوَشُونَ » : فقام عكاشة بن محصن فقال : ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ السَّبْعِينَ ، فَدَعَا لَهُ ، فقام رجل آخر فقال : ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَقَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ » . ثُمَّ تَحَدَّثْنَا فَقُلْنَا : مَنْ تَرَوْنَ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ أَلْفَ ؟ فَقَالَ : قَوْمٌ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ لَمْ يَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا حَتَّى مَاتُوا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

١٤٩٥ - * روى البخاري عن عامر بن عمران بن حصين قال : لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنِ أَوْ حَمَةٍ ، فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَرَضْتُ عَلَى الْأُمَمِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيُّانِ يَمْرُومُونَ مَعَهُمُ الرُّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رَفَعَ لِي سَوَادَ عَظِيمٍ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ أُمِّي هَذِهِ ؟ قِيلَ : بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، قِيلَ : انْظُرْ إِلَى الْأَفُقِ ، فَإِذَا سَوَادَ عَظِيمٍ قَدْ مَلَأَ الْأَفُقَ ، ثُمَّ

١٤٩٤ - أحمد (١ / ٤٠١) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٦) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٠٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٥) . وقال : رواه أحمد بأسانيد ، والبخاري وأبو يعلى باختصار كثير ، وأحد أسانيد أحمد والبخاري رجاله رجال الصحيح .

١٤٩٥ - البخاري (١٠ / ١٥٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ١٧ - باب من اكنوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو .

قيل لي : انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء ، فإذا سواد قد ملأ الأفق ، قيل : هذه أمتك ، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب ، ثم دخل ولم يبين لهم ، فأفاض القوم ، وقالوا : نحن الذين آمنّا بالله ، واتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فنحن هم ، أم أولادنا الذين وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّا وَلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فبلغ النبي ﷺ ، فخرج فقال : « هم الذين لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتُونُونَ ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقال عَكَاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ : أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : « نعم » ، فقال آخر : أَمِنْهُمْ أَنَا ؟ فقال : « سبقك بها عَكَاشَةُ » .

وللبخاري في أخرى ^(١) عن ابن عباس قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : « عَرِضْتُ عَلَيْكَ الْأُمَمَ ، فجعل يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي ، فقيل : هذا موسى ، ثم قيل : انظر ، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فقيل : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فقيل : هؤلاء أُمَّتُكَ ، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب » فتفرق الناس ، ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ ، فقالوا : أَمَا نَحْنُ فَوَلَدْنَا فِي الشَّرْكِ ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمُ أَبْنَاؤُنَا ، فبلغ النبي ﷺ ، فقال : « هم الذين لَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتُونُونَ ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عَكَاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ ، فقال : أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : « نعم » ، فقام آخر ، فقال : أَمِنْهُمْ أَنَا ؟ فقال : « سبقك بها عَكَاشَةُ » .

أقول : الرُّقِيَّةُ فِي حَقِّ بَعْضِ النَّاسِ لَيْسَتْ هِيَ الْأَكْمَلُ ؛ لِأَنَّ لَهُمْ قَدَمًا عَظِيمًا فِي التَّوَكُّلِ ، وَالْإِشَارَةِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَى فَضْلِ تَرْكِ الْاِسْتِرْقَاءِ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ لَا يَنْفِي جَوَازَ الرُّقِيَّةِ فَقَدْ فَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قال البغوي عند قوله : « لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حَمَةِ أَوْ غَلَّةٍ » :

(١) البخاري (٢١١ / ١٠) للوضع السابق .

ولم يُردِ به نقيّ جواز الرقية في غيرها ، بل تجوز الرقية بذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأوجاع .

ومعنى الحديث : لا رقية أولى وأنفع منها . اهـ .

١٤٩٦ - * روى الترمذي عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ اكْتَوَى أَوْ اسْتَرْقَى ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ » .

أقول : التقدير : فقد برئ من التوكل الكامل ، بدليل ماسياتي من أن بعض الصحابة قد استرقوا وبعضهم قد اكتموا ففعلهم لا ينبغي أن أصل التوكل موجود عندهم لكن كمال التوكل يقتضي عدم الاكتواء والاسترقاء وهو مقام أصحابه في الأمة الإسلامية قلة .

١٤٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ رخص لأهل بيت من الأنصار في الرقية من كل ذي حمة .

وفي رواية ^(١) قال : سألت عائشة عن الرقية من الحمة ؟ فقالت : رخص رسول الله ﷺ في الرقية من كل ذي حمة .

أقول : لقد رأينا كلام العلماء أكثر من مرة : في أن الترخيص في الرقية المقيدة لا ينبغي الإطلاق بدليل فعل الرسول ﷺ والصحابة كما سئرى .

١٤٩٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : أذن رسول الله ﷺ لآل بيت من الأنصار أن يرقوا من النخمة والأذن ، قال أنس : كُويت من ذات الجنب

١٤٩٦ - الترمذي (٣٩٣ / ٤) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٤ - باب ما جاء في كراهية الرقية . وقال : حديث حسن صحيح . وأحد (٢٤٩ / ٤) .

وابن ماجه (١١٥٤ / ٢) ٣١ - كتاب الطب ، ٢٣ - باب الكي .

وابن حبان (٦٢٩ / ٧) .

١٤٩٧ - البخاري (٢٠٥ / ١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٧ - باب رقية الحية والعقرب .

مسلم (١٧٢٤ / ٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(١) البخاري : للوضع السابق .

١٤٩٨ - البخاري (١٧٢ / ١٠) ٣٦ - كتاب الطب ، ٣٦ - باب ذات الجنب .

١٥٢٣

ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ ، وشَهِدَنِي أَبُو طَلْحَةَ ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو طَلْحَةَ كَوَانِي .

قال ابن الأثير : .

(الحَمَّةُ) بالتخفيف : سُمُّ العقرب ونحوها ، كَالزُّنْبُور وغيره ، وقد تُسمى إبرة العقرب والزنبور حُمَّة .

١٤٩٩ - * روى أبو داود عن الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها ، قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة ، فقال : « أَلَا تَعْلَمِينَ هَذِهِ رُقِيَّةُ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ ؟ » .

١٥٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جَرَجٌ ، قَالَ بِأَصْبَعِهِ هَكَذَا - وَضَعَ سَفِيَانِ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا - وَقَالَ : « بِسْمِ اللَّهِ تَرْبِيَةُ أَرْضُنَا ، بِرِيقَةٍ بَعْضُنَا ، يُشْفَى بِهِ سَقِينَا ، يَأْذَنُ رَبُّنَا » .

١٥٠١ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ وَيَقُولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَانِّ » ، وَمِنْ عَيْنِ الْإِنْسَانِ « فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوَّذَتَانِ ، أَخَذَ بِهِمَا ، وَتَرَكَ مَاسَوَاهُمَا .

١٥٠٢ - * روى البخاري عن عبد العزيز بن صهيب قال : دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَقَالَ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَزْزَةَ ، اشْتَكَيْتُ ، فَقَالَ أَنَسٌ : أَلَا أُرْقِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ

١٤٩٩ - أبو داود (١١ / ٤) كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقي .

(الفلة) : قروح في الجنب

١٥٠٠ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) كتاب الطب ، ٢٨ - باب رقية النبي .

مسلم (٤ / ١٧٢٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنبلة والحمة والنظرة .

١٥٠١ - الترمذي (٤ / ٣٩٥) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٦ - باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين . وقال : حديث حسن غريب .

قال محقق الجامع ، وهو كما قال .

١٥٠٢ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٨ - باب رقية النبي .

وأبو داود (١١ / ٤) كتاب الطب ، باب كيف الرقي .

ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : « اللهم رب الناس ، مُذهِبَ الباسِ ، اشفِ ، أنتَ الشافي ، لا شافيَ إلا أنت ، شفاءً لا يغادر سَقَمًا » .

١٥٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يعودُ بعضَ أهله ، يمسحُ بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس ، اذهبِ البأس ، اشفِ أنتَ الشافي ، لا شافيَ إلا أنت ، شفاءً لا يغادر سَقَمًا » .

وفي رواية (١) : فلما مرضَ ﷺ وثقل ، أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع ، فانتزع يده من يدي ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ، واجعلني مع الرفيق الأعلى » فذهبتُ أنظر فإذا هو قد قضى .

١٥٠٤ - * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، اشتكيتَ ؟ فقال : « نعم » . قال : باسمِ الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسمِ الله أرقيك .

١٥٠٥ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسولُ الله ﷺ إذا اشتكى رَقَاةَ جبريلَ ، يقول : باسمِ الله يُبْرِيك ، ومن كل داءٍ يشفيك ، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد ، ومن شرِّ كل ذي عين .

١٥٠٦ - * روى مسلم عن عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسولِ الله ﷺ وجعاً يجده في جسده مُنْذُ أُسْلِمَ ، فقال له : « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ ، وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، وَقُلْ سَبْعَ مَرَاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ

= والترمذي (٢٠٢ / ٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب ما جاء في التَّعَوُّذِ للمريض . وقال حديث حسن صحيح .

١٥٠٣ - البخاري (٢٠٦ / ١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٨ - باب رقية النبي ﷺ .

مسلم (٤ / ١٧٣٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٩ - باب استحباب رقية المريض .

(١) مسلم (٤ / ١٧٣٢) للموضع السابق .

١٥٠٤ - مسلم (٤ / ١٧١٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقي .

والترمذي (٢٠٢ / ٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب ما جاء في التَّعَوُّذِ للمريض . وقال : حديث حسن صحيح .

١٥٠٥ - مسلم (٤ / ١٧١٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقي .

١٥٠٦ - مسلم (٤ / ١٧٣٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٤ - باب استحباب وضع يده على موضع الألم ، مع الدعاء .

وَقَدَّرْتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ .

وعند الموطأ ^(١) « بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد » قال : فقلتُ ذلك ، فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزلُ أَمُرُّ بها أهلي وغيرهم .

وفي رواية الترمذي ^(٢) وأبي داود ^(٣) مثل الموطأ ، وأول حديثهما : أتاني رسولُ الله ﷺ وبني وَجَعٌ قد كاد يهلكني ، فقال رسولُ الله ﷺ : « امْسَحْ بيمينك سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وقل : أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وقدرته » ... الحديث .

١٥٠٧ - * روى الترمذي عن محمد بن سالم الرعي البصري قال : قال لي ثَابِتُ البُنَّانِي : يا محمد ، إذا اشتكيتَ فضعْ يَدَكَ حيثَ تشتهي ، ثم قلْ : « باسمِ الله ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وقدرته من شرِّ ما أجد من وجعي هذا » ، ثم ارفعْ يَدَكَ ، ثم أعِدْ ذلكَ وتراً ، فإنَّ أنسَ بن مالكٍ حدَّثني : أن رسولَ الله ﷺ حدَّثه بذلك .

١٥٠٨ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ مَرُّوا بماءٍ فيهم لَدَيْغٌ - أو سَلِيمٌ - فعَرَضَ لهم رجلٌ من أهل الماء ، فقال : هل منكم من رَاقٍ ، فإن في الماء رجلاً لَدَيْغاً أو سَلِماً ؟ فانطلقَ رجلٌ منهم ، فقرأ بفاتحة الكتابِ على شاةٍ ، فبرأ ، فجاء بالشاةِ إلى أصحابه ، فكَرِهُوا ذلكَ ، وقالوا : أخذتَ على كتابِ الله أجراً ، حتى قَدِمُوا المدينةَ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، أخذ على كتابِ الله أجراً ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله » .

١٥٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا في مسيرٍ

(١) الموطأ (٢ / ١٤٢) ٥٠ - كتاب العين ، ٤ - باب التموذ والرقية في المرض .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٠٨) ٢٦ - كتاب الطب ، ٢١ - باب حدثنا إسحاق بن موسى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) أبو داود (٤ / ١٢) ٢٧ - كتاب الطب ، باب كيف الرقي .

١٥٠٧ - الترمذي (٥ / ٥٧٤) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٢٦ - باب في الرقية إذا اشتكى .

وقال حسن غريب من هذا الوجه ، قال عمقو الجامع : وهو كما قال .

١٥٠٨ - البخاري (١٠ / ١٩٨) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٤ - الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب .

١٥٠٩ - البخاري (١ / ٥٤) ٦٦ - فضائل القرآن ، ٩ - باب فضل فاتحة الكتاب .

مسلم (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٢ - باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

لنا ، فنزلنا منزلاً ، فجاءت جارية ، فقالت : إن سيّد الحَيِّ سَلِمَ ، وإن نَفَرنا غَيَّبَ ، فهل منكم رَاقٍ ، فقامَ معها رجلٌ ما كنا نأْتِنُهُ بِرُقِيَّةٍ ، فَرَقَاهُ قَبِيراً ، فأمر له بثلاثين شاةً ، وسَقَانَا لَبَنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنْتَ تُحَسِّنُ رُقِيَّةً ؟ أو : كنتَ ترقِي ؟ قال : لا ، مارقيتُ إلا بأمِّ الكتاب ، قلنا : لا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ - أو نسأل - رسولَ الله ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبيِّ ، فقال : « وما كانَ يُدْرِيه أنها رقية ، أَقْسَمُوا ، واضْرِبُوا لي بسهم » .

وفي رواية ^(١) قال : انطلقَ نَفَرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في سَفَرَةٍ سافروها ، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياءِ العربِ ، فاستضافوهم ، فأبوا أن يُضَيِّفُوهم ، فلَدَغَ سيّدُ ذلك الحَيِّ ، فسَقَوْا له بكلِّ شيءٍ لا يَنْفَعُهُ شيءٌ ، فقالَ بعضهم : لو أتيتُم هؤلاء الرُّهْطَ الذين نزلوا بكم ، لعلمهم عندهم بعضُ شيءٍ ؟ فأتوهم ، فقالوا : يا أيها الرُّهْطُ ، إن سيّدنا لَدَغَ ، وسَعَيْنَا له بكلِّ شيءٍ لا يَنْفَعُهُ شيءٌ ، فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ ؟ فقال بعضهم : إني والله لأُرْقِي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضَيِّفُونَا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تُجْعَلُوا لنا جُعْلًا ، فصالحوهم على قَطِيعٍ من الغَنَمِ ، فانطلقَ يَتَقَلُّ عليه ويقرأ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فكأنما أنشِطَ من عِقَالٍ ، فانطلقَ يمشي ، وما به قَلْبَةٌ ، قال : فأوقوهم جَعْلَهُم الذي صالحوهم عليه ، وقال بعضهم : أَقْسِمُوا ، فقال الذي رَقَى : لا تفعلوا حتى نَأْتِيَ النبيَّ ﷺ فنذكر له الذي كان ، فننظر الذي يأمرنا به ، فقدموا على النبيِّ ﷺ فذكروا له ، فقال : « وما يدريك أنَّها رُقِيَّةٌ ؟ » ثم قال : « قد أَصَبْتُمْ ، أَقْسَمُوا ، واضْرِبُوا لي معكم سهمًا » ، وضحك النبيُّ ﷺ .

وفي رواية الترمذي ^(٢) قال : بعثنا رسولُ الله ﷺ في سَرِيَّةٍ ... وذكر نحوه ، وفيه « أن أبا سعيد هو الذي رَقاه ، وفيه : أنه قرأ ﴿ الحمد ﴾ سبعَ مرَّاتٍ ، وأن الغنمَ كانتُ ثلاثينَ شاةً » .

(١) البخاري (٤ / ٤٥٣) ٢٧ - كتاب الإجارة ، ١٦ - باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب .

(٢) الترمذي (٤ / ٣٧٨) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢٠ - باب ما جاء في أخذ الأجرة على التعميد .

وقال هنا حديث حسن .

قال ابن الأثير :

(سَلِيم) السَّلِيم : اللَّدِيع ، سُمِّيَ به تَفَاؤُلاً له بِالسَّلَامَةِ .

(النَّفَر) هَاهُنَا : الرِّجَالُ خَاصَّةً ، أَرَادَتْ : أَنْ رَجَالَنَا غَيَّبَ ، وَالْغَائِبُونَ عَنْ الْحَيِّ ، جَمْعُ غَائِبٍ .

(نَائِبُهُ) أَتَيْتُهُ بِكَذَا يَأْتِيهِ وَيَأْتِيُهُ : إِذَا اتَّهَمَهُ بِهِ .

(جُعْلًا) الْجُعْلُ : الْأَجْرَةُ الَّتِي تُجْعَلُ لَكَ عَلَى أَمْرٍ تَفْعَلُهُ .

(يَتَفَقَّلُ) التَّفَقُّلُ : أَكْثَرُ مِنَ النَفْثِ ، فَإِنَّ النَفْثَ لَا يَكُونُ مَعَهُ بَزَاقٌ يَرَى ، وَالتَّفَقُّلُ لَا يَدُّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ .

(أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ) الْعِقَالُ : الْحَبْلُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ رَكْبَةُ الْبَعِيرِ لِكَلِّ يَسْتَرْحَ ، وَأُنْشِطَتْ الْبَعِيرُ : إِذَا حَلَلَّتْ عِقَالَه ، وَنَشِطَتْهُ : إِذَا شَدَّدْتَهُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : « كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، وَالْمَعْرُوفُ : أُنْشِطَ .

(قَلْبَةً) مَا بِهِ قَلْبَةٌ ، أَيْ : مَا بِهِ عِلَّةٌ ، قِيلَ : هُوَ مَا خُذَ مِنَ الْقَلَابِ وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْبَعِيرَ ، فَيَشْتَكِي مِنْهُ قَلْبُهُ ، فَيَمُوتُ مِنْ يَوْمِهِ .

١٥١٠ - * رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ خَارِجَةَ بِنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيَّةِ عَنْ عَمِّهِ عِلَاقَةَ بْنِ صَحَارٍ قَالَ : أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ أُنْشِطْنَا أَنْكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بَخِيرٍ ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ ، أَوْ رُقِيَّةٍ ، فَإِنْ عِنْدَنَا مَعْتُوهَا فِي الْقَيْدِ ؟ قَالَ : فَقُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : فَجَاؤُوا بِمَعْتُوهِ فِي الْقَيْدِ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتَحَةَ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عُدُوَّةً وَعَشِيَّةً ، كُلَّمَا خَتَمْتُهَا أَجْمَعُ بَزَاقِي ، ثُمَّ أَتَقَلُّ ، قَالَ : فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا ، فَقُلْتُ : لَا ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « كُلُّ ، فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بَرَقِيَّةً بَاطِلًا ، لَقَدْ أَكَلَتْ بَرَقِيَّةً حَقًّا » .

١٥١٠ - أَبُو دَاوُدَ (٤ / ١٤) كِتَابُ الطَّبِّ ، بَابُ كَيْفِ الرُّقَى ؟ .

(مَعْتُوهُ) : لِلْمَعْتُوهِ : الْمَجْنُونُ .

وفي رواية^(١) عن عمه أنه أتى النبي ﷺ فأسلمَ ، ثم أقبل راجعاً من عنده ، فرز على قوم عندهم رجل مجنونٌ موثقٌ بالحديد ، فقال أهله : إنا حَدَّثنا أنَّ صاحبكم هذا جاءكم بخير ، فهل عندك شيءٌ تَدَاوِيهِ ؟ فرَّقِيتهُ بفاتحة الكتاب ، فَبَرَأَ ، فأعطوني مائةَ شاةٍ ، فأَتَيْت رسولَ الله ﷺ ، فأخبرته قال : « هل إلا هذا ؟ » - وفي رواية^(٢) : « هل قلتَ غير هذا ؟ » - قلتُ : لا ، قال : « خُذْها ، فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ باطِلٍ ، لقد أَكَلَتْ بِرُقِيَّةٌ حقٌ » .

١٥١١ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أَرْخَصَ رسولُ الله ﷺ في رُقِيَّةِ الحَيَّةِ لبني عمرو بن حزم ، قال أبو الزبير : فسمعتُ جابرَ بنَ عبدِ الله يقول : لَدَغْتُ رجلاً منا عَقْرَبَ ، وغنُ جُلوسٌ مع رسولِ الله ﷺ ، فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، أَرُقي ؟ قال : « مَن استطاعَ منكم أن ينفعَ أخاه فليَفْعَلْ » .

وفي رواية^(٣) قال : رَخَّصَ النبي ﷺ لآلِ حزم في رقيةِ الحية ، وقال لأسماء بنتِ عُمَيْسٍ : « مالي أرى أجسامَ بني أخي ضَارِعَةً ، تُصِيبُهُمُ الحَاجَةُ » ، قالت : لا ، ولكن العَيْنُ تُسْرِعُ إليهم ، قال : « أَرُقيهم » ، قالت : فعرضتُ عليه ، فقال : « أَرُقيهم » .

وفي أخرى^(٤) قال جابر : كان لي خالٌ يَرْقِي من العقرب ، فنهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقَى ، قال : فأتاه ، فقال ، يا رسولَ الله ، إِنَّكَ نَهَيْتَ عن الرُّقَى ، وإني أَرُقي من العقرب ؟ فقال : « مَن استطاعَ منكم أن ينفعَ أخاه فليَفْعَلْ » .

وفي أخرى^(٥) قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقَى ، فجاء آلُ عمرو بنِ حزم إلى رسولِ الله ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنه كانت عندنا رُقِيَّةٌ نَرُقِي بها من العقرب ، وإنك نهيتَ

(١) أبو داود (١٣ / ٤) للوضع نفسه .

(٢) أبو داود (١٣ / ٤) للوضع نفسه .

١٥١١ - مسلم (١٧٣٦ / ٤) - ٢٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنبلة والحمة والنظرة .

(٣) ، (٤) ، (٥) : مسلم : للوضع السابق .

(ضَارِعَةٌ) : رجل ضارع الجسم ، أي : ضعيف الجسم ، ناحل الجسم .

عن الرُّقَى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : « ما أرى بأساً ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » .

١٥١٢ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة : قَالَ : لَدَغْتُ عَقْرَبَ رَجُلًا فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ . فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنْ فَلَانًا لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ . فَقَالَ : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ ، حِينَ أَمْسَى : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، مَا ضَرَّهُ لَدَغُ عَقْرَبٍ حَتَّى يُصْبِحَ » .

قال في النهاية :

(أعوذ بكلمات الله التامات) : إنما وصف كلامه بالتام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب . كما يكون في كلام الناس . وقيل : معنى التام ههنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه .

١٥١٣ - * روى ابن ماجه عن عائشة ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقِيَّةِ .

١٥١٤ - * روى الترمذي عن أبي خزيمة عن أبيه قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رُقَاةَ نَسْتَرُقِي بِهَا ، وَدَوَاءَ تَدَاوَى بِهِ ، وَتَقَاةَ تَنْقِيهَا : هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : « هُوَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ » .

١٥١٥ - * روى مالك عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي أبو بكر ويهودية ترقيني ، فقال : ارقبها بكتاب الله .

أخرجه الموطأ عن عمرة : أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها ..

١٥١٢ - ابن ماجه (٢ / ١١٦٢) ٣١ - كتاب الطب ، ٣٥ - باب رقية الحية والعقرب .

في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

١٥١٣ - ابن ماجه (٢ / ١١٦٦) ٣١ - كتاب الطب ، ٣٨ - باب النفث في الرقية . وإسناده صحيح .

١٥١٤ - الترمذي (٤ / ٣٩٦) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢١ - باب ما جاء في الرُّقَى والأدوية . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(تَقَاةٌ) : التَّقَاةُ : مَا يَنْقِي وَيَحْذَرُ .

١٥١٥ - للموطأ (٢ / ٩٤٣) ٥٠ - كتاب العين ، ٤ - باب التعوذ والرقية في المرض . ورجال إسناده ثقات .

١٥١٦ - * ابن ماجه عن شقيق بن سلمة قال : سمعت عبد الله يقول : عليكم بالشفاءين : القرآن ، والعسل .

١٥١٧ - * روى أحمد عن محمد بن حاطب قال : تنبت إلى قيدٍ وهي تغلي ، فأدخلت يدي فيها فاحترقت ، أو قال فورمت . فذهبت بي أمي إلى رجلٍ بالبطحاء فقال شيئاً ونفت ، فلما كان في إمرة عثمان قلت لأمي : من كان ذلك الرجل ؟ قالت : رسول الله ﷺ . ورواه الطبراني بنحوه ^(١) ، إلا أنها قالت : يا محمد احترقت يد محمد .

وفي رواية ^(٢) عنده : فانطلقت بي أمي إلى رجل جالس في الجبانة فقالت : يا رسول الله ، فقال : يا بليك وسعديك ، ثم أدتني منه ، فجعل ينفت ويتكلم بكلام لا أدري ما هو ، فسألت أمي بعد ذلك ما كان يقول ؟ قالت : كان يقول : « أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت » .

١٥١٨ - * روى أحمد عن محمد بن حاطب قال : انصب علي يدي شيء من قيدٍ ، فذهبت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وهو في مكان : قال : فقال كلاماً فيه : « أذهب الباس رب الناس أحسبه قال : « واشف أنت الشافي » قال : وكان يتقل .

١٥١٩ - * روى الطبراني عن علي قال : لدغت النبي ﷺ عقرباً وهو يصلي فلما قرع قال : « لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره » ثم دعا بماء وملح فجعل يسح عليها

١٥١٦ - ابن ماجه (١١٤٢ / ٢) - كتاب الطب (٧ - باب العسل .

في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

والحاكم (٢٠٠ / ٣) وصححه ، ووافقه الذهبي .

وفيض القدير (٢٤٢ / ٤) وقال المناوي : قال البيهقي في « شعب الإيمان » : الصحيح موقوف على ابن مسعود .

١٥١٧ - أحمد (٤١٨ / ٣) ،

ومجمع الزوائد (١١٢ / ٥) . وقال رجال أحمد ، ورجال هذه الطريق رجال الصحيح .

(١) مجمع الزوائد (١١٣ / ٥) .

(٢) أحمد : الموضع السابق .

١٥١٨ - أحمد (٢٥٩ / ٤) ، (٤١٨ / ٣) .

مجمع الزوائد (١١٢ / ٥) . وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

١٥١٩ - الروض الداني (٨٧ / ٢) .

مجمع الزوائد (١١١ / ٥) ، قال الميمني : رواه الطبراني في الصغير و إسناده حسن .

وَيَقْرَأُ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ﴿ قُلْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ .

١٥٢٠ - * روى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا نترقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ؟ قال : « اعْرِضُوا عَلَيَّ رِقَاقَكُمْ » ، ثم قال : « لَا بَأْسَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ » .

١٥٢١ - * روى الطبراني عن عبادة بن الصامت قال : كنت أرقى من حَمَةِ العين في الجاهلية ، فلما أسلمت ذكرتها لرسول الله ﷺ ، فقال : « اعرضها علي » فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فَقَالَ : « اِرْقُ بِهَا فَلَا بَأْسَ بِهَا » ولولا ذلك ما رقيتُ بها إنساناً أبداً .

١٥٢٢ - * روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالتُ زينبُ امرأته قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إِنَّ الرُّقَى وَالتَّائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ » ، قالت : قلت : لم تقول هذا ؟ والله ، لقد كانت عيني تَقْذِفُ ، وكنت أختلِفُ إلى فلانِ اليهوديِّ فيرقيني ، فإذا رَقَّاني سَكَنْتُ ، فقال عبدُ الله : إنما ذلك عملُ الشيطان ، كان يَنْخُسُهَا بيده ، فإذا رَقَّاهَا كَفَّ عَنْهَا ، إنما كان يكفيك أن تقولِي كما كان رسول الله ﷺ يقول : « أَذْهِبِ الْبَاسَ ، رَبُّ النَّاسِ ، أَشْفَى أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » .

قال البغوي في شرح السنة :

والتَّوَلَةٌ : ضرب من السحر . قال الأصمعي : وهو الذي يجيب المرأة إلى زوجها ، وهو بكسر التاء ، فأما التَّوَلَةٌ بضم التاء : فهو الداهية اهـ .

١٥٢٠ - مسلم (٤ / ١٧٢٧) ٣٦ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .

وأبو داود (٤ / ١٠) كتاب الطب - باب ما جاء في الرقي .

١٥٢١ - مجمع الزوائد (٥ / ١١١) وقال الميمني : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٥٢٢ - أبو داود (٤ / ٩) كتاب الطب - باب في تعليق التاجم .

(التَّوَلَةٌ) : بكسر التاء وفتح الواو : ما يجيب المرأة إلى زوجها من أنواع السحر ، وقيل : التَّوَلَةٌ - بكسر التاء

وضها - شبيهة بالسحر .

١٥٣٢

١٥٣٣ - * روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنه ، رفعه : « من عادَ مريضًا لم يحضر أجله فقالَ عنده سبعَ مراتٍ » : « أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يَشْفِيكَ ، إلا عافاه الله من ذلك المرضِ » .

١٥٣٤ - * روى الطبراني عن رافع بن خديج قال دخل رسول الله ﷺ على ابنِ نعيمٍ فقال : « أذهب الباس رب الناس إله الناس » .

* * *

١٥٣٣ - أبو داود (٣ / ١٨٧) كتاب الجنائز - باب الدعاء للمريض عند العيادة .
 والترمذي (٤ / ٤١٠) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢ - باب حدثنا محمد بن المنثري ... وقال : حديث حسن غريه .
 والمستدرک : (٣ / ٢١٣) وصححه ، ووافقه الذهبي .
 ١٥٣٤ - معجم الزوائد (٥ / ١١٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٥٣٣

الفصل الخامس
في
النذر
وفيه
عرض إجمالي وفقرات ومسائل وفوائد

عرض إجمالي

أَدْخَلْنَا فصل النذر في مباحث العقائد ؛ لأن النذر في الأصل إنشاء عبادة ، وقد وقع بعض الناس في صور من الغلو في النذر تقتضي تصحيحًا ، ومن ههنا أدخلناه في مباحث العقيدة ، وإن جرت عادة الفقهاء أن يدخلوه في أبواب الفقه . ونحن إذ أدخلناه ههنا فإنا سنتحدث عن بعض مسائله في الأقسام التالية : فأول ما نتكلم به عن النذر هو أن الأصل في المسلم أن يبتعد عن النذور ، وأن يفعل الخير ما استطاع دون أن ينذر ؛ لأنه إذا نذر ما يجب الوفاء به فقد يدخله ذلك في دائرة الحرج ؛ لأنه قبل النذر يكون في فسحة ، فإذا نذر ما يجب الوفاء به افترض عليه الوفاء لقوله تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ يُوَفُّونَ بِالنَّذْرِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ ^(٤) ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ ^(٥) ، والنذر نوع من العهد من الناذر مع الله عز وجل ويدخل في العقود والعهود .

ومن ثم قال الشافعية والحنابلة : النذر مكروه كراهة تنزيه لا تحريم : وقال الحنفية : هو مباح في الطاعات . وفرق المالكية بين النذر المطلق واعتبروه مندوبًا ، وبين النذر المكرر ، كصوم كل يوم خميس مثلاً فمكروه .

ولا يصح النذر من الصبي أو المجنون أو الكافر . والنذر على أنواع : الأول : قرية ، فيجب الوفاء بها على تفصيل بين المذاهب ، الثاني : معصية ، فيحرم الوفاء بها ، وهناك خلاف حول وجوب كفارة اليمين بمثل هذا النذر ، الثالث : المكروه : فيكره الوفاء به ، وهو كسابقه في وجوب كفارة اليمين في الخلاف ، والنوع الرابع : النذر المباح ، فيباح الوفاء به وتركه وفيه تفصيلات :

أما بالنسبة للنذر بقرية ، فيفرق الحنفية بين القرية المقصودة لذاتها من جنسها واجب ، وبين القرية التي ليست مقصودة بذاتها وليس من جنسها واجب .

(٢) الإنسان : ٧ .

(٤) الإسراء : ٣٤ .

(١) الحج : ٢٩ .

(٣) المائدة : ١ .

(٥) النحل : ٩١ .

فالشافعية : أوجبوا الوفاء بكل قرينة كعبادة المريض والسلام والزيارة والصوم والحج والاعتكاف ، وأما الحنفية : فلم يوجبوا الوفاء إلا بنذر عبادة مقصودة لذاتها من جنسها واجب : كصلاة وصيام ، أما ما لم يكن من جنسها واجب فلا يجب الوفاء به كعبادة المرضى والوضوء وتكفين الميت ومس المصحف والأذان وبناء المساجد ومن نذر المعصية يحرم عليه الوفاء بها ولا يجب عند الجمهور على الناذر شيئاً ، وقال أبو حنيفة والحنابلة : عليه كفارة يمين .

وكذلك النذر بالمكروه : يكره الوفاء به وعلى صاحبه كفارة يمين عند الحنفية .

وأما إذا نذر المباح ، فيباح له أن يفعله أو أن يتركه ، وقال الحنفية والمالكية والشافعية : في الأصح لا كفارة عليه إن لم يفِ بنذره ، وقال الحنابلة : إن لم يفِ فعليه كفارة يمين .

والصفة التي ينعقد بها النذر عند الحنفية هو النذر لله صراحة أو ضمناً مثل قوله : لله عليّ كذا ، أو عليّ كذا ، أو عليّ نذر أو هذا هدي أو صدقة ، أو مالي صدقة أو ما أملك صدقة .

والنذر في العادة على نوعين : مطلق ومقيد ، فالمطلق مثل أن يقول : عليّ أن أصوم كذا ، أو أصلي كذا ، وأما المقيد فهو المعلق بشرط كقوله : إن قدم فلان أو شفى الله مريضاً فعليّ كذا .

وكلا النوعين يجب الوفاء به إذا تحققت شروط وجوب الوفاء .

ولا يعتبر النذر بالفريضة أو الواجب سواء عينياً أو كفاً من باب النذر ؛ لأنه واجب في أصل الشرع ، ولكنه يتأكد القيام به .

ومن كلام الشافعية : أن نذر اللجاج يسمى أيضاً يمين اللجاج والغضب ويمين الغلق ، وهو الذي قصد به الناذر حث نفسه على فعل شيء أو منعها غير قاصد للنذر ولا القرينة ، مثل قوله : إن لمت فلاناً فلله عليّ صوم ، فالأظهر عندهم في هذا النوع أن الناذر بالخيار إن شاء وفى بما التزم ، وإن شاء كفر كفارة يمين . وقال الحنابلة مثل ذلك .

١٥٣٧

وإن نذر صلاة ركعتين في المسجد الحرام فأدائها في ما هو أقل شرفاً منه أو في أرض عادية أجزأه عند أئمة الحنفية ما عدا زفر ، وقال المالكية : يلزمه أن يؤدي الصلاة والاعتكاف في المكان الذي سمي ، وقال الشافعية إذا نذر الصلاة أو الاعتكاف في المساجد الثلاثة : المسجد الحرام أو مسجد المدينة أو مسجد الأقصى ، لزمه الأداء في المكان وكذلك قال الحنابلة .

* * *

الفقرات

- الفقرة الأولى : في حكم النذر ومتى يجب الوفاء به .
- الفقرة الثانية : في النذر فيما لا يطيق .
- الفقرة الثالثة : في حكم مراعاة المكان في النذر .
- الفقرة الرابعة : في قضاء الحي نذر الميت .
- الفقرة الخامسة : في نذر الجاهلية إذا وافق عبادة إسلامية .
- الفقرة السادسة : في متى يكون للنذر حكم اليمين .
- الفقرة السابعة : في نذر صيام يوم النحر .
- الفقرة الثامنة : في نذر المقيم بمكة أو بالمدينة المنورة الصلاة ببيت المقدس .
- الفقرة التاسعة : في موضوعات متعددة .

الفقرة الأولى

في :

حكم النذر ومتى يجب الوفاء به

١٥٢٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قدّرته له ، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قدّره له ، فيستخرج به من البخل ، فيؤتيني عليه ما لم يكن يؤتيني عليه من قبل » .

وفي رواية ^(١) : أن النبي ﷺ قال : « لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدّره له ، ولكن يلقيه النذر وقدّره له ، يستخرج به من البخل » .

وأخرج مسلم ^(٢) : أن النبي ﷺ قال : « إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن قدّره له ، ولكن النذر يوافق القدر ، فيخرج بذلك من البخل ما لم يكن البخل يريد أن يخرج » .

وفي أخرى له ^(٣) عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر ، وقال : « إنه لا يرد من القدر شيئاً ، وإنما يستخرج به من البخل » .

وفي أخرى ^(٤) أن النبي ﷺ قال : « لا تنذروا ، فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً ، وإنما يستخرج به من البخل » .

١٥٢٥ - البخاري (١١ / ٥٧٦) ٨٢ - كتاب الإيمان والنذور ، ٢٦ - باب الوفاء بالنذر ، وقول الله تعالى : ﴿ يؤفون بالنذر ﴾ .

قال ابن حجر في (فتح الباري) : هذا من الأحاديث القدسية لكن سقط منه التصريح بنسبته إلى الله عز وجل .

(١) البخاري (١١ / ٤٩٩) ٨٢ - كتاب القدر ، ٦ - باب إلقاء العبد النذر إلى القدر .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٦٢) ٢٦ - كتاب النذر ، ٢ - باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً .

(٣) مسلم : للموضع السابق .

(٤) مسلم : للموضع السابق .

قال ابن الأثير :

(النهي عن النذر) إنما هو تأكيد لأمره ، وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل ، لكان في ذلك إبطال حكمه ، وإسقاط لزوم الوفاء به ، إذ كان بالنهي يصير معصية ، فلا يلزم الوفاء به ، وإنما وَجْه الحديث : أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يَجْرُ لهم في العاجل نفعاً ، ولا يصرف عنهم ضرراً ، فلا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئاً لم يقدِّره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فإذا فعلتم ذلك فاخرجوا عنه بالوفاء ، فإن الذي نذرتوه لازم لكم .

١٥٣٦ - * روى الطبراني عن ابن عمر : نهى النبي ﷺ عن النذر وأمر بالوفاء به .

وفي أصل النذر قالت المذاهب الأربعة ما يلي :

الحنابلة - قالوا : النذر مكروه ولو عبادة لنهي عليه الصلاة والسلام عنه وقال : « إنه لم يأت بخير » وإنما يُستخرج به من البخيل ، والنذر لا يرد قضاء ولا يملك الناذر به شيئاً جديداً ولا يرفع واقفاً ، فإذا وقع منه وجب الوفاء به ... [على تفصيل] .

المالكية - قالوا : النذر المطلق مندوب ، وهو ما أوجبه على نفسه شكراً لله تعالى على ما حصل ووقع فعلاً من نعمة أو دفع نقمة ، كن نجاه الله من كربة أو شفى مريضه أو رزقه مالاً أو علماً فنذر الله قرابة يفعلها شكراً ، فالإقدام على مثل هذا النذر مندوب والوفاء به فرض لازم . أما النذر المعلق : وهو أن ينذر قرابة معلقاً على شيء في المستقبل محبوب وليس للعبد فيه مدخل كقوله : إن شفى الله مريضاً فعليّ كذا فاختلف فيه ؛ فبعضهم يقول بالكراهة وبعضهم يقول بالجواز ، وعمل هذا فين لا يعتقد أن مثل هذا النذر نافع في حصول غرضه ، وإلا كان محرماً والناذر الذي يعتقد أن نذره ينفع يخالف قول النبي ﷺ ، إنه لا ينفع فإذا وقع يجب الوفاء به ، وإذا علق النظر على أمر من فعل العبد كقوله : إن فعلت كذا فعليّ كذا فإنه مكروه بلا خلاف وكذا إذا نذر نذراً مكروهاً كأن نذر أن يصوم كل يوم فإنه يشغل على النفس فعله فيكره ويجب الوفاء بها بعد وقوعها على أي حال . أما

نذر مالا طاقة له به فهو حرام .

الحنفية - قالوا : النذر الصحيح المستكمل للشروط الآتية قرينة مشروعة ، أما كونه قرينة فليما يلزمه من القرب كالصلاة والصوم والحج ونحوهما ، وأما كونه مشروعاً فللاوامر الواردة بإيفائه .

الشافعية - قالوا : الإقدام على النذر قرينة في نذر التبر ، لأنه مناجاة لله تعالى ، ولذلك لا يصح من الكافر . مكروه في نذر اللجاج . اهـ (من الفقه على المذاهب الأربعة) . وها نحن ننقل لك من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ما تعرف به شروط وجوب النذر عند الحنفية :

قال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة معرّفًا النذر وذاكرًا شروط وجوب الوفاء به على مذهب الحنفية :

النذر هو أن يوجب المكلف على نفسه أمرًا لم يلزمه به الشارع .

وحكمه وجوب الوفاء به متى كان صحيحًا مستكملًا للشرائط الآتي بيانها لقول الله تعالى : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ .

ولابد للناذر من أن ينذر الله تعالى ، فلا يحل النذر لولي ولا لقرب وإن وقع يكون باطلاً . ويشترط لصحة النذر سبعة شروط :

الأول : أن يكون من جنس المنذور فرض أو واجب اصطلاحى على الأصح كالصوم والصلاة والصدقة ، فإذا نذر أن يصوم تطوعًا فإنه يجب عليه الوفاء ؛ لأن الصوم من جنسه فرض وهو صوم رمضان . وكذا إذا نذر أن يصلي نافلة فإنه يجب عليه الوفاء ؛ لأن الصلاة من جنسها واجب هو الصلوات الخمس . وكذا إذا نذر أن يتصدق فإن الصدقة من جنسها واجب وهو الزكاة إلا الاعتكاف فإنه يجب عليه الوفاء بنذره ، مع أنه ليس من جنسه واجب على التحفيق ، لأن الإجماع منعقد على وجوب الوفاء بنذره .

وإذا لم يكن من جنس المنذور فرض أو واجب اصطلاحى فإنه لا يجب على الناذر الوفاء به كعبادة المريض ، ودخول المسجد ولو مسجد الرسول ﷺ ، أو المسجد الأقصى . أو

الحرم للمكي ، لأنه ليس من جنسها فرض مقصود . وكذا لو نذر تسبيحًا أو دعاء عقب الصلاة فإنه لا يجب الوفاء به ؛ لأنه ليس من جنسه فرض . أما إذا نذر تكبيرًا فإنه يجب الوفاء به ؛ لأن التكبير من جنسه فرض وهي تكبيرة الإحرام . وكذا إذا نذر الصلاة على النبي ﷺ فإنه يجب الوفاء به على الصحيح ؛ لأنه من جنسها فرض وهو الصلاة عليه في العمر مرة .

الثاني : أن يكون المندور عبادة مقصودة ، فلا يصح النذر بما هو وسيلة كالوضوء ، والاعتسال ، ومس المصحف ، والأذان ، وتشيع الجنائز وعبادة المريض ، وبناء المساجد وغير ذلك ، فهذه الأمور وإن كانت قريبة إلا أنها غير مقصودة لذاتها ، بل المقصود هو ما يترتب عليها ، فالضابط الكلي في صحة النذر : أن يكون المندور عبادة مقصودة من جنسها فرض .

الثالث : أن لا يكون المندور معصية لذاته ، فإذا نذر أن يقتل فلانا أو يشرب الخمر أو يزني كان يمينًا ولزمته الكفارة بالحنث . أما إذا نذر أن يصوم يوم عيد الفطر أو الأضحي فإنه يكون قد نذر محرماً لعارض لا لذاتها ، فإن الصيام في ذاته طاعة ، وتحريمه في هذا اليوم عارض بنهي الشارع ، فيصح نذره ويلغو لأنه يوم العيد فيجب قضاؤه في يوم آخر . ومثله ما إذا نذر أن يصلي ركعتين من غير وضوء ، فإنه يصح نذره ؛ لأن نذر الصلاة صحيح ويلغو قيد من غير وضوء ، فيجب أن يصلي ركعتين بوضوء ، لأن التزام المشروط وهو الصلاة التزام الشرط وهو الوضوء ، وكذا نذر أن يصلي ركعة واحدة فإنه يلزمه أن يصلي ركعتين . وكذا نذر أن يصلي ثلاثة فإنه يلزم بأربعة .

الرابع : أن لا يكون فرضاً عليه قبل النذر ، فلو نذر حجة الإسلام لم يلزمه شيء غيرها . الخامس : أن لا يكون ما التزمه أكثر مما يملكه ، فلو نذر ألفاً وهو لا يملك إلا مائة يلزم بالمائة فقط .

السادس : أن يكون ممكن الوقوع ، فلو نذر مستحيلاً كأن يصوم أمس فإنه لا يصح نذره ، وكذا إذا نذرت الحائض أن تصوم أيام حيضها فهو باطل ؛ لأن صوم أيام الحيض

مستحيل شرعاً ، وكذا إذا نذرت أن تصوم غداً ثم أصبحت حائضاً فإن نذرها باطل ، وهذا عند محمد ، وقال أبو يوسف : يجب عليها القضاء في الصورة الثانية .

السابع : أن لا يكون ملكاً للغير .

واعلم أن النذر المطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا دراهم ولا فقير ، فإذا نذر أن يتصدق يوم الجمعة بهذا الدرهم على فلان فتصدق يوم الخميس أو يوم السبت بغير هذا الدرهم على شخص آخر جاز . وكذا لو عين شهراً للاعتكاف أو للصوم فعجل صح ، وكذا إذا نذر أن يحج سنة كذا فحج سنة قبلها صح ، أما النذر المعلق فإنه يتعين فيه الوقت فقط : إذ لا يصح تقديمه على وقوع المعلق عليه بخلاف تأخيره عنه فإنه جائز . أما تعيين الفقير والدرهم . والمكان فيه فليس بلام ، فيصح أن يدفع غير الدرهم للمنذور لفقير آخر غير الذي ذكره ، فلو نذر لفقراء مكة جاز الصرف لفقراء غيرها ، سواء كان النذر مطلقاً أو معلقاً .

والنذر عمل اللسان ، والقياس يقتضي أنه لا ينعقد إلا بلفظ : الله عليّ كذا ، أو عليّ كذا ، أما إذا قال : إن عوفيت صمت كذا ، فإنه لا ينعقد به النذر قياساً ، وينعقد استحساناً . اهـ .

* * *

الفقرة الثانية

في :

النذر فيما لا يطيق

١٥٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَذَرْتُ أَخِيَّ أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ حَافِيَةً ، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ ، فَقَالَ : « لَتَمْشِ وَلَتَرْكَبْ » .

وفي رواية الترمذي ^(١) : حَافِيَةً غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ ، فَقَالَ : « مَرُوهَا فَلتَخْتَمِرْ وَلَتَرْكَبْ وَلَتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ » .

وأخرج أبو داود الروایتين ^(٢) ، وأخرج النسائي ^(٣) الثانية .

قال البغوي في شرح السنة :

« نذرها ترك الاختيار معصية ، لأن ستر الرأس واجب على المرأة ، فلم ينعقد فيه نذرها ، وكذلك الحفاء ، ولو نذر رجل أن يحجَّ حافيًا ، فلا يلزم الحفاء أيضاً لما فيه من إتعاب البدن ، ولو نذر أن يحجَّ ماشيًا يلزمه المشي إلا أن يعجز ، فيركب من حيث عجز ، ويلزمه المشي من ذؤيرة أهله ، وقيل : من الميقات ، وإذا ركب لعجز هل يلزمه شيء أم لا ؟ اختلف أهل العلم فيه ، فذهب أكثرهم إلى أن عليه دم شاة ، وهو قول مالك ، وأظهر قولي الشافعي ، وأصحها ، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجب إلا على وجه الاحتياط لحديث أنس أنه أمره بالركوب مطلقًا ، ولم يأمره بفدية وحيث أمر ، فاستحباب ، كما روي : « وَلَتَهْدِ بَدَنَةً » ، ولا تجب البدنة لزومًا » اهـ .

١٥٢٧ - البخاري (٧٩ / ٢٨) - كتاب جزاء الصيد ، ٢٧ - باب من نذر المشي إلى الكعبة .

مسلم (٣ / ١٣٦٤) - ٣٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

(١) الترمذي (٤ / ١١٦) - ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، باب حدثنا محمود بن غيلان ... إلخ . وقال : حديث حسن .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٣٣) - كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

(٣) النسائي (٧ / ١٩) - ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٢ - باب من نذر أن يمشي إلى بيت الله تعالى .

١٥٢٨ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَى الْبَيْتِ - أَوْ قَالَ : أَنْ تَحْجَّ مَاشِيَةً - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شَيْئًا ، فَلْتَحْجَّ رَاكِبَةً ، وَلْتَكْفُرْ يَمِينَهَا » .

أقول : إن على المسلم أن يحتاط فلا ينذر ، وإذا نذر فيها يطيق ويتورط كثيرون من الناس ، فينذرون ما لا يطيقون ، والحديث يفتيهم أن يدفعوا كفارة بين عما عجزوا عن الوفاء به .

١٥٢٩ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قَالَ : إِنَّ أُخْتَ عَقِبَةَ بْنِ عَامِرٍ نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ مَاشِيَةً ، وَأَنَّهَا لَا تَطِيقُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِ أُخْتِكَ ، فَلْتَرْكَبْ ، وَلْتَهْدُ بَدَنَةً » .

وفي أخرى ^(١) : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَصْنَعُ بِمَشْيِ أُخْتِكَ إِلَى الْبَيْتِ شَيْئًا » .

أقول : مر معنا قول البغوي : إن قوله عليه الصلاة والسلام : « ولتهد بدنة » ليس محولا على اللزوم ، وإذن فهو محمول على الاستحباب .

١٥٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَيْخًا يَهَادِي بَيْنَ ابْنَيْهِ ، فَقَالَ : « مَا بَالُ هَذَا ؟ » قَالُوا : نَذَرْنَا أَنْ يَمْشِيَ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ » ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ » .

١٥٢٨ - أبو داود (٢ / ٢٣٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . وهو حديث صحيح .

١٥٢٩ - أبو داود (٣ / ٢٣٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . وهو حديث صحيح .

(١) أبو داود (٢ / ٢٣٦) : للوضع السابق . وهو عن عقبة بن عامر في هذه الرواية .

١٥٣٠ - البخاري (٤ / ٧٨) ٢٨ - كتاب جزاء الصيد ، ٢٧ - باب من نذر المشي إلى الكعبة .

مسلم (٣ / ١٢٦٣) ٣٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

وأبو داود (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

والترمذي (٤ / ١١١) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب ما جاء فيمن يلف بالمشي ولا يستطيع .

والنسائي (٧ / ٢٠) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤٢ - باب ما الواجب على من أوجب على نفسه نذرا فمجز عنه .

وابن ماجه (١ / ٨٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ٢٠ - باب من نذر أن يحج ماشيا .

قال ابن الأثير : (يهادى) جاء فلان يهادى بين رجلين ، أي : يمشي متكئا عليهما من ضعفه .

١٥٣١ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أذرك شيخاً يمشي بين ابنيه ، يتوكأ عليهما ، فقال النبي ﷺ : « مَا شَأْنُ هَذَا ؟ » قَالَ ابْنَاهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ارْكَبْ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيَ عَنْكَ وَعَنْ نَذْرِكَ » .

١٥٣٢ - * روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قَالَ : نَذَرْتُ امْرَأَةً أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِهَا ، مُرَوْهَا فَلْتَرْكَبْ » .

أقول : هذه نذرت حجاً والحج فريضة وعبادة مقصودة ، ونذرت مشياً ، وهو ليس من جنسه واجب ، وليس عبادة مقصودة ، وقد رأينا قول الحنفية : أن النذر في كل من هاتين الحالتين لا يجب .

ولذلك نجد النص ألغى المشي وأوجب الحج ، ولكن لاحترام كلمة النذر لله أوجبت بعض النصوص لمن عجز عن الوفاء بنذر أن يعتبر كلامه يميناً ويكفر عن يمينه ، وبعضهم حمل ذلك على النذر حيث لا يجب الوفاء ، وعلى الوجوب حيث يجب الوفاء وعجز .

١٥٣٣ - * روى مالك عن عروة بن أذينة اللُّثِّي قال : خَرَجْتُ مَعَ جَدَّةٍ لِي عَلَيْهَا مَشْيٌ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِنَعْصِ الطَّرِيقِ عَجَزْتُ ، فَأَرْسَلْتُ مَوْلَى لَهَا يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَسَأَلَ ابْنَ عُمَرَ ؟ فَقَالَ لَهُ : مَرُّهَا فَلْتَرْكَبْ ثُمَّ لَتَمَشِ ، مِنْ حَيْثُ عَجَزْتُ .

أقول : الظاهر أن ابن عمر أفتى بأن تجمع بين المشي والركوب بعد المكان الذي عجزت فيه ، وذلك مذهبه لكن صاحب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته قال : من قال : لله علي أن

١٥٣١ - مسلم (٣ / ١٢٦٤) ٢٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

وأبو داود : (٢ / ٢٣٥) ٢١ - كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ - باب ما جاء في النذر في اللصية .

١٥٣٢ - الترمذي (٤ / ١١١) ٢١ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب ما جاء فيه من يخلع بالمشي ولا يستطيع .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال : وفي الباب عن أبي هريرة ، وعقبة بن عامر ، وابن عباس .

١٥٣٣ - اللوطا (٢ / ٤٧٣) ٢٢ - كتاب النذور والإيمان ، ٢ - باب فيمن نذر مشياً إلى بيت الله فعجز . ورجاله ثقات .

١٥٤٩

أحج ماشيًا يلزمه الحج ماشيًا ... فإن عجز عن المشي ركب وعليه دم عند الحنفية والمالكية
والشافعية وفي رواية عن أحمد ، والدم عند المالكية بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد بدنة أو
بقرة ، والأرجح عند الحنابلة أنه إذا عجز عن المشي ركب وعليه كفارة .

* * *

الفقرة الثالثة

في :

حكم مراعاة المكان في النذر

١٥٣٤ - * روى أبو داود عن ثابت بن الضحّاك رضي الله عنه قال : نَذَرَ زَجَلٌ عَلَى عهد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَّ إِلَّا بِبَوَانَةٍ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أُوثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ » قَالُوا : لا ، قال : « هَلْ كَانَ فِيهَا عِيْدٌ مِنْ أَغْيَادِهِمْ ؟ » قَالُوا : لا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ . »

أقول : نص فقهاء الحنفية أن تعيين المكان والفقير والدرهم ليس بلازم ، وعلى هذا فإن الذبح ببوانة يحمل الحنفية الوفاء به على النذب لا على اللزوم .

١٥٣٥ - * روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ مِنْ غَزْوَتِكَ سَالِمًا غَانِمًا أَنْ أُضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالْدَفِّ ؟ قَالَ : « إِنْ كُنْتَ نَذَرْتَ فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ ، وَإِلَّا فَلَا » ، قَالَتْ : وَنَذَرْتُ أَنْ أَذْبَحَ لِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا - مَكَانٍ يَذْبَحُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ - فَقَالَ : « هَلْ كَانَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ وَثْنٌ مِنْ أُوثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ » قَالَتْ : لا ، قَالَ : « هَلْ كَانَ فِيهِ عِيْدٌ مِنْ أَغْيَادِهِمْ ؟ » قَالَتْ : لا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ » .

أقول : الضرب بالدف ليس من جنسه فريضة أو واجب وعلى هذا ففتوى الحنفية أنه لا يجب الوفاء به والأمر بالوفاء هنا محمول على النذب .

١٥٣٤ - أبو داود (٣ / ٢٣٨) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء للنذر . وإسناده صحيح .

(بَوَانَةٌ) : اسم موضع في أسفل مكة دون يلم .

١٥٣٥ - أبو داود (٣ / ٢٣٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر . وإسناده حسن .

وأحد (٥ / ٢٥٦) . وإسناده حتم أيضاً .

ومسلم (٤ / ١٢٣٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت ، رضي الله عنه .

وقال البغوي - وهو شافعي - في شرح السنة :

قال أبو سليمان الخطابي : ضرب الدُّف ليس مما يعدُّ في باب الطاعات التي تتعلق بها النذور ، وأحسن حاله أن يكون من باب المباح غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله ﷺ حين قدِم من بعض غزواته ، وكانت فيه مساءة الكفار ، وإرغام المنافقين ، صار فعله كبعض القرب ، ولهذا استحَبَّ ضرب الدُّف في النكاح لما فيه من إظهاره ، والخروج به عن معنى السفاح الذي لا يظهر ، وما يشبه هذا المعنى قولُ النبي ﷺ في هجاء الكفار : « اهجوا قريشاً فإنه أشدُّ عليها من زشقٍ بالنَّبلِ » أخرجه مسلم ^(١) . اهـ .

أقول : لا كفارة على مَنْ نذر مباحاً ، ولا يجب عليه الوفاء عند الحنفية والمالكية والشافعية في الأصح ، وقال الحنابلة عليه كفارة يمين إذا لم يفِ بنذر مباح .

ومن كلام صاحب الفقه الإسلامي : لو نذر صدقة ما لا يملك لا يصح نذره بالاتفاق ، فإذا قال : كل ما أملك في المستقبل فهو صدقة ، وكل ما أشتريه أو أرثه فهو صدقة صح النذر خلافاً للشافعية .

* * *

(١) مسلم (٤ / ١٩٣٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣٤ - باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الفقرة الرابعة

في :

قضاء الحي نذر الميت

١٥٣٦ - * روى مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عمته أنها حَدَّثَتْهُ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهَا كَانَتْ جَعَلَتْ عَلَى نَفْسِهَا مَشْيًا إِلَى مَسْجِدِ قَبَاءَ ، فَاتَتْ وَلَمْ تَقْضِهِ ، فَأُفْتِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ابْنَتَهَا أَنْ تَمْشِيَ عَنْهَا .

أقول : أصل هذا النذر لا يجب الوفاء به إلا على الاستحباب ، ولا يجب على أحد وفاء نذر الميت إلا إذا تطوع ، فإذا تطوع إنسان بذلك فالمرجو أن يسقط النذر عن صاحبه .

١٥٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : اسْتَفْتَيْ سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَذْرٍ كَانَ عَلَى أُمِّهِ ، فَتَوَقَّيْتُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْضِيَهُ عَنْهَا .

وفي أخرى للنسائي ^(١) : « أَنْ سَعْدًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ ، أَفِيْجُزِي عَنْهَا أَنْ أُعْتِقَ عَنْهَا ؟ قَالَ : « أُعْتِقْ عَنْ أَمِّكَ » .

١٥٣٨ - * روى الطبراني عن مروان بن قيس - وكان قد أخذ الرُّعْيَةَ عن أهله على عهد

١٥٣٦ - للوطأ (٢ / ٤٧٢) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ١ - باب ما يجب من النذور في المشي . ورجاله ثقات .

١٥٣٧ - البخاري (٥ / ٢٨١) ٥٥ - كتاب الوصايا ، ١٩ - باب ما يستحب لمن توفي فجاءه أن يتصدقوا عنه .

مسلم (٢ / ١٣٦٠) ٣٦ - كتاب النذر ، ١ - باب الأمر بقضاء النذر .

وأبو داود (٢ / ٢٣٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب في قضاء النذر عن الميت .

والترمذي (٤ / ١١٧) ٢١ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٨ - باب ما جاء في قضاء النذر عن الميت .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٢٠) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٥ - باب من مات وعليه نذر .

وابن ماجه (١ / ٦٨١) ١١ - كتاب الكفارات ، ١٩ - باب من مات وعليه نذر .

(١) النسائي (٦ / ٢٥٢) ٣٠ - كتاب الوصايا ، ١ - باب الكراهية في تأخير الوصية .

١٥٣٨ - للمعجم الكبير (٢٠ / ٢٥٩) .

جمع الزوائد (٤ / ١١٢) وقال الميشتي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

١٥٥٣

النبي ﷺ - قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبي توفي وقد جعل عليه أن يمشي إلى مكة وأن ينحر بدنة ولم يترك مالا فهل يقضى عنه أن يمشى عنه وأن ينحر عنه بدنة من مالي ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم اقض عنه وانحر عنه ، وامش عنه أرايت لو كان على أبيك دين لرجل فقضيت عنه من مالك أليس يرجع الرجل راضيا ؟ فإن الله تعالى أحق أن يرضى » .

أقول : يلاحظ أن الرسول ﷺ كان يعمق فكرة الوفاء بالندرسوء كان الوفاء به مباحا أو مندوبا ، أو مفروضا ، وذلك لتعميق الأدب مع الله ألا يعد الإنسان ربة وعدا إلا وفى به ، وهذا يقتضي من المربين شيئين ، أولاً : أن يعظموا على المسلم فكرة الالتزام مع الله ، وأن يؤدبوه على عدم الإقدام على ذلك فيما لا مندوحة عنه . ثانياً : إذا التزم بنذر أو وعد مع الله أن يفى به ، فإذا كان الالتزام مع المخلوق أو الوعد له يطلب الوفاء به ، فحق الله أولى .

* * *

الفقرة الخامسة

في :

نذر الجاهلية إذا وافق عبادة إسلامية

١٥٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف يوماً في المسجد الحرام ؟ قال : « أوفِ بنذرك » .

قال المالكية : يندب للكافر بعد إسلامه فعل النذر المشروع في الإسلام الذي نذره حال كفره ، وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الوفاء لهذا النذر ، حتى إن بعضهم ذهب إلى أنه يجب الوفاء به أسلم أو لم يسلم ، وهذا مبني على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما أنهم مخاطبون بأصولها .

* * *

١٥٣٩ - البخاري (٢٧٤ / ٤) ٣٣ - كتاب الاعتكاف ، ٥ - باب الاعتكاف ليلاً .
 مسلم (١٣٧ / ٢) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٧ - باب نذر الكافر ، وما يفعل فيه إذا أسلم .
 وأبو داود (٢٤٢ / ٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام .
 والترمذي (١١٢ / ٤) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١١ - باب ما جاء في النذر وجعله عن ابن عمر عن عمر .
 وقال : حديث حسن صحيح .
 والنسائي (٢١ / ٧) كتاب الأيمان والنذور ، ٣٦ - باب إذا نذر ثم أسلم قبل أن يفي .

الفقرة السادسة

في :

متى يكون للنذر حكم اليمين

قال الحنابلة وهم يذكرون الصور التي ينقلب فيها النذر إلى يمين :

ينقسم النذر المنعقد إلى ستة أقسام :

الأول : النذر المطلق وهو أن يقول : على نذر ، أو لله عليّ نذر ولم ينو بنذره شيئاً معيناً سواء قال : إن فعلت كذا ، أو لم يقل ، فيلزمه بهذا كفارة يمين .

الثاني : نذر اللجاج والغضب ، وهو تعليق النذر بشرط يقصد منه الناذر المنع من المعلق عليه ، أو الحث عليه ، أو التصديق عليه إن كان خبراً كقول : إن كلمتك فعليّ صوم كذا ، يريد منع نفسه من كلامه وكقول : إن لم أضربك فعليّ صلاة كذا ، يريد حث نفسه على ضربه . وكقول : إن لم أكن صادقاً فعليّ صوم كذا يريد تحقيق الخبر ، وحكم هذا النذر أن الناذر غير بين كفارة اليمين إذا وجد الشرط وبين فعل المنذور .

الثالث : نذر المباح كقوله : لله عليّ أن ألبس ثوبي أو أركب دابتي ، وحكم هذا أن الناذر غير أيضاً بين فعل المنذور وكفارة اليمين . فنذر المباح كالحلف بفعله ، فإنه إذا حلف أنه يأكل أو يشرب فإنه يكفر أو يفعل .

الرابع : نذر المكروه كالطلاق وأكل الثوم والبصل وترك السنة ونحو ذلك ، وحكم هذا أنه يستحب للناذر أن يكفر كفارة اليمين ، فإذا فعل المكروه فلا كفارة عليه ؛ لأنه وفى بنذره .

الخامس : نذر المعصية كشرب الخمر ، وصوم يوم الحيض والنفاس ، ويوم العيد ، وأيام التشريق ، وحكم هذا أنه لا يجوز الوفاء به ، ويقضي الصوم في أيام أخرى وعليه كفارة ، فإن وفى أثم ولا كفارة بنذره عليه .

وقال الحنفية :

ينقسم النذر إلى قسمين : نذر معلق على شرط ، ونذر مطلق . والنذر المعلق ينقسم إلى قسمين :

الأول : معلق على شيء يراد وقوعه كقوله : إن شفى الله مريضى فلله عليّ كذا ، فإنه معلق على شفاء المريض وهو مرغوب في حصوله للناذر، وحكم هذا لزوم الوفاء به عند تحقيق المعلق عليه متى استوفى الشروط ...

الثاني : معلق على شيء لا يراد حصوله كقوله : إذا دخلت الدار فعليّ كذا نذر ، أو إن كنت فلانا . وهذا القسم هو يسمى نذر اللجاج عند الشافعية ، لأن المقصود منه المنع عن الفعل . وحكمه أن ناذره مخير بين فعل المنذور وبين كفارة اليمين .

وقال المالكية :

تجب الكفارة بأربعة أمور : الأول : النذر الملبم ، وهو الذي لم يعين فيه المنذور كأن يقول : لله عليّ نذر ، أو نذر لله عليّ إن فعلت كذا ، أو إن لم أفعل كذا فإنه تجب فيه الكفارة إن حنث ، وكذا إذا قال : إن شفى الله مريضى عليّ نذر ، أو لله عليّ نذر فشفى الله مريضه ، فإنه يجب عليه كفارة اليمين اهـ من (الفقه على المذاهب الأربعة) .

وقال الشافعية :

من نذر يريد البر فيجب عليه الوفاء ، ومن نذر اللجاج ويسمى نذر الغضب ويمين الغلق ، وهو النذر المرتبط بما لا يريد وقوعه بأن يقصد الناذر حث نفسه على شيء أو منعها مثل : إن كنت فلاناً فلله عليّ صوم ، فالناذر هاهنا بالخيار إن شاء وفى وإن شاء كفر كفارة يمين .

١٥٤٠ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ نَذْرًا لَمْ يَسْمَهُ ، فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ ، وَمَنْ نَذَرَ نَذْرًا لَا يُطِيقُهُ ، فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ ، وَمَنْ نَذَرَ نَذْرًا أَطَاقَهُ ، فَلْيَفِ بِهِ » وفي رواية : إنه موقوف .

١٥٤١ - * روى مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمَّ شَيْئًا ، كَفَّارَةُ الْيَمِينِ » .

١٥٤٢ - * روى مالك عن عائشة رضي الله عنها سئلت عن رجلٍ ، قال : مَالِي فِي رِتَاجِ الْكَعْبَةِ؟ فَقَالَتْ : يُكَفِّرُهُ مَا يُكْفِرُ الْيَمِينَ .

أقول : نص فقهاء الحنفية على أن نذر العبادة غير المقصودة لذاتها لا ينعقد به النذر ، ومن ذلك ما هو وسائل للعبادة كبناء المساجد ، ومن ههنا كان نذر الإنسان مالا للكعبة لا ينعقد نذرا وفيه كفارة يمين على مذهب عائشة رضي الله عنها ، واعتبر هذا النذر الوارد في النص فقهاء الشافعية وآخرون أنه نذر لجأج وغضب وكفارته كفارة يمين .

١٥٤٣ - * روى أبو داود عن سعيد بن المسيب رحمه الله أن أخوين من الأنصار كانا بينهما ميراثٌ ، فسأل أحدهما أخاه القسمة ، فقال له الآخر : إِنْ عُدْتَ تَسْأَلُنِي الْقِسْمَةَ فَكُلْ مَالِي فِي رِتَاجِ الْكَعْبَةِ ، فَقَادَ يَسْأَلُهُ ، فَأَتَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ الْكَعْبَةُ لَغَنِيَةٌ عَنْ مَالِكَ ، كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ ، وَكَلَّمَ أَخَاكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا يَمِينُ عَلَىكَ ، وَلَا نَذْرٌ فِي مَعْصِيَةِ الرَّبِّ ، وَلَا فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَلَا فِيمَا لَا تَمْلِكُ » .

١٥٤٠ - أبو داود (٢ / ٢٤١) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر نذرا لا يطيقه .

روى هذا الحديث وكيع وغيره عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، أوقفوه على ابن عباس ، وللوقوف أصح .

١٥٤١ - مسلم (٢ / ١٢٦٥) ٢٦ - كتاب النذر ، ٥ - باب في كفارة النذر . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئا » .

وأبو داود (٢ / ٢٤١) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر نذرا لم يسمه . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئا » .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٤ - باب ما جاء في كفارة النذر إذا لم يسم .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

والنسائي (٧ / ٢٦) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤١ - باب كفارة النذر . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئا » .

١٥٤٢ - الموطأ (٢ / ٤٨١) كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب جامع الأيمان .

١٥٤٣ - أبو داود (٢ / ٢٢٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب البين في قطيعة الرحم .

قال ابن الأثير :

(الرّتاَج) : الباب ، يقال : جعلت مالي في رِتاَج الكعبة ، أي : جعلته لها ، وليس المراد الباب نفسه ، وإنما المعنى : أن يكون ماله هَدِيًّا إلى الكعبة أو في كسوتها والنفقة عليها .

أقول : في هذه الرواية غوذج على ما يسمى بنذر اللجاج وهي إحدى الصور التي نص عليها فقهاء الحنابلة والشافعية أنها تنقلب يمينًا .

١٥٤٤ - * روى النسائي عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نَذَرَ في مَعْصِيَةٍ ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

وفي أخرى ^(١) له قال : « لا نَذَرَ في مَعْصِيَةٍ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ » .

وفي أخرى ^(٢) « لا نَذَرَ في غَضَبِ اللَّهِ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ » .

وهذا طرف من حديث طويل أخرجه مسلم وأبو داود ^(٣) .

١٥٤٥ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لا نَذَرَ في مَعْصِيَةٍ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ » .

١٥٤٦ - * روى مالك عن يحيى بن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَمِعَ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ :

١٥٤٤ - النسائي (١٩ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - باب النذر فيها لا يملك .

(١) النسائي (٢٦ / ٧) للموضع السابق .

النسائي (٢٨ / ٧) للموضع السابق .

(٢) مسلم (١٢٦٢ / ٢) ٢٦ - كتاب النذر ، ٣ - باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد .

أبو داود : (٣٣٩ / ٣) كتاب الأيمان والنذور ، ٢٧ - باب في النذر فيها لا يملك .

١٥٤٥ - أبو داود (٣٣٢ / ٢) كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ - باب ما جاء في النذر في المعصية .

والترمذي (١٠٣ / ٤) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١ - باب ما جاء عن رسول الله ...

وقال : هذا حديث لا يصح .

والنسائي (٢٨ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤١ - كفارة النذر .

(الكفارة) معروفة ، وأصلها من : التنظية والستر ، وهي فَعَالَةٌ من ذلك .

١٥٤٦ - الموطأ (٤٧٦ / ٢) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٤ - ما لا يجوز من النذور في معصية الله .

وإسناده صحيح .

أَتَتْ امْرَأَةً إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَتْ : إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَتَحَرَ ابْنِي ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا تَتَحَرِي ابْنَكَ ، وَكُفِّرِي عَنْ يَمِينِكَ ، فَقَالَ شَيْخٌ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [المجادلة : ٢] ثُمَّ جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْكُفَّارَةِ مَا رَأَيْتَ .

أقول : من نذر أن يذبح ولده نَحَرَ شاةً عند أبي حنيفة وجزورًا عند مالك ، وقال الشافعية : لا شيء عليه . وقال أحمد في رواية عنه : عليه كفارة يمين ، ومن نذر ذبح نفسه أو أجنبي فهو نذر معصية ولا قياس فيه ، وعليه كفارة يمين عند أحمد أو ذبح كبش ويطعمه المساكين ، ولا شيء عليه عند الشافعية وآخرين .

١٥٤٧ - * روى الطبراني عن مسروق قال : أتى عبد الله بضرع فأخذ يأكل منه فقال للقوم : ادنوا ؛ فدنا القوم وتَنَحَّى رجل منهم ، فقال عبد الله : ما شأنك ؟ قال : إني خَرْتُ الضَّرْعَ . قال : هذا من خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ : اذْنُ وَكُلُّ وَكَفَّرَ يَمِينَكَ ، ثُمَّ تَلَا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

أقول : لا يعتبر فقهاء الحنفية نذر المعصية منعقدًا ولا يوجبون فيه شيئًا ، وما ورد من أن كفارته كفارة يمين فمحمول على الندب . ونص فقهاء الحنابلة على أن نذر المعصية يحرم الوفاء به وتجب به كفارة يمين ، أما تحريم الحلال ففيه كفارة يمين بنص القرآن قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ^(١) ، ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ ^(٢)

* * *

١٥٤٧ - المعجم الكبير (٢٠٦ / ٩) .

جمع الزوائد (١٩ / ٤) . وقال الهيتمي : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) التحريم : ١ .

(٢) التحريم : ٢ .

الفقرة السابعة

في :

نذر صيام يوم النحر

١٥٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، سأله رجل فقال : نذرت أن أصوم كل يوم ثلثاء ، أو أريقاء ، ما عشت ، فوافقت هذا اليوم يوم النحر ، قال : أمر الله بوفاء النذر ، ونهانا أن نصوم يوم النحر ، فأعاد عليه ، فرد مثله ، لا يزيد عليه .

وفي رواية ^(١) قال : أمر النبي ﷺ بوفاء النذر ، ونهى عن صوم هذا اليوم .

وللبخاري ^(٢) من حديث حكيم بن أبي حرة الأسلمي ، أنه سيع ابن عمر في رجل نذر أن لا يأتي عليه يوم - سماء - إلا صام ، فوافق يوم أضحى أو فطر ، فقال : لقد كان لك في رسول الله أسوة حسنة ، لم يكن يصوم يوم الأضحى والفطر ، ولا يرى صيامهما .

وفي أخرى ^(٣) ، أنه سئل عمن وافق نذرة في الصوم أضحى أو فطرًا ؟ فقال : أمر رسول الله ﷺ بوفاء النذر ، ونهى رسول الله ﷺ عن صوم هذين اليومين ، فأعاد عليه ولم يزد على هذا .

أقول : فتوى الحنفية أنه يجب على الناذر أن يفطر وأن يقضي يومًا بدله ، وكذلك صوم أيام التشريق ويوم الفطر ، والحنابلة أنه يجب عليه أن يفطر وعليه كفارة يمين ، وعلى كل من المذهبين فإنه إن صام أجزأ عنه وأثم . وجمهور العلماء على أنه لا يصح نذره ولا يجوز له أن يصوم ولا يجب عليه أن يقضيه .

١٥٤٨ - البخاري (١١ / ٥٩١) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٢ - باب من نذر أن يصوم أيامًا فوافق النحر أو الفطر .

مسلم (٢ / ٨٠٠) ١٢ - كتاب الصيام ، ٢٢ - باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى .

(١) البخاري (٤ / ٢٤٠) ٣٠ - كتاب الصوم ٦٧ - باب صوم يوم النحر .

(٢) البخاري (١١ / ٥٩٠) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ٣٢ - باب من نذر أن يصوم أيامًا ..

(٣) البخاري (١١ / ٥٩١) للموضع السابق .

الفقرة الثامنة

في :

نذر المقيم بمكة أو بالمدينة المنورة الصلاة ببيت المقدس

١٥٤٩ - * روى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح قال : جاء الشريد إلى رسول الله ﷺ يوماً فقال : يا رسول الله إني نذرتُ إن الله عز وجل فتح عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس . فقال النبي ﷺ : « ههنا فصل » . ثلاث مرات

١٥٥٠ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن امرأة شكتُ شكوى ، فقالتُ : إن شقائي الله لأخرجنُ فلاصلين في بيت المقدس فبرأتُ ، ثم تجهزتُ تريدُ الحُرُوجَ ، فجاءتُ ميمونة تسلمُ عليَّها ، فأخبرتها بذلك ، فقالت : اجلسي فكلِّي ما صنعتِ ، وصلي في مسجد الرسول ﷺ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « صلاة فيه أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا مسجد الكعبة » .

١٥٥١ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلاً قامَ يومَ الفتح ، فقال : يا رسولَ الله ، إني نذرتُ لله عز وجل أن فتحَ الله عليك مكة : أن أصلي صلاة في بيت المقدس - زاد في رواية - ركعتين - فقال : « صلِّها هنا » ، ثم أعادَ عليه ، فقال : « صلِّها هنا » ، ثم أعادَ عليه : فقال : « فشأنك إذا » .

أقول : من نذر أن يصلي في مكان أو يتصدق في مكان حيث ما صلى أو تصدق جازت صلاته وصدقته ، فكيف إذا كان في المكان الذي صلى فيه فضل على غيره ، إلا أنه لو فعل فلا حرج عليه ، وهذا مذهب الحنفية .

وقد مر معنا أن من نذر أن يصلي ركعتين في المساجد الثلاثة ، فصلاها في أي مكان

١٥٤٩ - مجمع الزوائد (٤ / ١٩٢) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير مرسلًا ورجاله ثقات .

١٥٥٠ - مسلم (٢ / ١٠١٤) ١٥ - كتاب الحج ، ٩٤ - باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

١٥٥١ - أبو داود (٣ / ٢٣٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس .

والدارمي (٢ / ١٨٤) - ومن كتاب النذور والأيمان ، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس ...

أجزأ عنه عند أبي حنيفة وصاحبيه ، وقال المالكية لزمه أن يصلي حيث ألزم نفسه .
وقال الشافعية : من نذر صلاة في مكان جاز له أن يصلي في غيره إلا إذا نذر الصلاة في
مسجد من المساجد الثلاثة فيجب عليه الوفاء بما نذر وكذلك قال الحنابلة .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

موضوعات متعددة

١٥٥٢ - * روى الطبراني عن علي بن أبي طالب قال : حفظتُ لكم من رسول الله ﷺ ستاً : « لا طلاق إلا من بعد نكاح ، ولا عتاق إلا من بعد مُلك ، ولا وفاء لنذر في معصية ، ولا يَتَمَّ بعد حُلْم ، ولا صَمت يومٍ إلى الليل ، ولا وصال في الصيام » .

١٥٥٣ - * روى أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال : « لا وفاء لنذر في معصية الله عز وجل » .

قال البغوي في شرح السنة - وهو شافعي - :

فيه بيان أن النذر لا ينعقد في المعصية ، ولا يلزمه به شيء حتى لو نذر صوم يوم العيد لا يجب عليه شيء . ولو نذر نحر ولده ، فباطل ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب النبي ﷺ ، منهم ابن عمر ، وهو قول مالك ، والشافعي ، وذهب قوم إلى أن من نذر معصية يلزمه كفارة يمين ، وهو قول الثوري ، وأصحاب الرأي ، وأحمد ، وإسحاق اهـ .

١٥٥٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نذر إلا فيما أطيع الله عز وجل فيه ، ولا نذر في قطيعة رَحِم ، ولا طلاق ولا عتاق فيما لا يَمْلِكُ » .

١٥٥٢ - الروض الداني (١ / ١٦٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ٣٢٤) وقال : رواه الطبراني في الصغير ، ورجاله ثقات .

١٥٥٣ - أحمد (٢ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٦) وقال . رواه أحمد ، وسليمان بن موسى قيل : إنه لم يسمع من جابر . ورواه رجال الصحيح وهو موقوف على جابر .

١٥٥٤ - المعجم الكبير (١١ / ٢٧) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٦) . قال : ورواه الطبراني في الأوسط وزاد : « ولا يمين في غضب » وأستط : « ولا نذر في قطيعة رَحِم » ورجال الكبير ثقات .

١٥٥٥ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : يَنْتَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ؟ فَقَالُوا : أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ ، وَيَصُومَ وَلَا يَفْطِرَ بَنَهَارٍ ، وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مُرُوهُ فَلْيَسْتَظِلَّ ، وَلْيَقْعُدْ ، وَلْيَتَكَلَّمْ ، وَلْيَمِّ صَوْمَةً » .

قَالَ مَالِكٌ : فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِتْمَامِ مَا كَانَ لِلَّهِ طَاعَةً ، وَتَرْكِ مَا كَانَ مَعْصِيَةً ، وَلَمْ يُبَلِّغْنِي أَنَّهُ أَمَرَهُ بِكَفَّارَةٍ .

أقول : من مثل هذا الحديث نعرف موقف الإسلام من تعذيب الجسد لمجرد التعذيب ، وهي قضية كانت تراها بعض الأديان عبادة ، وحرمها الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَيُضْعِفُهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ (١) ، وهذا من مظاهر قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

١٥٥٦ - * روى الترمذي عن ثابت بن الضحَّاك رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ عَلَى الْعَبْدِ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ » .

١٥٥٧ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن القاص رضي الله عنهما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا نَذْرَ إِلَّا فِيمَا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَمِينٌ فِي قِطِيعَةِ رَحِمٍ » .

١٥٥٥ - البخاري (١١ / ٥٨٦) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - باب النذر فيها لا يملك وفي معصية .

وأبو داود (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

١٥٥٦ - الترمذي (٤ / ١٠٥) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٣ - باب ما جاء لا نذر فيها لا يملك ابن آدم .

وهو طرف من حديث طويل قد أخرجه الجماعة إلا اللوطاً .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، قال : وفي الباب عن عبد الله بن عمرو ، وعمران بن

حصين .

١٥٥٧ - أبو داود (٢ / ٢٢٨) كتاب الأيمان والنذور . باب في البين في قِطِيعَةِ الرَّحِمِ .

قال ابن الأثير :

(قطيعة الرحم) : أن يقطع برّه وإحسانه عن أقاربه وأهله .

١٥٥٨ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلَيْفَ بَنْدِرِهِ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَفِ بِهِ » .

وفي رواية ^(١) « فَلْيُطِيعَهُ ، وَلَا يُعْصِهِ » .

١٥٥٩ - * روى أحمد عن عمران بن حصين قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة قال : وقال : « إن من المثلة أن يندر الرجل أن ينجح ما شيئاً فليهد وليركب » .

١٥٦٠ - * روى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح أن رجلاً أتى ابنَ عباسٍ فقال : إني نذرتُ لأذنبَنَ نفسي فقال ابن عباس : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ ﴾ .

أقول : لقد مر معنا من قبل ما نعرف به توجيهات هذه النصوص ، فالنذر في المعصية لا ينعقد عند بعضهم أصلاً ، ومن ذلك أن ينذر الإنسان أن يذبح نفسه أو أن يذبح ولده

١٥٥٨ - البخاري (١١ / ٥٨٥) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ - باب النذر فيما لا يملك وفي معصية .
والترمذي (٤ / ١٠٤) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٢ - باب من نذر أن يطيع الله فلْيُطِيعَهُ .

وقال : حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٣ / ٢٣٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

والنسائي (٧ / ١٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٢٧ - باب النذر في الطاعة .

(١) النسائي : الموضع السابق .

١٥٥٩ - أحمد (٤ / ٤٢٩) ،

والمعجم الكبير (١٨ / ١٥٨) . جمع الزوائد (٤ / ١٨٩) وقال : رواه أحمد والبخاري والنحو والطبراني في الكبير ،

ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٥٦٠ - المعجم الكبير (١١ / ١٨٦) .

جمع الزوائد (٤ / ١٩٠) . قال الميشتي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

وفي رواية في الكبير عن ابن عباس قال : من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشاً ، فذكر نحوه ، ورجاله رجال الصحيح .

أو أن يقطع رحمه ، وبعض الفقهاء أوجب كفارة يمين ، وهذا ابن عباس يفتي : من نذر أن يذبح نفسه بأن يذبح كبشاً أخذاً مما فعله إبراهيم عليه السلام إذ أراد أن يذبح ابنه ففداه الله بكبش ، وأما النذر فيما لا يملك فله أكثر من صورة : أن ينذر أن يتصدق أو ينحر ملك الغير ، فهذا لا ينفذ حتماً ، وأما إن كان هو نفسه لا يملك شيئاً ونذر أن يتصدق ، فهل هذا النذر دئيّاً في ذمته أو أنه لا يجب عليه ؟ من العلماء من ذهب إلى أنه لا يجب عليه كما مر معنا .

* * *

تَقُولُ وَمَسَائِلُ وَفَوَائِدُ

قال الشوكاني رحمه الله :

الراجح عند الكثير من العلماء وجوب الوفاء من التزم أن يتصدق بجميع ماله إذا كان على سبيل القرية . وقيل إن كان ملياً لزمه ، وإن كان فقيراً فعليه كفارة يمين ، وهذا قول الليث وواقفه ابن وهب وزاد وإن كان متوسطاً يخرج قدر زكاة ماله . والأخير عن أبي حنيفة بغير تفصيل وهو قول ربيعة . وعن الشعبي وابن أبي ليلى لا يلزمه شيء أصلاً . وعن قتادة يلزم الغني العشر والمتوسط السبع والمملق الخمس . وقيل يلزم الكل إلا في نذر اللجاج فكفارة يمين . وعن سحنون يلزمه أن يخرج ما لا يَصْرُ بِهِ . وعن الثوري والأوزاعي وجاعة يلزمه كفارة يمين بغير تفصيل . وعن النخعي يلزمه الكل بغير تفصيل . وإذا تقرر ذلك فقد دل حديث كعب أنه يشرع لمن أراد التصدق بجميع ماله أن يسك بعضه ، ولا يلزم من ذلك أنه لو نجزه لم ينفذ ، وقيل إن التصدق بجميع المال يختلف باختلاف الأحوال : فمن كان قوياً على ذلك يعلم من نفسه الصبر لم يمنعه وعليه يتنزل فعل أبي بكر الصديق وإيثار الأنصار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن لم يكن كذلك فلا ، وعليه يتنزل « لا صدقة إلا عن ظهر غني » ، وفي لفظ : « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني » اهـ .

قال الشرنبلالي في مراقي الفلاح وهو من الحنفية :

وعيادة فلان بعينه لا يكون معنى القرية فيه مقصوداً للناذر ، بل مراعاة حق فلان ، فلا يصح التزامه بالنذر . وفي ظاهر الرواية : عيادة المريض وتشجيع الجنازة وإن كان فيه معنى حق الله تعالى فالمقصود حق المريض والميت ، والناذر إنما يلتزم بنذره ما يكون مشروعاً حقاً لله تعالى مقصوداً . اهـ .

قال الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح :

(قوله : بل مراعاة حق فلان) هو المقصود له . (قوله : فلا يصح التزامه) منه يؤخذ عدم صحة النذر للأموات .

قال في الدر : واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام ، وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربا إليهم فهو باطل وحرام . اهـ .
قال في البحر : لوجه :

منها : أنه نذر لمخلوق ، ولا يجوز ؛ لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق .

ومنها : أن النذور له ميت ، والميت لا يملك .

ومنها : أنه إن ظن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى كفر ، اللهم إلا أن يقول يا الله : إني نذرت لك إن شفيت مريض ، أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة ، أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، أو الإمام الليث ، أو أشترى حصرا لمساجدهم ، أو زيتا لوقودها . أو دراهم لمن يقوم بشعائهم إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والنذر لله عز وجل .

وذكر الشيخ : إنما هو بيان لحل صرف النذر لمستحقه القاطنين برباطه أو مسجده فيجوز بهذا الاعتبار ، إذ مصرف النذر الفقراء وقد وجد ، ولا يجوز أن يصرف ذلك إلى غني غير محتاج إليه ولا لشريف منصب ، لأنه لا يحل له الأخذ ما لم يكن محتاجا فقيرا ، ولا لذي نسب لأجل نسبه ما لم يكن فقيرا ، ولا لذي علم لأجل علمه ما لم يكن فقيرا ، ولم يثبت في الشرع جواز الصرف للأغنياء للإجماع على حرمة النذر للمخلوق ، ولا ينعقد ولا تشتغل به الذمة ، وإنه حرام بل سحت . اهـ .

أقول : قد مر معنا أن فقهاء الحنفية يرون أن من نذر أن يتصدق على فقير فله أن يتصدق على غيره ، وإن نذر أن يتصدق على فقراء مكان فله أن يتصدق على فقراء مكان آخر .

* * *

الفصل السادس
في
اليمين
وفيه:
عرض إجمالي وفقرات ومسائل وفوائد

عرض إجمالي

جعلنا بحث الأيمان في قسم العقائد ؛ لأن اليمين بالله أحد المظاهر الكبرى لاستشعار الإنسان عظمة الله ، ولذلك تجده عفويًا على كل لسان وفي كل دين ، ولما كان بعض الناس يحلفون بغير الله ، وفي ذلك نوع تعظيم يشابه تعظيم الله ، فقد ورد التغليظ في ذلك ومنع منه الشارع .

وهناك حالات تساهل فيها الشارع لاتتفاء شبهة المشابهة في التعظيم ، وهذه معان تتعلق بالعقائد تعلقًا صريحًا ، ولذلك أدخلناها هاهنا .

ولما كان هتك حرمة اسم الله عظيمًا ، فقد رتب الشارع على أنواع من الأيمان أحكامًا .

وترى المسائل الداخلة في أبحاث الأيمان كثيرة جدًا لكثرة ما يستحدثه الناس في هذا الشأن ، ونحن سنحاول أن نعرض لأهميات من أحكام الأيمان بين يدي النصوص . نقول وبالله التوفيق :

اتفق الفقهاء على مشروعية اليمين ، إلا أنهم كرهوا الإفراط في الحلف بالله تعالى لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَالٍ مِهِينٍ ﴾ ^(١) وقال الشافعي : ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا ، وتتأكد كراهة الأيمان إذا حالت بين الإنسان وبين البرّ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) وذكر الحنابلة أن الأيمان خمسة أنواع : أحدها واجب ، وهي التي تنجي إنسانًا معصومًا من الهلاك . والثاني مندوب : وهو الذي تتعلق به مصلحة كالإصلاح بين متخاصمين ، أو إزالة حقد من قلب مسلم عن الحالف أو غيره أو دفع شر . والثالث المباح : مثل الحلف على فعل مباح أو تركه . والرابع المكروه : وهو الحلف على مكروه أو ترك مندوب . والخامس المحرم : وهو الحلف الكاذب .

ومن حلف بالأضنام ونحوها معتقدًا تعظيمها فإنه يكفر بذلك ، وإذا جرت على لسانه

(٢) البقرة : ٢٢٤ .

(١) القلم : ١٠ .

بشكل عفوي ولا يقصد التعظيم فقد واقع الحرام وعليه في الحالين أن يتوب وأن ينطق بالشهادتين .

وصيغة اليمين المشروعة هي : أن يقسم الإنسان باسم من أسماء الله الحسنى أو بصفة من صفات الله . وهناك صور كثيرة اعتبرها العلماء يمينًا وأوجبوا فيها الكفارة ، وهناك صور اختلف الفقهاء في اعتبارها أيمانًا تجب فيها الكفارة .

والأيمان على ثلاثة أقسام : يمين منعقدة ، وهي التي يجب على من حنث بها الكفارة . ويمين لغو ، وهي التي لا يجب على صاحبها شيء . ويمين غموس ، وهي التي تغمس صاحبها في النار ، وقد اختلف في شأنها ، هل تجب فيها الكفارة مع التوبة ، أو أن صاحبها يأثم ولا تلزمه كفارة لعظم جريمته . وتعريف اليمين الغموس عند الحنفية والمالكية : بأنها اليمين الكاذبة قصداً في الماضي أو الحال ، أو هي الحلف على أمر ماض أو في الحال متعمداً الكذب فيه نفيًا أو إثباتًا ، وقد ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة على الراجح عندهم : أنه يأثم صاحبها ولا كفارة عليه لعظم الجناية ويجب عليه التوبة والاستغفار . وقال الشافعية كما تجب التوبة تجب الكفارة في اليمين الغموس . وقد عرف عامة الفقهاء اليمين اللغو وهو : أن يحلف على أمر يظنه كذلك وليس كذلك . وعرفها الشافعية بأنها التي يسبق للسان إلى لفظها بلا قصد لعناها أو يريد اليمين على شيء فيسبق لسانه إلى غيره ، فهي اليمين التي لم تنعقد عليها النية . وقد اتفق الفقهاء على أن يمين اللغو لا كفارة فيها . وأما تعريف اليمين المنعقدة : فهي أن يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ، وحكم هذه اليمين وجوب الكفارة عند الحنث مهما كان الشيء المحلوف عليه ، فإن كان المحلوف عليه معصية فإنه يفترض عليه أن يحنث وأن يكفر عن يمينه ، وإذا اقتصر الحالف على لفظ : أقسم أو أحلف أو أشهد أو أعزم يكون يمينًا عند الحنفية والحنابلة وفي الأصح عند الشافعية ، وقال المالكية يكون يمينًا إن نوى وأراد اليمين بالله . وحروف القسم هي : الباء والواو والتاء .

وإذا لم يذكر الحالف شيئًا من هذه الأحرف كأن قال : الله لا أفعل كذا يكون يمينًا عند الجمهور . وقال الشافعية : لا يكون يمينًا إلا بنية ، وإذا قال : وإيم الله أو وأمين الله يعتبر يمينًا عند المالكية والحنابلة والحنفية ، وقال الشافعية إن نوى اليمين كانت يمينًا . وإلا

لم تكن يمينًا ، ومن حلف على غيره أن يفعل شيئًا ما إن نوى يمين نفسه فهو يمين عند الشافعية وآخرين ، ويسنُّ للمخاطب أن يبرَّ الحالف ولا يجب عليه ، فإن لم يبره المحلوف عليه ؛ فالكفارة على الحالف ، وإن أراد يمين المخاطب أو لم يرد يمينًا ، بل أراد التشفع بالله عز وجل في الفعل لم يكن يمينًا ومن قال إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام فقد أفتى الحنفية بأن ذلك يكون يمينًا موجبة للكفارة إذا فعل الشيء المحلوف عليه مع الإثم .

وقال المالكية والشافعية وبعض الحنابلة لا يعتبر يمينًا ولا تجب فيه الكفارة ، وقد ارتكب بقوله كبيرة من الكبائر ، أما لو قالها على قصد الرضى بالكفر أو فعل الفعل كفر في الحال ، فإن لم يعرف قصده فقد رجَّح الشافعية عدم الحكم بكفره ، أما إذا قال مثل هذا الكلام كاذبًا على فعل فعله في الماضي ، فقد كفر بمجرد القول عند كثير من الفقهاء ولا كفارة عليه وإنما عليه التوبة والتشهد ، ومن حرم شيئًا من ماله على نفسه أو حرم حلالا على نفسه فإنه يمين عند الحنابلة والحنفية ، واتفق الفقهاء على أن اليمين في الدعاوى تكون على نية المستحلف ، وأما في غير الدعاوى فقد قال الحنفية : اليمين على نية الحالف إذا كان مظلومًا ، وعلى نية المستحلف إن كان ظالمًا ، ومن حلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، فإن كان مما يجري على اللسان ولا يراد به التعظيم ، فإنه لا كفارة عليه إجماعًا لكنه مكروه . وقال الشافعي : أخشى أن يكون معصية . وبعضهم ذهب إلى أن ما جرى على ألسنة العرب ولا يراد به التعظيم فالأمر فيه واسع . وقال المالكية والحنفية : إذا حلف الحالف على شيء واحد بعينه مرارًا ولا يريد إلا التأكيد فليس عليه إلا كفارة . واحدة ، أما إذا لم ينو التأكيد ففي كل يمين كفارة ، وقال الحنابلة : ليس عليه إلا كفارة واحدة . ومن حلف فاستثنى بأن قال : إن شاء الله تعالى ، أو إلا أن يشاء الله أو إن أعاني الله أو يبرئ الله ، أو بمعونة الله أو بتيسيره ، أو إلا أن أحب غير ذلك ونحوه ، وكان ذلك متصلًا مع لفظ اليمين لم تنعقد اليمين ، وإن فصل الاستثناء عن لفظ اليمين انعقدت . وقال الشافعي لا بأس بالسكتة الخفية للتذكر أو للتنفس أو لانتقطاع الصوت . وذكر المالكية أن السعال أو العطاس أو التأوُّب لا يعتبر فصلًا .

والأيمان عند الحنفية : مبنية على العرف والعادة . وقال الشافعية : الأيمان مبنية على الحقيقة اللغوية إلا إذا احتمل اللفظ شيئاً آخر ونواه الحالف فيعمل بنيتة . وقال مالك في المشهور من مذهبه : للمعتبر في الأيمان : النية فإن عدمت فقرينة الحال ، فإن عدمت فعرف اللفظ ، فإن عدم فدلالة اللغة .

والعبرة عند الحنابلة للنية ، فإن لم ينو شيئاً رجع إلى سبب اليمين ، ويتفرع على هذا البحث خلافات كثيرة في كثير من المسائل ، وهناك يمين يسميها الحنفية يمين الفور : وهو أن يحلف الإنسان على شيء في المستقبل ، فتكون دلالة الحال ظاهرة على أنه يريد التأقيت كأن يقول شخص لآخر : تعال تغدى معي ، فيقول : والله لا أتغدى ، ثم رجع إلى منزله فتغدى . ومثل ذلك كل حالة أراد بها صاحبها التوقيت ولم يرد الديمومة وكانت دلالة الحال تدل على ذلك إلا أن زفر - من فقهاء الحنفية - اعتبر هذه اليمين منعقدة كغيرها .

ومن حلف على شيء غير متصور الوجود أصلاً بأن يكون مستحيلاً عقلاً . كأن قال : والله لأشربن ماء هذا الكوز وليس في الكوز ماء ، فقد أفتى أبو حنيفة ومحمد ومالك وبعض الحنابلة بأن هذه اليمين لا تنعقد .

أما إذا حلف على ما هو مستحيل عادة لا عقلاً فإن الجمهور على أن يمينه منعقدة . وقال الشافعية والحنابلة : لا كفارة ولا حنث على غير المكلف كالصبي والمجنون والنائم ، ولا كفارة على المغمى عليه والمخدر لضرورة والساهي والمكره .

ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فيأنه يستحب له أن يحنث و يكفر عن يمينه ، ولا يجوز أن يكفر قبل اليمين باتفاق العلماء ، أما إذا حلف وأراد الحنث فقد قال الحنابلة : يجوز فعل الكفارة قبل الحنث وبعده ، وكذلك قال الشافعية ، إلا أنهم قالوا : الكفارة بعد الحنث أفضل ، وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ، ولا تجب الكفارة على الفور بل هي واجبة على التراخي ، والاستعجال بها أفضل ، والموسر يخير في الكفارة بين أحد أمور ثلاثة : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو إعتاق رقبة فإذا عجز الإنسان عن الخصال الثلاثة المذكورة لزمه صوم ثلاثة أيام ، ولا يصح الصيام إلا إذا كان الإنسان عاجزاً عن المال الذي يصرفه في الكفارة زائداً عن كفايته في يومه وليلته وكفاية

من تلزمه نفقته ، والعبرة للعجز وقت الأداء لا وقت الوجوب عند الحنفية والمالكية والشافعية ، والمعتبر عند الحنابلة وقت الوجوب ، أي حاله عند الحنث . والإطعام هو أن يقيت الإنسان عشرة مساكين أو مسكينًا واحدًا عشرة أيام غداءً وعشاءً ، ويكفي عند الحنفية دعوة المساكين إلى الطعام وإباحته لهم ، وعند غير الحنفية لابد من التليك بالفعل أخذًا ، ويكفي عند الحنفية أن يدفع للمسكين عن اليوم الواحد نصف صاع من حنطة أو ما يعدل عند الحنفية حوالي ألفي غرام إلا قليلًا أو ثمنه .

أما مقدار طعام الإباحة عند الحنفية فأكثران مشبعتان غداءً وعشاءً أو فطرًا وسحورًا أو غداءين في يومين ، فذلك يجزئ عن إطعام مسكين يومًا واحدًا . والعبرة أن يطعمهم بما يطعم أهله ، وأجاز أبو حنيفة وأبو محمد إعطاء فقراء أهل الذمة كفارة الأثيان وغيرها من الكفارات والندور .

ويشترط في المدفوع إليهم الطعام أن يكونوا مساكين أحرارًا وإن كان صغيرًا يأكل الطعام يجزئ ، وأما الكسوة فلا بد من تملكها عند عامة الفقهاء ، وأدنى الكسوة عند الحنفية ما يستر عامة البدن . وقال الحنابلة : تتقدر الكسوة بما تجزئ الصلاة فيه مراعى في ذلك حال الرجل والمرأة . وقال المالكية : أقل ذلك للرجل ثوب يستر جميع بدنه ، والمرأة ما يجوز لها فيه الصلاة وذلك ثوب وخمار . وقال الشافعية : يجزئ أقل ما يطلق عليه اسم الكسوة من إزار أو قميص أو ملحفة فيجوز عند الشافعية الكسوة بالسراويل والعمامة . أما الرقبة فيشترط عند الحنفية أن تكون مملوكة ملكًا كاملاً للمعتق ، وأن تكون كاملة الرق سليمة من العيوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، ذكرًا أو أنثى ، مسلمة أو كافرة .

واتفق الفقهاء على أن الحانث إن لم يجد طعامًا ولا كسوة ولا عتقًا يجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام ، واشترط الحنفية والحنابلة أن تكون متتابعة ، ولا يشترط التتابع عند المالكية والشافعية ولكنه يستحب ، ومن أوجب التتابع فإنه يوجب على من قطع التتابع ولو لعذر كمرض أو سفر أو حيض أن يستأنف الصوم من جديد مرة أخرى ، وكذلك إذا بدأ صيامه قبل يومي العيد وأيام التشريق فعليه أن يفطر ويبطل التتابع وعليه أن يستأنف الصيام من جديد .

الفقرات

- الفقرة الأولى : في أقوال العلماء في اليمين .
- الفقرة الثانية : في بعض ما ورد في القرآن الكريم في اليمين .
- الفقرة الثالثة : في بعض ما ورد في الحلف بغير الله .
- الفقرة الرابعة : في اليمين الغموس .
- الفقرة الخامسة : في أن الاستثناء في اليمين يلغي اليمين .
- الفقرة السادسة : في من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها .
- الفقرة السابعة : في متفرقات في الأيمان .

الفقرة الأولى

في :

بعض أقوال العلماء في اليمين

قال البغوي في شرح السنة :

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لِلْخَلِيفِ : يَمِينٌ بِاسْمِ يَمِينِ الْيَدِ ، وَكَانُوا يُبْسُطُونَ أَيْمَانَهُمْ إِذَا تَخَالَفُوا ، وَيَقُولُونَ فِي الْيَمِينِ : وَائْتَمَنُ اللَّهُ ، وَيُحَذِّفُ بَعْضُهُمُ النُّونَ ، فَيَقُولُ : وَائْتَمَّ اللَّهُ. اهـ.

وقال صاحب الهداية - وهو من فقهاء الحنفية - :

الأيمان على ثلاثة أضرب : اليمين الغموس ، ويمين منعقدة ، ويمين لغو . فالغموس : هو الحلف على أمر ماض يتعمد الكذب فيه ، فهذه اليمين يأثم فيها صاحبها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حلف كاذباً أدخله الله النار » ولا كفارة فيها إلا التوبة والاستغفار .

وقال الشافعي رحمه الله : فيها الكفارة لأنها شرعت لرفع ذنب هتك حرمة اسم الله تعالى ، وقد تحقق بالاستشهاد بالله كاذباً فأشبهه المعقودة . ولنا أنها كبيرة محضة والكفارة عبادة تتأدى بالصوم ، ويشترط فيها النية فلا تناط بها بخلاف المعقودة لأنها مباحة ولو كان فيها ذنب فهو متأخر متعلق باختيار مبتدأ ، وما في الغموس ملازم فيمتنع الإلحاق ، والمنعقدة ما يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ، وإذا حنث في ذلك لزمته الكفارة لقوله تعالى : ﴿ لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ^(١) وهو ما ذكرنا . واليمين اللغو أن يحلف على أمر ماض وهو يظن أنه كما قال والأمر بخلافه ، فهذه اليمين نرجو أن لا يؤاخذ الله بها صاحبها . ومن اللغو أن يقول : والله إنه لزيد وهو يظنه زيدا ، وإنما هو عمرو ، والأصل فيه قوله تعالى ﴿ لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ إلا أنه علقه بالرجاء للاختلاف في تفسيره اهـ .

وقال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة في حكم اليمين :

يختلف حكم الحلف باختلاف الأحوال ، فتارة يكون واجبًا إذا توقف عليه واجب ، كما إذا توقف عليه إتيان إنسان بريء مصون الدم من الهلاك ، وقد يكون حرامًا كما إذا حلف على ارتكاب محرم أو حلف بما لا يباح الحلف به . اهـ .

ومن كلام المالكية :

الأصل في اليمين أن يكون جائزًا متى كان باسم الله تعالى أو بصفة من صفاته ولو لم يطلب منه الحلف ، وقد يستحب إذا كان فيه تفخيم أمر من أمور الدين أو حث عليه أو تنفير من محذور ، على أن تكثير الحلف من غير ضرورة من البدع الحادثة بعد السلف ، ومتى كان اليمين مباحًا كان الحنث مباحًا وعليه الكفارة ، إلا أن يكون الحنث في الحنث فإنه حينئذ يتبع ذلك في الحكم ، فإن حلف على ترك واجب وجب الحنث ، وإن حلف على فعل معصية وجب الحنث ، وينعكس الحكم إذا حلف على فعل واجب أو ترك معصية وهكذا .

والحنابلة :

قالوا : الحلف يكون واجبًا وحرامًا كما ذكر ، ويكون مكروهًا إذا كان على فعل مكروه أو على ترك مندوب . ومن الحلف المكروه : الحلف على البيع والشراء لحديث : « الحلف منفق للسلعة ممحق للبركة » ^(١) .

ويكون مندوبًا إذا تعلقت به مصلحة كإصلاح بين متخاصمين ولو كان الحالف أحد المتخاصمين ، أو إزالة حقد في قلب مسلم أو دفع شر عنه أو عن غيره . أما الحلف على فعل الطاعة وترك المعصية فليس بمندوب .

ويكون مباحًا كالحلف على فعل المباح أو تركه ، أو على الخبر بشيء هو صادق فيه أو يظن أنه صادق فيه ، ومنه الحلف على فعل الطاعة وترك المعصية اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

(١) ابن ماجه (٢ / ٧٤٥) ١٢ - كتاب التجارات ، ٣٠ - باب ما جاء في كراهية الأيمان في الشراء والبيع .

ومن كلام الشافعية :

الأصل في الحلف الكراهة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ ^(١) ، وقد يكون مباحاً غير مكروه كما إذا حلف على فعل طاعة أو ترك مكروه ، أو في دعوى عند حاكم مع الصدق ، أو كان لتأكيد أمر في حاجة إلى التأكيد ، أو كان لتعظيم شأن أمر . ويكون مندوباً إذا توقف عليه فعل مندوب أو ترك مكروه .

أما الحنث فتعثيره الأحكام الخمسة ، فتارة يكون واجباً كما إذا حلف على معصية أو ترك واجب ، فن حلف ليشرب الخمر ، أو لا يصلي فإنه يفترض عليه أن يحنث وعليه الكفارة . وتارة يكون حراماً إذا كان بالعكس ، كما إذا حلف أن يقيم الصلاة المفروضة أو لا يزني فإنه يفترض عليه البر باليمين ويحرم عليه الحنث ، وتارة يكون مندوباً كما إذا حلف على فعل مندوب وترك مكروه ، وتارة يكون مكروهاً كما إذا حلف على ترك مندوب وفعل مكروه . وتارة يكون خلاف الأولى كما إذا حلف على فعل مباح أو تركه كالأكل والشرب ، فالأولى أن يبر باليمين صوتاً لاسم الله تعالى وهو في جميع الأحوال تجب عليه الكفارة إذا حنث اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

ومن كلام الحنفية :

الأصل في اليمين بالله أو بصفة من صفاته أن يكون جائزاً ، ولكن الأولى أن لا يكثر منه اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

وقال في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة :

لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى كالحلف بالنبي ﷺ ، والكعبة ، وجبريل ، والولي وغير ذلك من كل معظم ، ولا كفارة على الحنث في الحلف به ، وإذا قصد الحالف بذلك إشراك غير الله معه في التعظيم كان ذلك شركاً ، وإذا قصد الاستهانة بالحلف بالنبي والرسول ونحو ذلك كفر اهـ .

أقول : وقد تفنن الناس خلال العصور أنواعا من الأيمان وأنواعا من الطرق لتأكيد ما يريدون فاقتضى ذلك فتاوى مطولة وأبحاثا كثيرة . وها نحن أولاً ننقل لك صورا من أقوال المذاهب تبين لك نماذج ما ذكرناه ، وإذا أردت التوسع في معرفة ذلك فأمامك كتب للمذاهب الفقهية التي تجد فيها مئات الصفحات عن الأيمان وأنواعها وما يترتب على كل صيغة من آثار وأحيانا من بلاء :

الخفية - قالوا : الحلف بالتعليق نحو : عليّ الطلاق لا أفعل كذا ، أو إن فعلت كذا يلزمي الطلاق ، إن كان الغرض منه الوثيقة أي اتشاق الخصم بصدق الحالف جاز بدون كراهة ، وإن لم يكن الغرض منه ذلك أو كان حلفا على الماضي فإنه يكره ، وكذلك الحلف بنحو : وأبيك ولعمرك ونحو ذلك .

الشافعية - قالوا : يكره الحلف بغير الله تعالى ويكره الحلف بالطلاق .

الحنابلة - قالوا : يحرم الحلف بغير الله تعالى وصفاته ولو بنبي أو ولي ، فمن حلف بذلك يستغفر الله تعالى ويتوب ويندم على ما فرط منه ولا كفارة عليه . ويكره الحلف بالطلاق والعقاق .

المالكية - قالوا : الحلف بمعظم شرعا كالنبي والكعبة ونحوها فيه قولان : الحرمة ، والكراهة والمشهور : الحرمة ، أما الحلف بما ليس بمعظم شرعا كالحلف بالأنصاب والدماء التي كان يحلف بها في الجاهلية ، أو بشيء من المعبودات دون الله تعالى فلا خلاف في تحريمه إذا لم يقصد تعظيمها ، وإلا كفر .. وكذلك لا ينبغي الاختلاف في تحريم الحلف بالآباء والأشراف ورؤوس السلاطين وحياتهم وما شاكل ذلك .

أقول : المذاهب الأربعة على كراهة الحلف بالطلاق ، وعلى وقوع الطلاق إذا حنث بما حلف عليه .

إذا حلف على غيره أو سأل به بالله :

إذا قال لغيره : أقسم عليك بالله ، أو أحلف عليك بالله لتفعلن كذا ، أو لا تفعلن كذا ففيه تفصيل المذاهب :

١٥٨٣

الحنفية - قالوا : إذا قال رجل لآخر : والله لتفعلن كذا وكذا ، أو بالله لتفعلن كذا ، فإن أراد به استعلاف المخاطب ولم يرد أن يحلف هو فلا يكون يمينًا ولا شيء عليهما ، وإن أراد أن يحلف بذلك أو لم يرد شيئًا فإنه يكون يمينًا ، ويحنت إذا لم يطعه المخاطب .

وإذا قال له : أقسمت لتفعلن كذا ، أو قال : أقسمت بحالله ، أو أشهد بالله ، أو أحلف بالله أو أعزم بالله لتفعلن كذا ، سواء قال عليك أو لم يقل فإنه يتعقد يمينًا يلزم به الحالف ، ولا شيء على المخاطب إلا إذا أراد به الاستفهام فإنه لا يكون يمينًا حينئذ .

المالكية - قالوا : إذا حلف على رجل بأن قال له : حلفت عليك بالله لتفعلن كذا ، أو لا تفعل كذا فلم يطعه حنت الحالف وعليه الكفارة ، ولا شيء على الآخر : وكذلك إذا قال : أقسمت عليك فإنه إن لم يطعه وجبت الكفارة على من أقسم إلا إذا قصد بذلك غير اليمين ، فإنه في هذه الحالة فيه خلاف ، والمشهور أنه لا شيء عليه ، وكذا إذا لم يقصد شيئًا .

ولو قال : حلفت عليك ولم يقل بالله ولم ينو فلا كفارة عليه . وكذا لو قال : أعزم عليك بالله ، أو عزم عليك بالله ، أو سألتك بالله ولم يقصد به اليمين ، فالأصح أنه لا يكون يمينًا .

ويندب لمن سأله أحد بالله أو أقسم عليه به أن يبرقسه ، وأن يجيبه إلى طلبه إذا لم يكن هناك مانع شرعي ولم يتذرع السائل بذلك إلى الإلحاف ومضايقة الناس ، ويتأكد الندب فيما تجب فيه الكفارة .

الشافعية - قالوا : إذا قال لغيره : أقسم عليك بالله أو أسألك بالله لتفعلن كذا ، فإنه يكون يمينًا إذا قصد به يمين نفسه ، أما إذا قصد به يمين المخاطب ، أو قصد الشفاعة عنده ، أو لم يقصد شيئًا فإنه لا يكون يمينًا ، فإذا حلف الشخص على آخر أنه يأكل فإذا أراد تحقيق الأكل وأنه لا بد منه كان يمينًا ، وإن أراد أتشفع عندك بالله أنك تأكل ، أو أراد يمين المخاطب كأن قصد جعله حالفًا بالله فلا يكون يمينًا ، لأنه لم يحلف حينئذ لا هو ولا المخاطب ، ويحمل عند الإطلاق على الشفاعة ، ويسن للمخاطب إبراره في القسم إذا أراد

به يمين نفسه .

الحنابلة - قالوا : إذا أقسم على غيره فإن قال : والله لتفعلن يا فلان كذا ، أو لا تفعلن كذا فلم يطعه حنث الحالف وعليه الكفارة . لا على من لم يطعه على الرجوع . وإن قال : أسألك بالله لتفعلن كذا ، وأراد بذلك اليمين يكون يمينًا ، والكفارة على الحالف أيضًا . أما إذا أراد به الشفاعة فإنه لا يكون يمينًا ، ويسن إبرار القسم كما تسن إجابة السؤال بالله . اهـ .

الفقرة الثانية

في :

بعض ما رود في القرآن الكريم في اليمين

- قال تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ ^(١) أي : لا تجعلوا أيمانكم حائلة بينكم وبين البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، وقد جاءت النصوص الكثيرة تحض من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يكفر عن يمينه ويأتي بالذي هو خير .

- وقال تعالى في اليمين الكاذبة : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ ^(٢) .

- وقال تعالى في اليمين اللغو واليمين المنعقدة : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ ^(٣) .

- وقال تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ ^(٤) .

- وقال تعالى : ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ ^(٥) .

- وقال تعالى : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ ^(٦) .

- وقال تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ﴾ ^(٧) .

أقول : وقد بينت السنة الحالات التي يجوز للإنسان أن يحنث بيمينه فيها وهناك حالات يفترض على الإنسان فيها ، أن يحنث ، وهناك حالات يندب للإنسان أن يحنث فيها .

(٢) المجادلة : ١٤ .

(٤) البقرة : ٢٢٥ .

(٦) النحل : ٩١ .

(١) البقرة : ٢٢٤ .

(٣) المائدة : ٨٩ .

(٥) المائدة : ٨٩ .

(٧) النور : ٢٢ .

(ولا يأتل) : أي لا يحلف ولا يمتنع .

الفقرة الثالثة

في :

بعض ما ورد في الحلف بغير الله

١٥٦١ - * روى النسائي عن قَتِيلَةَ (امرأة مِنْ جَهَنَّمَ) أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّكُمْ تَنْدَثُونَ وَتُشْرِكُونَ ، تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَ شِئْتَ ، وَتَقُولُونَ : وَالْكَعْبَةِ ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا ، أَنْ يَقُولُوا : « وَرَبِّ الْكَعْبَةِ » : وَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ : « مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ شِئْتَ » .

قال ابن الأثير :

(ما شاء الله وشئت) إنما فرّق بين قوله : « ما شاء الله وشئت » ؛ وما شاء الله ثم شئت لأن الواو قد ذهب قوم إلى أنها موضوعة للجمع والمشاركة ، لا للترتيب ، فإذا قال : « ما شاء الله وشئت » كان قد جمع بينه وبين الله عز وجل في المشيئة ، ولهذا قال القائل بهذا : إذا قلت : (قام زيد وعمرو) يجوز أن يكون عمرو قد قام قبل زيد ، فأما إذا قال : « ما شاء الله ثم شئت » ترتبت مشيئة الله تعالى قبل مشيئته فلهذا قال لهم النبي ﷺ : قولوا : « ما شاء ثم شئت » .

١٥٦٢ - * روى أحمد والترمذي عن سعد بن عبيدة أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : لَا وَالْكَعْبَةِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَخْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ خَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » . وقال الترمذي : هذا على التغليظ .

١٥٦١ - النسائي (٦ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب الحلف بالكعبة .

وإسناده حسن .

١٥٦٢ - أحمد (٢ / ١٢٥) .

والترمذي (٤ / ١١٠) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله .

وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٦ / ٢٧٨) .

والمستدرک (٤ / ٢٧٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

أقول : قول الترمذي : « هذا على التغليظ » يفيد أن ابن عمر لا يريد الكفر الحقيقي ، وإجماع العلماء منعقد على أن الحلف بالكعبة لا يعتبر يمينا ، والراجح عند العلماء أنه مكروه ، وذهب بعضهم إلى أنه حرام .

١٥٦٣ - * روى الطبراني عن عبد الله قال : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق .

أقول : هذا من عبد الله رضي الله عنه : يؤكد حرمة الحلف بغير الله حتى إنه ليراه أفضح من اليمين الغموس .

١٥٦٤ - * روى أبو داود عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يغني في قصة الأعرابي : فقال النبي ﷺ : « أفلح وأبيه إن صدق ، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق » .

قال ابن الأثير :

(أفلح وأبيه) هذه كلمة جارية على ألسن القرب ، تستعملها كثيرا في خطابها وتريد التأكيد ، وأما نهى رسول الله ﷺ أن يحلف الرجل بأبيه ، فيحتمل أن يكون هذا القول منه قبل النهي ، ويحتمل أن يكون جرى منه على عادة الكلام الجاري على اللسان ، وهو لا يقصد به القسم ، كاليمن المعفو عنها من قبيل اللغو ، أو أنه أراد التأكيد ، لا اليمين ، فإن هذه اللفظة تجري في كلام العرب على ضربين : للتعظيم ، والتأكيد ، والتعظيم : هو المنهي عنه ، وأما التأكيد ، فلا ، لقوله :

لعمري أبي الواشين لا عمر غيرهم لقد كلفني خطبة لا أريدها

فهذا توكيد ، لأنه لا يقصد أن يقسم بأبي الواشين ، وهذا في كلامهم كثير . اهـ .

أقول : من كلام ابن الأثير نعرف أن بعض العلماء اعتبر أن هذا الحديث منسوخ ، وأن

١٥٦٣ - للمعجم الكبير (١ / ٢٠٥) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٥٦٤ - أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء .

بعضهم اعتبره أنه مما يجري على ألسنة الناس دون أن يراد فيه القسم ولا التعظيم ، وبالإجماع لا كفارة فيه .

وهو في أدنى حالاته مكروه بعد ورود النهي الصريح عن الحلف بالآباء عن رسول الله ﷺ عند بعضهم ، وعند بعضهم مباح إذا لم يرافقه اعتقاد فاسد .

١٥٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ اللَّهُ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ » .

وزادوا فيها ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ : فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ، ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا .

وفي أخرى ^(١) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ : وَأَبِي ، وَأَبِي ، فَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ خَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ ، أَوْ لَيْسَكْتُ » .

وفي أخرى ^(٢) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَانَ خَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ » . وكانت قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا ، فَقَالَ : « لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ » .

وللبخاري ^(٣) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ خَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لَيْصُمْتُ » .

وَلَمْ يَفِي أُخْرَى ^(٤) أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ » وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا .

١٥٦٥ - البخاري (١١ / ٥٣٠) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤ - باب لا تحلفوا بآبائكم .

مسلم (٣ / ١٣٦٦) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ١ - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى .

وأبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالآباء .

والترمذي (٤ / ١٠٩) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب في كراهية الحلف بغير الله .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٤) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٥ - باب الحلف بالآباء .

قوله : (ولا آثرا) أي : ولا راويًا لها عن أحد .

(١) الترمذي (٤ / ١١٠) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله .

وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) مسلم (٣ / ١٣٦٧) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ١ - باب النهي عن الحلف بغير الله .

(٣) البخاري (١١ / ٥٣٠) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤ - باب لا تحلفوا بآبائكم .

(٤) البخاري نفس للوضع . وليس فيه : « وكانت العرب تحلف بآبائها » .

١٥٦٦ - * روى ابن ماجه عن ابن عمر قال : سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَخْلِفُ بِأَيْمِهِ ، فَقَالَ : « لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ ، مَنْ خَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ أُخْلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ » .

١٥٦٧ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ » .

١٥٦٨ - * روى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنها قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِيِّ وَلَا بِأَبَائِكُمْ » .

وفي رواية النسائي ^(١) « لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ وَلَا بِالطَّوَاغِيَّتِ » .

قال ابن الأثير :

(الطواغي) والطواغيت : الأوثان ، وهو ما كانوا يعبدونه ، وكذلك الشياطين ، وكل رأس في ضلالة فهو طاغوت ، والجمع : طواغيت ، والطواغيت : جمع طاغية .

١٥٦٩ - * روى أحمد عن بريدة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ خَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » .

قال ابن الأثير :

(مَنْ خَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : يُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ الْكِرَاهَةَ فِيهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَمْرٌ أَنْ يَخْلِفَ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ ، وَلَيْسَتْ الْأَمَانَةُ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ أَوَامِرِهِ ، وَفَرْضِ

١٥٦٦ - ابن ماجه (١ / ٦٧٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ٤ - باب من خلف له بالله فليرض .

قال في الزوائد : رجال إسناده ثقات .

١٥٦٧ - أبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالأبَاء .

والنسائي (٧ / ٥ / ٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، ٦ - باب الحلف بالأمهات . إسناده صحيح .

١٥٦٨ - مسلم (٣ / ١٢٧٨) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب من حلف باللات أو العزى .

(١) النسائي (٧ / ٧ / ٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، ١٠ - باب الحلف بالطواغيت .

١٥٦٩ - أحمد (٥ / ٣٥٢) .

أبو داود (٢ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالأمانة .

مِنْ فُرُوضِهِ ، فَتَهُوْا عَنْهُ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ، عَلَى أَنَّ
أَبَا حَتِيْفَةَ وَأَصْحَابَهُ قَالُوا : إِذَا قَالَ : وَأَمَانَةَ اللَّهِ ، فَمَيْ يَمِيْنٌ ، وَعَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ ، وَخَالَفَهُمُ
الشَّافِعِيُّ فِي الْأَمْرِينِ .

أقول : ووافق الحنفية المالكية والحنابلة ، ووافق الطحاوي من الحنفية الشافعية فلم
يعتبره يمينًا ، وعلى كل الأحوال فالوارد في النصوص : « الحلف بالأمانة » والمسألة المختلف
فيها : « الحلف بأمانة الله » .

١٥٧٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر ، أن رجلا سمع رجلا يحلف بالأمانة
فقال : ألت الذي تحلف بالأمانة .

أقول : استفهام ابن عمر للإنكار .

١٥٧١ - * روى أبو داود عن بريدة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ
حَلَفَ ، فَقَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا ، فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ
كَانَ صَادِقًا ، فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا » .

أقول : إن الجراءة على مثل هذا اليمين حتى لو كان الإنسان صادقًا تعتبر مثلبة وتقصا في
دين الرجل . أما من حيث اعتباره يمينًا فقد قال الحنفية وفي رواية عن أحمد يكون يمينًا
موجبة للكفارة إذا فعل الشيء المحلوف عليه . وقال المالكية والشافعية والحنابلة في الرواية
الصحيحة عندهم : لا يكون يمينًا ولا كفارة عليه بالحنث فيه ، والحلف به معصية إذا قصد
تبعيد نفسه عن المحلوف عليه . أما لو حلف على قصد الرضا بالكفر فقد كفر في الحال ،
فإن لم يعرف قصده فقد رجح الشافعية عدم الحكم بكفره ، هذا إذا أضاف قوله إلى
المستقبل ، أما إذا أضاف قوله إلى الماضي وكان قد وقع ما أراد البراءة منه فقد اختلف في

١٥٧٠ - مجمع الزوائد (٤ / ١٧٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

١٥٧١ - أبو داود (٣ / ٢٢٤) كتاب الأيمان والندور ، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

والنسائي (٧ / ٦٠٢) - كتاب الأيمان والندور - باب الحلف بالبراءة من الإسلام . وإسناده حسن .

وابن ماجة (١ / ٦٧١) ١١ - كتاب الكفارات ، ٣ - باب من حلف بملة غير الإسلام .

والمتدرك : (٤ / ٢٩٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

تكفيره ومن لم يكفره بنى عدم تكفيره على أنه لم يقصد الكفر وإنما قصد ترويح كلامه وتصديقه فيه .

١٥٧٢ - * روى الترمذي عن ثابت بن الضحّاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِمَلَةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ » .

قال ابن الأثير :

(فَهُوَ كَمَا قَالَ) مَثْنَى هَذَا أَتَقَوَّلُ : هُوَ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ فِي يَمِينِهِ : إِنْ كَانَ كَذًا وَكَذَا ، فَأَنَا كَافِرٌ أَوْ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِذَا قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ كَاذِبٌ ، فَقَدْ صَارَ إِلَى مَا قَالَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ ، وَهَذَا يَنْتَقِدُ بِهِ يَمِينُ عَبْدِ أَبِي حَنِيفَةَ ، فَإِنَّهُ لَا يُوجِبُ فِيهِ إِلَّا كَفَّارَةً بَيْنَ ، وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ : فَلَا يَنْتَقِدُ عِنْدَهُ بِذَلِكَ بَيْنَ وَلَا كَفَّارَةً فِيهِ .

قال البغوي في شرح السنة :

إذا حلف الرجل بغير الإسلام ، فقال إن فعل كذا ، فهو يهودي ، أو نصراني ، أو بريء عن الإسلام ، ففعل ، ذهب جماعة من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى أن عليه كفارة اليمين ، وبه قال النخعي ، وإليه ذهب الأوزاعي ، والثوري ، وأصحاب الرأي ، وأحمد ، وإسحاق ، وذهب قوم إلى أنه أتى بأمر عظيم ، ولا كفارة عليه ، وهو قول أهل المدينة ، وبه يقول مالك ، والشافعي ، وأبو عبيد . هـ .

أقول : وعليه أن يحدد إيمانه بلفظ الشهادتين ، وعليه أن يستغفر ويتوب ، وعلى مذهب الحنفية عليه أن يحدد عقد زواجه إن حَكِمَ بكفره على رأي من يقول بأن من حلف على أمر

١٥٧٢ - الترمذي (٤ / ١١٥) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٥ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير ملة الإسلام .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٣ / ٢٢٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب في الحلف بالبراءة وملة غير الإسلام .

والنسائي (٧ / ١٩) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - النذر فيما لا يملك .

وهو طَرَفٌ من حديث قد أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود .

وزَادَ النسائي في هنا الطرف زيادة أخرى ، هي من جملة الحديث الطويل قال « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عَذَبَهُ

الله به في نار جهنم » .

ماضي بمثل هذه الأيمان وكان يعلم أن كلامه لا يوافق ما قاله .

١٥٧٣ - * روى النسائي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كُنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ ، وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ ، فَحَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَقَالَ لِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : بِئْسَ مَا قُلْتَ ، أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَإِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا قَدْ كَفَرْتَ ، فَلَقِيْتَهُ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَقَالَ : « قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَاتَّقِلْ عَنْ شَيْءٍ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَلَا تَعُدْ لَهُ » .

وفي أخرى ^(١) قال : حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَقَالَ لِي أَصْحَابِي : بِئْسَمَا قُلْتَ ، قُلْتَ هُجْرًا ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ - ثَلَاثًا - وَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ لَا تَعُدْ » .

قال ابن الأثير :

(فَلْيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ ، وَفِي قَوْلِهِ : « مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَالِفَ بِمَا كَانَ فِي مَعْنَاهَا لَا يُلْزَمُهُ كُفْرًا بِلَيْسَ ، وَإِنَّمَا يُلْزَمُهُ الْإِنَابَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ .

أقول : الحلف باللات والعزى وما شابه ذلك إن أراد به صاحبه التعظيم فقد كفر وعليه تجديد إيمانه كما يجب عليه تجديد عقد زواجه عند الحنفية .

أما إذا جرت على لسانه من غير قصد فكذلك يجب عليه تجديد إيمانه والاستغفار وهذه حالة دون الحالة الأولى .

١٥٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ ، فَقَالَ فِي حَلْفِهِ : بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَنْ قَالَ

١٥٧٣ - النسائي (٧ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والندور ، ١٢ - باب الحلف باللات والعزى .

(١) النسائي : للموضع السابق .

١٥٧٤ - البخاري (١١ / ١١) ٧١ - كتاب الاستثنان ، ٥٢ - باب كل هو باطل إذا شغله عن طاعة الله .

مسلم (٣ / ١٣٦٧) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب من حلف باللات والعزى : فليقل لا إله إلا الله . =

لِصَاحِبِهِ : تَعَالَ أَقَامِرْكَ ، فَلْيَتَصَدَّقْ « قَالَ أَبُو دَاوُدَ : « يَغْنِي بِشَيْءٍ » .
وَقَالَ مُسْلِمٌ : هَذَا الْحَرْفُ - يَغْنِي قَوْلَهُ : « تَعَالَ أَقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ » لَا يَرْوِيهِ أَحَدٌ
غَيْرُ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : وَلِلزُّهْرِيِّ نَحْوُ مِنْ تِسْعِينَ حَرْفًا يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ
أَحَدٌ ، بِأَسَانِيدَ جَيِّدَةٍ .

(فَلْيَتَصَدَّقْ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : فَلْيَتَصَدَّقْ بِقَدْرِ مَا كَانَ جَعَلَهُ خَطَرًا فِي الْقَبْرِ .

أَقُولُ : وَهَذَا مِنْ بَابِ : « وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمَحُّهَا » .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (ابْنُ خَزِيمَةَ) : فَلَمْ يَأْمُرِ النَّبِيُّ ﷺ الْحَالِفَ بِاللَّاتِ وَلَا الْقَائِلَ لِصَاحِبِهِ
تَعَالَ أَقَامِرْكَ ، بِإِحْدَاثِ وَضُوءٍ فَالْخَبَرُ دَالٌ عَلَى أَنَّ الْفَحْشَ فِي الْمُنَاطِقِ وَمَا زَجَرَ الْمَرْءَ عَنِ
النُّطْقِ بِهِ لَا يُوْجِبُ وَضُوءًا خِلَافَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْكَلَامَ السَّيِّئَ يُوْجِبُ الْوَضُوءَ .

أَقُولُ : قَالَ الْحَنْفِيَّةُ : يَنْدُبُ الْوَضُوءَ لِمَنْ قَالَ قَوْلًا فِيهِ إِسَاءَةٌ ، وَدَلِيلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ
الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَذَكِّرُ أَنَّ الْوَضُوءَ يَغْسِلُ الْخَطَايَا .

* * *

= وَأَبُو دَاوُدَ (٢ / ٢٢٢) كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنَّذُورِ ، بَابُ الْحَلْفِ بِالْأَنْدَادِ .
وَالْتِّرَمِذِيُّ (٤ / ١١٧) ٢١ - كِتَابُ النَّذُورِ وَالْإِيمَانِ ، ١٧ - بَابُ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ .
وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .
وَالنَّسَائِيُّ (٧ / ٢) ٣٥ - كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنَّذُورِ ، ١١ - بَابُ بِاللَّاتِ .
وَابْنُ مَاجَةَ (١ / ٦٧٨) ١١ - كِتَابُ الْكُفَّارَاتِ ، ٢ - بَابُ النَّهْيِ أَنْ يَحْلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ .

الفقرة الرابعة

في :

اليمين الغموس

١٥٧٥ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ، ولو على سواك أخضر ، إلا تبوأ مقعده من النار ، أو وجبت له النار » .

وفي رواية الموطأ^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على منبري يمين آثمة تبوأ مقعده من النار » .

١٥٧٦ - * روى الطبراني عن سلمة بن الأكوع أن رسول الله ﷺ قال على المنبر : « لا يحلف أحد على يمين كاذبة إلا تبوأ مقعده من النار » .

١٥٧٧ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد أو أمة تحلف عند هذا المنبر على يمين آثمة ولو على سواك رطب إلا وجبت له النار » .

١٥٧٨ - * روى الطبراني عن عمران بن حصين قال : كنا نعد اليمين الغموس من الكبائر .

أقول : مر معنا أن هناك خلافاً بين الفقهاء حول ما يكفر اليمين الغموس :

١٥٧٥ - أبو داود (٣ / ٢٢١) كتاب الأيمان والنذور - ٣ ، باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي ﷺ .
والموطأ (٢ / ٧٧٧) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٨ - باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ . وإسناده صحيح .

١٥٧٦ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجاله ثقات .
١٥٧٧ - أحمد (٢ / ٣٢٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٩) ، وقال رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٥٧٨ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه كثير أبو الفضل ، روى عن جماعة ، ولم يضعفه أحد ، وبقيته رجاله ثقات .

١٥٩٥

فالحنفية قالوا : ليس فيه كفارة يمين وعليه التوبة والاستغفار . والشافعية قالوا : عليه كفارة يمين والتوبة والاستغفار . والجميع متفقون على أنه لا بد من رد الحقوق إلى أصحابها . ومن وافق الحنفية في أنه لا تجب فيه الكفارة المالكية وهو الراجح عند الحنابلة .

* * *

الفقرة الخامسة

في :

أن الاستثناء في اليمين يلغي اليمين

قال البغوي في شرح السنة :

(والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أن الاستثناء إذا كان موصلاً باليمين ، فلا حنث عليه ، ولا فرق بين اليمين بالله ، أو بالطلاق والعناق عند أكثر أهل العلم . وقال مالك ، والأوزاعي : إذا حلف بطلاق أو عتق ، فالاستثناء لا يغني عنه شيئاً ، ويقع الطلاق والعناق ، وقال أصحاب مالك : الاستثناء إنما يعمل في يمين يدخلها الكفارة حتى قال مالك : إذا حلف بالمشي إلى بيت الله ، واستثنى ، فاستثنأه ساقط ، والحنث له لازم .

واختلف أهل العلم في الاستثناء إذا كان منفصلاً عن اليمين ، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يعمل إلا أن يكون بين اليمين والاستثناء سكتة يسيرة كسكتة الرجل للتذكر ، أو للعي ، أو للتنفس ، فإن طال الفصل ، أو اشتغل بكلام آخر بينها ، ثم استثنى ، فلا يصح .

وذهب بعضهم إلى أن الاستثناء جائز مادام في المجلس ، روي ذلك عن طاووس ، والحسن ، وقال قتادة : له أن يستثنى ما لم يتكلم ، أو يقيم ، وقال أحمد : له أن يستثنى ما دام في ذلك الأمر ، وقال ابن عباس : له الاستثناء بعد حين ، وقال مجاهد : بعد سنين ، وقال سعيد بن جبير : بعد أربعة أشهر . (اهـ .

١٥٧٩ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ ، فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَمْ يَحْنَثْ » .

وعنه النسائي ^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَدْ اسْتَثْنَى » .

١٥٧٩ - الترمذي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما جاء في الاستثناء في اليمين .

(١) النسائي : (٧ / ٣٠) ٢٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤٣ - باب الاستثناء .

١٥٨٠ - * روى النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : إن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَدْ اسْتَشْنَى » .
وفي أخرى^(١) : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَاسْتَشْنَى ، فَإِنْ شَاءَ رَجَعَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ غَيْرَ حِنْثٍ » .

وفي رواية الترمذي^(٢) : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ » قال الترمذي : وَقَدْ رَوَى مُوقُوفًا .

وفي رواية الموطأ^(٣) موقوفًا عن نافع عن ابن عمر أنه كان يقول : مَنْ قَالَ وَاللَّهِ ثُمَّ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ لَمْ يَفْعَلِ الَّذِي حَلَفَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَحْنُثْ .

١٥٨١ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « وَاللَّهِ لَأَغْزُونَ قَرِيشًا » . ثم قال : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . ثم قال : « وَاللَّهِ لَأَغْزُونَ قَرِيشًا » . ثم قال : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . ثم قال : « وَاللَّهِ لَأَغْزُونَ قَرِيشًا » . ثم قال : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

١٥٨٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً ، كُلُّ امْرَأَةٍ تَأْتِي بِقَارِسٍ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ قُل : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً ، جَاءَتْ بِشَقٍّ رَجُلٍ ، فَقَالَ وَائِمٌ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ » .

١٥٨٠ - النسائي (٧ / ٢٥) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٩ - باب الاستثناء .

(١) النسائي : نفس الموضع .

(٢) الترمذي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما جاء في الاستثناء في البين . وقال : هو حديث حسن يشهد له حديث أبي هريرة .

(٣) للموطأ (٢ / ٤٧٧) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٦ - باب ما لا تجب فيه الكفارة من البين .

١٥٨١ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . ورواه أبو يعلى أيضًا .

١٥٨٢ - البخاري (١١ / ٥٢٤) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣ - كيف كان يمين النبي ﷺ ؟ .

مسلم (٢ / ١٣٦) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٥ - باب الاستثناء .

(الشَّقُّ) : من كل شيء : نصفه .

وفي رواية^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمَاءَةِ امْرَأَةٍ ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ يَقُلْ ، وَنَسِيَ ، فَطَافَ بِهِنَّ ، وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً نِصْفَ إِنْسَانٍ » ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْثُ ، وَكَانَ أَرْجَى حَاجَتِهِ » .

وفي رواية نحوه^(٢) ، وَقَالَ : « تِسْعِينَ امْرَأَةً » قَالَ : « وَلَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَمْ يَحْثُ ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ » قَالَ : « وَقَالَ مَرَّةً : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ اسْتَشْنَى » وفي رواية^(٣) : « سَبْعِينَ امْرَأَةً » .

وفي أخرى^(٤) قَالَ : « كَانَ لِسُلَيْمَانَ سِتُونَ امْرَأَةً ، فَقَالَ : لَأَطُوفَنَّ عَلَيْهِنَّ اللَّيْلَةَ » وَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وفي آخره : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَلَوْ كَانَ اسْتَشْنَى لَوَلِدَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وللبخاري^(٥) : أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، أَوْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ » وَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرُسَانًا أَجْمَعُونَ » .

وَلَمْ يَفِي أُخْرَى^(٦) نَحْوَهُ ، وَقَالَ : « عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً » ، وَفِيهِ : « وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا » .

أقول : لا تنافي بين الروايات في ذكر أعداد مختلفة ، فبعضها عبر عن الكثرة ، وبعضها ذكر أزواجه فيما يبدو دون سراريه ، وبعضها ذكر طوائفا على أزواج وسراري .

(١) البخاري (١ / ٢٣٩) ٦٧ - كتاب النكاح ، ١١٩ - باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي .

(٢) البخاري (١١ / ٦٠٠) ٨٤ - كتاب كفارات الأيمان ، ٩ - باب الاستثناء في البين . (قَزَا) : الدَّرَكُ : اللُّحُوقُ بِالشَّيْءِ .

(٣) البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٠ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ ... ﴾ .

(٤) مسلم (٣ / ١٢٧٥) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٥ - باب الاستثناء .

(٥) البخاري (٦ / ٢٤) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٢٢ - باب من طلب الولد للجهاد .

(٦) البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٠ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

الفقرة السادسة

في :

من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها

قال البغوي في شرح السنة :

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا ﴾ (١) الآية .

قال الأزهري : ﴿ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ أي : مانعاً لكم عن البر ، والاعتراض : المنع ، وكل شيء منعك عن أمر تريده فقد اعترض عليك ، وتعرض لك ، والأصل فيه : الطريق المسلوكة يعترض فيه بناءً أو شيء يمنع السابلة من سلوكه ، وقيل : العُرْضَة : الاعتراض في الخير والشر يقول : لا تعترضوا باليمين في كل ساعة ألا تَبَرُّوا ولا تتقوا . اهـ

١٥٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، لَا تُسْأَلُ الْإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَتَيْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلِمَةٍ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أَتَيْتَ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتَ عَلَيْهَا ، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَاتَّيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِكَ » .

وفي رواية لأبي داود (٢) : لم يذكر حديث « الإمارة » وأول حديثه : « إِذَا حَلَفْتَ » .

(١) البقرة : ٢٢٤ .

١٥٨٣ - البخاري (١١ / ٥١٦) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لَا يَؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ .

مسلم (٢ / ١٢٧٣) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب نذر من حلف يميناً ، فرأى غيرها خيراً منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب ما جاء فيه من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها . وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٨ / ٢٢٥) ٤٩ - كتاب آداب القضاة ، ٥ - باب النهي عن مسألة الإمارة .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٢٩) كتاب الأيمان والنذور ، باب الرجل يكفر قبل أن يحنث .

وله في أخرى (١) : « فَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ ، ثُمَّ أَثْبَتَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ » .

وللنسائي (٢) أيضا قال : « إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ عَلَى يَمِينٍ ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَلْيُكْفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَنْظُرِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ فَلْيَأْتِهِ » .

أقول : يدخل في هذا الشأن أمور متعددة :

فأول ما يدخل فيه : الحلف على المعصية ، فيحرم على الإنسان أن يفعلها وتجب في ذلك الكفارة ، كما لا يصح للإنسان أن يبر إذا حلف على مكروه وعليه الكفارة ، وإذا حلف على مباح فرأى المصلحة في غيرها فله أن يحنث وعليه الكفارة ، وهناك حالات تحتاج للموازنة فيها بين الخيرية وغيرها إلى علم وفقه أو فتوى من أهل ذلك ، وذلك في الأوضاع الاستثنائية ، كأن يكون الإنسان بين ضررين أو شرين فالأخف في الضرر والأخف في الشر يعتبر خيرا بالنسبة للحالف والأحاديث الواردة في موضع فعل الخير وترك ما دونه كثيرة كما سئرى في هذه الفقرة .

ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها هل يجوز له أن يكفر قبل الحنث ؟

قال أبو حنيفة : لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث مطلقا ، وأجاز تقديم الكفارة على الحنث الخائبة والشافعية والمالكية ، والأفضل عند المالكية والشافعية تأخير الكفارة إلى ما بعد الحنث مراعاة للخلاف .

١٥٨٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَفْعَلْ » زَادَ فِي رِوَايَةِ (٣) « الَّذِي هُوَ خَيْرٌ » .

(١) أبو داود : للموضع السابق .

(٢) النسائي (١١ / ٧) - ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ - باب الكفارة بعد الحنث .

١٥٨٤ - مسلم (١٧٧٢ / ٢) - ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٣ - باب نذر من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

(٣) مسلم : للموضع نفسه .

وفي رواية ^(١) قال : أَغْتَمَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَ الصَّبِيَّةَ قَدْ نَامُوا ، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ بِطَعَامِهِ ، فَحَلَفَ لَا يَأْكُلُ مِنْ أَجْلِ صَبِيَّتِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَأَكَلَ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَلْيَأْتِهَا ، وَلْيُكْفَرْ عَنْ يَمِينِهِ » .

١٥٨٥ - * روى مسلم عن تميم بن طرفة الطائي رضي الله عنه ، قَالَ : جَاءَ سَائِلٌ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ يَسْأَلُهُ نَفَقَةً - أَوْ فِي ثَمَنِ خَادِمٍ ، أَوْ فِي بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ - فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ ، إِلَّا دِرْعِي وَمِغْفَرِي ، فَأَكْتُبْ إِلَى أَهْلِي أَنْ يُعْطَوْكُمَا ، قَالَ : فَلَمْ يُرَضْ ، فَقَضِبَ عَدِيٌّ ، فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكَ شَيْئًا ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ رَضِيَ ، فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، ثُمَّ رَأَى أَتَقَى اللَّهَ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى » مَا خَشِيتُ فِي يَمِينِي .

وفي أخرى ^(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ عَلَى الْيَمِينِ ، فَرَأَى خَيْرًا مِنْهَا ، فَلْيُكْفَرْهَا ، وَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ » .

وفي أخرى للنسائي ^(٣) : « فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَلْيَتْرِكْ يَمِينَهُ » .

١٥٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِأَنَّ يَلْجُ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ

(١) مسلم : (٣ / ١٣٧١) للموضع السابق .

والموطأ (٢ / ٤٧٨) ، ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما تجب فيه الكفارة من الأيمان .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ، ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب ما جاء من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(أَغْتَمَ) الإنسان : إذا دخل في العتمة ، وهي ظلمة أول الليل .

١٥٨٥ - مسلم (٣ / ١٣٧٢) ، ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٣ - باب نذر من حلف يميناً ، فرأى غيرها خيراً منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

(الْيَغْفَرُ) : زَرَّةٌ يلبس على الرأس .

(٢) مسلم : الموضع نفسه .

(٣) النسائي (٧ / ١١) ، ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ - باب الكفارة بعد الحنث .

١٥٨٦ - البخاري (١١ / ٥١٧) ، ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لَا يُوَاقِنُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُوبِ ﴾ إيمانكم ...

أَتَمَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ .
وللبخاري (١) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ اسْتَلَجَّ فِي أَهْلِهِ بَيْنَيْنِ ، فَهُوَ أَعْظَمُ
إِثْمًا لِيَبْرَ ، يَعْنِي الْكَفَّارَةَ » .

قال ابن الأثير :

(لَجَّ واستلج) في يمينه : إذا لَجَّ في الاستمرار عليها ، وترك تكفيرها ورأى أنه صادق
فيها ، وقيل : هو أن يحلف ويرى أن غيرها خير منها ، فيقيم على ترك الكفارة والرجوع
إلى ما هو خير .

(أَتَمَّ) : أكثر إثمًا ، لأنه قد أَمَرَ أَنْ يَأْتِيَ الذي هو خير .

أقول :

اختلف العلماء في قول القائل (أعاهد الله) هل هو يمين أو لا ، فعلى القول بأنها يمين
فن رأى غير ما عاهد عليه الله أبرَّ أو عجز عن الوفاء فإنَّ عليه الكفارة ، وعلى القول : إنها
ليست بيمين فإنَّه لا كفارة على صاحبها ، وإذا عجز أو رأى غيرها خيرًا منها بالمعيار
الشرعي فليأت الذي هو خير ولا كفارة عليه .

قال البغوي في شرح السنة :

ولو قال : عليَّ عهدُ الله وميثاقه ، فليس بيمين إلا أن يريد به اليمين ، وكذلك لو قال :
شَهِدْتُ بالله ، أو أشهد بالله ، أو عَزَمْتُ بالله ، أو أَعَزِمْتُ بالله ، فلا يكون يمينًا إلا أن
يُرِيدَهُ ، ولو قال : أَقْسَمْتُ بالله ، أو حَلَفْتُ بالله ، أو أَقْسِمُ بالله ، أو أَحْلِفُ بالله ، فإن أراد
بالأول إخبارًا عن يمين في الماضي ، أو أراد بالثاني وعد يمين في المستقبل ، فليس بيمين ، وإن
أراد بها يمينًا في الوقت ، فهو يمين ، وإن أطلق ، ففيه قولان ، ولو قال : شهدت أو
أشهد ، أو عَزَمْتُ ، أو أَعَزِمْتُ أو أَقْسَمْتُ ، أو أَقْسِمُ ، ولم يقيده بذكر الله ، فليس بيمين وإن

مسلم (٢ / ٥٨٥) - ٧ - كتاب الجمعة - ٦ - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

(١) البخاري : الوضع السابق .

نواه ، وعند أبي حنيفة : كلها يمين اهـ

١٥٨٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما كان أبو بكر يحنث قط في يمين ، حتى نزلت كفارة اليمين ، فلما نزلت حنث إذا رأى غيرها خيرا منها ، وكفر .

وفي رواية^(١) ، أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين قط ، حتى أنزل الله عز وجل كفارة اليمين ، فقال : لا أحلف على يمين قرأت غيرها خيرا منها ، إلا أتيت الذي هو خير ، وكفرت عن يميني .

وفي أخرى^(٢) ، إلا قبلت رخصة الله ، وفعلت الذي هو خير .

١٥٨٨ - * روى أبو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها ، إلا كفرت عن يميني ، وأتيت الذي هو خير » . أو قال : « إلا أتيت الذي هو خير ، وكفرت عن يميني » .

وعند النسائي^(٣) قال : قال النبي ﷺ : « ما على الأرض يمين أحلف عليها فأرى غيرها خيرا منها ، إلا أتيتها » .

وله في أخرى^(٤) قال : أتيت رسول الله ﷺ في رهط من الأشعرين نستخيمه ، فقال : « والله لا أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه » ، ثم لبثنا ما شاء الله ، فأتى يابل قأمر لنا بثلاث دود ، فلما انطلقنا قال بعضنا لبعض : لا يبارك الله لنا ، أتينا

١٥٨٧ - البخاري (١١ / ٥١٦) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾ .

(١) البخاري : للموضع السابق .

(٢) البخاري (٨ / ٢٧٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٨ - باب ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

١٥٨٨ - أبو داود (٣ / ٢٢٩) - كتاب الأيمان والنذور ، باب الرجل يكفر قبل أن يحنث .

(٣) النسائي (٧ / ٩) ٢٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

(٤) النسائي : للموضع السابق .

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَسْتَحْمِلُهُ ، فَحَلَفَ لَا يَحْمِلُنَا ، قَالَ أَبُو مُوسَى : فَأَتَيْتُنَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ ، بَلِ اللَّهُ حَمَلَكُمْ ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا كَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي ، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ » .

وفي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ^(٢) نَحْوُ هَذِهِ الَّتِي لِلنَّسَائِيِّ ، وَزَادَ فِيهَا : « فَأَمَرْنَا بِثَلَاثِ ذَوْدِ غَرِّ الذَّرَى » وَفِيهَا : « وَ إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أُحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ، ثُمَّ أَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا كَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي ، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ » .
زَادَ فِي رِوَايَةِ ^(٣) : « وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي » .

قال ابن الأثير :

(نستحملة) استحملت الإنسان : إذا طلبت منه شيئاً تركبه ، أو تحمل عليه متاعك .
(الذود) من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى التسع من الإناث خاصة ، وقيل : ليس للإناث به اختصاص ، إنما اللفظة مؤنثة .
(الذرى) : الأسنة ، وصفها أنها « غر » أي : أنها بيض حسان لسمنها .

أقول : يلاحظ أن بعض الروايات تذكر التكفير ثم الحنث ، وبعض الروايات تذكر الحنث ثم التكفير ومن هاهنا وَجِدَ من الفقهاء مَنْ يقول : إذا كَفَّرَ ثم حَنِثَ تجب عليه إعادة الكفارة ، ومنهم مَنْ يقول : تجزئ الكفارة ولو كانت قبل الحنث وقد مرَّ معنا هذا من قبل ونزيد الأمر وضوحاً :

قال البغوي في شرح السنة :

اختلف أهل العلم في تقديم كفارة اليمين على الحنث ، فذهب أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى جوازهِ ، كما ورد به الحديث ، وَيُروى ذلك عن ابن عمر ، وابن

(٢) البخاري (١١ / ٥١٧) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُجُورِ ... ﴾ .

مسلم (٣ / ١٢٧١) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب نذر من حلف يميناً ، فرأى غيرها خيراً منه ... إلخ .

(٣) البخاري : للموضع السابق .

عباس ، وعائشة ، وبه قال الحسن البصري ، وابن سيرين ، وإليه ذهب مالك ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، إلا أن الشافعي يقول : إن كفر بالصوم قبل الحنث ، لا يجوز ، إنما يجوز تقديم العتق أو الإطعام ، أو الكسوة ، كما يجوز تقديم الزكاة على الحول . ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته .

وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ، وهو قول أصحاب الرأي ، وجوزوا تعجيل الزكاة قبل الحول ، ولم يجوز مالك تعجيل الزكاة ، وجوز تعجيل الكفارة ، وقال الثوري : إن كفر بعد الحنث أحب إليّ ، وإن كفر قبل الحنث ، أجزأه . اهـ .

١٥٨٩ - * روى النسائي عن أبي الأُخوص عن أبيه قال : قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ ابْنَ عَمٍّ لِي ، آتِيَهُ أَسْأَلُهُ ، فَلَا يُعْطِينِي وَلَا يَصِلُنِي ، ثُمَّ يَحْتَاجُ إِلَيَّ فَيَأْتِينِي فَيَسْأَلُنِي ، وَقَدْ حَلَفْتُ أَنْ لَا أُعْطِيَهُ وَلَا أَصِلَهُ ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأُكْفِرَ عَنْ يَمِينِي .

* * *

الفقرة السابعة

في :

متفرقات في الأيمان

اليمين على نية المستحلف :

١٥٩٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« اليمينُ على نيةِ المستحلفِ » .

وفي رواية قال ^(١) : « يمينُكَ عَلَى ما يُصَدِّقُكَ بِهِ صَاحِبُكَ » .

اليمين اللغو :

١٥٩١ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : أنزلت هذه الآية ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] في قول الرجل : لا والله ، بلى والله » .

وفي رواية أبي داود ^(٢) في اللغو في اليمين ، قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ : كَلَا وَ اللَّهِ ، وَبَلَى وَ اللَّهِ » .

قال ابن الأثير :

(اللغو) من الكلام : ما لا ينعقد عليه القلبُ ، هذا أصله ، وقيل : اللغو من الكلام : الباطل ، وقيل : الكلام المختلط ، والكلُّ متقارب ، وهو في لفظ الحديث قد ذكر معناه ، وقيل : هو أن يحلف الإنسان على شيء وهو يرى أنه صادق ، ثم تبين له خلافه ، وهو

١٥٩٠ - مسلم (٣ / ١٣٧٤) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٤ - باب يمين الحالف على نية المستحلف .

(١) مسلم : للوضع السابق .

١٥٩١ - البخاري (١١ / ٥٤٧) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٤ - باب ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ ...

وللوطأ (٢ / ٤٧٧) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب اللغو في اليمين .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٣٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب لغو اليمين .

وزَّادَهُ أَيْضاً عَنْهَا مَوْثُوقًا . وصحح الدارقطني الوقف على عائشة رضي الله عنها دون الرفع .

١٦٠٧

الخطأ وقيل : هو اليمين في المعصية ، وقيل : في الغضب ، وقيل : في الهزل والمرء ، وقيل : في النسيان .

إبرار المقسم :

١٥٩٢ - * روى ابن ماجه عن البراء بن عازب قال : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ .

١٥٩٣ - * روى أحمد عن عائشة قالت أهدت امرأة إليها تمرًا في طبق فأكلت بعضًا وبقي بعضٌ فقالت : أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا أَكَلْتُ بَقِيَّتَهُ فقال النبي ﷺ : « أَبْرِيهَا ، فَإِنَّ الْإِثْمَ عَلَى الْمَحْنَثِ » .

١٥٩٤ - * روى الطبراني عن أبي حازم أن ابن عمر مر على رجل ومعه غنيمات له فقال : بكم تبيع غنمك هذه ، بكذا وكذا ؟ . فحلف أن لا يبيعهما . فانطلق ابن عمر فقص حاجته فمر عليه فقال : يا أبا عبد الرحمن خذها بالذي أعطيتني قال حلفت على يمينٍ فلم أكن لأعين الشيطان عليك وأن أحنثك .

أقول : هذا ورع من ابن عمر ، وإلا فقد كان بإمكانه أن يشتريها منه ، وأن يأمره بدفع الكفارة .

بعض ما حلف به رسول الله ﷺ أو حلف :

١٥٩٥ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : أَكْثَرُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْلِفُ : « لا ، وَمَقْلَبِ الْقُلُوبِ » .

١٥٩٦ - ابن ماجه (١ / ٦٨٣) ١١ - كتاب الكفارات ، ١٢ - باب إبرار القسم .

وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (١١ / ٥٤١) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَأَقِمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ .

١٥٩٣ - أحمد (٦ / ١١٤) .

جمع الزوائد (٤ / ١٨٢) وقال : ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٥٩٤ - جمع الزوائد (٤ / ١٨٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١٥٩٥ - البخاري (١٣ / ٣٧٧) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١١ - باب مقلب القلوب ، وقول الله تعالى : ﴿ وَتَقَلِّبُ أَلْسِنَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾ .

وَأَرْسَلَهُ مَالِكٌ ^(١) قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « لَا ، وَمَقْلَبِ الْقُلُوبِ » .

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ ^(٢) وَأَبِي دَاوُدَ ^(٣) : كَثِيرًا مَا كَانَ يَخْلِفُ هَذِهِ الْيَمِينَ : « لَا ، وَمَقْلَبِ الْقُلُوبِ » .

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ ^(٤) قَالَ : كَانَتْ يَمِينُ يَخْلِفُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا ، وَمَقْلَبِ الْقُلُوبِ » .

وَفِي أُخْرَى ^(٥) لَهُ : كَانَتْ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي يَخْلِفُ بِهَا : « لَا ، وَمُضَرَّفِ الْقُلُوبِ » .

١٥٩٦ - * رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اجْتَنَهَ فِي الْيَمِينِ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ » .

١٥٩٧ - * رَوَى ابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَتْ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « لَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ » .

هذا نموذج يعلننا فيه رسول الله ﷺ التأكيد بصورة يمين دون أن يكون يمينًا .

هل للحلف مكان ؟

١٥٩٨ - * رَوَى مَالِكٌ عَنْ أَبِي غَطَفَانَ بْنِ طَرِيفٍ الْمُرِّي قَالَ : اخْتَصَمَ زَيْدُ ابْنِ ثَابِتٍ

(١) اللوط (٤ / ٤٨٠) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب جامع الأيمان .

(٢) الترمذي (٤ / ١١٢) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٢ - باب ما جاء كيف كان يمين النبي ﷺ . وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) أبو داود (٢ / ٢٢٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت .

(٤) النسائي (٧ / ٢) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب أخبرنا أحمد بن سليمان

(٥) النسائي : للموضع السابق .

١٥٩٦ - أبو داود (٢ / ٢٢٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت . وهو حديث حسن .

١٥٩٧ - ابن ماجه (١ / ٦٧٧) ١١ - كتاب الكفارات ، ١ - باب يمين رسول الله ﷺ التي كان يحلف بها . وإسناده حسن .

١٥٩٨ - اللوط (٢ / ٧٢٨) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٩ - باب جامع ما جاء في اليمين على المنبر . وإسناده صحيح . =

١٦٠٩

وَابْنُ مُطْعِمٍ إِلَى مَرْوَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِي ذَارِ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَقَضَى مَرْوَانُ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بِالْيَمِينِ عَلَى النَّبْرِ ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَخْلَفْتُ لَهُ مَكَانِي هَذَا ، فَقَالَ مَرْوَانُ : لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا عِنْدَ مَقَاطِعِ الْحَقُوقِ ، فَجَعَلَ زَيْدٌ يَحْلِفُ أَنْ حَقَّهُ لِحَقِّ ، وَأَبَى أَنْ يَحْلِفَ عَلَى النَّبْرِ ، فَجَعَلَ مَرْوَانُ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ .

الترهيب من اقتطاع الحقوق بالأيمان وفي أن البيئنة على المدعي واليمين على من أنكر :

١٥٩٩ - * روى الطبراني عن الحارث بن البرصاء قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو يمشي بين جمرتين من الجمار وهو يقول : « من أخذ شيئاً من مال امرئ مسلم بيمين فاجرة فليتبوأ بيتاً في النار » .

١٦٠٠ - * روى الطبراني عن أبي رَهم السُّعْمِي قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أسرق السراق من يسرق لسان الأمير ، وإن من أعظم الخطايا من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق ، وإن من الحسنات عيادة المريض ، وإن من تمام عيادته أن تضع يذك عليه وتساله كيف هو ، وإن من أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى تجمع بينهما ، وإن من لبسة الأنبياء قبلي السراويل وإن مما يُستجاب عنده الدعاء العُطَّاس » .

١٦٠١ - * روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ خَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بغيرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ثُمَّ قرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

= وأخرج البخاري نحوه (٢٨٤ / ٥) ٥٢ - كتاب الشهادات ، ٢٣ - باب يحلف المدعي عليه حيثما وجبت عليه اليمين .

١٥٩٩ - المعجم الكبير (٢٥٦ / ٢) .

مجمع الزوائد (١٨١ / ٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٦٠٠ - مجمع الزوائد (١٨١ / ٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . وفي بعضهم كلام لا يضر .

١٦٠١ - البخاري (٤٢٣ / ١٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ﴾ * إلى ربه ناظرة .

يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ... ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (١).
 زَادَ فِي رِوَايَةٍ (٢) بِمَعْنَاهُ ، قَالَ : فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكَنْدِيُّ فَقَالَ : مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قُلْنَا : كَذًا وَكَذًا ، قَالَ : صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ يَنْبِي وَيُنْزِلُ رَجُلًا
 خُصُومَةً فِي بَيْتٍ ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « شَاهِدَاكَ ، أَوْ
 يَمِينُهُ » ، قُلْتُ : إِنَّهُ إِذَنْ يَخْلِفُ وَلَا يُبَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى
 يَمِينٍ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ
 غَضَبَانٌ » وَنَزَلَتِ الْآيَةُ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٤﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

١٦٠٢ * - رَوَى أَحْمَدُ عَنْ عِيَاضِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ عِنْدَ مَعْقِلِ بْنِ
 يَسَارٍ . فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا
 مَالَ رَجُلٍ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » .

١٦٠٣ * - رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةً كَاذِبًا ، فَلْيَتَّبِعُوا بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

(مصبورة) أصل الصبر : الحبس ، وَقَتْلُ فُلَانٍ صَبْرًا ، أَي : حَبْسًا عَلَى الْقَتْلِ ، وَقَهْرًا
 عَلَيْهِ ، وَيَمِينُ الصَّبْرِ : هُوَ أَنْ يُلْزَمَ الْحَاكِمُ الْخَصْمَ الْيَمِينَ حَتَّى يَحْلِفَ وَيَقِفَهُ وَيُلْزِمَهُ بِهَا ، وَقَوْلُهُ :
 « يَمِينُ مَصْبُورَةٍ » يَعْنِي : لَازِمَةً لِصَاحِبِهَا مِنْ جِهَةِ الْحَكْمِ ، وَقِيلَ لِلْيَمِينِ : مَصْبُورَةٌ - وَإِنْ كَانَ

(١) آل عمران : ٧٧ .

(٢) البخاري (٨ / ٢١٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣ - باب ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا .. ٤ .

ومسلم (١ / ١٢٣) كتاب الإيمان ، ٦١ - باب وعيد من اقتطع حق مسلم بين فاجرة بالنار .

وأبو داود (٣ / ٢٢٠) كتاب الأيمان والتذور ، ٢ - باب فيمن حلف ليقطع بها مالا لأحد .

والترمذي (٣ / ٦٢٥) ١٣ - كتاب الأحكام ، ١٢ - باب ما جاء في أن البيعة على المدعي واليدين على المدعى عليه .

وقال : حديث حسن صحيح .

الاعتطاع : أخذ الشيء والاستبداد به ، كَأَنَّهُ قَطَعَ بَعْضٌ مِنْ كُلِّ .

١٦٠٢ - أجمد (١ / ٤٢٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٩) وقال : ورجال أحد ثقات .

١٦٠٣ - أبو داود (٣ / ٢٢٠) كتاب الأيمان والتذور ، ١ - باب التغليظ في الأيمان الفاجرة . وإسناده صحيح .

صاحبها في الحقيقة : هو للمصبور ؛ لأنه إنما صَبِرَ من أجلها ، فأضيف الصبر إلى اليمين مجازاً واتساعاً .

(فليتبوأ) تبوأَ المنزل : إذا اتخذته سكناً تنزل فيه وتسكنه .

١٦٠٤ - * روى أحمد عن عدي بن عميرة قال : خاصم رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له امرؤ القيس بن عابس رجلاً من حضرموت إلى رسول الله ﷺ ففضى على الحضرمي بالبينة فلم يكن له بينة ففضى على امرئ القيس باليمين . فقال الحضرمي : أمكنته من اليمين يا رسول الله ذهبُ والله - أو ورب الكعبة - أرضي فقال النبي ﷺ : « من حلفَ على يمينٍ كاذبةٍ ليقطع بها مالَ أحدٍ لقي الله عز وجل وهو عليه غضبانٌ » . قال رجاء : وتلا رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول الله ؟ قال : « الجنة » قال : فأشهدك أني قد تركتها له كلها .

١٦٠٥ - * روى مسلم عن وائل بن حجر رضي الله عنه ، قال : جاء رجلٌ من حضرموت ، ورجلٌ من كِنْدَةَ ، إلى رسول الله ﷺ : فقال الحضرمي : يا رسول الله ، إن هذا قد غلبني على أرضٍ كانت لأبي ، فقال الكندي : هي أرضي في يدي ، أزرعها ، ليس لهُ فيها حقٌ ، فقال النبي ﷺ للحضرمي : « أَلَيْكَ بَيِّنَةٌ ؟ » قال : لا ، قال : « فَلَكَ يمينُ » ، قال : يا رسول الله ، إن الرجلَ فاجِرٌ لا يَبالي على ما حلفَ عليه ، وليس يتورع عن شيءٍ ، فقال : « ليس لك منه إلا ذلك » ، فأنطلق ليخلف ، فقال رسول الله ﷺ لما أدبر : « أما لئن حلفَ على ماله لَيأكلهُ ظُلُمًا : لَيَلْقَيْنُ اللهَ وهو غنةٌ مُعْرِضٌ » .

وفي رواية^(١) قال : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ ،

١٦٠٤ - أحمد : (٤ / ١٩١) .

والمعجم الكبير (١٧ / ١٠٨) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٨) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجالها ثقات .

١٦٠٥ - مسلم (١ / ١٢٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٦١ - باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

(١) مسلم : الموضع السابق .

فقال أحدهما : إِنَّ هَذَا انْتَرَى عَلَى أَرْضِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَهُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسِ الْكِنْدِيِّ ، وَخَصْمُهُ : رَبِيعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - فَقَالَ : « بَيْنَتُكَ » ، فَقَالَ : لَيْسَ لِي بَيْنَةٌ ، قَالَ : « يَمِينُ » قَالَ : إِذَنْ يَذْهَبُ بِهَا ، قَالَ : « لَيْسَ لَكَ إِلَّا ذَلِكَ » ، قَالَ : فَلَمَّا قَامَ لِيُحْلِفَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » . وفي رواية : رَبِيعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

١٦٠٦ - * روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعَاوِهِمْ ادَّعَى قَوْمٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ » .

ولمسلم وللبخاري ^(١) أن رسول الله ﷺ قضى باليمين على المدعى عليه .

وللبخاري ^(٢) أن امرأتين كانتا تخترزان في بيت ، وفي الحجرة ، فخرجت إحداهما ، وقد أنفذ بإشقي في كفها ، فادعت على الأخرى ، فرفع ذلك إلى ابن عباس ، فقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعَاوِهِمْ ، لَذَهَبَ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ » ، ذَكَّرُوها بالله ، واطروا عليها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) فذكروها فاعترفت ، فقال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ » . عليه .

١٦٠٧ - * روى مسلم عن إياس بن ثعلبة الحارثي - وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَأَوْجَبَ لَهُ

= (انترى على أرضي) أي : وثب عليها وغلبي على أخذها ، والتزى والانتزأ : تنزع الإنسان إلى الشر ، ووثوبه إلى ما ليس له الوثوب إليه .

١٦٠٦ - مسلم (٣ / ١٣٦) ٣٠ - كتاب الأفضية ، ١ - باب اليمين على المدعى عليه .

وابن ماجه (٢ / ٧٧٨) ١٢ - كتاب الأحكام ، ٧ - باب البينة على المدعى ، واليمين على المدعي عليه .

(١) مسلم : الموضع السابق .

والبخاري (٨ / ٢١٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣ - سورة آل عمران ، ٣ - باب : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ... ﴾ .

(٢) البخاري (٨ / ٢١٣) للموضع السابق .

(الإشقي) : آلة الحرز للإسكاف . وتون ولا تون .

(٣) آل عمران : ٧٧ .

١٦٠٧ - مسلم (١ / ١٢٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٦١ - باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

والنسائي (٨ / ٢٤٦) ٤٩ - كتاب آداب القضاة ، ٣٠ - القضاء في قليل المال وكثيره .

النَّارَ قَالُوا : وَ إِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا ؟ قَالَ : « وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ » .

وفي رِوَايَةِ المَوْطَأِ ^(١) : « وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ ، وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ ، وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ » . قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

١٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رَأَى عِيسَى زَجَلًا يَشْرُقُ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْرَقْتَ ؟ قَالَ : كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَقَالَ عِيسَى : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَكَذَّبْتُ غَيْبِي » .

كفارة الأيمان المنعقدة :

١٦٠٩ - * روى مالك عن نافع مولى ابن عمر ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ كَانَ يَقُولُ : مَنْ خَلَفَ بَيْنَ فَوْكَدَها ، ثُمَّ حَنَثَ ، فَعَلِيهِ عِتْقُ رَقَبَةٍ ، أَوْ كِسْوَةُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ، وَمَنْ خَلَفَ بَيْنَيْنِ فَلَمْ يُؤْكِدْها ، ثُمَّ حَنَثَ ، فَعَلِيهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ مَدٌّ مِنْ حِنْطَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

وفي رِوَايَةٍ ^(٢) أَنَّ ابْنَ عَمَرَ كَانَ يُكْفِّرُ عَنْ يَمِينِهِ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ مَدٌّ مِنْ حِنْطَةٍ ، وَكَانَ يُغْتِقُ الْمِرَارَ ، إِذَا وَكَّدَ الْيَمِينَ .

أقول : هذا التفريق بين اليمين المؤكدة وغيرها لابن عمر ، وإلا فالفقهاء لا يفرقون ، فَمَنْ كَانَتْ اليمين منعقدة فكفارته واحدة ، وهي ما ذكره الله تعالى بقوله :

﴿ لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ^(٣) .

(١) الموطأ (٢ / ٧٢٧) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٨ - باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ .
١٦٠٨ - البخاري (٦ / ٤٧٨) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٨ - باب قول الله [١٦ : مريم] واذكر في الكتاب مريم ٤ .

مسلم (٤ / ١٨٣٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٤٠ - فضائل عيسى ، عليه السلام .
١٦٠٩ - الموطأ (٢ / ٤٧٩) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب العمل في كفارة اليمين . وإسناده صحيح .
(٢) الموطأ : الموضع السابق .

(المذ) : مكيال رطلين أو رطل وثلاث أو ملء كفي الإنسان المعتدل .

(المزار) : الجواري الناعمة .

(٣) المائدة : ٨٩ .

المسائل والفوائد

- الكفارة تجب في اليمين المنعقدة عند الحنفية والمالكية سواء كان الحانث عامداً أو ساهياً أو غلطاً أو نائماً أو مغمى عليه أو مجنوناً أو مكرهاً .

- إذا حلف شخص أن يقضي حق غيره في وقت فقضاه قبله لم يحنث بيمينه عند الحنفية والحنابلة .

- صفات الله تعالى التي ترد في باب القسم ثلاثة :

أحدها : مالا يستعمل في عرف الناس وعاداتهم إلا في وصف الله كقولهم وعزة الله وعظمته .

والثاني : صفة تستعمل لله ولغيره كالقدرة والإرادة والمشية فهذه كالأولى يعتبر الحلف بها إذا أضيفت إلى الله يميناً .

الثالث : الحلف بصفة تستعمل لله تعالى ولغيره ولكن يمكن أن يراد بها أكثر من معنى ، فمثلاً علم الله قد يراد به الصفة وقد يراد به المعلوم فالأصل في مثل هذه الصفات أن الحلف بها يمين إلا أن ينوي الحالف بالمعلم المعلوم وبالقدرة المقدور ، هذا ما قاله الشافعية والحنابلة في هذا الموضوع والحنفية لا يفرقون بين هذا النوع من الحلف والذي قبله ؛ لأن العبرة عندهم للعرف فما دام المتعارف عليه أن يحلف بصفات الله فكل صفة له جل جلاله يعتبر الحلف بها يميناً مطلقاً .

- إذا قال قائل وعهد الله فهو يمين عند الحنفية والمالكية والحنابلة وفي وجه ضعيف عند الشافعية والراجح عندهم أنها لا تعتبر يميناً ما لم ينو الحالف بها اليمين .

- إذا قال الحالف : ووجه الله فهو يمين .

- لو حلف إنسان بالمصحف أو بالقرآن فإن المالكية والشافعية والحنابلة يعتبرونه يميناً واختلفت الحنفية في ذلك وقدماءهم مجمعون على أن ذلك لا يعتبر يميناً . ومع أن الشافعية والمالكية والحنابلة اعتبروه يميناً فإنهم استثنوا من ذلك ما إذا أراد الحالف بهذا الحلف الخطبة

١٦١٥

أو الصلاة أو ورق المصحف أو جلده أو نقوشه ، وإنما اعتبروه يمينًا ، لأن القرآن كلام الله فالحلف به كالحلف بصفة من صفات الله عز وجل .

- ومن حلف بحق الله فإنه يمين عند المالكية والحنابلة والشافعية في الأصح ومن باب أولى أن يحلف بالحق ؛ لأنه اسم من أسماء الله تعالى ، وقد اختلف الحنفية في الحلف بحق الله فقال أبو حنيفة ومحمد وفي رواية عن أبي يوسف : لا يكون يمينًا.

- من قال حالفًا : لعمر الله فإن الجمهور يعتبرها يمينًا موجبة الكفارة ، وقال الشافعي : إن قصد اليمين فهي يمين وإلا فلا .

* * *

١٦١٧

خاتمة قسم العقائد
مؤمنون لا فلاسفة

خاتمة قسم العقائد

مؤمنون لا فلاسفة

لقد أعطى الإسلام للبحث العقلي وللنظر العلمي مداها الصحيح ، والمسلم إذ يدرس النصوص يبقى مطمئنًا أنَّ النصوص لا تخالف عقلا ، ولا علما ، وهو إذ يدرس العلوم الإسلامية باستيعاب عقل ودقة فهم وتحقيق علم لا يفوته أن يعرف أدبه مع النصوص فهو بعد إذ يطمئن إلى سلامة الفهم ، وإلى مواطأة فهمه لفهم الراسخين في العلم يعرف أنَّ أدبه مع النصّ التلقي بالتسليم ، والتفاعل القلبي والعملي مع النصّ بما يقتضيه المقام ، فمعرفة أنَّ الله سميع تقتضي منه أن يستشعر أنَّ الله يسمعه ، ومعرفة أنَّ الله ليس كمثل شيء تقتضيه أن يزنه الله عز وجل عن كل ما يخطر بباله ، ومعرفة أنَّ الله عز وجل ينزل كل يوم في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا تقتضيه أن يكون له في ذلك الوقت تهجد ودعاء واستغفار ، ومعرفة بالرسول تقتضي اقتداء ، ومعرفة بالملائكة تقتضيه حياة ، ومعرفة بالقرآن تقتضيه خشوعًا وتأثّرًا وبكاءً وأتباعًا ، ومعرفة بالسنة تقتضي التزامًا واحتذاءً ، فهو يتلقى النصوص بعقل مسلم وقلب مخبّث ، ويعطي كل نصّ حكمه وحقه ، فالمسلم ليس فيلسوفًا يسبح في خيالات الأوهام ، أو في مناهات الأحلام يتعبد لأصنام العقل ، أو يبقى في دائرة الفكر ، وإنّا هو عقل وقلب وشعور وجسد ، وهو في هذا كلّ يتفاعل مع النصوص تفاعل المؤمن لا تفاعل المتردد ، وتفاعل الخبث المطيع الخاشع لا تفاعل العقل الجامد أو القلب القاسي .

إنّ أعظم ما تعبد الله عز وجل به عبادة ، هو معرفته ، وإنّا يُعرف جلاله حق المعرفة بما خلق وبما أنزل ، والخلق نوعان : مشهود ومغيّب ، وقد أنزل الكتاب وجعل السنة من الوحي وهي شارحة للكتاب ، وبذلك كلّ يُعرف الله عز وجل حق المعرفة .

وموقف المسلم العارف بالله من الكتاب والسنة الإيمان بالنصوص والتسليم لله في الحكم سواء في ذلك أحكامه في العقائد أو في العبادات أو في مناهج الحياة ، وقد أخذت تصوّرًا في هذا القسم عن عقائد الإسلام وها إنك في القسم اللاحق تأخذ تصوّرًا عن عباداته الرئيسية ،

وفي القسمين الأخيرين تأخذ تصوّرًا عن مناهج الحياة في الإسلام .

فإلى القسم الثالث من أقسام (الأساس في السنّة وفقهها) وهو في العبادات الرئيسيّة ، وليُعَلِّم أنه إقامة العبادات تكون للعقيدة حياتها وحيويتها ، ومظهر الحياة والحيوية إقامة العبودية كاملة ، وذلك إقامة مناهج الحياة ، وليُعَلِّم أن الذكر والفكر مفتاحان من مفاتيح الإسلام للعقل والقلب ، فليكثر المسلم منهما ، وليقبل على الأخذ عن الراسخين في العلم ، ويدع أهل الشذوذ والأهواء والجدل ، فذلك من جملة ما يحفظه ثابت القدم ، على الصراط المستقيم . والحمد لله رب العالمين .

* * *

١٦٢١

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفقرة العشرون : في صفة المسيح ابن مريم عليه السلام ونزوله	١٠٩١
مقدمة	١٠٩١
نصوص	١٠٩٣
مسائل وفوائد	١١٠٨
الفقرة الحادية والعشرون : في يأجوج ومأجوج	١١٢٢
مقدمة	١١٢٢
نصوص	١١٣٥
مسائل وفوائد	١١٣٧
الفقرة الثانية والعشرون : في لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق	١١٤١
الفقرة الثالثة والعشرون : في نار عدن	١١٤٥
النصوص	١١٤٦
مسائل وفوائد	١١٤٨
الوصل الثاني : في الموت والحياة البرزخية	١١٥١
المقدمة	١١٥٣
بعض النصوص القرآنية التي تتحدث عن الموت والحياة البرزخية	١١٦٠
النصوص الحديثية	١١٦٣
مسائل وفوائد	١١٩٠
الوصل الثالث : في الساعة وما يأتي بعدها	١١٩٣
المقدمة	١١٩٥
الفقرة الأولى : في عرض إجمالي	١١٩٩
الفقرة الثانية : في النفختين وفي يوم القيامة	١٢١٣
١ - النصوص القرآنية	١٢١٥

١٢٢٢	٢ - النصوص الحديثية
١٢٢٧	٣ - بعض ما يكون بالنسخة الأولى
١٢٢٩	٤ - بعض ما يكون بالنسخة الثانية
١٢٣٠	الفقرة الثالثة : في الحشر
١٢٣٣	١ - النصوص القرآنية
١٢٥٤	٢ - نصوص حديثية
	الفقرة الرابعة : في مشاهد من القرآن الكريم فيما يجري في اليوم الآخر
١٢٧٠	من حوار
١٢٨٤	الفقرة الخامسة : في أحاديث تصف بعض ما في الموقف وما بعده
١٣٠٣	الفقرة السادسة : في الحوض
١٣٠٥	النصوص
١٣١٦	الفقرة السابعة : في الحساب والميزان
١٣١٦	عرض إجمالي
١٣٢١	النصوص
١٣٣٠	الفقرة الثامنة : في الصراط
١٣٣٠	عرض إجمالي
١٣٣٣	النصوص
١٣٣٧	الفقرة التاسعة : في الشفاعات
١٣٤٠	النصوص
١٣٥٠	الفقرة العاشرة : في الجنة والنار
١٣٥٠	١ - المقدمة
١٣٥٤	٢ - مشاهد من القرآن الكريم
١٣٨٤	٣ - نصوص حديثية في النار
١٣٩٤	٤ - نصوص حديثية في ما وصف به أهل الجنة وبعض نعم أهلها
١٤١٣	٥ - في بعض ما ورد في آخر أهل النار خروجًا منها
١٤١٧	٦ - رؤية الله تعالى في الآخرة

١٦٢٣

١٤١٧ مقدمة

١٤٢٠ النصوص

١٤٢٤ ٧ - في ذبح الموت

٨ - في متفرقات في الجنة والنار وبعض صفات أهلها وبعض ما

١٤٢٦ يحصل لأهل كل منها

١٤٤٨ الفقرة الحادية عشرة : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾

١٤٥١ خاتمة الباب الثاني

١٤٥٣ الباب الثالث : في مباحث عقديّة

١٤٥٥ المقدمة

١٤٦١ الفصل الأول : في بعض المشوشات الزائفة على النبوة : السحر والكهانة والتنجم

١٤٦٣ المقدمة

١٤٦٥ تقول : في السحر والكهانة والتنجم

١٤٧١ نصوص : في السحر والكهانة والتنجم

١٤٧٩ الفصل الثاني : في نسبة الحوادث إلى الأسباب مقطوعة عن الله عز وجل

١٤٨١ مقدمة

١٤٨٣ النصوص

١٤٨٧ الفصل الثالث : في الطيرة والفأل والشؤم والعدوى وما يجري مجراها

١٤٨٩ المقدمة

١٤٩١ النصوص

١٥٠٥ الفصل الرابع : في العين والتائم والرقى

١٥٠٧ المقدمة

١٥٠٩ النصوص

١٥٠٩ ١ - في العين

١٥١٦ ٢ - في التائم

١٥١٩ ٣ - في الرقى

١٥٣٣ الفصل الخامس : في التندر

١٥٣٥	عرض إجمالي
١٥٣٩	الفقرات
١٥٤١	الفقرة الأولى : في حكم النذر ومتى يجب الوفاء به
١٥٤٦	الفقرة الثانية : في النذر فيما لا يطبق
١٥٥٠	الفقرة الثالثة : في حكم مراعاة المكان في النذر
١٥٥٢	الفقرة الرابعة : في قضاء الحي نذر الميت
١٥٥٤	الفقرة الخامسة : في نذر الجاهلية إذا وافق عبادة إسلامية
١٥٥٥	الفقرة السادسة : في متى يكون للنذر حكم اليمين
١٥٦٠	الفقرة السابعة : في نذر صيام يوم النحر
١٥٦١ ...	الفقرة الثامنة : في نذر المقيم بمكة أو بالمدينة المنورة الصلاة ببيت المقدس
١٥٦٣	الفقرة التاسعة : في موضوعات متعددة
١٥٦٧	تقول ومسائل وفوائد
١٥٦٩	الفصل السادس : في اليمين
١٥٧١	عرض إجمالي
١٥٧٧	الفقرات
١٥٧٩	الفقرة الأولى : في بعض أقوال العلماء في اليمين
١٥٨٥	الفقرة الثانية : في بعض ما ورد في القرآن الكريم في اليمين
١٥٨٦	الفقرة الثالثة : في بعض ما ورد في الحلف بغير الله
١٥٩٤	الفقرة الرابعة : في اليمين الغموس
١٥٩٦	الفقرة الخامسة : في أن الاستثناء في اليمين يلغي اليمين
١٥٩٩	الفقرة السادسة : في من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها
١٦٠٦	الفقرة السابعة : في متفرقات في الأيمان
١٦١٤	المسائل والفوائد
١٦١٧	خاتمة قسم العقائد : مؤمنون لا فلاسفة
١٦٢١	الفهرس

